سلسلة كتب السنة والاعتقاد (١٤)

كتاب الرد على الجهمية

تصنيف
الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي
(٢٨٠ هـ) رحمه الله

تحقيق وتعليق
أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان
عفا الله عنه

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

كتاب

الرد على الجهمية

كل الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إليكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون حصول علي إذن خطي من المؤلف والناشر

رقم الإيداع : ٢٦٩٢٩ - ٢٠٢٣

ردمك : ٤ - ٧١٦ - ٩٩٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٤٥ هـ ـ ٢٠٢٤ م

9789779977164

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 -0502357979

سلسلة كتب السنة والاعتقاد (١٤)

كتاب الرد على الجهمية

تصنيف

الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي

(٢٨٠ هـ) رحمه الله

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمدَ لله نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد،

فإنَّ مِن أوائلِ المُصنَّفاتِ التي وصلت إلينا كاملةً في الردِّ علىٰ الجهميةِ المُعطِّلة كتابي الإمام عثمان بن سعيد الدارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)، وهما: «الردّ علىٰ الجهمية»، ثُم «النقض علىٰ بشر المَريسي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِن التوحيد».

وهما مِن أجلِّ وأوسعِ ما صَنَّفه المُتقدِّمون مِن أئمَّةِ السُّنةِ في الرَّدِّ علىٰ المُعطِّلةِ لصفاتِ الله تعالىٰ بالتأويلِ والتحريفِ.

---

(١) هو غير الحافظ الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل صاحب «المسند» والمعروف بـ«السُّنن»، المُتوفَّىٰ سنة (٢٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[مكانة كتابي الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ]

وتَظهرُ قيمةُ هذين الكتابينِ العظيمين مِن اشتمالهما علىٰ الكلام في الربِّ تعالىٰ وصفاته المُقدسة، وكذا مِن منزلةِ مُصَنِّفهما وإمامتِهِ في الدِّينِ والسُّنةِ، والزمانِ الذي صُنِّفا فيه، وأنه أحدُ القُرون الثلاثة المُفضَّلةِ.

١- قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اجتماع الجيوش» (ص ٣٤٧): (وكتاباه مِن أجلّ الكُتُبِ المُصنَّفة في السُّنةِ وأنفعها، وينبغي لكلِّ طالبِ سُنَّةٍ مُرادُه الوقوفُ علىٰ ما كان عليه الصحابةُ رضي الله عنهم والتابعون والأئمَّةُ أن يَقرأ كتابيه.

وكان شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصي بهذينِ الكتابينِ أشدَّ الوصية، ويُعظِّمهما جدًّا، وفيهما مِن تقريرِ التوحيدِ والأسماءِ والصفاتِ بالعقلِ والنقلِ ما ليس في غيرهما). اهـ

٢- وقال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحموية» (ص ٢٦٠) في معرض كلام الأئمة علىٰ تأويلات الجهمية للصفات: وردّ ذلك عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذَّكي: عَلِمَ حقيقة مَا كان عليه السَّلف، وتَبيَّنَ له ظُهور الحُجَّة لطريقهم، وضَعف حُجَّة مَن خالفهم. اهـ

٣- وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عثمان بن سعيد ... ناصرُ السُّنةِ، قامِعُ البدعةِ ... صَنَّفَ كِتاباً جليلًا في الرَّدِّ علىٰ بشرٍ المريسي وأتباعه مِن الجهمية، بعد المُناظرة بينه وبين بعض الجهمية مِن أصحاب بشر والثلجي .. وقد هَتَكَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتابِ سِترَ الجهمية، وبَيَّنَ فضائحهم، ولا أعلمُ للمُتقدِّمين في هذا الشأنِ كِتاباً أجودَ منه، ومِن كتابه الآخر في الردِّ علىٰ عموم الجهمية، وكتاب «التوحيد» لإمام الأئمَّة محمد بن إسحاق بن خُزيمة، وإن كان كِتاباً

جليلًا في هذا الباب، ومُصنِّفُه مِن أكابر أئمَّة المسلمين إلَّا أن كتاب الدارمي أنفعُ في بعض شُبه الجهمية، والدارمي أحذقُ في معرفة كلامِ الجهمية، والعلم بمُرادهم والردِّ عليهم، وكلاهما إمامٌ مُبرِّزٌ في هذا الشأن وفي غيره رحمهما الله ورضي عنهما، وعن سائر أئمَّة الدين. اهـ [«رسالة لطيفة في أحاديث مُتفرَّقة ضعيفة»].

٤- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوتِ» (ص ٣٦٠): فمَن رامَ النَّجاةَ مِن هؤلاء، والسَّلامةَ مِن الأهواءَ، فليكن ميزانه الكتاب والأثر - في كُلِّ ما يسمع ويرىٰ، فإن كان عالمًا بهما عرضه عليهما - واتِّباعه للسّلف ... وليُكثِر النّظر في كُتبِ السُّننِ لِمَن تَقدَّم، مثل: أبي داود السِّجستاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي بكر الأثرم، وحَرب بن إسماعيل السّيرجاني [يعني الكرماني]، وخُشَيش بن أصرم النَّسائي، وعُروة ابن مروان الرَّقِّي، و**عُثمان بن سعيد الدَّارميّ السِّجستاني**. اهـ

٥- وقال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الدُّرر السَّنية» (٣/ ٣٣٧): ومَن تَغذَّىٰ بكلام المُتأخِّرين مِن غيرِ إشرافٍ علىٰ كتب أهل السُّنة المُشتهرين، ككتابِ «السُّنة» لعبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب «السُّنة» للخلال، وكتاب «السنة» للالكائي، **والدارمي** وغيرهم، بقيَ في حَيرةٍ وضلال. اهـ

٦- ومِن أغرب ما وقفت عليه مِن الثناء علىٰ كُتبِ أئمَّة السُّنة عموماً، وكتاب «النقضِ» خصوصًا، وصيَّةُ أحمد بن صِديق الغُماري المغربي الصُّوفي الهالك (١٣٨٠هـ) إذ قال: (وعليك بقراءة «اجتماع الجيوش

الإسلامية علىٰ غزو المُعطِّلة والجهمية»، وهو مطبوعٌ مرَّتين بالهند وبمصر، و«اختصار الصواعق المُرسلة علىٰ الجهمية والمُعطِّلة» لابن القيم أيضًا، وهو مطبوعٌ بمكة في مُجلَّدين، و«ردّ الدارمي علىٰ بشر المريسي»، وهو مطبوعٌ بمصر، و«التوحيد» لابن خُزيمة وهو مطبوع بمصر أيضًا.

فإذا قرأت هذه الكُتب؛ حُزت المُبتغىٰ في عقائد السلف، وعرفت جزمًا أن مُرادهم بالمبتدعة والمُعطِّلة: **هم الأشعرية**، وأنهم شرّ ابتداعًا مِن المُعتزلة، وأنهم كاذبون في دعواهم أنهم أهل السنة والجماعة، أو علىٰ الأقل غالطون في ذلك ولا بُدَّ. [انتهىٰ نقلًا من «ذم الأشاعرة والمُتكلمين» جمع وإعداد: د/ صادق بن سليم (ص٩٠)].

ومع عِظَمِ هذه الوصيَّة وكبير نفعها إلّا أنه لم ينتفع هو بها فسلكَ في أبواب الصفات مسلك المفوِّضة، وفي أبواب التوحيد والعبادة مسلك القبورية ! ولا حول ولا قوّة إلَّا بالله.

والمقصودُ أنَّ الدارميَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامٌ كبيرٌ مِن أئمَّةِ السُّنةِ والآثارِ، وهو مِن عُلماءِ القرنِ الثالث الهجري، طافَ الأقاليمَ لجمعِ السُّنةِ وأقوالِ الصحابة رضي الله عنهم وأئمَّةِ الأثرِ، ولقيَ العلماءَ الكبارَ، وسَمِعَ منهم الحديثَ والعِلمَ.

فكان مِمَّن لَقِيَ مِن أئمَّةِ الحديثِ والسُّنةِ: أحمدُ بن حنبل، ويحيىٰ بن معين ودوَّن عنه سؤلات في الرجالِ، وعليُّ بن المديني، وإسحاقُ بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شيبة، وسُليمان بن حرب، وأبو سلمةَ التبوذكي، ونُعيمُ بن حماد، وخلقٌ كثيرٌ بالحرمينِ، والشامِ، ومِصرَ، والعراقِ، والجزيرة، وبلاد العجم.

وشَهِدَ له شيوخُه وأقرانُه مِن أهلِ عصرِه بالعلمِ، والصِّدقِ، والسُّنةِ، والاتِّباع، والديانة، والأمانة، وتتابعت شهاداتُ أهلِ العلمِ علىٰ ذلك.

١- قال أبو زُرعة الرازي: ذاك رُزِقَ حُسْنَ التصنيفِ.

٢- وقال أبو الفضل الجارودي: كان عثمانُ بن سعيد إمامًا يُقتدىٰ به في حياتِه، وبعد مَمَاتِه.

٣- وسُئِلَ عنه أبو داود السِّجستاني صاحِب «السُّنن»، فقال: منه تَعلَّمنا الحديث.

٤- وقال أبو الفضل يعقوب بن إسحاق القرَّاب: ما رأينا مثل عثمان بن سعيد، ولا رأىٰ عثمانُ مثل نفسِه، أخذَ الأدبَ عن ابنِ الأعرابي، والفقه عن أبي يعقوب البُوَيْطي، والحديث عن ابن معين، وابن المديني، وتقدَّم في هذه العلوم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- وقال ابنُ حبَّان: أحدُ أَئِمَّة الدنيا.

٦- وقال أبو يعلىٰ الخليلي في «الإرشاد»: كبير المَحلّ، عالم بهذا الشأن، يُقارن بالبخاري، وأبي زُرعة، وأبي حاتم.

٧- وقال قوام السُّنة الأصبهاني في «سير السلف»: أحدُ أئمَّة الدنيا، صَلبٌ في السُّنة.

٨- وقال الذهبيُّ: الإمام، العلَّامة، الحافظ، الناقد، شيخُ تلك الديار، أبو سعيد التميمي .. أخذ عِلمَ الحديث وعِلَلَه عن عليٍّ، ويحيىٰ، وأحمد، وفاقَ أهل زمانه، وكان لَهِجًا بالسُّنةِ، بَصيرًا بالمُناظرةِ.

وقال: كان عثمانُ الدارمي جِذعًا في أعيُنِ المُبتدعةِ.

٩- وقال ابنُ عبد الهادي: الإمامُ الحافظُ، شيخُ الإسلامِ ... مُحدِّثُ هَرَاةَ، وتلك البلاد. اهـ

١٠- وقال ابنُ كثير: مُحدِّثُ هَراة، أحدُ الحُفَّاظِ والأعلام ... ولقيَ الكِبار، وبرعَ في العلوم، وطرقَ الآفاق .. ووقعَ لي سماع كتابيه، ولله الحمدُ والمِنَّة. اهـ

١١- وقال ابن عساكر الأشعري في «طبقات الشافعية»: مُحدِّث هراة، وأحد الأعلام الثقات، ومَن ذكره العبَّادي في «الطبقات» قائلًا: الإمام في الحديثِ والفقه ... قلتُ: كان الدارمي واسِعَ الرحلة، طَوَّفَ الأقاليم، ولقي الكبار. اهـ

فهذا هو الإمامُ الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحِبُ هذين الكتابين، وهذا ثناءُ أصحاب التراجم عليه الموافقين له في الاعتقاد والمُخالفين.

فإذا تَبيَّنتَ هذا وتَبيَّنتَ أنه داخل في القرون التي شَهِدَ لها النبيُّ ﷺ بالخيرية - خيرية العلم والعمل كما لا يَخفىٰ - كما في قوله ﷺ: «**خيرُ النَّاسِ قَرني، ثُم الذينَ يَلُونَهُم، ثُم الذينَ يَلُونَهُم**». رواه مسلم (٢٥٣٣).

وعلمتَ أنَّ كتابيه في الردِّ علىٰ الجهمية وغيرهما قد وقف عليها أئمَّة ذلك الوقت ومَن تَبعهم مِن أئمَّة الإسلام، فلم يُنكروا، ولم يُعارضوا شيئًا ممَّا قرَّره مِن المباحث والمسائل والردود علىٰ المُخالفين، تيقَّنت من غير شكٍّ أنَّ مِن أجلِّ كُتب أئمة السنة التي صُنِّفت في أبواب السنة والاعتقاد.

ومِن فضله وإنصافه ويقينه بصحَّة ما قرَّره أنه دعا إلىٰ عرضها علىٰ أهل الشأن ليُزيِّفوا الباطل منها إن وُجِدَ، ويُحقُّوا الحقَّ، فقال في كتابه «النقض»:

(ولم نألُكم فيه والإسلامَ نُصحًا إن قبِلتُم، ومَن لم يقبَله؛ فلينصح نفسَه وأهلَه وولده وإخوانَه مِن أهلِ الإسلامِ، فليَعرضه علىٰ مَن بقِيَ مِن عُلماءِ الحِجازِ والعِراقِ، ومَن غَبَرَ مِن عُلماءِ خُراسانَ، حتىٰ يستقِرَّ عنده نُصحُنا، وخيانةُ هذا المُعارِضِ للإسلامِ وأهله، فإنه أحدث أشنعَ المُحدثات). اهـ

فأصبحَ كتاباه تُرْسًا يَتترَّسُ بهما أهلُ السُّنة علىٰ المُعطِّلة في جميع الأعصارِ والأمصارِ، ومَحلَّ ثناءٍ ومَدحٍ وإشادةٍ ووصيَّةٍ لأهل السُّنة والآثار، وشوكةً في حُلوقِ أهلِ التعطيلِ والبدعِ في كلِّ زمانٍ ومكان.

[طريقة الدارمي في كتابيه]

ومَسلكُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه مَسلكُ أئمَّة السُّنة والحديث؛ في الاحتجاج بالكتاب والسُّنة وآثارِ سلفِ الأُمَّة، وخرجَ إلىٰ رُدود عقليةٍ صحيحةٍ مُفحمةٍ بعيدة عن عِلمِ الكلامِ المُحدثِ المأخوذ مِن كُتبِ اليونان، وعقائد الصابئة والفلاسفة الملاحدة.

ومِن قوله في ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بيننا وبينكم فيه: النظرُ بما يدلُّ عليه الكتابُ، والسُّنةُ، وتحتملُ العقول). اهـ [«الرد» (٢٥٤)]

وقال: (فحينَ رأينا ذلك ألَّفنا هذه الآثارَ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِهِ، والتابعين مِن بعدِهم، ليَعلمَ مَن بقي مِن الناسِ أنَّ مَن مضىٰ مِن الأُمَّةِ لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعرفون له تأويلًا غيرَ ما يُتلىٰ مِن ظاهرِه أنه كلامُ الرحمن تبارك وتعالىٰ، حتىٰ نَبَغَ هؤلاء الذين اقتربوا لردِّ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وتعطيل كلامِهِ وصفاتِه المُقدَّسَةِ بهذه الأُغلوطاتِ التي لو ظهرت علىٰ عهدِ رسول الله ﷺ وأصحابه **ما كان سبيلُ مَن يُظهِرُها بينهم إلَّا كسبيلِ أهل الرِّدَّةِ**). [«الرد» (٢٣٠)]

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَعتني في احتجاجه بما صحَّ مِن الأخبار، وما تلقَّاه أئمَّة هذا الشأن بالقبول والاحتجاج، فلا يَحتجُّ بالموضوعات، ولا بالأخبار المُنكرة الواهية التي تُخالفُ أصول السُّنة والاعتقاد، ويقبلُ ما قَبِله أئمَّة السُّنة ويَرُدُّ ما رَدوه.

وكان كثيرًا ما يؤكِّدُ علىٰ هذا في رُدوده علىٰ خصومه المُعطِّلة، فكان يقول لهم: (لا يُقبلُ منك هذا التفسيرُ إلَّا بأثرٍ صحيحٍ مأثورٍ عن رسول الله ﷺ، أو عن بعضِ أصحابِه، أو التابعين). [«النقض» (٤٧)].

ويقول: (فذاك الناطقُ مِن قولِ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الصحيحُ المشهورُ مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ). اهـ [«النقض» (١٢)].

وكان يُنكر عليهم احتجاجهم بالأحاديثِ الضعيفة المُنكرة، فيقول: (إن أفلسَ الناسِ مِن الحديثِ وأفقرَهم فيه الذي لا يجِدُ مِن الحديث ما يدفعُ به تلك الأحاديثَ الصحيحةَ المشهورةَ في تلك الأبوابِ إلَّا هذا الحديث ...) إلخ. [«الرد» (١١٣)].

وكان يُعِلُّ الروايات التي يحتجُّ بها المُعطِّلة لإنكار الصفات، كما سيأتي إفراده بالبسط في فصلٍ مُستقلٍّ تتضح فيه عنايته بالحديث قبولًا ورَدًّا.

وقد يَستشهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببعضِ الأحاديث والآثار التي فيها ضعفٌ مِن باب المُتابعات والشواهد لتقرير ما أجمع عليه سلف الأُمَّة في عقائدهم، وليس ذلك بناقضٍ ما أصَّله من الاقتصار في الاحتجاج علىٰ ما صحَّ من الآثار، والإنكار علىٰ المعارض مخالفته لذلك، إذ إن هذه سبيلٌ سلكها أئمَّة السنة والأثر في مُصنَّفاتهم، خصوصًا في الاعتقاد والردِّ علىٰ الجهمية المُعطِّلة.

فتنبَّه لهذا ولا يُضلنَّك الذين يَتحذلقون علىٰ أئمَّة السُّنة والآثار ويَعيبونهم بأنهم يَحتجُّون في إثباتِ صفاتِ الله تعالىٰ بالأحاديث الضعيفة والمُنكرة، وما لا يجوزُ نسبته لله تعالىٰ كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن بعض الأحاديث التي رواها الأئمَّة مِن أحاديث الصفات وتناقلوها من غير نكير لما دلت عليه، قال: فإن الله قد وصفَ هذه الأُمَّة بأنها خير أُمَّة أُخرجت للناس، وأنها تأمر بالمعروفِ، وتنهىٰ عن المُنكرِ، فمن المُمتنع أن يكون في عَصرِ التابعين يَتكلَّم أئمَّة ذلك العصرِ بما هو كُفرٌ وضَلال، ولا يُنكر عليهم أحدٌ..اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبيِّنًا منهجم في ذلك: والأئمَّةُ كانوا يَروون ما في البابِ مِن الأحاديث التي لم يُعلم أنها كذِبٌ، مِن المرفوع والمُسند والموقوف وآثار الصحابة والتابعين؛ لأن ذلك يقويٍّ بعضُه بعضًا، كما تُذكر المسألةُ مِن أصولِ الدينِ ويُذكر فيها مذاهب الأئمَّة والسلف.

فثمَّ أمورٌ تُذكرُ للاعتماد، وأمورٌ تُذكر للاعتضادِ، وأمورٌ تُذكر لأنها لم يُعلم أنها مِن نوعِ الفساد. اهـ [«الصفدية» (١/ ٢٨٧)].

- وقال في «الانتصار لأهل الآثار» (١/ ٣٩): وأهل الحديث لا يَستدلُّون بحديثٍ ضعيفٍ في نقضِ أصلٍ عظيمٍ مِن أصول الشريعة، بل إمَّا في تأييده، وإمَّا في فرعٍ مِن فُروعِهِ. اهـ

- وقال أيضًا في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٣٥٦): فإن ضعف إسناد الحديث لا يمنعُ أن يكون متنه ومعناه حقًّا، ولا يمنعُ أيضًا أن يكونَ له مِن الشَّواهدِ والمُتابعاتِ ما يُبيِّن صِحَّته. اهـ

ثم اعلم أن المُتقدِّمين مِن أئمَّة السُّنة والحديث كانوا يتساهلون في الحُكمِ علىٰ الآثار الموقوفة والمقطوعة صِحةً وضَعفًا، ولم يكونوا يتعاملون معها تَعَامُلَهُم مع الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ، فكانوا يغتفرون يسير الضَّعْف إذا لم يكن في الأثرِ ما يُنكر، وكان له ما يَعضده مِن النصوص الثابتة، وأمَّا إذا كان في الأثرِ ما يُنكر فإنهم يُبينون عِلَّته، ويكشفون عن ضَعفه ونكارته، كما صنَعَ الإمامُ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع المَريسي لما احتجَّ بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكرسي هو العلم.

فلمَّا كانت هذه الرِّواية تُخالف المشهورَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما وعن غيره مِن السلف مِن أن الكرسيَّ موضع القدمين، أجرىٰ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قواعد الفنِّ علىٰ إسنادِ هذا الأثرِ، وكشف عن ضعفه ونكارته، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فيُقالُ لهذا المريسيِّ: أمَّا ما رَويتَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما فإنه مِن روايةِ جعفر الأحمر، وليس جعفرٌ ممَّن يُعتمدُ علىٰ روايتِه إذ قد خالفته الرُّواةُ الثقاتُ المُتقِنون، وقد روىٰ مسلمٌ البطينُ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في الكُرسيِّ خلافَ ما ادَّعيت علىٰ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أن الكرسيَّ هو العلم ...). إلخ. [«النقض» (١٤٧)].

وقال أيضًا لَمَّا استدلَّ المُعطِّل لإبطال صفةِ القدمِ لله تعالىٰ بأثر ابن عباس رضي الله عنهما: (فهذا الذي عرفناه عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما صَحيحًا مَشهورًا. فما بالُكَ تَحيدُ عن المشهورِ المنصوصِ مِن قولِه، وتتعلَّقُ بالمغمورِ منه المُلتبسِ الذي يحتملُ المعاني؟!). [«النقض» (١٤٠)].

وقال (٣١٣): (رويتَ عن الحسنِ البصري كذِبًا أنه قال في قول الله تعالىٰ: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠]، قال: نِعمُ الله. فعمَّن رويتَ هذا عن الحسنِ ؟ فاكشف عن رأسِه، فإنك لا تكشِفُ عن ثقةٍ). اهـ

فرَحِمَ اللهُ الإمام الدارمي، ونسألُ الله تعالىٰ أن يجزيه عن الإسلام وأهله خيرًا إذ ترك لنا هذين الكتابين العظيمين ننهل منهما، وندفع بهما في نحرِ كل مُعطِّل لصفات ربّنا وخالقنا جلَّ جلاله.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تَسليمًا كثيرًا.

كتبه:

أبو عبد الله

عادل بن عبد الله آل حمدان

عفا الله عنه

ترجمة المُصنِّف

اسمه: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي، الدارمي، السّجستاني.

(والدارمي) نسبة إلىٰ دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد بن تميم، بطن كبير مِن تميم، يُنسب إليه خلق كثير مِن العلماءِ والشعراء والفرسان. [«اللباب» (١/ ٤٨٤)].

مولده: حدود مائتين.

كنيته: أبو سعيد.

شهرته: الدارمي.

وفاته: (٢٨٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

***شيوخه:**

- **قال ابن كثير:** أخذ الفقه عن أبي يعقوب البُوَيْطي، والعربية عن ابن الأعرابي، والحديث عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، ويحيىٰ بن معين ...

وسَمِعَ الحديث بحمص: مِن أبي اليمان، ويحيىٰ بن صالح الوحاظي، وحيوة بن شريح وغيرهم.

وبدمشق: مِن خطيبها هِشام بن عمَّار، وحماد بن مالك الحرستاني، وطائفة.

وبمصر: مِن سعيد بن أبي مريم، وعبد الغفار بن داود، ونُعيم بن حماد، وطائفة.

وبالعراق: مِن سُليمان بن حرب، وموسىٰ بن إسماعيل التبوذكي، وخلق. اهـ

*** طُلابه:**

حدَّث عنه: أبو عَمرو أحمدُ بن محمد الحِيري، ومحمد بنُ يوسف الهَرَوي، وأحمدُ بن محمد بن عبدوس الطّرائفي، وأبو النضر محمدُ بن محمد الفقيه، وحامد الرفّاء، وابنه محمد بن عثمان بن سعيد، وخلق كثير مِن أهل هَراة، وأهل نيسابور.

*** الثناء عليه:**

- **قال أبو الفضل يعقوبُ القرَّاب**: ما رأينا مثلَ عثمان بن سعيد، ولا رأىٰ هو مثلَ نَفسِه.

- **وقال أبو حامد الأعمشي**: ما رأيتُ مثلَه، ومثل الذُّهلي، ويعقوب الفَسَوي.

- **قال الذهبي**: الإمام، العلَّامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار .. وطَوَّفَ الأقالِيمَ في طلَبِ الحديثِ. اهـ

وتقدَّم في المُقدمة كذلك ذكر من أثنىٰ عليه من أهل العلم وغيرهم.

*** مِن أقواله وأخباره:**

- **قال الدارمي**: مَن لم يجمع حديث شُعبة، وسُفيان، ومالك، وحماد بن زيد، وابن عُيينة؛ فهو مُفلسٌ في الحديث. - يعني: أنه ما بلغ رُتبة الحُفَّاظ في العلمِ -.

- **وقال يعقوب القرَّاب**: سمعتُ عثمان بن سعيد الدارمي يقول: قد نويتُ أن لا أُحدِّث عن أحدٍ أجابَ إلىٰ خلقِ القرآن. قال: فتُوفِّيَ قبل ذلك.

- **قال الذهبي**: كان عثمان الدارمي جذعًا في أعيُن المُبتدعة، وهو الذي قام علىٰ محمد بن كرَّام وطرده عن هراة فيما قيل. اهـ

- **وقال أبو الفضل**: ولقد كنا في مجلسِ عثمان غير مرَّةٍ، ومرَّ به الأميرُ عَمرو بن الليث فسَلَّمَ عليه، فقال: عليكم. حدثنا مُسدَّد، ولم يزد علىٰ هذا.

- **قال المُحدِّث يحيىٰ بن أحمد بن زياد الهروي صاحب ابن معين**: رأيتُ في النومِ كأنَّ قائلًا يقول: إن عثمان - يعني الدارمي - لذو حَظٍّ عظيم.

*** آثاره العلمية:**

مِن المُصنَّفات التي ذكرها أهل العلم للإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ - «الرد علىٰ الجَهمية».

٢ - «النقض علىٰ المريسي».

٣ - «سؤالات عن الرِّجال لابن مَعين»، وهو منشور.

٤ - «المُسند الكبير» مفقود.

٥- «أحكام القرآن» مفقود.

٦- «الأطعمة» مفقود.

وهذا الكتاب يرويه ابن حجر بإسناده كما في «المعجم المفهرس» (ص: ٨٢)، والرُّوداني في «صلة الخلف» (ص ١٢٩)[(١)].

---

(١) وقد وقفت علىٰ بعض النقولات منه في كتب المتأخِّرين، وهي دالَّة علىٰ سَعة علمه بعلم الحديث سندًا ومتنًا، ومن تلك النقول التي وقفت عليها:

ما في «طبقات الشافعية الكُبرىٰ» (٢/ ٣٠٦): ومِن غرائب أبي سعيد الدارمي وفوائده:

قال أبو عاصم: إن أبا سعيد [يعني الدارمي] ذهب إلىٰ أن الثعلب حرام أكله وروىٰ فيه خبرًا.

قال السبكي: والخبر الذي أشار إليه: أورده عثمان بن سعيد المذكور في كتاب «الأطعمة» مِن تأليفه، ولفظه: عن عبد الرحمن السُّلمي، قال: قلت يا رسول الله، ما تقول في الذئب؟ قال: «**ويأكل ذلك أحدٌ ؟!**».

قلت: يا رسول الله، ما تقول في الثعلب؟

قال: «**ويأكل ذلك أحدٌ ؟**».

قال أبو سعيد: وهذا الإسناد ليس بذاك القوي، غير أن الذئب والثعلب دخلا في نهي النبي ﷺ عن كلِّ ذي نابٍ مِن السباع، فلأجل ذلك لا يجوز أكلهما. اهـ

- وفي ترجمة هاشم بن زيد الدمشقي من «لسان الميزان» (٦/ ١٨٤):

قال عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الأطعمة» :هاشم ليس بقوي في روايته.
⇦=

٧- «لا مُعارِضَ له» مفقود.

ذكر الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص ١٢٩): (ذِكر النوع الثلاثين

=

- وفي «إكمال تهذيب الكمال» (٥/ ٥٨٩): ولَمَّا ذكر الدارمي في كتاب «الأطعمة» حديثًا مِن حديثه، قال: هذا الحديث فيه ضعف مِن أجل عَمرو بن أبي عَمرو. اهـ

- وفي «فتح الباري» لابن رجب (٨/ ١٤): وقد روي عن عمرَ ﵁ أنه قال: من أكل البصل والكراث فلا يأكله عند قراءة القرآن، ولا عند حضورِ المساجد.

خرَّجه عثمان الدارمي في كتاب «الأطعمةِ». اهـ

- وفي «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٦/ ٣٩٧) وهو يتكلم عن الضفدع: ورواه الدارمي في كتاب «الأطعمة» عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا مثله.

قال الدارمي: فيُكرَه أكله إذ نُهي عن قتله؛ لأنه لا يمكن أكله إلا مقتولًا، فإن أكل غير مقتولٍ فهو ميتة. اهـ

- وفيه (٢٦/ ٤٩١): ورواه الدارمي في كتاب «الأطعمة» من حديث أبي هريرة ﵁: نهىٰ رسول الله ﷺ عن الجلَّالة عن ظهورها، وشحومها، وكل شيء ينتفع به منها. وقال: إسناده وسط ليس بالقويِّ. اهـ

- وفيه (٢٦/ ٤٩٦): وقال الدارمي في كتاب «الأطعمة»: ثبت عن النبي ﷺ الرُّخصة في أكلِ لحومِ الخيل مِن غير معارضٍ له قويٍّ، والذي يُعارِضه حديث خالد، وليس إسناده كإسناد الرُّخصة فيه، قال موسىٰ بن هارون: لا يُعرف صالح بن يحيىٰ ولا أبوه إلَّا بجدِّه. اهـ

من علوم الحديث) هذا النوع من هذا العلم معرفة الأخبار التي لا مُعارض لها بوجهٍ مِن الوجوه، -وروىٰ بسنده بعض الأحاديث- ثم قال: وقد صنَّف عثمان بن سعيد الدارمي فيه كتابًا كبيرًا. اهـ

وذكره السمعاني في «التحبير في المُعجم الكبير» (١/ ١٢٢) في ترجمة أبي منصور الفوشنجي .. قال: كان إمامًا فاضلًا، حسن السيرة، كثير المحفوظ ... دخلتُ عليه داره، وسمعتُ منه شيئًا يسيرًا، وذكر لنا أن أبا سعيد عثمان بن سعيد الدارمي صنَّف كتابًا حسنًا سَمَّاه: «لا مُعارض له»، وقال: أورد فيه كلّ حديثٍ لا معارض له، ولم أكن سمعتُ بذكرِ هذا الكتاب عن غيره. اهـ

*** المراجع:**

«السير» (١٣/ ٣١٩)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٧٤)، و«طبقات الشافعية» لابن كثير (١/ ١٧٧)، و«طبقات علماء الحديث» (٢/ ٣٢٥)، و«طبات الشافعية الكُبرىٰ» للسُّبكي (٢/ ٣٠٢).

قواعد وفوائد مِن كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قد صَدَقَ الإمامُ أبو زُرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا قال عن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذاك رُزِقَ حُسْنَ التصنيفِ).

فكتاباه اللّذان بين أيدينا، وبعض النقولات اليسيرة من بعض كتبه المفقودة دالَّةٌ علىٰ حُسنِ تصنيفه، وغزارة عِلمه، وقوّة حُجَّته، وكثرة فوائده.

وسأنتقي هاهنا بعض أقواله الدالّة علىٰ مكانته العلمية، والتي تصلح أن تكون قواعد للمُتَّبع السُّني يسير عليها، فمِن ذلك:

١- قوله: (فما تَداولَ هؤلاءِ الأئمَّةُ ونُظراؤهم علىٰ القبولِ قَبِلناه، وما رَدُّوه رَددناه، وما لم يَستعملوه تَركناه). [«النقض» (٢٥٢)].

٢- قوله: (إنَّ الذي يُريدُ الشُّذوذَ عن الحَقِّ: يَتَّبِعُ الشاذَّ مِن قولِ العُلماءِ، ويَتعلَّقُ بزلَّاتِهم، والذي يَؤمُّ الحقَّ في نَفسِهِ: يتَّبِعُ المشهورَ مِن قولِ جَماعتِهم، ويَنقلِبُ مع جُمهورِهم، فهما آيتانِ بيِّنتانِ يُستَدلُّ بهما علىٰ اتِّباعِ الرجُلِ، وعلىٰ ابتداعِهِ. [«النقض» (١٥٤)].

٣- قوله: (مَن يُريدُ أن يَعدِلَ عن المَحجَّةِ يَحتجُّ لمذهبِه بما لا تقومُ به الحُجَّة). [«النقض» (١٦٧)].

٤- قوله: (فكيف تَحيدُ عن هذا المشهورِ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ المغمورِ عنه إلَّا مِن ظِنَّةٍ وريبةٍ). [«النقض» (١٤٨)].

٥- قولـه: (المُصيبُ يَتعلَّقُ مِن الآثار بكلِّ واضحٍ مشهورٍ، والمُريبُ يَتعلَّقُ بكلِّ مُتشابهٍ مغمورٍ). [«النقض» (١٩٦)].

٦- قوله: (فإذا اجتمعَ الكتابُ، وقولُ الرسولِ، وإجماعُ الأُمَّةِ؛ لم يبقَ لمُتأوِّلٍ عندها تأوُّلٌ، إلَّا لمُكابرٍ أو جاحِدٍ). [«الرد» (١٤٧)].

٧- قوله: (إن علىٰ العالمِ باختلافِ العلماءِ؛ أن يَجتهدَ ويَفحصَ عن أصلِ المسألةِ، حتىٰ يعقِلها بجُهده ما أطاقَ، فإذا أعياه أن يَعقِلها مِن الكتابِ والسُّنةِ؛ فرأيُ مَن قبلَه مِن عُلماءِ السلفِ خيرٌ له مِن رأيِ نفسِه). [«النقض» (٢٩١)].

٨- قوله: (حُجَّة واضحة : مِن كتابٍ مسطورٍ، أو أثرٍ مأثورٍ، أو إجماعٍ مشهورٍ). [«النقض» (٣٧٣)].

٩- قوله: (فإن كنتَ صادِقًا في تفسيرِكَ هذا فأثُره عن صاحبِ عِلمٍ، أو صاحبِ عربيةٍ). [«النقض» (٥٨)]

١٠- قوله: (الباطلُ ما ازدادَ المَرءُ له احتجاجًا؛ إلَّا ازدادَ اعوِجاجًا، ولِمَا خَفِيَ مِن ضمائرِه إخراجًا). [«النقض» (٤٠٩)].

١١- قوله: (إنما يَتعلَّقُ بالمغمورينَ المَغموزينَ، إذ لم يُمكِنه التعلُّقُ بهؤلاءِ المشهورينَ كيما يُروِّجُ ضَلاله علىٰ الناسِ بأهلِ الرِّيبِ الذين لا قَبُولَ لهم ولا عدالةَ عند أهلِ الإسلامِ). [«النقض» (٢٢٤)].

١٢- قوله: (فحين رأينا المعقول اختلفَ مِنَّا ومنكم ومِن جميع أهلِ الأهواءِ، ولم نَقِف له علىٰ حدٍّ بيِّنٍ في كلِّ شيءٍ، رأينا أرشدَ الوجوه وأهداها:

أن نرُدَّ المعقولاتِ كلها إلىٰ أمرِ رسولِ الله ﷺ، وإلىٰ المعقولِ عند أصحابه المُستفيض بين أظهرهم؛ لأن الوحي كان ينزلُ بين أظهرهم، فكانوا أعلمَ بتأويلِه منَّا ومنكم، وكانوا مؤتلفين في أصولِ الدِّينِ، لم يَفترقوا فيه، ولم تظهر فيهم البدعُ والأهواءُ الحائدة عن الطريقِ). [«الرد» (١٥٣)].

١٣- قوله: (فالمَعقولُ عندنا ما وافقَ هديهم، والمَجهولُ ما خَالفَهم، ولا سبيلَ إلىٰ معرفةِ هَديهم وطريقتِهم إلَّا هذه الآثار. [«الرد» (١٥٣)].

١٤- قوله: (البدعةُ أمرُها شديدٌ، والمنسوبُ إليها سَيئُ الحال بين أظهُرِ المسلمين، فلا تعجلوا بالبدعةِ حتىٰ تستيقنوا وتعلموا أحقًّا قال أحدُ الفريقين أم باطِلًا؟). [«الرد» (٢٥٣)].

١٥- قوله: (لا يجوزُ لرجلٍ أن يَنسبَ رجلًا إلىٰ بدعةٍ بقولٍ أو فعلٍ حتىٰ يستيقنَ أن قولَه ذلك وفعله باطِلٌ ليس كما يقول). [«الرد» (٢٥٤)].

١٦- قوله: (ما نُكفِّرهم إلَّا بكتابٍ مَسطورٍ، وأثرٍ مأثورٍ، وكُفرٍ مشهورٍ). [«الرد» (٢٥٧)].

١٧- قوله: (لا نُجيزُ اجتهادَ الرأيِ في كثيرٍ مِن الفرائضِ والأحكامِ التي نَراها بأعيُنَنا، ونسمعُ في آذاننا، فكيفَ في صفاتِ الله التي لم ترها العيونُ، وقصُرَت عنها الظنون ؟!). [«النقض» (٥٠)].

١٨- قوله: (مِن الأحاديثِ أحاديثُ جاءت عن النبيِّ ﷺ قالها العلماء، ورَووها، ولم يُفسِّرها، ومَن فَسَّرها برأيه اتَّهموه). [«النقض» (٣٢٩)].

١٩- قوله: (وكذلك ظاهرُ القرآنِ وجميعُ ألفاظ الرِّوايات، تُصرفُ

معانيها إلىٰ العمومِ، حتىٰ يأتي متأوّلٌ ببُرهان بَيِّنٍ أنه أُريدَ بها الخصوص؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء]، فأثبتُه عند العلماءِ: أعمُّه وأشدُّه استفاضةً عند العربِ، فمَن أدخلَ منها الخاصَّ علىٰ العامِّ؛ كان مِن الذين يَتَّبعون ما تشابَه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويله، فهو يُريدُ أن يتَّبع فيها غيرَ سبيل المؤمنين). [النقض (٣٨٥)].

٢٠- قوله: (لا يَجِبُ علىٰ رجل قتلٌ في قولٍ يقولُه حتىٰ يكون قولُه ذلك كفرًا، لا يَجبُ فيما دون الكفرِ قتلٌ إلَّا عقوبةً فقط). [«الرد» (٢٥٩)].

٢١- قوله في الصحابة ﵃: (كلُّهم بحمدِ اللهِ عُدُولٌ، يُؤتمنون علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، والمجروحُ مَن جَرَّحَهم) [«النقض» (٢٧١)].

٢٢- قوله: (الفِرقُ لم يُكفِّرهم العلماءُ بشيءٍ مِن اختلافهم، والمَريسيُّ وجهمٌ وأصحابُهما لم يشُكَّ أحدٌ منهم في إكفارِهم). [«النقض» (٤)]

٢٣- قوله: (الزنادقةُ والجهميةُ أمرهما واحِدٌ، ويَرجعانِ إلىٰ معنًىٰ واحدٍ، ومُرادٍ واحدٍ، وليس قومٌ أشبَه بقومٍ منهم بعضُهم ببعضٍ، وإنما يُشبَّه كلُّ صِنفٍ وجنسٍ بجنسِهم وصنفِهم). [«الرد» (٢٦٦)].

٢٤- قوله: (يُعتبرُ بالإمامِ المأمومُ، والصاحِبُ بالصاحِبِ). [«النقض» (١٦١)].

اهتمام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعلم الحديث

كانت عناية الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحديث عناية فائقة، لأنه المصدر الثاني مِن مصادر التشريع كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٢٧٢): (لأن هذا الحديث إنما هو دِينُ الله بعد القرآنِ، وأصلُ كلِّ فقهٍ، فمَن طعنَ فيه؛ فإنَّما يطعنُ في دينِ اللهِ تعالىٰ. أوَلَم تسمع قولَ رسولِ الله ﷺ أنه جعلَ حديثَه أصلَ الفقه؛ فقال: «**نَضَّرَ اللهُ عبدًا سَمِعَ مقالتي فوعاها، فرُبَّ حامِلِ فقهٍ إلىٰ مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامِلِ فقهٍ غيرِ فقيهٍ**»، فجعل رسولُ الله ﷺ أصل الفقه كلَّه بعد القرآنِ: حديثَه الذي تدفعه أنت وإمامُك المريسيُّ). اهـ

فلما كانت هذه منزلة السنة في الشرع؛ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحرَّىٰ الاحتجاج بالصحيح الثابت مِن الرِّوايات ويترك ما سِواها.

فيقول في «النقض» (٤٧): (لا يُقبلُ منك هذا التفسيرُ إلَّا بأثرٍ صحيحٍ مأثورٍ عن رسول الله ﷺ، أو عن بعضِ أصحابِه، أو التابعين). اهـ

ويقول أيضًا (١٢): (فذاك الناطقُ مِن قولِ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الصحيحُ المشهورُ مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ). اهـ

وقال في «الرد» (١٠٨): (إن كنتم مُحقِّينَ في تأويلكم هذا، وما ادَّعيتُم مِن باطلِكم، فأتوا بحديثٍ يُقوِّي مذهبَكم فيه عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو بتفسيرٍ

تأثُرُونه صحيحًا عن أحدٍ مِن الصحابةِ أو التابعين). اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأحاديث المروية عن النبيِّ ﷺ في «النقض» (٢٥٢): (يَنتَقِدُها أهلُ المعرفةِ بها، فيَستعملون فيها رِوايةَ الحُفَّاظِ المُتقنين، ويدفعون رِوايةَ الغُفلاء الناسِين، ويُزيِّفون منها ما روىٰ الكذَّابون).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلَّم عن الرِّوايات التي يَحتجُّ بها أهل التعطيل لترويج باطلهم، ويكشف عن عللها، ويُبيِّن ضعفها، ومِن ذلك:

- تضعيفه لما احتجَّ به المعارض مِن أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من أن الكرسي هو العلم لا أنه موضع القدمين، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ «النقض» (١٤٧): (أمَّا ما رَويتَ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فإنه مِن روايةِ جعفر الأحمر، وليس جعفر مِمَّن يُعتمدُ علىٰ روايتِه، إذ قد خالفته الرُّواةُ الثقاتُ المُتقِنون).

- وقال في حديث آخر احتجَّ به المُعطِّل علىٰ مذهبه «النقض» (١٦٧): (ولو صحَّ ذلك عن الكلبيِّ وجُويبر مِن روايةِ سُفيانَ، وشُعبةَ، وحمَّادِ بن زيد؛ لم يُكترَث بهما؛ لأنهما مَغموزانِ في الرِّوايةِ، لا تقومُ بهما الحُجَّةُ في أدنىٰ فَريضةٍ، فكيف في إبطالِ العرشِ والتوحيدِ ؟!

ومع ذلك لا نراه إلَّا مَكذوبًا علىٰ جُويبر والكلبيِّ، ولكن مَن يُريدُ أن يَعدِلَ عن المَحجَّةِ يحتجُّ لمذهبه بما لا تقومُ به الحُجَّةُ).

وقد كان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصبُ السبق في ردِّ كثير مِن الشُّبُهات التي يُورِدُها مُنكرو السُّنة علىٰ المحتجين بها، فنقض اعتراضاتهم مِن أساسها، وأجاب عنها بالجواب الشافي الدالِّ علىٰ إمامته وعلو كعبه في هذا الشأن.

فمِن الأمور التي ناقشها، وبيَّن زيف المُعترضين بها:

١- شُبه الوضع في الحديث النبوي.

شَكَّك أعداء السُّنة في الحديث بأن الزنادقة أدخلوا فيها كثيرًا مِن الروايات الموضوعة المكذوبة، وبثّوها في كُتب المُحدثين فلم يُميِّزوا بينها وبين الصحيح المقبول.

وقد أجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الشُّبهة، وممَّا قاله في «النقض» (٣٠٤):

(فدونك أيُّها المُعارِض فأوجدنا عشرةَ أحاديثَ دلَّسوها علىٰ أهلِ العلمِ، كما أوجدناك ممَّا دَلَّسوا علىٰ إمامِك المريسيِّ، أو جرِّب أنت فدلِّس عليهم منها عشرةً حتىٰ تراهم كيف يَرُدُّونها في نحرِكَ).

وقال أيضًا (٣٠٤): (فيُقالُ لك أيُّها المعارِض: ما أقلَّ بصرَكَ بأهلِ الحديثِ وجهابذتِهِ، لو قد وضعتِ الزنادقةُ اثني عشرَ ألفَ حديثٍ ما تَروَّج لهم علىٰ أهلِ البصرِ بالحديثِ منها حديثٌ واحدٌ، ولا تقديمُ كلمةٍ ولا تأخيرُها، ولا تبديلُ إسنادٍ مكان إسنادٍ، ولو قد صحَّفوا عليهم في حديثٍ؛ لاستبانَ ذلك عندهم، ورُدَّ في نحورهم.

ويلك! هؤلاء يَنتقدون علىٰ العُلماءِ المشهورين تقديم رَجُلٍ مِن تأخيرِه، وتقديمَ كلمةٍ مِن تأخيرها، ويُحصون عليهم أغاليطهم ومُدلَّساتِهم).

٢- شُبهة عدم قطعية ثبوت السنة.

ومِن الشُّبه التي يُدندن حولها مُنكرو السُّنة النبوية: أنها ليست قطعيَّة الثبوت كالقرآن لاحتمال الضَّعْف فيها.

فكان الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكِّد علىٰ جودة أسانيد ما يَحتجُّ به مِن

الأحاديث، كأنَّ السامع يَسمعها مِن النبيِّ ﷺ يُحدِّثُ بها.

يقول في «النقض» (١٩٤): (وقد صَحَّ عن رسول الله ﷺ في غيرِ خبرٍ، كأنك تسمعُ رسولَ الله ﷺ يقولُه).

- ويقول أيضًا (١٣٦): (كأنك تسمعُ رسولَ الله ﷺ مِن جودةٍ يقولُه).

وأطال في مناقشة المُعارض في قوله (٢٧٥): (وادَّعيتَ أيضًا في دفعِ آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ ضُحكةً لم يَسبِقكَ إلىٰ مثلِها عاقِلٌ مِن الأُمَّةِ ولا جاهلٌ، فزعمتَ: أنه لا تقومُ الحُجَّةُ مِن الآثارِ الصحيحةِ التي تُروىٰ عن رسولِ اللهِ ﷺ إلَّا بكلِّ حديثٍ لو حلفَ رَجُلٌ بطلاقِ امرأتِه أنه كَذِبٌ لطُلِّقتِ امرأتُه. ثم قلتَ: ولو حلَفَ رجُلٌ بهذه اليمينِ علىٰ حديثٍ لرسولِ الله ﷺ صحيحٍ عنه أنه كذِبٌ ما طُلِّقتِ امرأتُه).

وممَّا قال في نقضه عن هذه الشُّبهة (٢٧٥): (ويحَكَ! مَن سَبقَكَ إلىٰ هذا التأويلِ مِن أُمَّةِ محمدٍ ﷺ في اتِّباع الرِّواياتِ واختيار ما يجبُ منها ؟!).

وقال (٢٧٥): (كانوا لا يألون الجُهدَ في الأخبارِ الأحفظَ منها، والأمثلَ فالأمثلَ مِن رُواتِها في أنفسِهم، ويرون أن الأيمانَ التي ألزمتَهم فيها بطلاقِ نسائهم مرفوعةٌ عنهم حتىٰ ابتدعتها أنت مِن غيرِ أن يسبِقَك إليها مُسلمٌ وكافرٌ).

٣- شُبهة تأخر تدوين الحديث.

مِن شُبَه مُنكري السُّنة النبوية قديمًا وحديثًا: دعواهم تَأَخُّرَ تدوين السنة النبوية عن عصرِ النبوة والصحابة رضي الله عنهم.

فقد ناقش الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الدعوىٰ، وممَّا قاله في نقضها

(٢٦١): (فهذا رسولُ اللهِ ﷺ، والخلفاءُ الراشدون بعدَه: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ ﵃، قد صحَّ أنه كُتِبت الأحاديثُ والآثارُ في عصرِهم وزمانِهم، قد أسندنا لك أيُّها المُعارِضُ إليهم، فمِن أين صَحَّ عندك ما ادَّعيتَ أنها لم تُكتب في زمنِ النبيِّ ﷺ والخلفاءِ بعدَه حتىٰ قُتِلَ عثمانُ ﵁ فكثُرتِ الأحاديثُ بعدَه، وكثُرَ الطعنُ علىٰ رُواتِها، ومَن طعنَ علىٰ الثقاتِ مِن رواةِ الأحاديثِ عند مَقتلِ عثمان ﵁).

٤- شُبهة دخول الإسرائيليات في الحديث النبوي.

ومِن شُبَه منكري السُّنة النبوية: رواية بعض الصحابة ﵃ كعبد الله بن عَمرو بن العاص ﵄ الذي أصاب يوم اليرموك زاملتين مِن كُتب أهل الكتاب، فكان يُحدِّثُ منها علىٰ أنها مِن أحاديث النبي ﷺ.

فقد دافع الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصحابي الجليل عبد الله بن عَمرو ﵄ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٠): (ويحَكَ أيُّها المُعارِضُ! إن كان عبد الله بن عَمرو ﵄ أصابَ زَاملتينِ مِن حديثِ أهلِ الكتابِ يومَ اليرمُوك، فقد كان مع ذلك أمينًا عند الأُمَّةِ علىٰ حديثِ النبيِّ ﷺ أن لا يجعلَ ما وجد في الزَّاملتين عن رسولِ الله ﷺ؛ ولكن كان يَحكي عن الزاملتين ما وجَدَ فيهما، وعن النبيِّ ﷺ ما سَمِعَ منه، لا يُحيلُ ذاك علىٰ هذا، ولا هذا علىٰ ذاك، كما تأوَّلتَ عليه بجهلِكَ، واللهُ سائِلُك عنه).

٥- الطعن في الصحابي الجليل أبي هريرة ﵁ وغيره مِن الصحابة ﵃.

مِن الشُّبه التي يحاول مُنكرو السنة النبوية إثارتها للتشكيك في السُّنةِ: طعنهم في بعض الصحابة ﵃ مِمَّن عُرِفَ بكثرةِ الرِّوايةِ عن النبيِّ ﷺ كالصحابي الجليل أبي هريرة ﵁ وغيره مِن الصحابة ﵃.

وقد نقض الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الشُّبهة، فممَّا قاله في حقِّ جميع الصحابة رضي الله عنهم (٢٧١): (فإنهم لو كانوا عند الأُمَّةِ في موضعِ الجرحِ كما ادَّعيتَ عليهم، وليسوا كذلك؛ ما كانت لك حُجَّةٌ علىٰ ألفٍ سِواهم مِن المُهاجرين والأنصار، ممَّن لا تجدُ سبيلًا إلىٰ الطعنِ عليهم، وقد رَووا مِن ذلك ما يَغيظك. وقد اجتمعتِ الكلمةُ مِن جميعِ الفُقهاءِ: أن شهاداتِ العُدولِ إذا شَهِدَ معهم مَن ليس بعدلٍ لا تَسقُطُ، ولا يُجعلُ مَثَلُ السَّوءِ بأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكلُّهم بحمدِ اللهِ عُدُولٌ، يُؤتمنون علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، والمجروحُ مَن جَرَحَهم). اهـ

وقال فيما ادَّعاه المُعارض (٢٦٢): (ادَّعيتَ في ذلك كذِبًا علىٰ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (أكذبُ المُحدِّثين أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، وهذا مكذوبٌ علىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، فإن تكُ صادِقًا في دعواكَ؛ فاكشف عن رأسِ مَن رواه، فإنك لا تكشفُ عن ثقةٍ ...)، ثم أطال في نقض هذا الفرية سندًا ومتنًا، وبيّن منزلة أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الرواية مِن بين سائر الصحابة رضي الله عنهم .

وقال (٢٦٢): (إنه لَمِن أصدقِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وأحفظِهم عنه، وأرواهم لنواسخِ أحاديثِه، والأحدثِ فالأحدثِ مِن أمرِه؛ لأنه أسلمَ قبل وفاةِ النبيِّ ﷺ بنحوٍ مِن ثلاثِ سنين، بعدما أَحكمَ اللهُ لرسولِهِ ﷺ أكثرَ أمرِ الحدودِ والفرائضِ والأحكامِ).

٦- احتجاجهم بما روي عن بعض أئمَّة السنة مِن إنكار طلب الحديث، والرحلة في جمعه.

يَحتجُّ منكرو السنة ببعض أقوال الأئمَّة التي ظاهرها النهي عن طلب السنة النبوية، ومِن ذلك:

- قول الإمام سُفيانَ الثوريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس هذا الحديثُ مِن عُدَدِ الموتِ.

- وقول الإمام شعبةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ هذا الحديثَ يَصُدُّكُم عن ذكرِ اللهِ، وعن الصلاةِ، فهل أنتم مُنتهون ؟!

- وقول الإمام ابنِ المُباركِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللهم اغفر لي رحلتي في الحديثِ.

- وغيرها ممَّا روي في هذا الباب من أقوال أئمَّة السُّنة الكبار.

فقد بيَّن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجهها والمراد منها.

فمِمَّا قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٠): (فتوهَّمتَ أن قولهم هذا طعنٌ في الآثارِ، وكراهيةٌ منهم لجمعها واستعمالِها، وقد أخطأتَ الطريقَ، وغلِطتَ في التأويلِ؛ لأنه ليس تأويلُ هذه الحِكاياتِ عنهم أنهم لم يعُدُّوا هذه الآثارَ مِن أصولِ الدينِ، وأنهم لم يروا طلبَه أفضلَ الأعمالِ، ولكن خافوا أن يكون قد خالَطَ ذلك بعضُ الرِّياءِ والعُجبِ والاستطالةِ به على مَن دونَهم فيه، أو أنَّهم إذا جمعوها وكتبوها لم يقوموا بالعملِ بها الذي يَجِبُ عليهم، ويَصيرُ حُجَّةً عليهم. فإنَّما أزْرَوا فيما حكيتَ عنهم بأنفسِهِم لا بالعلمِ والأحاديثِ، كما تفعلُه أنتَ وأصحابُك.

ولو كانت هذه الرِّواياتُ عنهم مِن سَيئِ الأعمالِ - كما ادَّعيتَ عليهم -، ما صنَّفوها ونقلوها إلى الأنام، ولا دعوهم إلى استعمالِها والأخذِ بها، فيُشرِكوهم في إثمِ ما وقعوا فيه، ومَن يَظُنُّ ذلك بهم إلَّا جاهلٌ مثلُكَ؟!).

مكانة الإمام الدرامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفقهية

أخذ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفقه عن الإمام البُوَيْطي (٢٣١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والذين خلفوه في مجلسه بعد موته.

وصَنَّف الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كُتبًا في الفقه، وهي في عداد المفقود، وقد نقل منها بعض المُتأخِّرين بعض النقولات الدالَّة علىٰ علوِّ كعبه في هذا الباب وغيره مِن أبواب العلم.

ومِن الكتب التي صنَّفها في الفقه كتاب «الأطعمة»، وكتاب «لا مُعارض له»، وقد وقفتُ علىٰ نقلٍ طويلٍ ذكره قوام السُّنة التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المَحجَّة» (٢/ ٣١٦)، والذي يظهر أنه مِن هذا الكتاب، وسأسوقه بتمامه هاهنا لتقف علىٰ سَعة عِلمه في هذا العلم.

- قال قوام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرنا أبو الخير عبد الله بن مرزوق الهروي، أنا أبو رَوح ثابت بن محمد السعدي في كتابه، أنا أبي، أنا محمد بن إسحاق القرشي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي: (باب توقير أحاديث رسول الله ﷺ أن تعارض بشيءٍ من المقاييس، أو تنفىٰ بتأويل القرآن).

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ثنا حماد وهو ابن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن سالم المكي، عن موسىٰ بن عبد الله بن قيس، عن عبد الله أو عبيد الله بن أبي رافع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**لا أعرِفنَّ ما بلغَ أحدَكم عني**

حديثٌ مِن حديثي قد أَمرتُ فيه أو نهيتُ، وهو مُتكئ علىٰ أريكتِه، فيقول: لا حاجةَ لي به، هذا القرآنُ، ما وجدنا فيه اتَّبعناه، وما لم نجد فيه لم نَتَّبِعه».

ورُوي: «**ألا إني أُوتيتُ الكتاب، ومثله معه**».

قال الدارمي: يقول: أُوتيت القرآن، وأُوتيت مثله مِن السُّنن التي لم ينطق القرآن بنصِّه، وما هي مُفسِّرة لإرادة الله تعالىٰ به، فمِن ذلك:

(تحريم لحم الحمار الأهلي)، و(كل ذي نابٍ مِن السِّباع).

وليسا بمنصوصين في الكتابِ.

وهو كقوله الذي روىٰ عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «**أُوتيت جوامع الكلم**».

ففسَّره الزُّهري، وقال: كان يجمع للنبيِّ ﷺ في الكلمة مِن الأشياء ممَّا يكتب قبله في الكتب، يعني: فيُفسِّرها النبي ﷺ.

* قال ابن مسعود، وابن عباس، وعمران بن حصين رضي الله عنهم: إنَّ جميع ما أمرَ به رسول الله ﷺ ونهىٰ عنه، هو عن الله، وفي كتاب اللهِ، فتأوَّلوا فيه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

* وذَكَرَ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في المُتنمِّصاتِ، وقال: وما لي لا ألعنُ مَن لعنه رسول الله ﷺ، وهو في كتابِ الله، وقرأ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧].

* وذَكَرَ حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]؟ فإني أشهد أن رسولَ الله ﷺ نهىٰ عن النقيرِ، والمُقيَّر، والدُّبَّاء، والحَنتم.

قال الدارمي:

* يقول ابن عباس رضي الله عنهما ليس النقير، والمُقيَّر، والدُّبَّاء، والحنتم، بمنصوصات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهي داخلة في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ ...﴾.

قال: وكذلك كلُّ ما أمرَ به رسول الله ﷺ، ونهىٰ عنه داخِلٌ في تأويل هاتين الآيتين، وما أشبههما مِن القرآن.

* وذَكَرَ عن أبي نَضْرة، قال: كنا عند عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجعل يُحدِّثنا، فقال رجلٌ: حدثنا عن كتاب الله. فغَضِبَ عمران، فقال: إنك أحمق، ذكرَ اللهُ الزكاة في كتابه، فأين في مائتين خمسة دراهم ؟

ذكرَ الله الصلاة في كتابه، فأين الظهر أربعًا، والعصر أربعًا ؟ حتىٰ أتىٰ علىٰ الصلوات.

ذكرَ اللهُ الطواف في كتابه، فأين بالبيت سبعًا ؟ وبالصفا والمروة سبعًا؟

إنما يُحِكم ما هُناك، ويُفسِّره السُّنة.

* وذكر حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سيأتي ناس يُجادلونكم بشُبهات القرآن، فخذوهم بالسُّنن فإن أصحابَ السُّنن أعلم بكتاب الله.

* وذكَرَ عن سعيد بن جبير: أنه حدَّث بحديثٍ عن النبيِّ ﷺ، فقال رجلٌ من أهل الكوفة: إنَّ اللهَ يقول كذا وكذا، فغَضِبَ سعيدٌ غضبًا شديدًا، وقال: ألا أراك تُعارض أحاديث رسول الله ﷺ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، كان رسول الله ﷺ أعلمُ بكتابِ الله منك.

* وذكَرَ عن حسَّان بن عطيَّة قال: كان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُنزِّلُ علىٰ رسول

الله ﷺ السُّنة يُعلِّمه إياها تفسيرًا للقرآن.

قال الدارميُّ في قول يحيىٰ بن أبي كثير: (السُّنةُ قاضية علىٰ القرآن وليس القرآن بقاضٍ علىٰ السُّنة).

يعني: أن السُّنة تُفسِّر القرآن، والقرآن أصولٌ مُحكمةٌ مُجملةٌ لا تُفسِّر السُّنة، والسُّنة تُفسِّرها، وتُبيِّن حُدودها، ومعانيها، وكيف يأتي الناس بها.

* وذكَرَ عن عبد الله بن مُغفَّل رضي الله عنه قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن الخَذفِ، وقال: «**إنه لا يَصطادُ صيدًا، ولا ينكىٰ عدوًّا، ولكنها تكسر السِّنَّ، وتفقأ العين**». فقال بعضهم: ما بأسٌ بهذا.

فقال: أُحدِّثك عن رسولِ الله ﷺ وتهاون به، لا أُكلِّمُك أبدًا.

* وذكَرَ حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**بينما رجلٌ يتبختر في بُردين خسف الله به الأرض**»، فقال فتىٰ: يا أبا هريرة، أهكذا كان يمشي ذاك الفتىٰ الذي خُسِفَ به؟ ثم ضربَ بيده فعثَرَ عَثرَة كاد ينكسِرُ منها.

فقال أبو هريرة رضي الله عنه: للمنخرين وللفم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر].

* وذكَرَ حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يَستكملَ مُؤمنٌ إيمانه حتىٰ يكونَ هواه تبعًا لما جِئتُكُم به**».

* وذكَرَ حديث الزبير في شراج الحرَّة. فقال الزبير رضي الله عنه: فوالله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]. اهـ

الدفاع عن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١- رميه بالتشبيه والتجسيم.

٢- اتِّهامه بالمُبالغة والغلو في الإثبات.

٣- الاعتراض عليه في إثبات القعود والجلوس لله تعالىٰ.

٤- الاعتراض عليه في إثبات الثِّقل لله تعالىٰ.

٥- الاعتراض عليه بإثبات الحركة.

٦- الاعتراض عليه بإثبات المكان.

٧- الاعتراض عليه بإثبات المسّ والمسيس لله تعالىٰ.

٨- اتِّهامه بإثبات الجسم لله تعالىٰ.

٩- اتِّهامه بإثبات الحيِّز.

١٠- اتِّهامه بأنه يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ يستوي ويستقرّ علىٰ جناح بعوضة!

١١- اتِّهامه بالخوض في علم الكلام المُحْدَث.

الدفاع عن الإمام أبي سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إمامةُ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَحلُّ إجماعٍ عند كلِّ مَن ترجمَ له مِن الموافقين والمُخالفين لعقيدة أهلِ السُّنة علىٰ مَرِّ العصورِ، حتىٰ فَتَحَ البابَ لمُرَّاقِ الجهميةِ، وسُفهاءِ المُعطِّلَةِ، وأراذلِ المُبتدعةِ: الجهميُّ الهالكُ محمدُ زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) الذي أفرغَ وسعه في الطعنِ في أئمَّةِ السُّنةِ مِن المُتقدِّمين والمُتأخِّرين.

ومِمَّن نالَ منهم في كثيرٍ من كُتبِه ومقالاتِه: الإمامُ الحافظُ أبو سعيد الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأنه كان شديدًا علىٰ أئمَّتِه كالمَريسيِّ وابنِ الثلجيِّ وغيرهما مِن مُعطِّلة الجهمية الحنفيَّة !

وممَّا قاله هذا المُفتري في حقِّ الإمامِ الدارميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كتاب «النقض» للدارميِّ المُجسِّم).

- وقال: (المُعتقد الصريح في الوثنية).

- وقال: (فيا ترىٰ هل يوجدُ في البسيطة مَن يَكفُر هذا الكفرَ الأخرق سوىٰ صاحب «النقض» ومُتابعيه). اهـ

- وقال: (صاحب «النقض» مُجسِّمٌ، مكشوفُ الأمرِ، يُعادي أئمَّة التنزيه، ويُصرِّح بإثباتِ القيامِ، والقعودِ، والحركةِ، والثِّقلِ، والاستقرارِ المكاني،

والحدِّ، ونحو ذلك لله تعالىٰ، ومثله يكونُ جاهِلًا باللهِ سبحانه، بعيدًا عن أن تُقبلَ رِوايتُه). اهـ

بل صرَّح بكُفره ولم يَعذره؛ لأنه عالمٌ يدعو إلىٰ التجسيمِ، وألَّفَ الكُتُبَ في الدعوةِ إلىٰ عقيدتِه، ولا عُذرَ عنده لمَن هذه حاله !

- قال: (إنَّ الأشعريَّ وأكثرَ المُتكلّمين قالوا بتكفيرِ كلّ مُبتدعٍ كانت بدعتُه كفرًا أو أدّت إلىٰ كفرٍ، كمَن زعمَ أن لمعبوده صورةً أو أن له حدًّا ونهايةً ... وكلُّ ذلك موجودٌ في كتابِ الدارمي).

ثم قال: (وما في كتاب الدارمي مِن إثبات المكانِ والجهةِ والحدِّ والنهايةِ والغايةِ .. كفرٌ ناقلٌ مِن المِلّة، حتىٰ «إخوان الصَّفا» يُقرِّون في قرارةِ أنفسهم أن ذلك كفرٌ ناقلٌ عن المِلّةِ، فكيف أصدرَ الأزهرُ القرارَ بإباحةِ نَشره، وأنه لا شيء في تداوله ؟!).

فهذا كله مِن كَذِبِ الكوثري وفُجورِه وافتراءاته الكثيرةِ علىٰ أئمَّةِ السُّنة.

ولقد حَذَا حَذْوه تِلميذُه عبد الله بن الصديق الغماري (١٤١٣)[١]، فاتَّهم الإمام الدارمي بالتجسيمِ ! والغلوِّ في الإثبات ! ولقد سَعىٰ سَعيًا حثيثًا في مَنعِ تداولِ كتاب «النقضِ» باعتبارِه يُشكِّلُ خَطرًا علىٰ عقائدِ العامَّةِ!

وهذه شِنْشَنةٌ نَعرِفُها مِن أخزم، فإن هذا الكوثري والغُماري وغيرَهما

---

(١) هو أخو أحمد الغُماري الذي تقدَّم نقل ثنائه علىٰ كتابي الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ممَّن تابعهما مِن المُعطِّلةِ المُعاصرين قد نهجوا نهجَ أوائلهم مِن أهل التعطيل الضُّلالِ في التشنيعِ على أئمَّةِ السُّنةِ ووصْمِهم بما يُنفِّر العامَّةَ عنهم، ولا عجبَ في ذلك !

إلَّا أنه لا يكادُ ينقضي عجبُ السُّني مِن تأثُّرِ طائفةٍ مِن المُشتغلين بدراسةِ عقيدة أهل السُّنةِ والمُنافِحين عن سلفِ الأُمَّةِ بهذه التهويلات والتُّرَّهات، فصَدَّقوا ما قاله أولئك المُرَّاق، وشاعَ بين أوساطهم بعضُ تلك المطاعنِ التي طعن بها أولئك الخُلوف التي كانوا هم أحقَّ بها وأهلَها.

ولهذا سأُفنِّدُ هنا أهمَّ ما طُعِنَ به على الإمامِ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١ - رميه بالتشبيه والتجسيم

شغَّبَ الكوثريُّ في «مقالاته» علىٰ أئمَّة السُّنة عمومًا، وعلىٰ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خُصوصًا برميهم بالتشبيه والتجسيم تَقليدًا لأئمَّته الجهمية المُعطِّلة، ولقد تتابع كثيرٌ مِن المُعطِّلة المُعاصرين علىٰ هذه التُّهمة الخرقاء.

والمُراد بالتشبيه والتجسيم عند هؤلاء المُعطِّلة: هو إثبات صفات الله تعالىٰ حقيقةً، وإمرارها كما جاءت، فكلُّ مَن أثبت الصفات ولم يُحرِّفها إلىٰ المجاز كان مُشبِّهًا عندهم ومُجسِّمًا، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الردِّ علىٰ الزنادقة والجهمية» (فقرة/ ٢٤): وزعمَ - يعني: الجهم بن صفوان - أن مَن وصف اللهَ بشيءٍ مِمَّا وصفَ به نفسه في كتابِهِ، أو حدَّثَ عنه رسوله ﷺ كان كافِرًا، وكان مِن المُشبِّهةِ، فأضلَّ بكلامِهِ بَشرًا كثيرًا .. اهـ

وهذا التُّهمة الكاذبة لم يسلم منها أحدٌ مِن أهل السنة مِن المُتقدِّمين والمُتأخِّرين، فهذا الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا كان في أيامِ مِحنةِ خلق القرآن، والمُناظرةِ فيه، كانوا يُجادِلونه في إثباتِ الصفاتِ، فقال لهم:

(زعمتم أنَّ الأخبارَ تَردُّونها باختلافِ أسانيدها، وما يَدخلُها مِن الوهمِ والضعفِ، فهذا القرآنُ، نحنُ وأنتم مُجمعون عليه، وليس بين أهلِ القبلةِ فيه خلافٌ، وهو الإجماع، قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه تَصديقًا منه لقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غير دافع لمقالته، ولا مُنكرٍ لما حكىٰ عنه، فقال: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ

لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم]، فذمَّ إبراهيمُ أباه أنْ عبدَ ما لا يسمعُ ولا يُبصرُ، فهذا مَنكرٌ عندكم ؟!

فقالوا له [يعني: الجهمية]: شَبَّه شَبَّه يا أميرَ المؤمنين !

فقلتُ: أليس هذا القرآنَ؟! هذا مُنكرٌ عندكم مدفوعٌ ..) إلخ. [«الإبانة الكبرى» (٢٥٠٩)]

فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأ عليهم الآيةَ فقط فاتَّهموه بالتشبيه !

فمَن رَمَىٰ الإمامَ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتشبيه والتجسيم كالكوثريِّ وغيره ممَّن تَبِعه مِن المُعاصرين هم ورَثة أولئك الجهمية المُعطِّلة الأُول، وهي علامة كلِّ مُعطِّل جهميٍّ كما نصَّ علىٰ ذلك غير واحد مِن أهل السُّنة.

- قال علي بن المديني والبخاري رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: مَن قال: (فُلانٌ مُشبِّهٌ)، علمنا أنه جَهمِيٌّ.

- وقال أبو حاتم الرَّازيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلامةُ أهل البدعِ: الوقيعة في أهل الأثرِ، وعلامة الجهميّة: أن يُسمُّوا أهل السُّنة: (مُشبِّهةً)، و(نابتةً).

- وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنة»: وإن سمعتَ الرَّجلَ يقول: فُلانٌ مُشبّهٌ، وفُلان يتكلّم في التشبيه؛ فاعلم أنه جهميٌّ. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٧٩): مَن نفىٰ الصفات مِن الجهمية والمُعتزلة وغيرهم يُسمُّون مَن يقول: إنَّ للهِ عِلمًا وقُدرةً، وإنَّ القرآن كلام الله غير مخلوقٍ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ يُرىٰ في الآخرةِ: (مُشبِّهًا)، وهم مِن أكثرِ الطوائف لَهَجًا بهذا الاسم، وذمِّ أصحابه؛ ولهذا كان

السلف إذا رأوا رجلًا يُكثرُ مِن ذمِّ (المُشبِّهةِ)، عَرفوا أنه جهميٌّ مُعطِّلٌ؛ لعلمهم بأنَّ هذا الاسم قد أدخلت الجهمية فيه كلّ مَن آمنَ بأسماءِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِه. اهـ

ثم كيف يكون الإمامُ الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن المُشبِّهةِ وهو يُصرِّحُ في «النقض» بكُفرهم، ولا يرىٰ التشبيه مُجرَّدَ خطأٍ فحسب ؟!

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٤٩): (أمَّا قولُكَ: (إن كيفيةَ هذه الصِّفاتِ وتشبيهَها بما هو موجودٌ في الخلقِ خطأٌ)، فإنَّا لا نقولُ: إنه خطأٌ كما قُلتَ، بل هو عندنا كفرٌ، ونحن لكيفيَّتِها وتشبيهها بما هو موجودٌ في الخلقِ أشدُّ اتِّقاء منكم، غيرَ أنَّا كما لا نُشبِّهُها ولا نُكيِّفُها؛ لا نكفُرُ بها، ولا نُكذِّبُ، ولا نُبطِلُها بتأويلِ الضُّلَّال، كما أبطلَها إمامك المَريسيُّ في أماكِنَ مِن كتابِكَ).

ولقد دافع الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أئمَّة السُّنة فردَّ علىٰ مَن اتَّهمهم بالتشبيه، وبيَّن أن المُتَّهمين هم المُشبِّهة حقيقة لا مَن أثبت الصفات الواردة في الكتاب والسُّنة، وأمرَّها كما جاءت.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٨٩): (كيف استجزتَ أن تُسمِّي أهلَ السُّنةِ وأهلَ المعرفةِ بصفاتِ الله المُقدَّسةِ: (مُشبِّهةً)، إذ وصفوا الله بما وصفَ به نفسَه في كتابِه بالأشياءِ التي أسماؤها موجودةٌ في صفاتِ بني آدمَ بلا تكييفٍ ؟ وأنت قد شبَّهتَ إلهَكَ في يديهِ وسمعِه وبصرِه: بأعمىٰ وأقطع، وتوهَّمت في معبودِكَ ما توهَّمتَ في الأعمىٰ والأقطع.

فمعبودُك - في دعواكَ - مُجدَّعٌ مَنقوصٌ، أعمىٰ لا بصَرَ له، وأبكمُ لا كلامَ له، وأصمُّ لا سمعَ له، وأجذمُ لا يدانِ له، ومُقعدٌ لا حِراكَ به، وليس هذه بصفةِ إلهِ المُصلِّين.

فأنت أوحشُ مذهبًا في تشبيهِكَ إِلهَكَ بهؤلاءِ العُميانِ والمَقطوعينِ أم هؤلاءِ الذين سمَّيتَهم: (مُشبِّهةً)؛ أن وصفوه بما وصَفَ به نفسَه بلا تَشبيهٍ؟ **فلولا أنها كَلمةٌ هي مِحنةُ الجهميةِ التي بها يَنبزون المؤمنين،** ما سَمَّينا مُشبِّهًا غيرَكَ؛ لسماجةِ ما شبَّهت ومَثَّلتَ.

ويلك، إنما نصِفُه بالأسماءِ لا بالتكييفِ ولا بالتشبيه، كما يقالُ: إنه مَلِكٌ، كريمٌ، عليمٌ، حكيمٌ، رحيمٌ، لطيفٌ، مؤمنٌ، عزيزٌ، جبارٌ، مُتكبِّرٌ.

وقد يَجوزُ أن يُدعىٰ البشرُ ببعضِ هذه الأسماء، وإن كانت مُخالِفةً لصفاتهم، فالأسماءُ فيها مُتَّفِقةٌ، والتشبيه والكيفيَّةُ مُفترِقةٌ، كما يقال: (ليس في الدنيا ممَّا في الجنةِ إلَّا الأسماء). اهـ

- وقال أيضًا (٣٠٦): (فيُقالُ لهذا المُعارِض: أمَّا دعواك عليهم أنهم ثَبَّتوا له سَمعًا وبصرًا؛ فقد صدقت.

وأمَّا دعواك عليهم أنه (كعينٍ وكسمعٍ)؛ فإنَّه كذِبٌ ادَّعيتَه عليهم؛ لأنه ليس كمثلِهِ شيءٌ، ولا كصفاتِه صِفة). اهـ

ثم كيف يكون هذا الإمام مِن المُشبِّهةِ وهو الذي قامَ علىٰ ابن كَرَّام المُجسِّم وطردَه مِن هَرَاة؟!

فالإمامُ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأهل السُّنة عمومًا مِن أبعدِ الناس عن تشبيه ربِّنا عَزَّ وَجَلَّ بخلقه، وهم يَرون ضلالَ المُشبِّهةِ وكفرَهم كما ستقفُ عليه في التعليقِ علىٰ الفقرة (٤٩) مِن كتابِ «النقض».

٢- اتِّهامه بالمُبالغة والغلو في الإثبات

رماه بذلك غيرُ واحدٍ مِن المُتأخِّرين، ولم أقف علىٰ مَن سَبقهم إلىٰ هذه التُّهمة الباطلة الخَرْقاء!

١- وأوّلُ مَن وقفتُ عليه ممَّن رماه بذلك: الذهبي في «العلو» (٥١٤)! فقال وهو يتكلَّم عن كتابه «النقض»: (فيه بحوثٌ عجيبةٌ مع المَريسيِّ يُبالغُ فيها في الإثباتِ، والسُّكوتُ عنها أشبه بمنهجِ السلفِ في القديمِ والحديثِ).اهـ

ولم يذكر الذهبيُّ تلك المباحثَ العجيبة التي وقفَ عليها حتىٰ نضعها في ميزانِ أئمَّةِ السُّنةِ والآثارِ مِن المُتقدِّمين، ونرىٰ هل هي مِن المسائل العجيبة والمُبالغات في الإثبات عندهم أم لا ؟!

والحقُّ أن الذهبيَّ نفسه هو الذي له بحوثٌ ومسائل خالف فيها أهل السنة والآثار جمعت بعضًا منها في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية» (ص ٣٠٦).

٢- وممَّن جرت علىٰ لسانه وقَلَمِه هذه التُّهمة: محمد حامد الفَقِي الذي كان له السبق في إخراج كتاب «النقض»، فقد قال: (لولا أنه أتىٰ فيه ببعضِ ألفاظٍ دعاه إليها **عُنفُ الردِّ، وشِدَّة الحرص علىٰ إثباتِ صفات الله تعالىٰ**

وأسمائه كان يُبالغ بشر المريسي الضالّ المارق وشيعته في نفيها، **غير أنه كان الأولىٰ والأحسن أن لا يأتيَ بها**، وأن يقتصرَ علىٰ الثابت مِن الكتابِ والسُّنةِ الصحيحة، كمثل: الجِسمِ، والمكان، والحيِّز، فإنني لا أُوافقه عليها، ولا أستجيزُ إطلاقها؛ لأنها لم تأتِ في كتابِ اللهِ، ولا في سُنةٍ صحيحة). اهـ

قلت: الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامٌ مِن أئمَّة السُّنة الكبار، ومِن أهلِ القرون المُفضَّلة، وإمامتُه في العلمِ والسُّنة كلمةُ إجماعٍ، فتعَقُّبُه والردُّ عليه بمثل هذه التخرُّصاتِ ضَررٌ علىٰ المُنتقِدِ في عِلمِه ودِينِه، ولا يَلحقُ الإمامَ الدارميَّ منها شيءٌ، والله المُستعان!

ودعواه أن الإمامَ الدارميَّ أثبتَ (الجِسمَ والحيِّزَ) دعوىٰ عريضة لا تَستندُ إلىٰ شيءٍ مِن الصِّحةِ، بل قد صرَّحَ الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإنكارِ إطلاق لفظِ (الجسمِ) كما سياتي قريبًا.

وأمَّا إثباته (المكان للهِ تعالىٰ)، فمُراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن تقريره له: إثبات علوّ الله عَزَّوَجَلَّ وارتفاعه علىٰ خلقه، واستوائه علىٰ عرشه كما سيأتي قريبًا.

٣- ومِمَّن غَمَزَه بهذه التُّهمة وجرىٰ بها قَلَمُه: محمدُ ناصر الدين الألباني، إذ قال: (لا شكَّ في حفظِ الدارمي وإمامته في السُّنة، ولكن يبدو مِن كتابه «الردّ علىٰ المريسي» أنه مُغالٍ في الإثباتِ ...).

وإنك لتعجبُ أنه ذهبَ يُؤكِّدُ افتراءات الكوثري الجهميّ المُعطِّل ويُلزم بها الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن غيرِ رويةٍ في مقصودِ الكوثري، فقال في تعليقه علىٰ «التنكيلِ» للمُعلِّمي (٢/ ٥٧٢):

(... يبدو مِن كتابه «الرد علىٰ المريسيِّ» أنه مُغالٍ في الإثبات، فقد ذَكَرَ فيه ما عزاه الكوثري إليه مِن القعودِ، والحركةِ، والثِّقلِ، ونحوه، وذلك ممَّا لم يَرد به حديثٌ صحيحٌ، وصفاتُه تعالىٰ توقيفية، فلا تَثبتُ له صفةٌ بطريقِ اللزومِ مثلًا، كأنَّ يقال: يلزمُ مِن ثبوتِ مجيئه تعالىٰ ونزولِه ثبوت الحركةِ، فإنَّ هذا إن صَحَّ بالنسبةِ للمخلوقِ، فاللهُ ليس كمثله شيءٌ، فتأمَّل). انتهىٰ.

فجعل ذِكْرَ الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ (للقعودِ، والحركةِ، والثِّقلِ) دليلًا علىٰ صِحَّة ما يرميه به خصومه المُعطِّلة مِن الغلوِ في الإثباتِ !

وقوله: (صفات اللهِ توقيفية ...)، هذا ممَّا لا يخفىٰ علىٰ صِغارِ طلبة العلمِ الدارسين لأبوابِ أسماء الله وصفاته فضلًا عن أئمَّةِ السُّنةِ الكبار الذين أدركوا تلك القرون الفاضلة !

فهل يُظنُّ بالإمامِ الدارميِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لا يُحسِنُ ذلك ولا يعرفُه حتىٰ يُتعقَّبَ بهذا التَّعقُّب ؟!

ثُم أين أئمَّةُ السُّنةِ المُتقدِّمون مِن أقرانِه ومَن بعدَهم مِن أمثالِ هذه الاستدراكات الباردة، وهذه التُّهم الباطِلة ؟!

فيا أيُّها العُقلاء أترون أئمَّة السنة والإثبات غلوْا وتَجاوزوا القولَ في اللهِ تعالىٰ وصفاتِه حتىٰ خرجوا عن الهُدىٰ والحقِّ، وأفراخُ الجهميةِ والمُعطِّلةِ هُدوا في ذلك إلىٰ الصراطِ المُستقيم ؟!

وما أحسن تَعقُّبَ الشيخ المُعلِّميِّ لفرية الكوثري المُعطِّل السابقةِ إذ يقول: (كان الدارميُّ مِن أئمَّةِ السُّنة الذين يُصدِّقون الله تعالىٰ في كلِّ ما أخبرَ

به عن نفسِه، ويُصدِّقون رسوله ﷺ في كلِّ ما أخبرَ به عن ربِّه بدون تكييفٍ، ومع إثبات أنه سبحانه ليس كمثله شيءٌ، وذلك الإيمان وإن سَمَّاه المُكذِّبون جهلًا وتَجسيمًا).

فياليتَ الألباني إذ علَّقَ علىٰ كتابه جرىٰ مجراه، واكتفىٰ بما قرَّره؛ ففيه المقنع والكفاية لِمَن أراد الله به خيرًا، ولكن لله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعد.

٤- وممَّا يغيظُ أهلَ السنة والأثر أن بعضَ مَن اشتغلَ بتحقيق هذا الكتاب يُردِّدون هذه التُّهمة الباطلة في حواشيهم وتعليقاتهم علىٰ كُتُبِ السُّنة، كما صنعَ أبو مالك أحمد بن علي القُفيلي الرياشي في تحقيقه لكتاب «النقض» !

فقد علَّقَ علىٰ قولِ الإمامِ الدارميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يقومُ ويَجلسُ إذا شاء) بقوله (ص ١٤٠): (قال الحافظ الذهبيُّ: وفي كتابه بحوثٌ عجيبةٌ مع المريسي يُبالغ فيها في الإثبات) !

- وعلّق أيضًا علىٰ قولِ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأمَّا قولك: (تأكيد للخلقِ)، فلعمري إنه لتأكيدٌ جهلتَ معناه فقلَبتَه، إنما هو تأكيدُ اليدينِ، وتحقيقُهما وتفسيرُهما، حتىٰ يعلمَ العبادُ أنها تَأكيدُ مَسيسٍ بيدٍ، لِمَا أن الله قد خلقَ خلقًا كثيرًا في السماوات والأرض أكبرَ مِن آدمَ وأصغرَ، وخلقَ الأنبياءَ والرُّسُلَ، وكيف لم يُؤكِّد في خلقِ شيءٍ منهما ما أكَّدَ في آدمَ).

فعلّق عليه القُفيلي (ص ١٥٩) بنقل مقولة الذهبي: (وفي كتابه بحوث عجيبة مع المريسي يبالغ فيها في الإثبات ...).

- وعلَّق كذلك علىٰ قول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأنَّ أمارةَ ما بين الحيِّ والميتِ: (التحرُّكُ)، كلُّ حيٍّ مُتحرِّكٌ لا مَحالةَ، وكلُّ ميِّتٍ غيرُ مُتحرِّكٍ لا مَحالةَ). اهـ

- فقال الرياشي (ص ١٤٠ و١٥٨): (هذه ألفاظٌ لم ترد في القرآنِ، ولا في السُّنةِ، فنتوقَّفُ عن وصفِ الله تعالىٰ بها، قاله الشيخ الفقي). اهـ

فاستدركَ علىٰ الإمامِ الدارميِّ المُتقدِّم بكلامِ الفَقِي المُعاصر المُتأخِّر الذي نقل في تحقيقه «للنقضِ» تأويل وتحريف صِفة الضَّحك لله تعالىٰ عن الخلفِ الأشاعرةِ ولم يَتعقَّبهم !

٥- ومِمَّن شغَّب بكلام الذهبيِّ السابق علىٰ الإمامِ الدارميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شعيبُ الأرنؤوط في تحقيقه «السير» (١٣/ ٣٣٠)، وغيرها مِن تحقيقاته.

فالدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامٌ مِن أئمَّة أهل السُّنة والحديث، ولم يَتجرَّأ علىٰ الكلامِ في حقِّ اللهِ تعالىٰ وفي صفاتِه مِن غير نصٍّ ولا أثرٍ، ولم يأخذه الحماس في الردِّ علىٰ الجهمية بإثباتِ ما لم ترد به النصوص ! وإنما قال بما ثبت عنده، وبما قاله أئمَّة السُّنة الذين تقدّموه، فهو كما قال أفلحُ بن محمد للإمام ابن المُبارك: يا أبا عبد الرحمن، إني أكرَه الصِّفةَ. عنَىٰ: صفةَ الربِّ عَزَّوَجَلَّ.

فقال له عبد الله بن المُباركِ: أنا أشدُّ الناسِ كراهةً لذلك؛ ولكن إذا نطق الكتابُ بشيءٍ قلنا به، وإذا جاءتِ الآثارُ بشيءٍ جَسَرنا عليه. أو نحو هذا. [اللالكائي (٦٩٤)]

- وعلّق عليه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوىٰ الحموية» (ص ٣٣٣) بقوله:

أراد ابن المُبارك: أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله مِن ذات أنفُسِنا حتىٰ يجيء به الكتاب والآثار. اهـ

فهذا هو صَنيعُ الإمامِ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه، فلم يَتفرَّد بذكر صِفةٍ مِن صِفاتِ اللهِ تعالىٰ لم يأتِ بها نصٌّ ولا أثرٌ، ولم يُحْدِث في صفات الله تعالىٰ قولًا مُحدثًا مُبتدعًا لم يقُله أئمَّةُ السُّنة ممَّن تقدَّمه، وممَّن أدركهم، ولهذا كان يشتدُّ نكيرُه علىٰ خصمِه في تركه الاقتداء بأئمَّةِ السُّنة المشهورين فكان يقول له (٢٢٥): (فأينَ هو عن الزُّهريِّ، والثوريِّ، والأوزاعيِّ، ومالكِ بن أنس، وشُعبةَ، ومَعمرٍ، وابنِ المُباركِ، ووكيعٍ، ونُظرائهم ؟!

وأينَ هو عمَّن كان في عصرِ ابنِ الثلجيِّ مِن عُلماءِ أهلِ زمانِه، مثلَ: ابنِ حنبل، وابنِ نُميرٍ، وابني أبي شيبةَ، وأبي عُبيدٍ، ونُظرائهم إن كان مُتَّبِعًا مُستقيمَ الطريقة ؟

ولكن لا يُمكِنُه عن أحدٍ منهم في مذهبه حكايةٌ، ولا رِوايةٌ، وإنما يتعلَّقُ بالمغمورينَ المَغموزينَ، إذ لم يُمكِنه التعلُّقُ بهؤلاءِ المشهورينَ كيما يُروِّجُ ضَلاله علىٰ الناسِ بأهلِ الرِّيبِ الذين لا قَبُولَ لهم، ولا عدالةَ عند أهلِ الإسلامِ). اهـ

وقال (٢٥٢): (فما تداولَ هؤلاءِ الأئمَّةُ ونُظراؤهم علىٰ القبولِ قَبلناه، وما رَدُّوه رَددناه، وما لم يَستعملوه تَركناه، لأنَّهم كانوا أهلَ العلمِ والمعرفةِ بتأويلِ القرآنِ ومعانيه).

*** وهنا تنبيهٌ مهمٌّ يَحسنُ ختمُ ردّ هذه التُّهمة به:**

وهو أن الذي حمل الإمامَ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره مِن أئمَّةِ السنةِ علىٰ التوسُّع في الردِّ علىٰ المُعطلةِ والإخبار عن اللهِ تعالىٰ ببعضِ الألفاظ التي أخذوها مِن ظاهرِ نصوص الصفات: هو مقام الردِّ علىٰ الخصم الذي لبَّس وحرّف وعطّل حقيقة صفات الله تعالىٰ.

فكلما أوغل أهل التعطيل في التدليس والتلبيس والإيهام زادَ أهل السنة في البيان والإيضاح وكشف ما لَبَّسوه مِن إثبات حقيقة الصفات.

فمقام الردِّ علىٰ المُعطلةِ ليس كمقامِ ابتداءِ التصنيفِ في أبواب الاعتقاد.

ولهذا اختلفَ نهجُ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه (أصول السُّنة) رواية عبدوس العطار، و كتابه «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية».

فالأوَّل قرَّر فيه مُجمل اعتقاد أهل السُّنة ممَّا دلت عليه النصوص دون الدخول في تفاصيل المسائل ومُخاصمة الجهمية المُعطِّلة.

وأمَّا كتابه الآخر فكان التقرير فيه تابعًا لكلام الخصوم بكشفِ شُبههم، وإبطال تلبيساتهم، والإلزامات التي يلزمون بها أهل السُّنة، فجاء فيه مِن التوسُّعِ في الألفاظ والمعاني ما لم يأتِ في الكتاب الأول.

وهذه أمثلةٌ تزيدُ الأمر وضوحًا:

١- مسألة القرآن وأنه كلام الله تعالىٰ، فقد كان الأمر الأول علىٰ القول بأنه (كلام الله تعالىٰ)، مِن غير أن يُقال: (غير مخلوق)، فلمَّا نَجمت الجهمية، وادَّعوا أن كلامَ الله تعالىٰ مخلوق، ونسبته لله تعالىٰ علىٰ سبيل المجاز لا

الحقيقة، كما يُقال: (بيتُ الله)، و(ناقة الله)، فحينئذٍ اضطر أئمَّة السُّنة لمُقابلة هذا التلبيس والتدليس إلىٰ: (غير مخلوق)، كما قال أبو النضر: دعانا إبراهيم بن شَكلة وأحضر المريسي، فقال لنا: ما تقولون في القرآن ؟

فقلت: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فقال: لِمَ لَمْ تقُل: كلام الله وتسكت ؟

فقلت: لأن هذا - العدوَّ لله - قال: مخلوق، فلم نجد بُدًّا من أن نقول: غير مخلوق. [«السنة» للخلال (١٧٨٧)]

٢- الكلام في مسألة علوِّ الله تعالىٰ وأنه فوق عرشه (بذاته)، وأنه عَزَّوَجَلَّ (بائنٌ) مِن خلقه، وأنه في السماء (بحدٍّ)، فكلُّ هذه الألفاظ زادوها لكشف تلبيس المُعطِّلة ونفيهم لحقيقة علوِّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه.

فكلمة (بذاته)، (وبائنٌ)، و(بحدٍّ) إنما نطقَ بها أئمَّة السُّنة زيادة في الإيضاح والتبيين، وتأكيد علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، واستوائه علىٰ عرشه، ونفي الحلول والاتِّحاد، وكشفًا لتلبيس المُلبِّسين ممَّن أثبت العلو في الظاهر ثم قال: هو علوّ القهرِ والغلبة لا علو المكان والفوقية، تعالىٰ الله عمَّا يقول الظالمون المُعطِّلون علوًّا كبيرًا.

٣- وكذا قولهم في خلقِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنَّ الله تعالىٰ باشرَ خلقه بيده مَسيسًا. وسيأتي قريبًا زيادة بيان عن هذه المسألة.

وفي كلِّ هذا يقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «النقض» (٢١٥): (إنما كَرِهَ مَن كَرِهَ الخوضَ مِن هؤلاءِ المشايخِ، إن صحَّت عنهم روايتُك: لِمَا أنه لم

يكن يخوضُ فيه إلَّا شِرذمةٌ أذِلَّةٌ سِرًّا بمُناجاةٍ بينهم، وإذا العامَّةُ مُتمسِّكون منهم بالسُّنَنِ الأُولىٰ، والأمرِ الأوَّلِ. فكَرِهَ القومُ الخوضَ فيه؛ إذ لم يكن يُخاضُ فيها علانيةً، وقد أصابوا في تركِ الخوضِ فيه إذ لم يُعلَن.

فلمَّا أعلنوه بقوَّةِ السُّلطانِ، ودعوا العامَّةَ إليه بالسُّيوفِ والسِّياطِ، وادَّعوا أن كلامَ اللهِ مخلوقٌ، أنكرَ ذلك عليهم مَن غَبَرَ مِن العلماءِ، ومَن بقيَ من الفُقهاءِ، فكذَّبُوهم، وكفَّرُوهم، وحذَّروا الناسَ أمرَهم، وفسَّروا مُرادَهم مِن ذلك.

فكان هذا مِن الجهميةِ: خوضًا فيما نُهوا عنه.

ومِن أصحابِنا: إنكارًا للكفرِ البيِّنِ، ومُنافحةً عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ كيلا يُسَبَّ، ولا تُعطَّلَ صِفاتُه، وذبًّا عن ضُعفاءِ الناسِ كيلا يَضِلُّوا بمحنَتِهم هذه، مِن غيرِ أن يَعرِفوا ضِدَّها مِن الحُججِ التي تَنقُضُ دعواهم، وتُبطِلُ حُجَجَهم ... قال ابنُ حنبل: كنَّا نَرىٰ السُّكوتَ عن هذا قبلَ أن يَخوضَ فيه هؤلاءِ، فلمَّا أظهروه لم نجد بُدًّا مِن مُخالفتِهم، والردِّ عليهم. اهـ

وفي تقرير الفرق بين ما يُقرِّره الأئمَّة في عقائدهم المُجملة، وبينَ ما كتبوه وقرَّروه في رُدودهم علىٰ الجهمية المُعطِّلة، يقول الشيخ بكر أبو زيد في «الأجزاء الحديثية» (ص ٢٢٨):

(القاعدة الثالثة، تغافل عنها كثيرٌ مِن الخلقِ؛ مِن شدَّةِ ضراوتهم علىٰ السلف في الاعتقاد.

وذلك أن الاستقراء دلَّ علىٰ أن التقييد لتقريرِ الاعتقاد ليس كالتقييدِ

للنقضِ علىٰ أهل الفرقِ كالأشاعرة وذوي الاعتزال مثل الإباضية .. وبيان هذا:

أن السلف إذا كتبوا الاعتقاد علىٰ سبيلِ التقرير والبيان، قصروا ذلك علىٰ موارد النصوص الثابتة ...

وأمّا إذا كتبوا للردِّ والنقض، مثل كتاب: «نقض الدارمي عثمان بن سعيد علىٰ بشر المريسي العنيد»؛ فإن مقام «النقض» يفرضُ الإبطال لكلامِ الخلفي.

ولهذا فلا يهولنَّك ما يُهرِّجُ به الخلفُ علىٰ السلف مِن أنهم أطلقوا علىٰ اللهِ كذا وكذا، كما هوَّش بذلك الكوثري في مقالاته علىٰ أهلِ السنة بعبارات نقلها عن الدارميِّ في «نقضه»، وقد قَفَّ شعري وحصل في النفسِ حَسيكةٌ علىٰ الإمامِ الدارميِّ مِن خلالِ نقول الكوثري عنه نصَّ العبارةِ، وبرقم الصفحة، فلمَّا رجعتُ إلىٰ مقولاتِ المريسي وصاحبه ابن الثلجي، وجدت أن الدارميَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمامَ عِباراتٍ فَجَّةٍ، وإطلاقاتٍ خَلَفيةٍ لا تصدرُ مِن مُتماسكٍ في دينه وعقله.

فالدارميُّ لم يبدأ بتلك العِباراتِ، وإنما هو في حالِ النقضِ، لا في مجالِ التقرير، والله أعلم). انتهىٰ.

٣- الاعتراض عليه في إثبات القعود والجلوس لله تعالى

مِن الأمور التي يُشَغِّبُ بها بعضُ المُعاصِرين ممَّن يرمي الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالغلوِ في الإثباتِ:

إثباته لصفةِ (القعود والجلوس) لله تعالىٰ كما يليق به عَزَّوَجَلَّ.

والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما هو مُتَّبع لما رُوي عن النبيِّ ﷺ، وعن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم مِن أئمّة السُّنةِ، فلم يبتدع في ذلك، ولم يَتقوَّل علىٰ اللهِ تعالىٰ بإثباتِ ما لم يرد به نصٌّ ولا أثرٌ، ولا بإثباتِ ما لا يليق به سبحانه وتعالىٰ.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن أئمَّةِ الحديثِ، والجرحِ والتعديل، وليس هو مُجرَّد حاطِب ليلٍ كما تَوهَّمه بعضُ المُشتغلين بتحقيقِ كُتبِ السُّنة مِن أن هؤلاء الأئمة مُجرَّدُ ناقلين للرِّوايات ولا تَمييز لهم بين المردود منها والمقبول.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يعترض علىٰ خصومه بأن أقوالهم لا تُقبل إلَّا بما ثبت في السُّنة الصحيحة عن النبيِّ ﷺ.

- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا يُقبلُ منك هذا التفسيرُ إلَّا بأثرٍ صحيحٍ مَأثورٍ عن رسول الله ﷺ، أو عن بعضِ أصحابِه، أو التابعين).

وقال: (فذاك الناطقُ مِن قولِ الله، وهذا الصحيحُ المشهورُ مِن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ).

فالإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثباته الجُلوس والقُعود لله تعالىٰ صادِرٌ عن السُّنةِ والآثارِ بما ثبت عنده وعند أئمَّة هذا الشأن مِمَّن أدركهم وأخذ عنهم العلم، ومِن تلك الروايات:

- أثر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**إنَّ كُرسيَّه وسِعَ السماواتِ والأرضَ، وإنَّه ليَقعُدُ عليه ..**» الحديث.

[سيأتي في «النقض» برقم (١٥٧)]

- وأثر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما في خبر المرأة التي سمعها في أرض الحبشة تقول لِمن ظَلمها: (أكِلُكَ إلىٰ يومِ يَجلسُ الملكُ علىٰ الكُرسيِّ، فيَأخذُ للمظلومِ مِن الظالمِ).

[سيأتي في «النقض» برقم (١٥٠)]

وختم الإمامُ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأحاديث التي احتجَّ بها علىٰ إثباتِ جلوس الله تعالىٰ علىٰ عرشه بقوله في «النقض» (١٥٧): (فهاك أيُّها المريسيُّ، خذها مشهورةً مأثورةً فصُرها وضعها بجنبِ تأويلِكَ الذي خالفتَ فيه أُمَّة محمدٍ ﷺ).

وختمها كذلك في «الرد علىٰ الجهمية» (٧٢) بقوله: (لم يزل العلماءُ يروون هذه الآثار، ويَتناسخونَها، ويُصدِّقون بها علىٰ ما جاءت، حتىٰ ظهرت هذه العِصابةُ، فكذَّبوا بها أجمع، وجهَّلوهم، وخالفوا أمرَهم، خالفَ اللهُ بهم). اهـ

فرواية الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الأحاديث والآثار واحتجاجه بها علىٰ الجهمية المُعطِّلة دليلٌ علىٰ إيمانه بما دلّت عليه مِن العقائد، فكيف يروي ما لا يجوزُ نسبته إلىٰ الله تعالىٰ ثم لا يُنكرُه ولا يَتعقَّبه؟!

فهذه الآثار وإن كانت مِن مواطنِ الاجتهاد في القبول والردِّ إلَّا أن رواية هذا الإمام وغيره مِن أئمَّة السُّنة لها واحتجاجهم بها في مقامِ تقرير العقائد أو مقام الردِّ علىٰ الخصوم مِن أبين الأدلَّة علىٰ قبولهم لها، واعتقاد ما دلَّت عليه، إمَّا علىٰ سبيل الاعتمادِ أو علىٰ سبيل الاعتضاد، ولو كانت مُتونها مُنكرة لَمَا استجازوا روايتها ونسبتها إلىٰ الربِّ تبارك وتعالىٰ، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلم عن حديث الصورة: (فلو كان هذا القول مُنكرًا في دينِ الإسلامِ عندهم لم يُحدِّثوا به علىٰ هذا الوجه). اهـ

وقد روىٰ عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١٣٤) عن وَهبِ بن بقيَّة الواسطي، قال: سمعتُ وكيعَ بن الجرَّاح يقول: القرآنُ كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ ليس بالمخلوق. سمعتُه مِن وكيعٍ، وأثبتُّه عندي في كتابٍ.

قال وهبُ بن بقيَّة: لو لم يكُن رأيي ما حدَّثتُ به. اهـ

فجعل تحديثه بها إقرارًا منه بما دلَّت عليه معانيها.

ولهذا لَمَّا حدَّثَ الإمامُ وكيعٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (إذا جلس الرب عَزَّوَجَلَّ علىٰ الكرسي سمع له أطيط)، اقشعر رجلٌ ممَّن كان حاضرًا عنده إنكارًا له، فغَضِبَ وكيعٌ، وقال: أدركنا الأعمشَ، وسُفيان يُحدِّثون بهذه الأحاديثِ لا يُنكرونها. [«السنة» لعبد الله بن أحمد (٥٧١)]

فأنكرَ عليه، واحتجَّ وكيعٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن أئمَّة السُّنة يُحدّثون بهذه الأحاديث ولا يُنكرونها.

ولقد أحسن الذهبي هاهنا لما علَّق عليه بقوله: (فإن كان هؤلاء الأئمَّة: أبو إسحاق السَّبيعي، والثَّوري، والأعمش، وإسرائيل، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو أحمد الزُّبيري، ووكيع، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ممَّن يطول ذكرهم وعددهم، الَّذين هم سُرج الهُدىٰ، ومَصابيح الدُّجىٰ، قد تلقَّوا هذا الحديث بالقبول، وحدَّثوا به، ولم يُنكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمَن نحن حتىٰ نُنكره، ونتحذلق عليهم؟!). [«العرش» (٢/ ١٢١)]

- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص ١٢١): وإذا ثبتَ مَا ذكرنَاه، وعُلِم أن طاعة الرّسول ﷺ واجبةٌ، وأن قبولَ خَبرِهِ لازمٌ؛ وجبَ اعتقادُ ما في هذه الأحاديث المذكورة في الصِّفاتِ، ولو لم يلزم اعتقادُ ذلك لم تكن هذه الأخبار لا محالةَ دون سَائر الأخبار الواردة فيما سبيلُه العمل به، فينبغي أن يُعمَلَ بها أيضًا، والعملُ بها هو القول بمَخبَرِها.

وقبلُ وبعدُ فالأئمَّة الذين رَوَوها غيرُ مُنكِرين لشَيءٍ منها، بل قد أوردوها في السُّنن، وبيَّنوا أن اعتقادَها سُنةٌ وحقٌّ، بل واجبٌ وفرضٌ.

ولا يخلو أمرُهم مِن أن يكونوا مُخطئين في فعلهم، أو مُصيبين في رأيهم.

فإن أصابوا: فاتِّباعُهم علىٰ الصَّواب هُدىٰ.

وإن أخطأوا - بزعم المُخالِف - وهم الأئمَّة المقبولون المرضيون بالاتِّفاق: فالمُخالفون الذين قد حُكم بأنهم مِن أهل الزَّيغ والضَّلال أقربُ إلىٰ الخطأ، وأبعدُ مِن الصَّواب منهم، فيجب أن لا يُصغىٰ إليهم، ولا يُعوَّل علىٰ تمويههم. اهـ

وإنك لتعجب أن يخفىٰ قبول أئمة السنة لما دلَّت عليه متون هذه الأخبار التي يحتج بها الأئمة علىٰ الجهمية في كتب السنة والرد علىٰ الجهمية علىٰ

كثيرٍ ممَّن يَدَّعي السنة، ويتعاطىٰ تحقيق كتبها، وبيان صحيحها مِن سقيمها، ويتفطَّن لذلك الكوثري الجهميّ فها هو يذكرُ ما احتجَّ به الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «السُّنة والرد علىٰ الجهمية» مِن الروايات الدالَّة علىٰ إثبات جلوس الربِّ تبارك وتعالىٰ علىٰ عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، ثم يُبيِّن أن ذِكره لها في كتابٍ أَلَّفه في الانتصار لاعتقاد أهل السنة والرد علىٰ المخالفين لها تصحيح لمتونها، وإيمان منه بما دلّت عليه.

قال: (سَمَّىٰ كتابه بكتاب «السُّنة»، يُفيد أن ما حواه ذلك الكتاب هو العقيدة المتوارثة مِن الصحابة ﷺ والتابعين المُتلقِّين عقيدتهم طبقة فطبقة مِن خاتم رُسلِ الله صلوات الله وسلامه عليه، فيكون مُخالفه إمَّا كافرًا أو مُبتدعًا عنده، فيكون جميع ما حَشَرَه المؤلِّفُ في كتابه بهذه المثابة في نَظَرِه، فلا حاجة إلىٰ مُناقشتِه فيما ساقه مِن الأسانيد؛ لأنه لو لم يعتقد أن كلَّ ما فيه هو الاعتقاد الصحيح دائرًا أمر مَن يُخالفه بين أن يكون كافرًا أو مُبتدعًا عنده لما ضَمَّنه الكتاب المذكور.

فتَبيَّن بذلك الفرق بين ذِكرِ الشيء في كتاب يُسمِّيه مؤلِّفه باسمِ «كتاب السُّنة»، وبَين ذِكره في كتابٍ لا يُسمَّىٰ بمثل هذا الاسم؛ لأن الثاني لا يدلُّ علىٰ أن جميع ما فيه ممَّا يعتقده مؤلِّفه، بل قد يكون جمعَ فيه ما لقيه مِن الرِّوايات تاركًا تَمحيصها للمُطَالِع، بخلافِ الأوَّل، فلا نُناقش المُؤلِّف في الأسانيد، بل نُوجِّه النقد إلىٰ المؤلِّف مُباشرة مِن جهة أن ما حواه هو مُعتقده). اهـ

فقد صدَقَ هذا الجهميُّ المُعطِّل في هذا الكلام، وكذبَ فيما ادَّعاه وافتراه علىٰ أئمَّة السُّنة.

والله المُستعان علىٰ مَنْ يَدَّعي السُّنة ويكون أمثال هذا الجهمي المُعطِّل أفطن لمراد أهلها منه.

ورَحِمَ الله ابن القيم حيث قال في «حادي الأرواح» (٢/ ٧٣٤) مُعلِّقًا علىٰ حديثٍ منقطع يرویٰ عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (... والحسن وإن لم يسمع من عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصحّ عنده ذلك عن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمَا جزمَ بهِ (وقال عمر ابن الخطاب)، ولو قُدِّرَ أنه لم يُحفظ عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ؛ فتداول هؤلاء الأئمَّة له غير مقابلين له بالإنكار والردِّ مع أنهم يُنكرون علىٰ مَن خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاءِ الأئمَّة مِن البدع المُخالفة لكتاب اللهِ، وسُنَّة رسوله، وإجماع الأئمَّة؛ لكانوا أوَّل مُنكرٍ له). اهـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعلقًا علىٰ حديث أبي رزين العقيلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٩٧): ... ورواه أئمةُ أهل السُّنَّة في كتبهم، وتلقَّوْه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحدٌ منهم فيه، ولا في أحدٍ مِن رُواته... إلخ.

وفي باب إثبات جلوس وقعود الرب تبارك وتعالىٰ نصوص وآثار وأقاويل لأهل السُّنة كثيرة مُستفيضة تراها في مُقدِّمة كتاب «إثبات الحدِّ لله تعالىٰ وأنه جالسٌ وقاعد علىٰ عرشه» للدشتي، (الباب الثاني: إثبات جلوس الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ).

ومَن نصح نفسَه فليقف حيث وقفَ القوم، وليقُل بما قالوا، فإنه يسعه ما وَسِعَهم.

٤- الاعتراض عليه في إثبات الثِّقل لله تعالى

ومِن المسائل التي يذكرها بعضهم ليُثبِتوا بها غلوَّ ومُبالغةَ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإثبات: (إثباته الثِّقَل لله تعالىٰ).

والإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس له كلامٌ خاصٌّ في تقرير هذه الصفة والكلام عنها، وإنما روىٰ فيها آثارًا عن السلف فيها إثبات الثقل لله تعالىٰ، فأقرَّها ولم يتعقَّبها بردٍّ ولا إنكارٍ، وهو في ذلك مُتَّبِعٌ لمَن كان قبله مِن أئمَّةِ التفسير والحديث مِن الصحابة ﵃ والتابعين ومَن بعدهم مِن أئمَّة السُّنة.

فمِمَّن رُوي عنه إثباتُ الثِّقلِ للهِ تعالىٰ مِن الصحابة ﵃: ابن مسعود، وابن عباس ﵃.

ومِن التابعين ومَن بعدهم: خالد بن معدان، والحسن، ومُجاهد، وعكرمة، وقتادة وغيرهم مِن أئمَّة التفسير والحديث رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ [المزمل:١٨]، (قالوا: مُثقَلَةٌ به)، كما سيأتي في «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ٦٢).

روىٰ ذلك عنهم أهل السُّنة في مُصنَّفاتهم ولم يُنكروه، ولم يَتعقَّبوه تَعقّب الجهمية المُعطِّلة أو مَن تأثَّر بهم.

- وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (ص ٩٩ - ١٠٠):

وبسُـــورةِ الشُّـــورىٰ وفي مُزَّمّـــلِ ... سِـــرٌّ عَظـــيمٌ شَـــأنُه ذُو شَـــانِ
في ذِكْـرِ تَفطيـرِ السَّـماءِ فمَـن يُـرِدْ ... عِلمًـا بـه فهـو القريـبُ الـدَّاني
لـم يسـمَحِ المُتـأخِّرون بنَقْلِـهِ ... جُبنًـا وَضَـعفًا عنـه في الإيمـانِ
بـل قالـه المُتقـدِّمون فـوارسُ الـ... إسـلام هـم أُمـراءُ هـذا الشَّـان
ومحمـدُ بـنُ جريـرٍ الطـبريُّ في ... تَفسـيرِه حُكِيـت بـه القـولانِ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٦٨): فهؤلاء الأئمَّة المذكورة في إسناده هم مِن أجلِّ الأئمَّة، وقد حَدَّثوا به هم وغيرهم، ولم يُنكروا ما فيه مِن قوله: (مِن ثِقل الجبَّار فوقهنّ)، فلو كان هذا القول مُنكرًا في دينِ الإسلامِ عندهم لم يُحدِّثوا به علىٰ هذا الوجه. اهـ

٥- الاعتراض عليه في إثبات الحركة

وممَّا أُنكِرَ علىٰ الإمام الدارميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إخباره عن الله تعالىٰ بلفظِ (الحركة) !

ولا أعلمُ أحدًا مِن أئمَّةِ السُّنة المُتقدِّمين أنكرَ عليه ذلك !

ولم يُنقل إنكار (الحركةِ) لله تعالىٰ إلَّا عن الجهميةِ المُعطِّلةِ.

وأمّا أئمَّة أهلِ السُّنةِ:

فمنهم مَن أثبتَها وصرَّحَ بها حتىٰ ذكرها الإمام حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اعتقاده» الذي نقل فيه إجماعَ مَن أدركهم مِن أهلِ العلمِ؛ كأحمدَ، والحُميديِّ، وسعيد بن منصور، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم مِن أئمَّةِ السُّنة.

ومِنهم مَن سكتَ عنها فلم يُصرِّح بها مع عدمِ الإنكارِ علىٰ مَن أثبتها؛ لأنها مِن لوازمِ النزولِ والمَجيءِ والإتيانِ لمَن كان يؤمن بحقيقة هذه الصفات.

- قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ١٦٠) قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠]: حُجَّة علىٰ الجهمية واضحة فيما يُنكرون مِن الحركة والنزول إلىٰ سماء الدنيا. اهـ

والإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل الحركةَ مِن لوازمِ الحياةِ، فقال في «النقض» (٤٧): (الحي القيوم) يفعلُ ما يشاءُ، ويتحرَّكُ إذا شاء .. لأنَّ أمارةَ ما بين الحيِّ والميتِ: التحرُّكُ، كلُّ حيٍّ مُتحرِّكٌ لا مَحالةَ، وكلُّ ميِّتٍ غيرُ مُتحرِّكٍ لا مَحالةَ. اهـ

وقال (١٢٠): (فإنَّ أمارةَ ما بين الحي والميتِ: التحرُّكُ، وما لا يتحرَّكُ فهو ميِّتٌ، لا يُوصفُ بحياةٍ، كما وصفَ اللهُ تعالىٰ الأصنامَ الميِّتةَ، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل]. فاللهُ الحيُّ القيومُ القابضُ الباسطُ، يتحرَّكُ إذا شاءَ، ويفعلُ ما يشاءُ، بخلافِ الأصنامِ الميِّتةِ التي لا تَزُولُ حتىٰ تُزَالَ). اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (٢/ ٧) بعد أن ذكر كلام الدارمي والكرماني في إثبات الحركة: صرَّحَ هؤلاء بلفظ: (الحركة)، وأن ذلك هو مذهب أئمة السُّنة والحديث مِن المُتقدِّمين والمُتأخِّرين، وذكر حربٌ الكرماني أنه قول من لقيه مِن أئمة السُّنة كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبدالله بن الزّبير الحُميدي، وسعيد بن منصور.

وقال عثمان بن سعيد وغيره: (إن الحركة مِن لوازمِ الحياة فكلُّ حيٍّ مُتحرِّك)، وجعلوا نفي هذا مِن أقوالِ الجهمية نُفاة الصفات الذين اتَّفق السَّلف والأئمَّة علىٰ تَضليلهم وتبديعهم. اهـ

فنفي الحركةِ عن الله تعالىٰ لم يأتِ إلَّا عن المُعطِّلةِ كما ذَكَرَ ذلك الإمامُ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المُعارض، وقد سبقه إلىٰ ذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

«الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (برقم/ ٣٦) إذ قال: (فقلنا: قد أعظمتم علىٰ الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلَّم فشبهتموه بالأصنام التي تُعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلَّم، ولا تنطق، ولا تتحرَّك، ولا تزول مِن مكانٍ إلىٰ مكان). اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٤٩٤): وأمَّا كونه لا يتكلّمُ إذا شاء، ولا يقدرُ أن يتكلَّمَ بما شاء، فهذا لا يصحُّ إلّا بما ابتدعته الجهمية مِن قولِهم: لا يتحرَّكُ، ولا تَحلُّ به الحوادث، وبذلك نفوا أن يكون استوىٰ علىٰ العرشِ بعد أن لم يكن مُستويًا، وأن يجيء يوم القيامة، وغير ذلك ممَّا وصفَ به نفسه في الكتابِ والسُّنة. اهـ

٦- الاعتراض عليه في إثبات المكان لله تعالى

أنكر الفَقي علىٰ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إثباته المكانَ لله تعالىٰ.

والإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثبت المكان لله تعالىٰ بمعنىٰ العلوِّ والاستواءِ علىٰ عرشه، وقد اتَّبع في ذلك النصوصَ وكلام أئمَّة السنة والآثار، ولم يأتِ إنكارُ المكانِ إلَّا عن الجهمية المُعطِّلة نُفاة علوِّ الله تعالىٰ، كما قال الإمام حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» التي نقل فيها إجماع مَن أدركهم مِن أهل العلم وهو يُعرِّف بالجهمية (٩٦)، فقال: و(الجهمية): - أعداءُ الله - وهم الذين يزعمون أن القرآنَ مخلوقٌ، وأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يُكلِّم موسىٰ، وأن اللهَ لا يتكلَّم، ولا يُرىٰ، **ولا يُعرفُ لله مكانٌ**، وليس لله عرشٌ، ولا كرسيٌّ، وكلام كثيرٌ أكرَه حكايته. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٥): لا يقدر أحدٌ أن يَنقلَ عن أحدٍ مِن سَلَفِ الأمَّةِ وأئمّتها في القرونِ الثلاثةِ حرفًا واحدًا يُخالف ذلك؛ لم يقولوا شيئًا مِن عِبارات النَّافية: إن اللهَ ليس في السَّماءِ ... ولا أن جميعَ الأمكنة بالنِّسبة إليه سواء، ولا أنه في كلِّ مكانٍ، **أو أنه ليس في مكانٍ**، أو أنه لا تجوزُ الإشارة إليه، ولا نحو ذلك مِن العبارات التي تطلقها النُّفاة بأن يكون فوق العرش: لا نصًّا، ولا ظاهرًا .. اهـ

وهناك آثار وأقوال لأئمَّة السُّنة كثيرة في إثبات (المكان) لله تعالىٰ جمعتها في مُقدِّمة كتاب «إثبات الحدَّ لله تعالىٰ» (المبحث السَّابع: إثبات المكان لله تعالىٰ).

وانظر التعليق علىٰ «النقض» (برقم/ ١) ففيه زيادة بيان.

٧- الاعتراض عليه في إثبات المسّ والمسيس لله تعالى

مِمَّا أُنكِرَ علىٰ الإمامِ الدارميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إثباته (المَسَّ والمَسيس) لله تعالىٰ في خلقِ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيده تبارك وتعالىٰ.

ومِن ذلك قول الرياشيِّ القُفيليِّ في تحقيقه «النقض» (ص ١٥٨):

(لفظة: (المَسيس، والمسّ) لا نعرفُها وردت في القرآنِ، ولا في الحديث، بل نقول: خلقه بيده، علىٰ ما يَعلم الله، ويليق بذاته العليَّةِ، ولا تُعلم الكيفية، ولا نزيدُ علىٰ ما وردَ، قاله الشيخ محمد حامد الفقي).

قلتُ: الإمامُ الدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثبتَ المَسيس لله تعالىٰ، وهو مُتَّبِعٌ غير مُبتدع، فقد روىٰ في كتابه آثارًا كثيرةً عن سلفِ الأُمَّة في إثباتِ المَسيس، وأنَّ الله لم يَمسَّ بيده إلَّا ثلاثة.

وهذه الآثار رواها أئمَّة السُّنة في مُصنَّفاتهم في إثبات الصفات والرَّد علىٰ الجهمية، ولم يَردُّوها أو يُشكِّكوا فيها أو يَتعقَّبوها بما يُبطِلها.

ثم هذا المُستدرِك علىٰ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قال في تَعقُّبِه: (بذاته العَليَّة!) فأين هذا اللفظ في الكتابِ والسُّنة؟!

وماذا سيقولُ لو استدرك عليه مُستدرك فقال: أين في الكتابِ والسُّنة إطلاق أنَّ الله تعالىٰ عالٍ بذاته؟!

فما سيقوله في ذلك هو ما يقوله أئمَّة السُّنة في إثباتِ (المسيس لله تعالىٰ).

والإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطن الرد علىٰ تلبيس وتمويه الجهمية المُعطلة، فإنهم لم يُصرِّحوا بنفي خلق الله تعالىٰ لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيده فيتبيّن أمرهم للعامَّة، وإنما أثبتوا اللفظ، وحرَّفوا المعنىٰ حتىٰ لا يفتضحوا.

فقد نقل الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» قول المريسي في قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، قال: يعني اللهُ بذلك: (أني وليتُ خلقه)، وقوله: (بيديَّ) تأكيدٌ للخلقِ، لا أنه خلقَه بيدٍ). اهـ

فأراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكشفَ هذا التلبيس، ويزيل هذا اللبس؛ فصرَّح بما ثبت عنده عن أئمَّة التابعين قبله كأبي صالح ميسرة، وحكيم بن جابر، وعكرمة، ومحمد بن كعب القُرظي، وكعب الأحبار رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وغيرهم، فقال: (فأكَّدَ اللهُ لآدمَ الفضيلةَ التي كرَّمَه وشرَّفَه بها، وآثرَه علىٰ جميعِ عبادِه؛ إذ كلُّ عبادِه خلَقهم بغيرِ مَسيسٍ بيدٍ، وخلقَ آدمَ بمسيسٍ). اهـ

وقد تفاصح عليه الرياشي فقال (ص ١٦٠): (أي: باشر خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيده الكريمة مِن غير واسطةٍ، وقد كان الأولىٰ أن يُعبِّر المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ بتعبيرٍ شرعي أسلم مِن هذا حتىٰ لا يدع مجالًا لانتقاد أصحاب الأهواء مِن الأشاعرة الصوفية المُعطِّلة ... إلخ.

فهل الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعبِّر عن اللهِ جلّ جلاله بتعبيراتٍ غير شرعية؟!

وهل مقامُك مقام مَن يُعلِّم أهل القرون المُفضَّلة الأُولىٰ ما يجوز في حقِّ الله تعالىٰ وما لا يجوز مِن الكلام ؟!

وأين أئمَّةُ السنةِ المُتمسِّكون بالأثرِ مِن عصرِه إلىٰ زماننا هذا عن هذه

التنبيهات والاستدراكات - السلفية زعموا - ؟!

ثم قارن هذه التشغيبات الباردة علىٰ هذا الإمام الكبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما عَلَّق به ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٤٤) بعد ذكره للآثار المُصرِّحة بإثباتِ المسيس لله تعالىٰ عن السلف الصالح إذ قال: (وأمَّا السَّلف وأئمَّة السُّنة المشاهير فلم أعلمهم تنازعوا في ذلك، بل يقرُّون ذلك كما جاءت به النصوص). اهـ

ثم نقل كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات المَسيس ولم يَتعقَّبه.

- وقال أيضًا (٤/ ٣٤٣): لا جرم جاءت الأحاديث بثبوت المُماسَّة، كما دلَّ علىٰ ذلك القرآن، وقاله أئمَّة السلف، وهو نظيرُ الرُّؤية، وهو مُتعلِّقٌ بمسألةِ العرش، وخلق آدم بيده، وغير ذلك من مسائلِ الصفات. اهـ

ورَحِمَ الله الإمام الدارمي إذ يقول: (ولكن إن كنتم مُحقِّينَ في تأويلكم هذا، وما ادَّعيتُم مِن باطِلكم، - ولستُم كذلك -، فأتوا بحديثٍ يُقوِّي مذهبَكم فيه عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو بتفسيرٍ تأثُرونه صحيحًا عن أحدٍ مِن الصحابةِ أو التابعين كما أتيناكم به عنهم نحن لمذهَبِنا). اهـ

- وقال في «الرد علىٰ الجهمية» (١٥٢): فإن كنتم مِن المؤمنين، وعلىٰ منهاجِ أسلافهم، فاقتبسوا العلمَ مِن آثارِهم، واقتبِسوا الهُدىٰ في سبيلهم، وارضوا بهذه الآثارِ إمامًا، كما رَضِيَ بها القومُ لأنفسهم إمامًا، فلعمري ما أنتم أعلمَ بكتابِ اللهِ منهم، ولا مثلهم، ولا يُمكنُ الاقتداءُ بهم إلَّا باتِّباعِ هذه الآثار علىٰ ما ترْوون). اهـ

وقد تقدم في الدفاع عن التهمة (٢) سبب زيادة أئمَّة السنة لهذه الألفاظ.

٨- اتِّهامه بإثبات الجسم لله تعالى

ادَّعىٰ محمد حامد الفِقِي أن الإمامَ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثبتَ أنَّ اللهَ تعالىٰ (جِسمٌ)، وأنَّ الذي أدَّاه إلىٰ ذلك: (هو شِدَّة حِرصه علىٰ إثباتِ الصفات التي كان المَريسي يُبالغ في إنكارها) !

ولم يذكر أين ذكر الإمامِ الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة الجسم لله تعالىٰ.

فكلام الدارمي صريحٌ في النهي عن الخوض في ذلك لعدم ثبوت النصِّ والأثر به، وقد أعرض أئمَّةُ السُّنة عن ذِكرِ أمثال هذه الألفاظ لِمَا اشتملت عليه مِن الحقِّ والباطل.

- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٣٧٤): (ونحن وإن لم نصِفِ اللهَ بجسمٍ كأجسامِ المخلوقين، ولا بعُضوٍ، ولا بجارحةٍ؛ لكنَّا نصِفُه بما يَغيظُكَ مِن هذه الصفاتِ التي أنت ودُعاتُك لها مُنكِرونَ).

- وقال أيضًا (٤٠٩): (وذِكرُ الجِسمِ، والفمِ، واللسانِ؛ خُرافاتٌ وفضولٌ مرفوعةٌ عنَّا، لم نُكلَّفه في دِيننا).

فهذا كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صريحٌ في النهي عنِ الخوضِ في هذه الألفاظ المُبتدعة التي لم ترد في الكتابِ والسُّنةِ، ولم ينطق بها سلف الأُمَّة.

فليس بعد هذا قولٌ لقائل.

٩- اتِّهامه بإثبات الحيِّز

وادَّعىٰ الفَقِي أيضًا علىٰ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إثباتَ الحيِّز لله تعالىٰ!

ولم أقف علىٰ كلامٍ له في هذه اللفظة لا نَفيًا ولا إثباتًا!

وأهل الكلام مِن المُعطِّلة ومَن تأثَّر بهم يدَّعون علىٰ مَن أثبت علوَّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، واستواءه علىٰ عرشه؛ أنهم قد حيَّزوا الله تعالىٰ فوق سمواته، وجعلوه في مكانٍ.

فهم ينفون عن الله تعالىٰ هذه الألفاظ المُجملة، ويُريدون بنفيها معانيَ باطلة أحدثوها، وزعموا أن مَن أثبتها فقد وقع في التشبيه والتجسيم.

فنفيهم (الحَيِّز) عن الله تعالىٰ هو نفيٌ لمكانه وعُلوِّه علىٰ خلقه الذي كان الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقرِّره في كثيرٍ مِن المَواطِن.

ولَمَّا كان هذا مُرادهم مِن نَفي (الحَيِّز) و(الجهةِ) عن الله تعالىٰ؛ صرَّح بعض مُتأخِّري أهل السُّنَّة بإثباتِهما، وأرادوا بذلك إثبات ما أثبتته النصوص مِن علوِّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، واستوائه علىٰ عرشه.

وسيأتي زيادة بيانٍ لهذه الألفاظ في التعليق علىٰ «الرد علىٰ الجهمية» (فقرة/ ١١٠).

١٠ - اتِّهامه بأنه يقول:
إن الله عَزَّوَجَلَّ يستوي ويستقرّ على جناح بعوضة!

ادَّعىٰ كثيرٌ مِن مُتأخري المُعطِّلة أن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (إن الله تعالىٰ يستوي ويستقرّ علىٰ جناح بعوضة) !

وهذا كذبٌ وافتراءٌ منهم علىٰ هذا الإمام، وإنما أدَّاهم إلىٰ هذه الدعوىٰ: فجورهم في الخُصومة، وإرادة التشنيع عليه بالباطل لينفِّروا منه ومِن كتابيه.

والدارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُقرِّر هذا أبدًا، وإنما ألزم الخصم بشناعات تلزمه تتضح بسياق كلامه تامًّا، وهو قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (١٦٩): (وأعجبُ مِن ذلك كلِّه: قياسُكَ اللهَ بمقياسِ العرشِ، ومِقدارِهِ، وَوَزنِه مِن صِغرٍ أو كِبَرٍ، وزعمتَ كالصبيانِ العُميانِ: إن كان اللهُ أكبرَ مِن العرشِ، أو أصغرَ منه، أو مثلَه، فإن كان اللهُ أصغرَ؛ فقد صيَّرتُم العرشَ أعظمَ منه.

وإن كان أكبرَ مِن العرشِ؛ فقد ادَّعيتُم فيه فضلًا علىٰ العرشِ.

وإن كان مثلَه؛ فإنه إذا ضُمَّ إلىٰ العرشِ السماواتُ والأرضُ؛ كانت أكبرَ.

مع خُرافاتٍ تكلَّمُ بها، وتُرَّهاتٍ تَلْعبُ بها، وضَلالاتٍ تُضِلُّ بها). اهـ

فالمُعطِّل أرادَ إنكار حقيقة الاستواء بهذه التُّرهات والإلزامات الفاسدة،

فادَّعىٰ أنه إن كان مستويًا علىٰ العرش فيلزم أن يكون الله تعالىٰ أكبر مِن العرش، أو أصغر، أو مُساويًا ومُطابقًا له.

نعوذُ بالله مِن ضلالاتهم وشُبههم التي يُلبِّسون بها علىٰ الناس.

فقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رَدِّه علىٰ هذا التُّرهات: (فيُقالُ لهذا البَقباقِ النفَّاج: إنَّ اللهَ أعظمُ مِن كلِّ شيءٍ، وأكبرُ مِن كلِّ خلقٍ، ولم يَحتَمِله العرشُ عِظمًا ولا قوَّة، ولا حَمَلةُ العرشِ احتَمَلوه بقوَّتِهم، ولا استَقلُّوا بعرشِه بشدَّةِ أسْرِهم، ولكنَّهم حَمَلوه بقُدرتِهِ ومَشيئتِهِ وإرادتِه وتأييده لولا ذلك ما أطاقوا حَمْلَه).

فبيَّن أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أعظم مِن كلِّ شيءٍ، ولولا تأييده ومشيئته وقُدرته لما استقلّ به العرشُ، ولا أطاقت ملائكته حمله، فقال: (لولا ذلك ما استَقلَّ به العرشُ، ولا الحمَلةُ، ولا السماواتُ والأرضُ، ولا مَن فيهنَّ، ولو قد شاءَ لاستقرَّ علىٰ ظهرِ بعوضةٍ فاستقلَّت به بقُدرتِهِ، ولُطفِ رُبوبيَّتِه، فكيف علىٰ عرشٍ عظيمٍ أكبر مِن السماواتِ السبع والأرضينَ السبع ؟!).

فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن استواءَ الربِّ علىٰ العرش لا يرجع إلىٰ عظيم خلقِ العرش وكبره وسعته، وإنما الأمرُ كلّه يرجعُ إلىٰ قُدرةِ الله وتأييده ومشيئته، فإذا أراد اللهَ وشاء وقَدَّرَ أن يستقلّ علىٰ ظهرِ بعوضةٍ لفعل ما يُريد سبحانه، لأن الأمر ليس للعرشِ ولا للبعوضةِ، ولا لأكبر من ذلك، ولا لأصغر، وإنما لقُدرته وتأييده ومشيئته تبارك وتعالىٰ.

فهذا هو تمام كلامِ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومُراده وقصده.

فهل يقولون: إنَّ الله تعالىٰ لو شاء أن يَستقلَّ علىٰ ظهرِ بعوضة بإرادته وقُدرته ومشيئته ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا ؟

فإن قالوا : لا يقدرُ علىٰ ذلك بقُدرته وإرادته؛ فقد كفروا بقدرته وعظمته، وأنه يفعل ما يُريد، وأنه علىٰ كل شيءٍ قدير.

وإن قالوا: يقدرُ، فقد خُصموا وظهرَ كَذِبهم وفجورهم في الخُصومة.

١١ - اتِّهامه بالخوض في علم الكلام المُحدث

ادّعىٰ بعض المُعاصرين أن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خاضَ مع بشر المريسي في ردوده ونقضه بعلمِ الكلام المُحدثِ الذي اتَّفق أهل السُّنة علىٰ النهي عنه، والولوج فيه.

وهذه دعوىٰ كاذبة، فهذه ردوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الجهمية، وهذا نقضه علىٰ المريسي فأين تلك العبارات الكلامية، والمصطلحات الفلسفية التي خاض فيها الإمام معهم.

بل كلامه صريحٌ في النهي عن الدخول في علمِ الكلام، وفي مُصطلحاتهم، كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد علِمنا أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَعنِ بطلبِ العلمِ: عمَاياتِ أصحابِ الكلامِ، وأهلِ المقاييس، ولكن عنىٰ به ما يُؤثرُ عنه).

وقال: (وأظهروا لهم أُغلوطاتٍ مِن المَسائلِ، وعَماياتٍ مِن الكلامِ، يُغالِطون بها أهلَ الإسلامِ، ليُوقعوا في قلوبِهم الشَّكَّ، ويُلبِّسوا عليهم أمرَهم، ويُشكِّكوهم في خالقِهم).

وقال: (ثم عليهم حُججٌ كثيرةٌ مِن الكلامِ والنظرِ، لا نُحِبُّ ذكرَ كثيرٍ منها تخوُّفًا أن لا تحتمِلَها قلوبُ ضُعفاءِ الناسِ، ولكن يكفي مَن نَظَرَ فيما ذكرنا مِن كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، وروينا مِن هذه الآثارِ أن يَعلمَ أنَّ مُخالفةَ هؤلاءِ للأُمَّةِ

قديمًا وحديثًا ..).

وقال: (قد سألنا العُلماءَ، وجالَسْنا الفُقهاءَ، فوجدناهم كلَّهم علىٰ خِلافِ مَذهبكَ، فسَمِّ عالِمًا ممَّن مَضىٰ وممَّن غَبَرَ يَحتجُّ بمثلِ هذه العَماياتِ، ويَتكلَّمُ بها حتىٰ نعرِفَه فنَسألَه).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يجاري المُعطِّلة في عباراتهم الكلامية التي تشتمل علىٰ الحقِّ والباطل، كلفظ (الجسم) الذي نهىٰ عن الخوض فيه كما تقدم قريبًا نقل كلامه.

وأنكر كذلك خوضهم في نفي (الجوارح، والأعضاء، والتركيب) عن الله تعالىٰ.

- فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأمَّا دعواك أنهم يقولون: (جَارِحٌ، مُركَّبٌ)؛ فهذا كفرٌ لا يقوله أحدٌ مِن المسلمين، ولكنَّا نُثبتُ له السمعَ والبصرَ والعينَ بلا تكييفٍ، كما أثبته لنفسِه فيما أنزلَ مِن كتابه، وأثبَتَه له الرسولُ ﷺ، وهذا الذي تُكرِّرُه مرَّةً بعد مرَّةٍ: (جارحٌ وعُضوٌ) وما أشْبَهَه، حشوٌ وخُرافاتٌ، وتَشنيعٌ لا يقولُه أحدٌ مِن العالمين).

وقال: (وأمَّا (جارحٌ) كجارحِ العينِ مِن الإنسانِ علىٰ التركيبِ؛ فهذا كذِبٌ ادَّعيتَه علينا عمدًا، لما أنك تعلمُ أنَّ أحدًا لا يقوله، غيرَ أنَّك لا تألو ما شنَّعتَ، ليكون أنجعَ لضلالتِكَ في قلوبِ الجُهَّالِ ..

فمَن أيِّ الناسِ سمعتَ أنه قال: (جارحٌ مُركَّبٌ) فأشِر إليه، فإن قائله كافِرٌ، فكم تُكرِّرُ قولك: (جِسمٌ) (مُرَكَّبٌ)، و(أعضاءٌ)، و(جوارحُ)،

و(أجزاءٌ)، كأنك تُهوِّلُ بهذا التشنيع علينا أن نكُفَّ عن وصفِ اللهِ بما وصفَ نفسَه في كتابه، وما وصفَه الرسول ﷺ).

والذي صنعه الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الجهمية هو الاحتجاج بالآثار، وما دلَّ عليه العقل الصحيح الموافق للنصوص.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد» (٢٥٤): (بيننا وبينكم فيه النظرُ بما يدلُّ عليه الكتابُ، والسُّنةُ، وتَحتملُ العقول). اهـ

ولما كانت العقول تتباين وتختلف عند كلِّ فِرقةٍ، ضبط هذه المسألة فردَّ العقول عند اختلافها وتباينها إلىٰ السُّنة وفَهم الصحابة رضي الله عنهم، فقال في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٥٣): (فحين رأينا المعقول اختلفَ مِنَّا ومنكم، ومِن جميع أهلِ الأهواءِ، ولم نَقِف له علىٰ حدٍّ بيِّنٍ في كلِّ شيءٍ، رأينا أرشدَ الوجوه وأهداها: أن نرُدَّ المعقولاتِ كلها إلىٰ أمرِ رسولِ الله ﷺ، وإلىٰ المعقولِ عند أصحابه المُستفيض بين أظهرهم؛ لأن الوحي كان ينزلُ بين أظهرهم، فكانوا أعلمَ بتأويلِه منَّا ومنكم، وكانوا مؤتلفين في أصولِ الدِّينِ، لم يَفترقوا فيه، ولم تظهر فيهم البدعُ والأهواءُ الحائدة عن الطريقِ).

وقال: (فالمَعقولُ) عندنا: ما وافقَ هديهم، و(المَجهولُ): ما خَالفَهم، ولا سبيلَ إلىٰ معرفةِ هَديهم وطريقتِهم إلَّا هذه الآثار. اهـ

فرَحِمَ اللهُ الإمام الدارمي فقد كان صاحب سُنةٍ وأثر بعيدًا عن الكلام وأهله.

الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَردُّ على مُؤولة الصفات مِن ورثة الجهمية كالأشعرية والماتُريدية

الناظر في كتابي «الرد» و«النقض» يرى أن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينقضُ مذهب مُؤولة صفات الله تعالى الذين يُحرِّفونها عن معانيها الظاهرة، ولا يُمرُّونها كما جاءت.

فنقض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه على:

- مَن أوَّلَ وحرَّف (الاستواء) بالاستيلاءِ.
- و(العرشَ) بالمُلكِ.
- و(الرُّؤية) بزيادة عِلم القلبِ بآلاء اللهِ وآياته.
- و(النزول) بنزولِ رحمته وأمره.
- و(الإتيان) بإتيان أمره وبعض آياته أو ملائكته.
- و(السمع والبصر) بإدراكِ المسموعات والمَرئيات.
- و(الوجه) بالذات.
- و(وجه الله) بِقِبلة الله.
- و(القدم) بجماعةٍ مِن الناس.

- و(اليد) بالنِّعمةِ والقوَّةِ.

- و(الضَّحك) برضا الله عَزَّوَجَلَّ، وبضحكِ الزرع.

- و(الحبّ) بإرادة الخير والثواب.

- و(الغضب والسخط) بإرادة العذاب.

- و(الأصابع) بقُدرة الله تعالىٰ.

- و(قبضة الله) بمُلكه.

- وأن (القرآن) ليس كلام الله علىٰ الحقيقة، وإنما هو كبيت الله، وناقة الله.

- و(كلام الله تعالىٰ) ليس بحرفٍ ولا بصوت.

- وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يُكلِّم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حقيقة بصوتٍ سَمِعه منه، وإنما سُمع مِن الشجرة.

- وأن الله تعالىٰ ليس في السماء بذاته ولا علىٰ عرشه.

- وردَّ علىٰ مَن أنكرَ (المكان)، و(الحدَّ) و(البينونة) لله تعالىٰ.

- ومَن خاض في نفي (الجوارح)، و(الأعضاء)، و(الأبعاض).

- ومَن رمىٰ مَن أثبت صفات الله تعالىٰ بالتشبيه والتجسيم.

فكلُّ هذه العقائد الفاسدة نقضها الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابيه، وهي -كما ترىٰ بعينها- عقائد المُعتزلة والأشعرية والماتُريدية التي ورثوها عن المريسي وغيره مِن أئمَّة الجهمية، وقد شحنوا بها كتبَ التفاسيرِ وشروحاتِ

الأحاديث النبوية التي تَسلَّطوا عليها، فضلًا عمَّا كتبوه في العقائد وكتب الفِرق التي صنَّفوها لتقرير مذاهبهم في التأويل والتحريف لنصوص الصفات.

- قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٤٨): عَمَدَ المُعارِضُ إلىٰ هذه الصفاتِ والآياتِ فنَسَّقها ... وتلطَّفَ بردِّها **بالتأويل** كتلطُّفِ الجهمية، مُعتمِدًا فيها علىٰ تفاسيرِ الزائغِ الجهميِّ بشرِ بن غياثٍ دون مَن سواه، مُستترًا عند الجُهَّالِ بالتشنيعِ بها علىٰ قومٍ يؤمنون بها، ويُصدِّقون اللهَ ورسولَه فيها بغير تكييفٍ ولا بمثالٍ. اهـ

- وقال: (... مَن مضىٰ مِن الأُمَّةِ لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، **لا يعرفون له تأويلًا غيرَ ما يُتلىٰ مِن ظاهره أنه كلامُ الرحمن**، حتىٰ نَبَغَ هؤلاء الذين اقتربوا لردِّ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وتعطيل كلامِه وصفاتِه المُقدَّسَةِ بهذه الأُغلوطاتِ التي لو ظهرت علىٰ عهدِ رسول الله ﷺ وأصحابه ما كان سبيلُ مَن يُظهِرُها بينهم إلَّا كسبيلِ أهل الرِّدَّةِ).

- وقال في «النقض» (٣٩١): وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قالوا له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجُّون بها علينا في ردِّ مذهبنا ممَّا لا يمكُن التكذيب بها ؟

فقال المَريسي: لا تردُّوه فتفتضحوا؛ **ولكن غالطوهم بالتأويل**، فتكونوا قد رددتموها بلُطفٍ إذ لم يُمكنكم ردُّها بعُنفٍ. اهـ

ونقل قول المريسي (١٣٨): (ما شيءٌ أنقضَ لدعوانا مِن القرآنِ، غيرَ أنه لا سبيلَ إلىٰ دفعِهِ إلَّا مُكابرةً بالتأويلِ).

ولقد اجتهدت في مُقارنة تأويلات الأشعرية والماتُريدية بما ينقله الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن تأويلات المريسي حتىٰ تقف علىٰ اتحاد هذه المذاهب في حقيقتها وإن اختلفت مُسمَّيات أصحابها.

وإنك لتعجب أن يهتدي لهذه الحقيقة ذاك الخُرافي القبوري أحمد بن الصديق الغُماري ويضلّ عنها مِن يدَّعي موافقة السلف في عقائدهم وأحكامهم علىٰ المُخالفين، فها هو يقول بعد وصيَّته بقراءة كتاب «النقض» للدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب التوحيد لابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهما: (فإذا قرأت هذه الكُتب؛ حُزت المُبتغىٰ في عقائد السلف، وعرَفتَ جزمًا أن مُرادهم بالمبتدعة والمُعطِّلة: **هم الأشعرية**، وأنهم شرٌّ ابتداعًا مِن المُعتزلة، وأنهم كاذبون في دعواهم أنهم أهل السنة والجماعة، أو علىٰ الأقل غالِطون في ذلك ولا بُدَّ). اهـ [تقدم نقل تمام كلامه في المقدمة].

وقد جلّىٰ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر فبيَّن أن تأويلات الأشعرية هي بعينها تأويلات بشر المريسي إمام الجهمية، وأنهم ورثوها عنه، فقال في «الفتوىٰ الحموية الكُبرىٰ» (ص ١٢١-١٢٣):

وهذه التأويلاتُ الموجودةُ اليومَ بأيدي الناسِ مثلُ أكثرِ التأويلاتِ التي ذكرها أبو بكر ابن فُورَك في كتابِ «التأويلاتِ»، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عُمرَ الرازيُّ في كتابه الذي سمَّاه: «تأسيس التقديس».

ويُوجدُ كثيرٌ منها في كلامِ خلقٍ كثيرٍ غيرِ هؤلاءِ، مثلَ: أبي عليٍّ الجُبَّائي، وعبدِ الجبار بن أحمد الهمَذاني، وأبي الحُسينِ البصري، وأبي الوفاءِ ابن عقيل، وأبي حامدٍ الغزاليِّ وغيرهم، مثلُ كثيرٍ مِمَّن صنَّفَ في تفسير القرآنِ

وشرحِ الحديث وهي بعينِها **تأويلاتُ بِشرٍ المَرِيسيِّ التي ذكرها في كتابه**، وإن كان قد يُوجدُ في كلامِ بعضِ هؤلاءِ ردُّ التأويلِ وإبطالُه أيضًا، ولهم كلامٌ حسنٌ في أشياء.

وإنما بيَّنتُ أن عينَ تأويلاتِهم هي عينُ تأويلاتِ بِشر المَريسيِّ.

ويدلُّ علىٰ ذلك كتابُ «الرَّدِّ» الذي صَنَّفَه عثمانُ بن سعيد الدَّارميُّ أحدُ الأئمَّةِ المشاهير في زمانِ البخاريِّ، صَنَّفَ كتابًا سمَّاه: «رَدُّ عثمان بن سعيدٍ علىٰ الكاذبِ العنيدِ فيما افترىٰ علىٰ اللهِ في التوحيد»، حَكىٰ فيه هذه التأويلاتِ بعينِها عن بشرٍ المَريسي بكلامٍ يقتضي أن المَريسيَّ أقْعدُ بها، وأعلمُ بالمنقولِ والمعقولِ مِن هؤلاء المُتأخِّرين الذين اتَّصلت إليهم مِن جهتِه وجهةِ غيرِه، ثم ردَّ ذلك عثمانُ بن سعيدٍ بكلامٍ إذا طالعَه العاقِلُ الذَّكيُّ عَلِمَ حقيقةَ مَا كان عليه السَّلفُ، وتَبيَّنَ له ظُهورُ الحُجَّة لطريقِهم، وضَعفُ حُجَّة مَن خالَفَهم.

ثم إذا رَأىٰ الأئمَّةَ - أئمَّةَ الهُدىٰ - قد أجمعوا علىٰ ذمِّ المَرِيسيَّة، وأكثرُهم كفَّرُوهم، أو ضَلَّلوهم، وعَلِمَ أن هذا القولَ **السَّاريَ في هؤلاءِ المُتأخِّرينَ هو مذهبُ الجهمية كالمَريسيَّةِ**، تَبيَّن له الهُدىٰ لِمن يُريد اللهُ هِدايتَه، ولا حَولَ ولا قُوَّة إلَّا بالله. اهـ

- وقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٩٠) وهو يتكلم عن أحاديث الرؤية: (وسائر ما في هذا المعنىٰ من الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة، مع ورودها علىٰ سؤال السائل وجوابه بهذا التصريح هو مِن أبلغ ما يكون في إثبات هذه الرؤية، وأبعد عن التشابه كما يَظنُّه الرازي وغيره ممَّن يُحرِّف الرؤية عن حقيقتها اتِّباعًا للمريسيِّ وغيره مِن الجهمية، وإن كان

الرازي في الظاهرِ مُقرًّا بالرُّؤيةِ؛ فإن إقراره بها كإقرارِ المريسي وذويه بألفاظها، ثم يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه).

- وقال (٧/ ١٥٤): (أوّل مَن بلغنا أنه توسَّع في هذه التأويلات هو بشر المريسي، وإن كان قبله وفي زَمَنِهِ له شُركاء في بعضها، وتلقّىٰ ذلك عنهم طائفة مِن الجهمية المُعتزلة وغيرهم). اهـ

- وقال أيضًا (٧/ ١٥٥): (وابن فُورَك جمع في كتابه مِن تأويلات بشر المَريسي ومَن بعده ما يُناسب كتابه). اهـ

- وقال في «جواب الاعتراضات المصرية» (ص١٠٨): فالمؤوِّل بما يُخالف الظاهر مع أنه مُبتدع لهذه التأويلات، فهي بدعة مُخالفة لإجماع السلف، لا بدعة مسكوتٌ عنها ... وبِشر المريسي ونحوه، فهؤلاء الذين ابتدعوا هذه التأويلات. اهـ

- وقال في «التسعينية» (٣/ ٧٤٧): إن قوله [أي: الباقلاني]: والربُّ واحد ومتَّصفٌ بالوحدانية، ومُتقدِّسٌ عن التجزيء والتبعيض.

وقول ابن فورك: لأن الرب مُتكلِّمٌ واحد. ونحو ذلك مِن أقوالهم التي يصفون فيها الربّ بأنه واحدٌ، ويشعرون الناس أنهم بذلك مُوحِّدون، وأن مَن خالفهم في ذلك فقد خالفهم في التوحيد، هي من أعظم أصول أهل الشرك والإلحاد والتي أفسدوا بها التوحيد الذي بعثَ الله به رسله، وأنزل به كتبه .. إلخ.

- وقال (٣/ ٧٨٨): وهذا التوحيد الذي يذكره هؤلاء مأخوذ مِن قول

بشر المريسي وذويه، وهذا التوحيد الذي ذكروه هو التعطيل بعينه، فإنه لا يصلح إلَّا أن يكون صفة للمعدوم. اهـ

- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب كما في «الدرر السُّنية» (٣/ ٢٢٣): أمَّا قول الأشاعرة في نفي علوِّ الله تعالىٰ علىٰ عرشه فهو قول الجهمية سواء بسواء، وذلك يَرده ويبطله نصوص الكتاب والسنة ... وقول هؤلاء الأشاعرة: إنه مِن الجهات الستّ خالٍ، قد وصفوه بما يوصف به المعدوم، وهو قد وصف نفسه بصفات الموجود، القائم علىٰ كل نفسٍ بما كسبت، وفي الأحاديث من أدلَّة العلوِّ ما لا يكاد يُحصر إلَّا بكلفة .. و«جوهرة السنوسي»، ذكر فيها مذهب الأشاعرة، وأكثره مذهب الجهمية المُعطِّلة، لكنهم تصرَّفوا فيه تَصرُّفًا لم يُخرجهم عن كونهم جهمية.

ومذهبهم: أن القرآن عِبارة عن كلام الله، لا أنه كلامه تكلَّم به، وخالفوا الكتاب والسُّنة. اهـ

- وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ١٧٦ - ١٧٧): اعلم أن أكثر أهل الأمصار اليوم أشعرية، ومذهبهم في صفات الرَّبِّ سُبحانه وتعالىٰ موافقٌ لبعض ما عليه المُعتزلة الجهمية.

فهم يُثبتون بعض الصِّفات دون بعض؛ فيثبتون الحياة، والعلم، والقُدرة، والإرادة، والسَّمع، والبصر، والكلام، وينفون ما سوىٰ هذه الصِّفات بالتأويل الباطل، مع أنهم وإن أثبتوا صِفة الكلام موافقة لأهل السُّنة، فهم في الحقيقة نافون لها؛ لأن الكلام عندهم هو المعنىٰ فقط.

ويقولون: حروف القرآن مخلوقة، لم يتكلّم الله بحرفٍ ولا صوتٍ.

فقالت لهم الجهمية: هذا هو نفس قولنا: إنَّ كلام الله مخلوق؛ لأن المُراد الحروف لا المعنىٰ.

ومذهب السَّلف قاطبة: أن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالىٰ تكلَّم بالقرآن حروفه ومعانيه، وأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يتكلَّم بصوتٍ يُسمعه من يشاء.

والأشعرية لا يُثبتون علوَّ الربّ فوق سمواته، واستواءه علىٰ عرشه، ويسمُّون مَن أثبت صفة العلوِّ والاستواء علىٰ العرشِ: (مُجسِّمًا مُشبِّهًا).

وهذا خلاف ما عليه أهل السُّنة والجماعة؛ فإنهم يثبتون صفة العلو والاستواء، كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ بذلك عن نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ مِن غير تكييف ولا تعطيل، وصرَّح كثيرٌ من السَّلف بكفر مَن لم يُثبت صفة العلو والاستواء.

والأشاعرة وافقوا الجهمية في نفي هذه الصفة؛ لكن الجهمية يقولون: إنه سبحانه وتعالىٰ في كلِّ مكانٍ، ويُسَمَّوْن (الحلولية).

والأشعرية يقولون: كان ولا مكان، فهو علىٰ ما كان قبل أن يخلق المكان.

والأشعرية يوافقون أهل السُّنة في رُؤية المؤمنين ربَّهم في الجنة، ثم يقولون: إن معنىٰ الرُّؤية: (إنَّما هو زيادة عِلمٍ يخلقه الله في قلبِ النَّاظر ببصره لا رؤية بالبصر حقيقة عيانًا).

فهم بذلك نافون للرُّؤية التي دلّ عليها القرآن، وتواترت بها الأحاديث عن النبي ﷺ.

ومذهب الأشاعرة: أن الإيمان مُجرَّد التَّصديق، ولا يُدخلون فيه أعمال الجوارح، قالوا: وإن سُمِّيَت الأعمال في الأحاديث إيمانًا فعلىٰ المجاز لا علىٰ الحقيقة.

ومذهب أهل السُّنة والجماعة: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وقد كفّر جماعة من العلماء من أخرج العمل عن الإيمان.

فإذا تحقَّقتَ ما ذكرنا عن مذهب الأشاعرةِ من نفي صفات الله سبحانه وتعالىٰ غير السَّبع التي ذكرنا، ويقولون: إنَّ الله لم يتكلم بحرفٍ ولا صوت، وأن حروف القرآن مخلوقة، ويزعمون أن كلام الرَّبّ سبحانه وتعالىٰ معنىٰ واحد، وأن نفس القرآن هو نفس التوراة والإنجيل؛ لكن إن عُبِّر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية فهو إنجيل، ولا يثبتون رؤية أهل الجنة ربهم بأبصارهم، إذا عرفت ذلك عرفتَ جهل مَن جعل الأشعرية مِن أهل السُّنة كما ذكره السَّفاريني في بعض كلامه. اهـ

- وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمَاللَّهُ في «عيون الرسائل والأجوبة علىٰ المسائل» (١/ ٣٧٢): فيمن آمن بلفظِ (الاستواء) الوارد في كتابِ اللهِ؛ لكن نازع في المعنىٰ، وزعم أنه (الاستيلاء): فهو جهميٌّ، مُعطلٌ، ضالٌّ، مُخالفٌ لنُصوص الكتابِ والسُّنة

وإجماع سلف الأُمّة، وهذا القول هو المعروف عند السَّلفِ عن جهمٍ، وشيعته الجهمية، فإنهم لم يصرِّحوا بردِّ لفظِ القُرآنِ: كالاستواء، وغيرِهِ من الصِّفات، وإنما خالفوا السّلف في المعنىٰ المُراد. اهـ

وقال: (ولبشر المريسي وأمثاله من الشبه والكلام من نفي الصفات ما هو من جنس هذا المذكور من الجهمية المُتأخرين، بل كلامه أخف إلحادًا مِن بعض هؤلاء الضُّلال، ومع ذلك فأهل العلم مُتفقون علىٰ تكفيره. اهـ. [«إجماع أهل السنة علىٰ تكفير المُعطِّلة» (ص٤١)]

الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرد على المُفوِّضة

كان جلُّ كلامِ الإمام الدارميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه ردًّا على مؤوِّلة الجهمية المُعطِّلة الذين لا يُثبتون حقيقة صفات الله تعالىٰ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء في كلامه أيضًا في كثيرٍ مِن المواطنِ علىٰ الردّ الصريح علىٰ المُفوِّضة «أهل التَّجهيل الذين يقولون: نُصوص الصِّفات ألفاظ لا تُعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ منها؛ ولكن نقرأها ألفاظًا لا معانيَ لها، ونعلم أن لها تأويلًا لا يعلمه إلَّا الله، وهي عندنا بمنزلة: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم]، و ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى]، فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تَمثيلًا، ولا تشبيهًا، ولم نعرف معناه، ونُنكر علىٰ مَن تأوَّله، ونكِل عِلمه إلىٰ الله».

ففي ثنايا نقض الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الجهمية المُعطِّلة ردودٌ صريحة علىٰ مذهب أهل التجهيل والتفويض، وبيانٌ واضحٌ منه علىٰ أن نصوص الصفات تُحمل علىٰ ما هو معروف مِن لسان العرب ولغاتهم التي خاطبنا الله تعالىٰ بها. ومِن ذلك:

١ - قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (١٠٨): فقال قائلٌ منهم: معنىٰ إتيانِه في ظُللٍ مِن الغمامِ، ومَجيئِه والمَلَكُ صفًّا صفًّا؛ كمعنىٰ كذا وكذا.

قلتُ: هذا التكذيبُ بالآيةِ صُراحًا، تلك معناها بَيِّنٌ للأُمَّةِ، لا اختلافَ

بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهومِ المعقولِ عند جميعِ المُسلمين). اهـ

٢- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٨٦): فإذا ادَّعيتَ أن اليدَ عُرِفت في كلامِ العربِ أنها: (نِعمةٌ)، و(قوَّةٌ)، قُلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرِها منك أجهلَ، غيرَ أن تفسيرَ ذلك يَستبينُ في سياقِ كلام المُتكلِّمِ حتىٰ لا يُحتاجُ له مِن مِثلِكَ إلىٰ تفسيرٍ ... ولا يجوزُ لك أيُّها المريسيُّ أن تنفي اليدَ التي هي اليدُ لِمَا أنه وُجِدَ في فرطِ كلامِ العربِ: أن اليدَ قد تكون نِعمةً وقوَّةً، ولكن هذا في سياقِ الكلام معقولٌ، وذلك في سياق الكلامِ معقولٌ، فلمَّا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] استحالَ فيهما كل معنًىٰ إلَّا اليدين، كما قال العلماءُ الذين حكينا عنهم). اهـ

٣- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٠٦): وقد روينا آياتِ السمعِ والبصرِ والعينِ في صدرِ هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسولِ اللهِ ﷺ، فنقولُ كما قال، ونعني بها كما عنَىٰ، والتكييفُ عنَّا مرفوعٌ، وذِكرُ (الجوارحِ والأعضاءِ) تَكلُّفٌ منك وتَشنيعٌ. اهـ

٤- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨٩): وادَّعىٰ المريسي أيضًا في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج]، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران]: أنه يَسمعُ الأصواتَ، ويعرفُ الألوانَ، بلا سمعٍ ولا بصرٍ.

وأنَّ قوله: ﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، يعني: عالمٌ بهم، لا أنه يُبصرهم ببصرٍ، ولا ينظرُ إليهم بعينٍ، فقد يقال لأعمىٰ: ما أبصرَه، أي: ما أعلمَه، وإن كان لا يُبصرُ بعينٍ.

فيُقالُ لهذا المريسيِّ الضالِّ: الحِمارُ، والكلبُ، أحسنُ حالًا مِن إلـهٍ علىٰ هذه الصفةِ؛ لأن الحمارَ يسمعُ الأصواتَ بسمعٍ، ويرىٰ الألوانَ بعينٍ، وإلهُكَ بزعمكَ: أعمىٰ أصمُّ، لا يسمعُ بسمعٍ، ولا يُبصرُ ببصرٍ، ولكن يُدرِكُ الصوتَ كما يُدرِكُ الحِيطانُ والجِبالُ التي ليسَ لها أسماعٌ، ويرىٰ الألوان بالمُشاهدةِ، لا يُبصرُ في دعواك.

فقد جمعتَ أيُّها المَريسيُّ في دعواكَ هذه جَهلًا وكُفرًا.

أمَّا (الكُفرُ): فتشبيهُك اللهَ تعالىٰ بالأعمىٰ الذي لا يُبصرُ ولا يرىٰ.

وأمَّا (الجَهلُ): فمعرفةُ الناسِ بأنه لا يستقيمُ في كلامِ العربِ أن يُقالَ لشيءٍ: هو سَميعٌ بصيرٌ، إلَّا وذلك الشيءُ موصوفٌ بالسمعِ والبصرِ، مِن ذوي الأعينِ والأسماعِ والأبصارِ، والأعمىٰ مِن ذوي الأَعيُنِ، وإن كان قد حُجِبَ.

فإن كنتَ تُنكِرُ ما قلنا، فسَمِّ شيئًا مِن الأشياءِ التي ليست لها أسماعٌ وأبصارٌ، هل يجوزُ أن يُقالَ: هو سميعٌ بصيرٌ ؟ ونحن نقولُ: اللهُ سميعٌ بصيرٌ.

ثم نفيتَ عنه السمعَ والبصرَ اللذينِ هما السمعُ والبصرُ، ونفيتَ عنه العينَ، وكما يستحيلُ هذا في الأشياءِ التي ليست لها أسماعٌ وأبصارٌ؛ فهو في اللهِ السميعِ البصيرِ أشدُّ استحالةً. اهـ

٥- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١٤): وأمَّا تكريرُكَ وتَهويلُك علينا بـ(الأعضاءِ) و(الجوارحِ)، وهذا ما يقوله مُسلمٌ، غير أنَّا نقولُ كما قال الله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن]، أنه عنىٰ به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين لا الأعمالَ الصالحةَ، ولا القِبلةَ، ولا ما حكيتَ مِن الخُرافاتِ كاللاعب بوجه الله عَزَّوَجَلَّ. اهـ

فهذا كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صريح في أن لنصوص الصفات معنًى تحمل عليه وهو معناها باللسان العربي الذي خاطبنا الله عَزَّوَجَلَّ به، وهو كقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الاستواء معلوم)، وهذا مذهب سلف الأُمَّة عمومًا لا كما يدَّعيه المُعطلة مِن أن تفويض معاني نصوص الصفات هو مذهب السلف، فهذا مِن الكَذِبِ عليهم.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (١/ ٢٠٤): (فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم مِن هذه النُّصوص، ولا الملائكة، ولا السَّابِقون الأوَّلون، وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثيرٌ ممَّا وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه ... ومعلوم أنَّ هذا قدحٌ في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنّه جعله هُدًى وبيانًا للنّاسِ، وأمرَ الرسول ﷺ أن يُبلِّغ البلاغ المُبين ... وأمر بتدبُّرِ القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرَّبّ عن صفاته، أو عن كونه خَالقًا لكُلّ شيءٍ، وهو بكلّ شيءٍ عليم، أو عن كونه أَمَرَ ونَهَىٰ، ووَعَد وتَوعَّد .. - لا يعلم أحد معناه، فلا يُعقَلُ ولا يُتدبَّر، ولا يكون الرسول ﷺ بَيَّنَ للناسِ ما نُزل إليهم، ولا بلَّغ البلاغ المُبين.

فتَبيَّن أن قول أهل التَّفويض الذين يزعمون أنَّهم مُتَّبعون للسُّنة والسَّلف مِن شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد). اهـ

أهمية تحقيق ونشر هذه الكتب في هذه الأزمان

إذا تقرَّر ما تقدَّم مِن أن التأويلات التي بين أيدي الناس اليوم في كتب التفاسير وشروح الأحاديث هي بعينها تأويلات الجهمية الأوائل الذين صنَّف الأئمَّة كتب السنة والردود للنقض عليهم؛ فلا عِبرة باعتراض بعض الجهلة مِن المُعاصرين علىٰ تحقيق ونشر كتبِ ردود أئمَّة السنة المُتقدِّمين في أبواب السنة والاعتقاد؛ لأن عقائد المبتدعة وإن اختلفت مُسمَّياتها وأزمانها ترجع إلىٰ أصول واحدة في التجهُّم والاعتزال.

فالإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرن الثالث صَنَّفَ كتاب «خلق أفعال العباد» للردِّ علىٰ مَن قال بخلق القرآن، والردِّ علىٰ اللفظية، ومع ذلك اشمأز الأشعرية في القرن الثامن مِن إقراء المِزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له بعد حادثة مُناظرة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأشعرية، ففي «الدرر الكامنة» (٦/ ٢٣٠) في ترجمة الحافظ المِزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه أوذي مَرَّة في سَنَة (٧٠٥هـ) بسببِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه لَمَّا وقعت المُناظرة له مع الشافعية [يعني: الأشاعرة]، وبحثَ مع الصفيّ الهندي، ثم ابن الزملكاني بالقصرِ الأبلق، شرعَ المِزي يقرأ كتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه فصلٌ في الردِّ علىٰ الجهمية، فغَضِبَ بعض الأشعرية، وقالوا: نحن المقصودون بهذا.

فبلغ ذلك القاضي الشافعيَّ يومئذٍ، فأمرَ بسجنه، فتوجَّه ابنُ تيمية وأخرجه مِن السجن، فغَضِبَ النائب، فأُعيدَ، ثم أُفرجَ عنه، وأمر النائب - وهو الأفرم - بأن يُنادىٰ بأن مَن يتكلم في العقائد يُقتل.

وهذا أبو إسماعيل الهروي وموقفه مع الأشاعرة معروف في الشِّدَّة والغلظة، ولما زارَ الوزير للسلامِ عليه، أرادَ خصومه أن يُوقِعوا بينه وبين الوزير، فسألوه في مجلسِ الوزير عن جهرِه بلعنِ الأشعري، وإنكاره عليه وعلىٰ أتباعه، فأجاب الهروي بما ذكره ابن طاهر المقدسي، حيث قال: سمعتُ أحمد بن أَميرجَه القلانسي - خادم الأنصاري - يقول: حضرت مع الشيخ للسَّلام علىٰ الوزير أبي علي الطُّوسي، وكان أصحابه كلَّفوه بالخروج إليه، وذلك بعد المِحنة، ورجوعِه مِن بَلْخَ، فلمَّا دخل عليه أكرمه وبَجَّلَه، وكان في العسكرِ أئمَّةٌ مِن الفريقين في ذلك اليوم، وقد علموا أنه يحضرُ، فاتَّفقوا جميعًا علىٰ أن يسألوه عن مسألةٍ بين يدي الوزير، فإن أجاب بما يُجيب به بهَراةَ سقط مِن عين الوزير، وإن لم يُجب سقط مِن عيونِ أصحابه، وأهل مذهبه.

فلمَّا دخلَ واستقرَّ به المجلسُ، انتدب له رجلٌ من أصحاب الشافعي [يعني: أنه أشعري]، يُعرفُ بالعلوي الدَّبُوسي، فقال: يأذنُ الشيخُ الإمام في أن أسأل مسألة ؟ فقال: سَلْ.

فقال: لم تَلعَنُ أبا الحسن الأشعري ؟! فسكتَ، وأطرق الوزير لِمَا عَلِمَ مِن جوابه. فلمَّا كان بعد ساعةٍ، قال له الوزير: أجبه.

فقال: لا أعرفُ الأشعريَّ ! وإنما ألعنُ مَن لم يعتقد أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ في

السماء، وأن القرآن في المُصحف، وأن النبيَّ ﷺ اليوم نبيٌّ. ثم قام وانصرف، فلم يُمَكِّن أحدٌ أن يتكلَّمَ بكلمةٍ مِن هيبته وصلابته وصولته.

فقال الوزير للسائل ومَن معه: هذا أردتم ؟! كنا نسمع أنه يذكر هذا بَهراة، فاجتهدتم حتىٰ سمعناه بآذاننا، ما عسىٰ أن أفعل به ؟! [«ذيل الطبقات» (١/ ١٢٤ - ١٢٥)]

وهذا أيضًا الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُناقش المعارض في مسألة القرآن وأنه كلام الله تعالىٰ غير مخلوق، ويُبيِّن أن قول شيخه المريسي وقول المُشرك الجاهلي الوليد بن المغيرة واحد، وإن اختلفت الألفاظ، فالعِبرة بالحقائق التي صاروا عليها، فيقول:

(اتَّفق القولُ مِن إمامِكَ المريسيِّ مع الوليدِ بن المغيرةِ المُشرِكِ المَخزوميِّ أن قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [المدثر].

وكذا الذي قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [ص].

فزعمَ إمامُكَ أنه (مجعولٌ)، وزعمتَ أنت أنه (مفعولٌ)،

فاتَّفقتِ المعاني، واختلفتِ الألفاظ منكُما جميعًا، ولئن كان أهلُ الجهلِ مِن مُرادِكم في شكٍّ؛ إنَّ أهلَ العلمِ منكم لعلىٰ يقينٍ). اهـ

فالمقصود أن كثيرًا مِن العقائد التي حَذَّر منها السلف الصالح وصنَّفوا في الردِّ عليها لا تزال إلىٰ يومنا هذا سارية في أهل الأهواء والفرق يدرسونها ويُدرِّسونها وينشرونها ويُصنِّفون في تقريرها الكتب والمُصنَّفات وإن تَغيرت مُسميَّات تلك الفِرق، فالعِبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

- قال الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «هداية الطريق» (ص١٦٩):

(..واعلم - أرشدك الله - أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصلَ إلينا شيءٌ مِن المُصنَّفات في (التفسيرِ)، أو (شرح الحديثِ) اختبرناه، واعتبرنا مُعتقده في العلوِّ، والصِّفاتِ، والأفعالِ، فوجدنا الغالب علىٰ كثيرٍ مِن المُتأخِّرين أو أكثرهم، مذهب الأشاعرة الذي حاصله: نفي العلوِّ، وتأويل الآيات في هذا الباب **بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي**، وأضرابه مِن أهل البدعِ والضلالِ، ومَن نظر في شروحِ البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها، وأمَّا ما صُنِّف في الأصولِ والعقائدِ فالأمرُ فيه ظاهرٌ لذوي الألباب.

فمَن رَزَقه اللهُ بصيرةً ونُورًا، وأمعن النظرَ فيما قالوه، وعرضه علىٰ ما جَاء عن الله ورسوله ﷺ، وما عليه أهل السُّنة المحضة، تبيَّنَ له المُنافاة بينهما، وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار). اهـ

الكتاب الأول
الرد على الجهمية

مقدمة كتاب «الرد على الجهمية»

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد،

فهذا (الكتاب الأول) للإمام عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صَنَّفه ليردَّ به علىٰ عمومِ الجهمية المُعطِّلة، ويذكرَ فيه قواعدَ وضوابطَ عامَّةً مُهمَّة في معاملةِ الجهمية، وسمَّاه «الرد علىٰ الجهمية».

وقد صنَّفَ هذا الكتاب قبل كتابه «النقض علىٰ المريسي»، فكثيرًا ما كان يُحيلُ عليه في «نقضه»، ومِن ذلك قوله: (وقد فسَّرنا أمرَ الرُّؤية، ورَوينا ما جاءَ فيها مِن الآثارِ في الكتابِ الأوَّل، الذي أمليناه في الجهميةِ).

وقال: (وقد رَوينا فيه بابًا كبيرًا في الكتابِ الأوَّل بأسانيدها).

وجعلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه هذا علىٰ أبوابٍ، وهي علىٰ النحو التالي:

١- باب الإيمان بالعرش.

٢- باب استواء الرب تبارك وتعالىٰ علىٰ العرش وارتفاعه إلىٰ السماء، وبينونته من الخلق.

٣- باب الاحتجاب.

٤- باب النزول.

٥- باب النزول ليلة النصف مِن شعبان.

٦- باب النزول يوم عرفة.

٧- باب نزول الرب تبارك وتعالىٰ يوم القيامة للحساب.

٨- باب نزول الله لأهل الجنة.

٩- باب الرُّؤية.

١٠- باب ذكر عِلمِ الله تبارك وتعالىٰ.

١١- باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالىٰ.

١٢- باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق.

١٣- باب الاحتجاج علىٰ الواقفة.

١٤- باب الاحتجاج في إكفار الجهمية.

١٥- باب قتل الزنادقة والجهمية، واستتابتهم من كفرهم.

وأورد تحتَ كلِّ بابٍ طائفة مِن نصوصِ الكتاب، والسُّنة، وآثار السلف الصالح، ومَن أدركهم مِن أئمَّة السُّنة، ورُبَّما استشهدَ ببعض الأخبار المروية عن بني إسرائيل ممَّا أَذِنَ النبيُّ ﷺ في التحديث به.

وقد ردَّ في كتابه هذا علىٰ الجهمية بردودٍ عامَّة دون أن يُسمِّيَ منهم أحدًا بعينه، ومادته كانت حصيلةَ تجاربه معهم في المُناظرة والردِّ، ولهذا كانت عِباراته فيها عامَّة، كقوله: (فقال لي زَعيمٌ منهم كبيرٌ ...).

وقوله: (فسمعتُ مُحتجًّا يَحتجُّ عنهم ..).

وقوله: (وقد كلَّمتُ بعضَ أولئك المُعطِّلةِ وحدَّثته ببعضِ هذه الأحاديث).

وبَيَّن رَحِمَهُٱللَّهُ سبب خوضه في هذا البابِ مِن أبوابِ الدين مع نقله عن أئمَّة السُّنة نهيهم عن الخوض والجِدال فيه، وهو ما أظهرته الجهمية مِن التلبيس والتدليس والضلال الموصل إلىٰ الكفر والزندقة في عقائد الناس، فلم يجد بُدًّا مِن الردِّ عليهم، وكشف شبههم وتلبيسهم.

فقال رَحِمَهُٱللَّهُ: (... فحين رأينا ذلك منهم، وفطنَّا لمذهبِهم، وما يقصدون إليه مِن الكُفرِ، وإبطالِ الكُتُبِ والرُّسُلِ، ونفي الكلامِ والعلمِ والأمرِ عن اللهِ تعالىٰ، رأينا أن نُبيِّنَ مِن مذاهبِهم رُسومًا مِن الكتابِ والسُّنةِ، وكلامِ العُلماءِ، ما يَستدلُّ به أهلُ الغفلةِ مِن الناسِ علىٰ سُوءِ مذهبِهم، فيَحذَرُوهم علىٰ أنفسِهم، وعلىٰ أولادِهم وأهليهم، ويجتهِدُوا في الردِّ عليهم، مُحتسبين مُنافحين عن دينِ اللهِ تعالىٰ، طالبين به ما عند الله، وقد كان مَن مضىٰ مِن السلفِ يكرهون الخوضَ في هذا وما أَشْبَهَه، وقد كانوا رُزِقوا العافيةَ منهم، وابتُلينا بهم عند دُرُوسِ الإسلامِ، وذهابِ العلماءِ، فلم نَجِد بُدًّا مِن أن نَرُدَّ ما أتوا به مِن الباطل بالحقِّ). اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «التسعينية» (٣/ ٩٣٨): إن الذي أوجب لهم جمع هذه الأحاديث وتبويبها: ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها، وتعطيل صفات الربِّ المُستلزمة لتعطيل ذاته، وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسانٍ، وما صنَّفوه في ذلك مِن الكتب، وبوَّبوه أبوابًا مبتدعة، يردون بها ما أنزله الله علىٰ رسوله، ويخالفون بها صرائح المعقول، وصحائح المنقول، وقد أوجب الله تعالىٰ تبليغ ما بعث به رسله، وأمر ببيان

العلم، وذلك يكون بالمُخاطبة تارة، وبالمُكاتبة أُخرىٰ، فإذا كان المبتدعون قد وضعوا الإلحاد في كتب، فإن لم يُكْتَب العلم الذي بعث الله به رسوله في كتبٍ لم يظهر إلحاد ذلك، ولم يحصل تمام البيان والتبليغ، ولم يَعلَم كثيرٌ مِن الناس ما بعث اللهُ به رسولَه مِن العلمِ والإيمان المُخالف لأقوال المُلحدين المُحرِّفين، وكان جمعَ ما ذكرَه النبيُّ ﷺ وأخبرَ به عن رَبِّه أهم مِن جمع غيره. اهـ

واعلم أن هذا الكتاب لا يزال شجًىٰ في حلوق المُعطِّلة في كل مكانٍ وزمانٍ، يغتاظون منه، ويُصيبهم ما يُصيبهم مِن الغضبِ والغلّ عند سماعه، كما ذكر أصحاب تراجم الشافعية أن إبراهيم بن الملكاوي، الشيخ الفقيه الفرضِيّ الشافعي الدمشقي المتوفىٰ سنة (٨٠٤هـ) أُوذي بسبب إظهار قراءة كتاب «الرد علىٰ الجهمية» علىٰ ابن الشرايحي، فقام عليه الزين الكفيري وشكاه إلىٰ الباذلي، وأهانه، وأراد ضربه، وكشف رأسه، ثم شُفِعَ فيه، وحُبِسَ ابن الشرايحي.

وهذا دليل بيّنٌ علىٰ وقوع وشائج القُربىٰ في العقيدة بين هؤلاء المُتأخِّرين وأولئك المُتقدِّمين ولو اختلفت المُسميَّات.

والله المُستعان ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

وقد تَقدَّم في مُقدِّمة الكتابين منهجه في الاستدلال بالأخبار والرويات وأقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين.

أسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا إلىٰ سُلوك طريق أهل الحديث والأثر، وأن يجنبنا الأهواء والبدع، وأن يُثبِّتنا علىٰ الإسلام والسُّنة حتىٰ نلقاه، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

* صِحَّة نسبة الكتاب لمؤلفه:

كتاب «الرد على الجهمية» للإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثابت النسبة له، لا يُغالط في ذلك إلَّا جاحد مُكابر، أو جاهل لا يُلتفت إلىٰ قوله.

فإن أغلب مَن ترجم له ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، ولا يزال أهل العلمِ وغيرهم يَنقلون منه، ويُحيلون عليه. ومِن ذلك:

١- ذكره ابن تيمية وابن القيم ونقلا منه في كثير من كتبهما.

٢- الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٧٤) وجلّ كتبه، وذكر إسناده إلىٰ الكتاب في ترجمة: (عبد الرزاق بن سهل بن محمد) (١١/ ٦١٣).

٣- ابن ناصر الدين في «توضيح المُشتبه» (١/ ٣٧٠)، وذكرإسناده إليه.

٤- الصفدي في «الوافي بالوفيات» (١٩/ ٣٢٠).

٥- ابن عساكر في «طبقات الشافعية» (٢/ ٣٠٤) إذ قال: وللدارمي كتاب في «الرد علىٰ الجهمية»، وكتاب في «الرد علىٰ بشر المريسي».

٦- ابن حجر العسقلاني في «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٢/ ١٤١)، وذكر إسناده إليه في كتاب «تجريد أسانيد الكتب المشهورة» (١/ ٥٤).

٧- السفاريني في «لوامع الأنوار» (١/ ٢١).

٨- السيوطي في «طبقات الحُفَّاظ» (١/ ٢٧٧)، و«الدر المنثور» (١/ ١٠٧)، و«تاريخ الخلفاء» (١/ ١٠١)، وغيرها.

وغيرهم كثير ممَّن روىٰ شيئًا مِن آثارِ وأخبار هذا الكتاب مِمَّن لا يُمكن حصرهم هاهنا.

*** النسخة المُعتمدة في التحقيق.**

اعتمدتُ في تحقيقي لهذا الكتاب علىٰ نُسخةٍ وحيدة، وهي من محفوظات مكتبة (كوبولي) برقم (٨٥٠).

وعدد لوحات المخطوط: (٣٤ لوحة).

وجهان في كلِّ لوحة.

وفي كل لوحة ما يُقارب (٢٥) سطرًا.

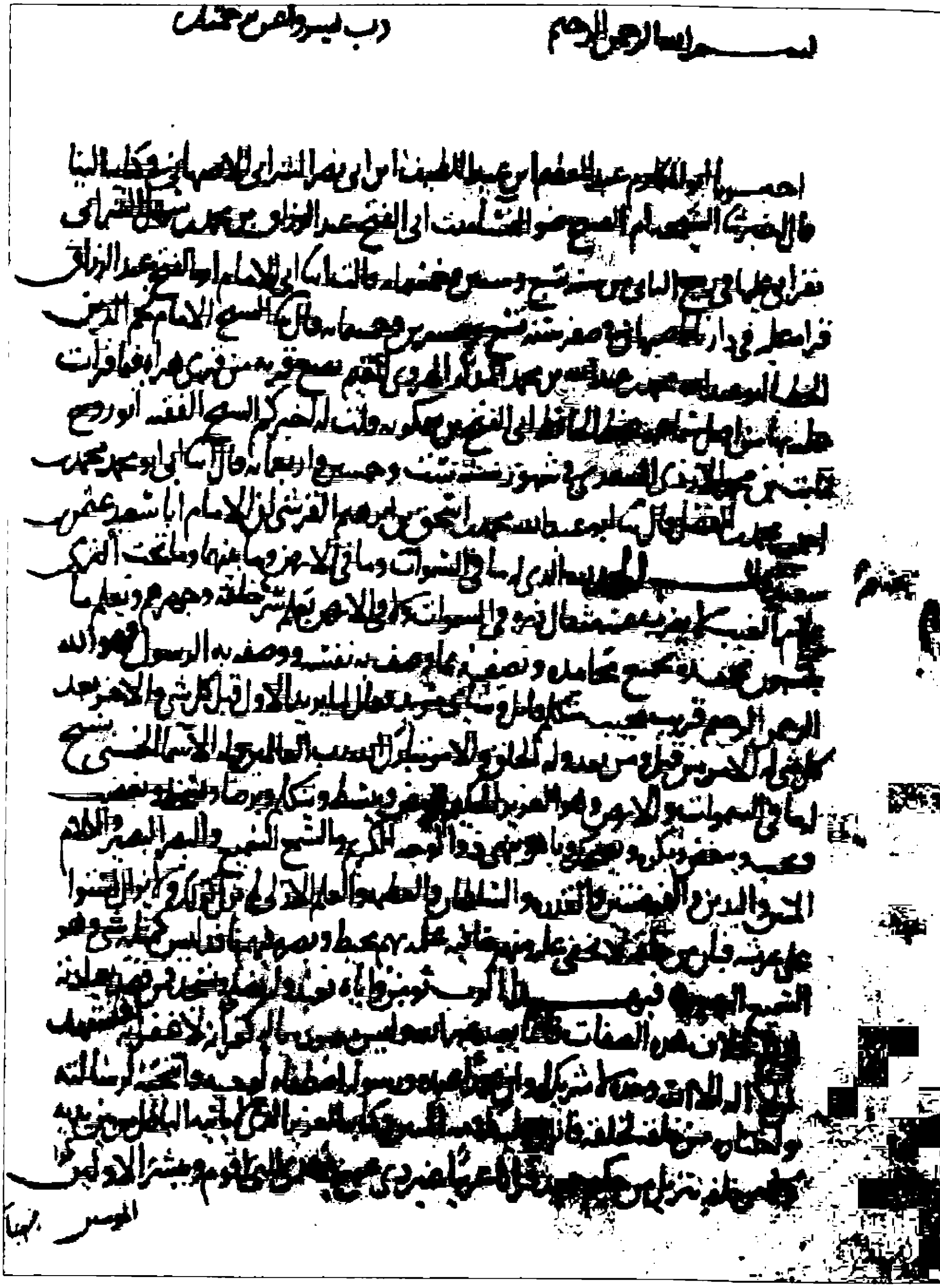
وقد نُسخت بخطٍّ جيدٍ واضح.

والمخطوط عليه سماعات، ومنها: سماعاتٌ لابن تيمية، والمزي، وابن المُحبّ، ويوسف بن عبد الهادي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وغيرهم.

كُتِبَ في آخرها:

(فرغ مِن نَسخه: (شهر رجب الفرد)، سنة: (خمس وثلاثين وسبعمائة)، بمدرسة الحافظ ضياء الدين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، بسفح قاسيون ظاهر دمشق، اللهم أحينا علىٰ السُّنة، وتوفّنا عليها. آمين).

صورة من أول المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الرد على الجهمية

مما صنفه الامام ابو سعيد عثمن بن سعيد الدارمي رحمه الله تعالى

رواية ابي عبد الله محمد بن اسحق بن ابرهيم القرشي عنه

رواية ابي محمد محمد بن احمد بن محمد بن الفضل الازدي السعدي عنه

رواية ابنه ابي روح ياسين بن محمد بن احمد الازدي عنه

رواية ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروي عنه

رواية ابي الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشرابي الاصبهاني عنه

رواية ابنته ام الصبح ضوء الشباب بنت عبد الرزاق عنه

رواية ابي المكارم عبد العظيم بن عبد اللطيف ابن ابي نصر الشرابي عنه

رواية ام محمد زينب بنت عمر بن كندي الكندية اجازة عنه

نص الكتاب المحقق

كتاب الرد على الجهمية

- رواية أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم القرشي عنه.

- رواية أبي محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل الأزدي السعدي عنه.

- رواية ابنه أبي روح ثابت بن محمد بن أحمد الأزدي السعدي عنه.

- رواية أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروي عنه.

- رواية أبي الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشرابي الأصبهاني عنه.

- رواية ابنته أم الصبح ضوء النساء بنت عبد الرزاق عنه.

- رواية أبي المكارم عبد العظيم بن عبد اللطيف بن أبي نصر الشرابي عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن برحمتك

أخبرنا أبو المكارم عبد العظيم بن عبد اللطيف بن أبي نصر الشرابي الأصبهاني في كتابه إلينا، قال: أخبرتنا الشيخةُ أمُّ الصبح ضوء النساء بنت أبي الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشرابي بقراءتي عليها في ربيع الثاني مِن سنةِ سبعٍ وستين وخمسمائة، قالت: أنبا أبي الإمام أبو الفتح عبد الرزاق قراءةً عليه في دارنا بأصبهان، في صفر سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة، قال: ثنا الشيخُ الإمام نجم الخُطباء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروي المُقيمُ بـ«صِيغ»[(١)] قريةٍ مِن قُرىٰ هَرَاة، فيما قرأت عليه بها من أصلِ سماعه بخطِّ الحافظ أبي الفتح بن سمكويه، قلتُ له: أخبركم الشيخ الفقيه أبو روح ثابت بن محمد الأزدي السعدي في شهور سنةِ ست وخمسين وأربعمائة، قال: أنبا أبي أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم القرشي، أن الإمام أبا سعيد عثمان بن سعيد حدثهم، قال:

١ - الحمدُ لله الذي له ما في السمواتِ، وما في الأرض، وما بينهما، وما

(١) في «معجم البلدان» (٣/ ٤٣٩): (صِيغُ): بالكسر، ثم السكون، وآخره غين مُعجمة، بلفظ ما لم يسمَّ فاعله من ماضي صاغ يصوغ، ناحية من نواحي خراسان. اهـ

تحتَ الثرىٰ، عالمِ الغيبِ لا يَعزُبُ عنه مِثقالُ ذرَّةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ، يَعلمُ سِرَّ خَلقِه وجهرَهم، ويَعلمُ ما يكسبون.

نَحمدُه بجميعِ مَحامدِه، ونَصِفُه بما وصَفَ به نفسَه، ووصفَه به الرسولُ، فهو اللهُ الرَّحمنُ الرَّحيمُ، قَريبٌ مُجيبٌ، مُتكلِّمٌ قائلٌ، وشاءٍ مُريدٌ(١)، فعَّالٌ لما يُريدُ، الأوَّلُ قبلَ كلِّ شيءٍ، والآخِرُ بعد كلِّ شيءٍ، له الأمرُ مِن قَبلُ ومِن بَعدُ، وله الخلقُ والأمرُ، تباركَ اللهُ ربُّ العالمين، وله الأسماءُ الحُسنىٰ، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

يَقبضُ ويَبسُطُ، ويَتكلَّمُ، ويَرضىٰ ويَسخطُ، ويَغضبُ ويُحِبُّ، ويُبغضُ ويكرَه ويَضحكُ، ويأمُرُ وينهىٰ، ذو الوجهِ الكريمِ، والسمعِ السميعِ، والبصرِ البصيرِ، والكلامِ المُبينِ، واليدينِ والقبضتين، والقُدرةِ والسُّلطانِ والعظمةِ، والعلمِ الأزلي، لم يزل كذلك ولا يزالُ، استوىٰ علىٰ عرشِهِ فبانَ مِن خلقِهِ(٢)، لا تَخفىٰ عليه منهم خافيةٌ، عِلمه بهم مُحيطٌ، وبَصرُه فيهم نافِذٌ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) هذا مِن بابِ الإخبار عنه تعالىٰ، وهو أوسع مِن بابِ الأسماءِ والصفات.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بدائع الفوائد» (١/ ٢٨٤): ما يدخل في بابِ الإخبارِ أوسع مما يدخل في بابِ أسمائِهِ وصفاتِهِ: كـ (الشَّيء)، و(الموجود)، و(القائم بنفسِهِ)؛ فإن هذا يُخبر به عنه، ولا يَدخل في أسمائِهِ الحُسنىٰ، ولا صفاته العُلىٰ.

وإذا أردت زيادة بيان فانظر: «الاحتجاج بالآثار السلفية علىٰ إثبات الصفات الإلهية» (المبحث الخامس: الإخبار عن الله تعالىٰ).

(٢) سيأتي التعليق علىٰ قوله: (بائنٌ من خلقه) تحت (فقرة/ ٤٣).

فبهذا الربِّ نؤمنُ، وإيَّاه نَعبدُ، وله نُصلي ونَسجدُ، فمَن قَصدَ بعبادتِه إلىٰ إلهٍ بخلافِ هذه الصِّفاتِ، فإنما يَعبدُ غيرَ اللهِ، وليس معبودُه بإلهٍ، كُفرانَه لا غُفرانَه(١).

---

(١) فالله سبحانه وتعالىٰ له صفات تليق بعظمته وجلاله وكبريائه، ولهذا أنكر خليل الله تعالىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ أبيه وقومه عبادة من ليس له صفات، قال الله تعالىٰ عنه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم].

وقال سبحانه مُنكرًا علىٰ قوم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف].

وسيأتي تعليق المُصنف علىٰ هذه الآيات تحت فقرة (١٩٠).

ولهذا كان السلف يقولون عن الجهمية: إنهم لا يعبدون شيئًا، وإنما يعبدون عَدمًا.

- ففي «السُّنة» لعبد الله (١٧) قال ابنُ المُباركِ: ليس تعبُدُ الجهميةُ شيئًا.

- ولفظه في «خلق أفعال العباد» (٧٣): كلُّ قومٍ يعرفون ما يَعبدون إلَّا الجهمية.

- وفي «الإبانة» (٢٤٠٤) قال يزيد بن هارون: هم كفارٌ لا يعبدون شيئًا.

- وفي «السُّنة» للخلال (١٧٣٢) قال وكيعٌ: .. كلُّ صاحبِ هوًى يعبدُ الله عَزَّوَجَلَّ ويعرفه، إلَّا الجهمية، فإنهم لا يعرفون إلَّا بِشْرًا وأصحابه.

- وفيه (١٧٦٣) عن عبد الملك: أنه ذَاكرَ أحمدَ أمرَ الجهمية، وما يتكلَّمون به.

فقال أحمد في كلامهم: كلام الزندقة، يدورون علىٰ التعطيل، ليس يثبتون شيئًا، وهكذا الزنادقة.

- وفيه (٢٣٨٤/ أ) قال عبد الوهاب الورَّاق: الجهميةُ كفارٌ زنادقةٌ مشركون.

- وعند اللالكائي (١٨٧) عن سعيد بن المُسيّب قال: إذا تكلَّمَ الناسُ في ربِّهم، وفي الملائكةِ؛ ظهر لهم الشيطانُ فقدَّمَهم إلىٰ عِبادةِ الأوثانِ.

=⇦

=

قلت: وعند أهل السُّنة أن المُشرك الذي يعبدُ شيئًا موجودًا له صفاتٌ تَليقُ به خيرٌ مِن المُعطِّل الذي يَعبُدُ عدمًا.

- فقد روىٰ اللالكائي (٤١٧) عن أبي عُبيد القاسم بن سلَّام قال: مَن قال: (القرآنُ مخلوقٌ)، فهو شرٌّ مِمَّن قال: (إن الله ثالث ثلاثة)، جلَّ اللهُ وتعالىٰ؛ لأن أولئك يُثبِتونَ شيئًا، وهؤلاء لا يُثبتونَ المعنىٰ.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (٢/ ١٤٣): وكذلك سائر الجهمية والمعتزلة نُفاة الصفات؛ لما أثبتوا واحدًا لا يتَّصِف بشيءٍ مِن الصِّفات، كانوا عند أئمّة العلم الذين يعرفون حقيقة قولهم إنما توحيدهم: تَعطيل مُستلزم لنفي الخالق، وإن كانوا قد أثبتوه فهم مُتناقضون جمعوا بين ما يستلزم نَفيه، ومَا يستلزمُ إثباته. ولهذا وصفهم أئمّة الإسلامِ بالتعطيل، وأنهم دلَّاسون، ولا يُثبتون شَيئًا، ولا يَعبدون شَيئًا، ونحو ذلك كما هو موجود في كلامِ غيرِ واحدٍ مِن أئمّةِ الإسلامِ. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المدارج» (٢/ ٤٠٢) وهو يتكلّم عن الدرجة الثالثة من درجات اليقين: الوقوف علىٰ ما قام بالحقِّ سبحانه من أسمائه وصفاته وأفعاله، وهو علم التوحيد الذي أساسه: إثبات الأسماء والصفات، وضدّه: التعطيل والنفي والتجهُّم، فهذا (التوحيد) يُقابله (التعطيل).

وأمَّا التوحيد القصدي الإرادي الذي هو: إخلاص العمل لله وعبادته وحده؛ فيُقابله الشِّرك. والتعطيل شرٌّ من الشِّرك؛ فإن المُعطِّل جَاحد للذَّات، أو لكمالها، وهو جحدٌ لحقيقة الإلهية، فإن ذاتًا لا تسمعُ، ولا تُبصرُ، ولا تتكلّمُ، ولا ترضىٰ، ولا تغضبُ، ولا تفعلُ شيئًا، وليست داخل العالم، ولا خارجه، ولا مُتّصلة بالعالم، ولا مُنفصلة، ولا مُجانبة له، ولا مُباينة له، ولا مُجاورة، ولا مجاوزة، ولا فوق العرش، ولا تحت العرش، ولا خلفه، ولا أمامه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، سواء هي والعدم. والمشركُ مُقرٌّ باللهِ وصفاته؛ لكن عبد معه غيره، فهو خيرٌ مِن المُعطِّل للذَّات والصِّفات. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٦٧): التعطيل شرٌّ من =

فنَشهدُ أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، اصطفاه لوحيه، وانتجبَه لرسالتِه، واختارَه مِن خلقِه لخلقِه، فأنزلَ عليه كلامَه المُبينَ، وكتابَه العزيزَ الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت]، ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر:٢٨]، يهدي للتي هي أقوم، ويُبشِّرُ المؤمنين(١). [٧٧/ ب]

فيه نبأُ الأوَّلين، وخبرُ الآخِرين، لا تنقضي عِبرُه، ولا تفنَىٰ عجائبُه، غيرُ مخلوقٍ، ولا منسوبٍ إلىٰ مخلوقٍ، نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ علىٰ قلبِك لتكونَ مِن المُنذِرين مِن لدُن حكيمٍ عليمٍ.

• قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ [النمل].

= الشِّركِ، وكل مُعطل فلا بُدَّ أن يكون مُشركًا. اهـ

قلت: فأهل التعطيل وإن قالوا بأفواههم كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، فهم مُخالفون لأهل التوحيد فيها، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لما ذكر إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلَيَّة الجهمي المُعطِّل، قال: أنا مُخالف له في كل شيءٍ، وفي قوله: (لا إله إلَّا الله)، لست أقول كما يقول، أنا أقول: لا إله إلَّا الله الذي كلَّم موسىٰ مِن وراء حجابٍ، وذاك يقول: الذي خلق كلامًا أسمَعَه موسىٰ مِن وراء حجاب. اهـ [«مناقب الشافعي» (١/ ٤٠٩)]

وانظر التعليق علىٰ «النقض» (فقرة / ١ و٢٢٣)، ففيها زيادة بيان.

وقد مثَّلتُ بأمثلة كثيرة في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية علىٰ إثبات الصفات» في الباب الأول لجمع مِن المُعطِّلة وقعوا في الشرك بنوعيه.

(١) في الأصل: (الأولين)، وكتب فوقها: (كذا). وصوَّبها: (المؤمنين).

• وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء].

مَن قال به صدَقَ، ومَن تَمسَّكَ به هُدِيَ إلىٰ صِراطٍ مُستقيمٍ.

• ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء].

فقَرأه كما أُمِرَ، ودعا إليه سِرًّا وجَهرًا، فلمَّا سَمِعَ المشركون آياتٍ مُبيّناتٍ، قالوا: (سَاحِرٌ)، و(كاهِنٌ)، و(شاعِرٌ)، و(مُعلَّمٌ مَجنون).

• ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص].

• و ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر].

• ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنفال].

• وقالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ ﴾ [الفرقان:٤].

• ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان].

• ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل:١٠٣] مخلوقٌ، بكلامٍ مخلوقٍ مُختلقٍ.

٢ - فكذَّبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قولَهم، وأبطَل دعواهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفرقان].

• وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان].

• ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل].

• وقال: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل].

• ثم قال: ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

٣ - ثم نَدبَهم جميعًا إلىٰ أن يأتوا بمثلِه تخرُّصًا وتَعلُّمًا مِن الخُطباء والشُّعراء وغيرهم إن كانوا صادقين.

• فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود].

• وأتوا بسورةٍ مثله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة].

٤- فلم يَقدِرِ الجنُّ والإنسُ عرَبُها وعجمُها مِن عَبَدةِ الأوثانِ، وعُلماءِ أهلِ الكتابينِ أن يأتوا بسورةٍ، ولا ببعضِ سورةٍ، ولو عَلِموا أنهم قادِرون عليها لدعوا شُهداءَهم إلىٰ ذلك، وبَذلوا فيها الرَّغائبَ مِن الأموالِ وغيرها لخُطبائهم، وشُعرائهم، وأحبارِهم، وأساقِفَتِهم، وكَهنَتِهم وسَحرتِهم أن يأتوا بسورةٍ مثلها، تَصديقًا لما ادَّعوا مِن الزورِ تَكذيبًا بمحمدٍ ﷺ، وأنَّىٰ يأتي المخلوقُ بمثلِ كلامِ الخالقِ؟!

وكيف يَقدِرُ عليه؟ وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة:٢٤]، فلن تفعلوا إلىٰ يومِ القيامةِ، فكما أنه ليس كمثلِه شيءٌ، فليس ككلامِه كلامٌ(١).

٥- فلم يزل رسولُ الله ﷺ يدعو الناسَ إلىٰ اللهِ، وإلىٰ كتابه، وكلامِه سِرًّا وجهرًا، مُحتملًا لِمَا نالَه مِن أذاهم، [٧٨/أ] صابرًا عليه حتىٰ أظهرَه اللهُ وأعزَّه، وأنزلَ عليه نَصرَه، فضربَ وجوه العربِ والعجمِ بالسيوفِ، حتىٰ ذلُّوا ودانوا، ودخلوا الإسلامَ طوعًا وكرهًا، واستقاموا حياتَه وبعدَ وفاتِه، لا يَجترئُ كافرٌ ولا مُنافقٌ مُتعوِّذٌ بالإسلامِ أن يُظهِرَ ما في نفسِهِ مِن الكفرِ وإنكارِ النبوةِ، فَرَقًا مِن السيفِ، وتخوُّفًا مِن الافتِضاحِ، بل كانوا يَتقلَّبون مع المسلمين بِغَمٍّ، ويَعيشون فيهم علىٰ رُغمٍ دهرًا مِن الدَّهرِ، وزَمانًا مِن الزمانِ.

٦- وكان أولَ مَن أظهرَ شيئًا منه بَعدَ كُفَّارِ قريشٍ: «الجعدُ بن دِرهم» بالبصرةِ(٢)، ....

---

(١) سيأتي برقم (٢٣٦) زيادة بيان عن قول المعتزلة والأشاعرة في إعجاز القرآن.

(٢) قال أبو القاسم الزنجاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح قصيدته» (فقرة/ ٥٠/ بتحقيقي): هذا ⇦=

و«جهـمٌ» بخُراسـانَ(١)، اقتِـداءً بكُفَّـارِ قـريشٍ، فقتـلَ اللهُ جَهمًـا شَـرَّ

= جعد بن درهم، كان مُعلِّم مروان بن محمد الأموي آخر خلفائهم، فلما تَبيَّن له سُوء مذهبه طرده مِن عنده، فخرجَ إلىٰ البصرة، وبقي بها مُدَّة.

وهو أوَّلُ مَن أنكرَ تكليم الله عَزَّوَجَلَّ موسىٰ بكلامٍ مسموعٍ منه، فرُفِعَ أمرُه إلىٰ خالد بن عبد الله القسري، وكان أميرًا علىٰ العراق مِن قِبلِ هشام بن عبد الملك بن مروان، وكان حينئذٍ بواسط، وأحضرَ جماعة مِن العلماء، ففاتشوه عن قوله، فأقرَّ وأصرَّ علىٰ ذلك، فأجمعوا علىٰ زندقتِه، فأحضره المُصلَّىٰ يومَ عيدِ الأضحىٰ .. وذكر القصَّة.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٧٠) وهو يتكلم عن الجهمية: وأولهم شيخهم الجعد، وإنما نَفَقَ عند الناس بعض الشيء؛ لأنه كان مُعلِّم مروان بن محمد وشيخه، ولهذا كان يُسمَّىٰ: مروان الجَعْدِي، وعلىٰ رأسه سَلبَ اللهُ بني أُميَّة المُلك والخِلافة، وشتَّتهم في البلاد، ومزَّقهم كل مُمَزَّقٍ ببركةِ شيخ المُعطِّلة النُّفاة، فلما اشتهرَ أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبد الله القسري وكان أميرًا علىٰ العراق حتىٰ ظفر به ... وذكر قصَّة قتله.

(١) قال أبو القاسم الزنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح قصيدته» (فقرة/ ٤٧): هذا أبو مُحرز جهم بن صفوان الراسبي، و(راسب): بطنٌ من الأزد، وهو مِن أهلِ سمرقند، كان كاتبًا للحارث بن سُريج التميمي حين كان علىٰ خُراسان، فلما طردَه عنها نصر بن سيَّار الكناني خرج معه إلىٰ العراق، فحين حصل بها ترك خدمة الملوك والكتابة وتألَّه، وكان يَغشىٰ مجلس أبي حنيفة، ثم أحدثَ مقالاتٍ خبيثة، منها: أن عِلمَ الله مُحدثٌ، وكلامَه مُحدثٌ، لم يكن عالمًا ولا مُتكلِّمًا حتىٰ أحدثَ لنفسِهِ عِلمًا وكلامًا، وأحدثَ مذهب الجَبْرِ، وأن الله جبرَ الخلقَ علىٰ الكفرِ والمعاصي، وله أن يفعل ما شاء، وأن تكليفَ ما لا يُطاق حِكمة منه بالغة، وأن الإيمانَ عِلمُ القلبِ بوجودِ الله دون الأقوال والعقد والعمل، وأن الزيادة والنقصان والقوَّة والضعف لا =

قِتلَةٍ(١).

=
يدخل الإيمان.

وكان ترك الصلاة نيِّفًا وأربعين يومًا مُتعمِّدًا، وقال: أنا في مُهلة النظر حتىٰ يصحَّ لي ثبوت مَن أعبُده. اهـ

- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٤): قال قُتيبة بن سعيد: بلغني أن جهمًا كان يأخذ الكلام مِن الجعد بن درهم.

- قال أبو عبد الله محمَّد البيكندي، شيخ البخاري في كتابه «السنة والجماعة»: ويرون أن أوَّلَ مَن تكلَّم فيه: جهم بن صفوان، وكان جهمٌ - فيما بلغنا - لا يُعرف بفقهٍ، ولا ورعٍ، ولا صلاحٍ، أُعطي لسانًا منكرًا، فكان يُجادل، ويقول برأيه، يُجادل السّمنية، وهم شبه المجوس، يعتقدون الأصنام، فكلمهم فأحرجوه حتىٰ ترك الصلاة أربعين يومًا لا يعرف ربّه، وكلامهم يدعو إلىٰ الزندقة. اهـ

[«التسعينية» (١/ ٢٤٠)]

وقد قُتِلَ هذا الهالك سنة: (١٢٨هـ).

(١) قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٤٦٠): ولا خِلافَ بين الأُمة أنَّ أولَ مَن قال: (القرآنُ مخلوقٌ): «جعدُ بن درهمٍ»، في سِنيٍّ نيفٍ وعشرين، ثم «جهمُ بن صَفوان». فأمَّا «جَعْدٌ»: فقَتله خالدُ بن عبد الله القَسْري.

وأمَّا «جَهمٌ»: فقُتِلَ بمَروٍ في خلافةِ هشامِ بن عبد الملك. اهـ

- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٨٦): يقال: سلم بن أَحْوز هو الذي قتل جهمًا.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوىٰ الحموية» (ص ٢٤٣ - ٢٥٣): أصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصِّفاتِ؛ إنما هو مأخوذٌ عن تلامذةِ اليهود، والمشركين، وضُلال الصَّابئين، فإن أوّل مِن حُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلامِ - أعني: أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ ليس علىٰ العرش حقيقةً، وأن معنىٰ (استوىٰ) بمعنىٰ: استولىٰ، =

=

ونحو ذلك -، هو: (الجعد بن درهم)، وأخذها عنه (الجهم بن صفوان»)، وأظهرها فنُسِبت مقالة «الجهمية» إليه.

ثم ذكر كلامًا في أصل تلقيهم لهذه العقائد الفاسدة، وقال:

فهذه أسانيد جهم ترجع إلىٰ اليهود، والصَّابئين، والمشركين، والفلاسفة الضَّالين، هم إمَّا من الصَّابئين، وإمَّا من المشركين.

ثم لما عُرِّبت الكتب الرُّومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقىٰ الشيطان في قُلوب الضُّلالِ ابتداء مِن جنسٍ ما ألقاه في قلوبِ أشباههم.

ولما كان في حُدودِ المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السَّلف يُسمّونَها مقالة: (الجهمية) بسبب «بشر بن غياث المَريسي» وطبقته، وكلام الأئمة ... كثيرٌ في ذمِّهم، وتضليلهم.

فإذا كان أصل هذه المقالة - مقالة التَّعطيل والتأويل - مأخوذًا عن تلامذة المشركين، والصَّابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمنٍ - بل نفس عاقل - أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضَّالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين؟!. اهـ

قلت: فأخذ هذا المذهب الخبيث عن الجهم: بشر المريسي الذي ألَّف المُصنِّف كتابه «النقض علىٰ المريسي» في الردِّ عليه.

- قال هشام بن عبيد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «المريسي» عندنا خليفة «جهم بن صفوان» الضَّال، وهو وَلِي عهده. [رواه اللالكائي (٦٤٤)]

قلت: وخُلفاء هؤلاء المريسية الجهمية هم: (الأشاعرة)، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ» (ص ٢٥٤ - ٢٦٠): وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثرِ التأويلاتِ التي ذكرها أبو بكر ابن فورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عُمر الرازي في كتابه الذي سمَّاه: «تأسيس التقديس»، ويوجدُ كثير منها في كلام خلقٍ غيرِ هؤلاءِ مثل: أبي علي الجُبَّائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمَذاني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء ابن

=

وأبي الجعدُ، فأخذَه خالدُ بنُ عبد الله القَسْريُّ(١)، فذبَحَه ذبحًا بـ (واسط)(٢)، في يومِ أضحىٰ علىٰ رُؤوسِ مَن شَهِدَ العيدَ معه مِن المسلمين، لا يَعيبُه به عائِبٌ، ولا يَطعنَ عليه طاعِنٌ، بل اسْتَحسَنوا ذلك مِن فِعلِه، وصوَّبوه مِن رأيِه(٣).

= عقيل، وأبي حامد الغزالي وغيرهم، هي بعينها تأويلات بشر المَريسي التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجدُ في كلامِ بعضِ هؤلاءِ التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلامٌ حسنٌ في أشياء، فإنما بيّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المَريسي. ويدلُّ علىٰ ذلك كتاب «الرَّدّ» الذي صنفه عثمان بن سعيد الدَّارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صَنَّفَ كتابًا سماه: «رَدّ عثمان بن سعيد علىٰ الكاذبِ العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التوحيد»، حَكىٰ فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المَريسي بكلام يقتضي أن المَريسي أقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخِّرين الذين اتصلت إليهم من جهته، ثم ردّ ذلك عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذَّكي: عَلِمَ حقيقة مَا كان عليه السَّلف، وتبيَّنَ له ظُهور الحُجّة لطريقهم، وضعف حُجَّة من خالفهم، ثم إذا رَأىٰ الأئمة - أئمة الهدىٰ - قد أجمعوا علىٰ: ذمِّ المَريسية، وأكثرهم كفَّروهم، أو ضَلَّلوهم، وعَلِمَ أن هذا القول السَّاري في هؤلاءِ المُتأخِّرين [يعني: الأشاعرة] هو مذهب المَريسية، تَبيّن له الهدىٰ لمن يريد الله هِدايته، ولا حَولَ ولا قُوّة إلّا بالله. اهـ

(١) أمير الحجاز، ثم الكوفة، قُتِلَ سنة: (١٢٦هـ).

(٢) (واسط) مدينة مشهورة مِن مُدن العراق، وسُمِّيت بذلك: لتوسطها بين البصرة والكوفة.

(٣) قال أبو القاسم الزنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه لمنظومته» (فقرة/ ٥٠): ... ذكَّاه تحت المنبر بمحضرٍ مِن الخاصَّة والعامَّة، فاستحسن الكلّ فِعله، وقالوا: نفىٰ الغِلَّ عن الإسلام، ودرست هذا المقالة إلىٰ أن أُحييت في هذا الزمان لفقد الجِدِّ مِن الناظرِ في أمرِ الأُمةِ وإهماله عمَّا يلزم مُراعاته، والله المُستعان. اهـ =

٧- **حدثناه** القاسم بن محمد البغدادي، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جَدِّه حبيبِ بن أبي حبيب، قال: خطبنا خالدُ بنُ عبد الله القسريُّ بـ(واسط) يومَ أضحىٰ، فقال: أيُّها الناسُ، ارجعوا فضحُّوا، تقبَّلَ اللهُ مِنَّا ومنكم؛ فإني مُضَحي [(١)] بالجعدِ بنِ درهمٍ؛ إنه زعمَ: أنَّ اللهَ لم يتخذ إبراهيمَ خَليلًا[(٢)]، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، وتعالىٰ اللهُ عمَّا يقولُ الجعدُ بنُ دِرهم علوًّا كبيرًا. ثم نزلَ فذبَحَه[(٣)].

=

- وقال الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٢١): ضحَّىٰ به خالد بن عبد الله القسري علىٰ رؤوس الخلائق، وما له يومئذٍ نكير، وذلك سنة نيف وعشرين ومئة. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نونيته» (٥٠ - ٥٢):

ولأجل ذا ضحَّىٰ بجَعدٍ خالدُ الـ ... ـقسريُّ يومَ ذبائح القُربان

إذ قال: إبراهيمُ ليسَ خَليلَه ... كلَّا ولا موسىٰ الكليمَ الدَّاني

شكر الضحيَّة كلُّ صاحبِ سُنةٍ ... لله دَرُّكَ مِن أخِي قُرْبَانِ

قلت: وإنك لتعجب بعد ذلك ممَّن يتحذلقُ علىٰ أهل العلم فيُضعِّف هذه القصَّة المشهورة التي لم ينكرها أحدٌ مِن المُتقدِّمين ولا المُتأخِّرين !

(١) كذا في الأصل.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (١/ ٢٧١) وهو يتكلم عن الجعد: زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، لأنّ الخُلَّة إنما تكون مِن المحبَّة، وعنده أن الله لا يُحبُّ شيئًا في الحقيقة، ولا يُحبه شيء في الحقيقة، فلا يتخذ شيئًا خليلًا، وكذلك الكلام يمتنعُ عنده علىٰ الرَّبِّ تعالىٰ. اهـ

(٣) هذه القصَّة مشهورة رواها عامَّةُ أئمة السُّنة والآثار في مُصنَّفاتهم في أبواب السُّنة والرد علىٰ الجهمية رواية القبول والتسليم، ولا أعلم أحدًا طعن فيها، أو عرَّض بتضعيفها، أو شَكَّك في ثبوتها كما هو الحال عند بعض المُتأخِّرين.

=

٨- قال أبو سعيد:

ثم لم يزالوا بعد ذلك مَقموعينَ، أذِلَّةً مَدحورِين، حتىٰ كان الآنُ بأَخَرَةٍ، حيث قلَّتِ الفقهاءُ، وقُبِضَ العلماءُ، ودعا إلىٰ البدَعِ دُعاةُ الضَّلالِ، فصدَّ ذلك طَمعَ كلِّ مُتعوِّذٍ في الإسلامِ مِن أبناءِ اليهودِ والنصارىٰ، وأنباط العِراقِ(١)، وَوَجدُوا فُرصةً للكلامِ، فجَدُّوا في هَدمِ الإسلامِ، وتَعطيلِ ذِي الجلالِ والإكرامِ، وإنكارِ صفاتِه، وتكذيبِ رُسُلِه، وإبطالِ وَحيه إذ وجدوا فُرصتَهم، وأحسُّوا مِن الرَّعاعِ(٢) جَهلًا، ومِن العُلماءِ قِلَّةً، فنَصبوا عندها الكُفرَ للناسِ إمامًا بدعوتِهم إليه، وأظهروا لهم أُغلوطاتٍ مِن المَسائل(٣)، وعَماياتٍ مِن الكلامِ، يُغالِطون بها أهلَ الإسلامِ، ليُوقعوا في قلوبِهم الشَّكَّ، ويُلبِّسوا عليهم أمرَهم، ويُشكِّكوهم في خالقِهم، مُقتدينَ بأئمتِهم الأقدمين الذين قالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) ﴾ [المدثر]، و﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ (٧) ﴾ [ص].

=

وممَّن رواها مُحتجًّا بها: البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣)، وحرب الكرماني في «السُّنة» (٤١٥)، والخلال في «السُّنة» (١٦٧٤)، والآجري في «الشريعة» (٨٠٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٤٣٨)، واللالكائي (٤٧٨)، وغيرهم كثير.

وقد تقدم قريبًا نقل الإجماع علىٰ استحسان أهل العلم لهذا العقوبة.

(١) (الأنباط): جمع نَبَطي بفتحتين: قوم من العجم، ينزلون بالبطائح بين العراقين. «الأنساب» (٥/ ٤٥٤)، و«اللباب» (٣/ ٢٩٥).

(٢) (الرَّعاع): الأحداث. ورَعاع الناسِ: سُقَّاطُهم وسفلتهم. «لسان العرب» (٨/ ١٢٨).

(٣) في «الإبانة الكبرىٰ» (٣٢٢): نهىٰ رسول الله ﷺ عن الأُغلوطات، قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شِدادُ المسائل وصعابها. اهـ

فحينَ رأينا ذلك منهم، وفطنَّا لمذهبِهم، وما يقصدون إليه من الكُفرِ، وإبطالِ الكُتُبِ والرُّسُلِ، ونفي الكلامِ، والعلمِ، والأمرِ عن اللهِ تعالىٰ(١)، رأينا أن نُبيِّنَ مِن مذاهبِهم رُسومًا مِن الكتابِ والسُّنةِ، وكلامِ العُلماءِ، ما يَستدلُّ به أهلُ الغفلةِ مِن الناسِ علىٰ سُوءِ مذهبِهم، فيَحذَرُوهم علىٰ أنفسِهم، وعلىٰ أولادِهم وأهليهم(٢)، ويجتهِدُوا في الردِّ عليهم، مُحتسبين مُنافحين

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٩٨): فتفكَّروا - رحمكم الله - فيما اعتقدته الجهمية وقالته، وجادلت فيه، ودعت الناس إليه؛ فإن مَن رزقه الله فهمًا وعقلًا، ووهب له بصرًا نافذًا، وذهنًا ثاقبًا، علم بحسن قريحته، ودقّة فطْنته أن الجهمية تريد:

١ - إبطال الرُّبوبية. ٢ - ودفع الإلهية.

واستغنىٰ بما يدلّه عليه عقله، وتنبِّهه عليه فطنته عن تقليد الأئمة القدماء والعلماءِ والعقلاءِ الذين قالوا: (إن الجهمية زنادقة، وإنهم يدورون علىٰ أن ليس في السماء شيء)، فإن القائلين لذلك بحمد الله أهل صدق وأمانة، وورع وديانة، فإن من أنعم النظر وجد الأمر كما قالوا. اهـ

(٢) كما فعل يونس بن عُبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا عَلِمَ أن ابنه دخل علىٰ إمام المُعتزلة عَمرو بن عُبيد، فأنكر عليه، ونهاه عن ذلك، وقال له: أنهاك عن الزِّنا، والسَّرقة، وشرب الخمر؛ والله لأن تلقىٰ الله بهذا أحبّ إليَّ من أن تلقاه برأي عَمرو بن عبيد، وأصحاب عَمرو. [رواه حرب في «السُّنة» (٦٠٣)].

- وفي «السُّنة» لعبد الله (٩٦٥) عن إبراهيم بن حبيب بن الشَّهيد، قال: قال لي أبي: يا بُني، لا تسمعَ مِن عَمرو بن عُبيد، واسمع من عَمرو قَهرمان آل الزُّبير.

- قال معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ابن طاوس جالسًا فجاء رجلٌ مِن المعتزلة فجعل يتكلَّم، قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه، قال: وقال لابنه: أي بُنَيَّ؛ أدخل

=⇐

عن دينِ اللهِ تعالىٰ، طالبينَ به ما عند الله(١).

=
إصبعيك في أذنيك، واشدُد؛ ولا تسمع من كلامه شيئًا.

قال مَعمر: يعني: أن القلب ضعيف.

وقال عبد الرزاق: القلبُ ضعيف، والدينُ ليس لمن غَلَبَ.

(١) روىٰ المُصنِّف في «النقض» (٣ و٢١٦) عن عيسىٰ بن يونس قال: لا تُجالسوا الجهمية، وبيّنوا للناسِ أمرهم؛ كي يعرفوهم فيحذروهم.

– وفي «طبقات الحنابلة» (٣/ ٤٠٠) قال المَرُّوذِيُّ: قلتُ لأبي عبد الله: ترىٰ للرَّجُلِ أن يشتغِلَ بالصَّومِ والصَّلاةِ، ويسكُتَ عن الكلامِ في أهلِ البدعِ؟ فكَلَّحَ وجهه، وقال: إذا هو صامَ وصلّىٰ واعتزل الناسَ أليس إنما هو لنفسِه؟

قلتُ: بلىٰ. قال: فإذا تكلَّمَ كان له ولغيرِه، يتكلَّمُ أفضلُ.

– وفي «السنة» للخلال (٢٠٦١) عن أبي الحارث أنه سأل أبا عبد الله عن أحمد الشرَّاك؟ فقال: يُبيّن أمره، ويُحذّر عنه، ولا يُجالس، ولا يُكلَّم. اهـ

قلتُ: أحمد هو الشرَّاك، وكان ممَّن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق.

– وفي «تاريخ بغداد» (٥/ ٤١٤)، و «ذم الكلام» (٧٠١) قال أبو جعفر الحذّاء: قلتُ لسفيان بن عُيينة: إن هذا يتكلّم في القدرِ، – أعني: إبراهيم بن أبي يحيىٰ –.

قال: عرِّفوا الناسَ بدعته، وسلوا ربكم العافية.

– قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣١): ومثل أئمة البدع من أهلِ المقالاتِ المُخالفة للكتابِ والسُّنة، أو العبادات المُخالفة للكتابِ والسُّنة؛ فإن بيانَ حالهم، وتحذير الأُمّة منهم واجب باتفاق المسلمين وذكر قول الإمام أحمد المتقدم – وقال: فبيَّنَ أن نفع هذا عامٌّ للمسلمين في دينِهم من جنسِ الجهادِ في سبيلِ الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم علىٰ ذلك واجبٌ علىٰ الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يُقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسدَ الدين، وكان فساده أعظم من فسادِ استيلاء العدوّ من أهلِ الحربِ، فإن هؤلاء
=

٩- وقد كان مَن مضىٰ مِن السلفِ يَكرهون الخوضَ في هذا وما أَشْبَهَه، وقد كانوا رُزِقوا العافيةَ منهم، وابتُلينا بهم عند دُرُوسِ الإسلامِ(١)، وذهابِ العلماءِ، فلم نَجِد بُدًّا مِن أن [٧٨/ ب] نَرُدَّ ما أتوا به مِن الباطل بالحقِّ(٢).

= إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدّين إلَّا تبعًا، وأما أولئك فهم يُفسدون القلوب ابتداء. اهـ

قلت: والسبب الذي اضطر أئمة السنة إلىٰ تصنيف هذه المُصنَّفات الكثيرة في أبواب السنة والاعتقاد: هو قِلَّة العلماء، وبُعد الناس عن التوحيد والسُّنة، وانتشار مذاهب أهل البدع والأهواء.

(١) أي: طُمِسَ وعفا وذهبت مَعالمه.

(٢) كان أئمة السُّنة والأثر إذا اضطروا إلىٰ ردِّ باطل أهل البدع، ردُّوا عليهم بالحقِّ، وهو الكتاب، والسُّنة، وآثار سلف الأُمة، كما قال المُصنِّف: (رأينا أن نُبيِّنَ مِن مذاهبِهم رُسومًا مِن الكتابِ، والسُّنةِ، وكلامِ العلماء).

وأمَّا الردّ عليهم بالكلام المُحدث الذي أحدثه المُتأخِّرون لنصرة السُّنة فيما زعموا فقد كانوا ينهون عنه، ويُحذِّرون منه، ويعتبرون مَن ردَّ عليهم به قد ردَّ باطلًا بباطلٍ.

- ففي «الإبانة الكبرىٰ» (٦٩٩) قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لست أتكلَّمُ إلَّا ما كانَ في كتاب الله، أو سُنة رسول الله ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأمَّا غير ذلك فالكلام فيه غير محمودٍ.

- وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٦١٥): هذه حُجّتنا: كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ، وسُنَّة أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، مع تركنا للجدل والمِراء. اهـ

- وقال أبو المُظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الانتصار» (ص ٤٦): وإنما تردُّ البدعة بالأثر لا ببدعةٍ مثلها، فإنه رُوي عن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المُقدَّم قال: (إنما =

وقد كان رسولُ الله ﷺ يتخوَّفُ ما أشبَهَ هذا على أُمَّتِه، ويُحذِّرُها إيَّاهم، ثم الصَّحابةُ بعدَه والتابعون، مَخافةَ أن يَتكلَّموا في اللهِ وفي القرآنِ بأهوائهم فيَضِلُّوا، ويَتمارَوا به على جهلٍ فيَكفروا، فإن رسول الله ﷺ قد قال: «**المِراءُ في القرآنِ كفرٌ**»(١).

وحتى إن بعضَهم كانوا يتَّقون تفسيرَه؛ لأن القائلَ فيه إنما يقولُ على اللهِ.

١٠ - **قال** أبو بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّ أرضٍ تُقِلُّني، وأيُّ سَماءٍ تُظِلُّني، إذا

=

يُرَدُّ على أهل البدع بآثار رسول الله ﷺ، وآثار الصالحين، فأمَّا من ردَّ عليهم بالمعقول فقد ردَّ باطلًا بباطلٍ). فهؤلاء الأئمة هم المرجوع إليهم في أمر الدينِ وبيان الشرع، ومن سلك طريقًا في الإسلام بعدهم: فإياهم يتبع، وبهم يقتدي، وموافقتهم يتحرّى، فلا يجوز لمسلمٍ أن يظنّ بهم ظنّ السوء، وأنهم قالوا ذلك عن جهل وقلَّة علم وخبرة في الدين. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصفدية» (١/ ١٦٣): ولهذا كان السلف والأئمة يَذمُّون أهل الكلام الذين يتكلَّمون بمثل هذا الكلام المشتمل على نوعٍ من الباطلِ، ويمنعون أن تُرَدَّ بدعةٌ ببدعةٍ، ويُقابَلَ الباطلُ بالباطلِ، ويُرَدَّ الفاسدُ بالفاسدِ. اهـ

(١) رواه أحمد (٧٨٤٨ و٩٤٧٩ و١٠١٤٣)، وأبو داود (٤٦٠٣)، وهو حديث صحيح.

وقد بيّنَ ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة» (٨٥٢) المراد بالمِراء في القرآن، فقال: المِراء بين أصحاب الأهواء، وأهل المذاهب والبدع؛ وهم الذين يخوضون في آيات الله، ويتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلَّا الله والراسخون في العلم، يتأوَّلونه بأهوائهم، ويُفسِّرونه بأهوائهم، ويحملونه على ما تحمله عقولهم، فيَضلون بذلك، ويُضلون من اتبعهم عليه. اهـ

وانظر كذلك: «الشريعة» (١٤/ باب ذكر النهي عن المراء في القرآن).

قلتُ في كلامِ اللهِ ما لا أعلمُ(١).

١١ - **وسُئِل** عَبيدةُ السَّلماني عن شيءٍ من تفسيرِ القرآنِ، فقال: اتَّقِ اللهَ، وعليكَ بالسَّدادِ، فقدَ ذهبَ الذين كانوا يَعلمون فيما أُنزِلَ القرآنُ(٢).

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سُننه» (٣٩)، وابن أبي شيبة (٣٠٧٣١)، والطبري في «التفسير» (١/ ٣٥). وعند بعضهم أنه سُئِلَ عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس]، وأسانيدها يقوي بعضها بعضًا.

- وفي «مُصنف ابن أبي شيبة» (٣٠٧٢٧) قال الشَّعبي: أدركت أصحاب عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأصحاب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وليس هم لشيءٍ مِن العلم أكره منهم لتفسير القرآن.

قال: وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ... فذكره.

- وروىٰ ابن أبي شيبة (٣٠٧٢٩) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قرأ علىٰ المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟! قال: ثم رجعَ إلىٰ نفسِه، فقال: لعمرك إنَّ هذا لهو التكلُّف يا عمر.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «التفسير» (٤٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٧٢٣)، في (٣٣/ باب مَن كَرِهَ أن يُفسِّرَ القرآن)، وأبو عُبيد في «فضائل القرآن» (٨٤٨): (باب تأوّل القرآن بالرأي، وما في ذلك مِن الكراهة والتغليظ).

- وفي «فضائل القرآن» (٨٤٩) قال مسروقٌ: اتقوا التفسير، فإنما هو الرِّواية عن الله عَزَّوَجَلَّ.

- وفيه (٨٥١) عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتَّقون التفسير ويَهابونه.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مقدمة في أصول التفسير» (ص٥٠): فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمَّة السلف، محمولة علىٰ تحرُّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به. فأمَّا مَن تكلَّمَ بما يعلم مِن ذلك لغةً وشرعًا فلا حرجَ عليه؛ ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلَّموا ⇐

فهذا الصِّديقُ خيرُ هذه الأُمَّةِ بعد نبيِّها، والخليفةُ بعدَه، قد شَهِدَ التنزيلَ، وعاينَ الرسولَ، وعَلِمَ فيما أُنزِلَ القرآن، إلَّا ما شاءَ الله، يتوقَّىٰ أن يقولَ في القرآنِ مخافةَ أن لا يُصيبَ ما عنىٰ الله فيَهلِكَ(١).

ثم عَبيدةُ السَّلمانيُّ بعدَه(٢)، وكان مِن كبارِ التابعين، فكيف بهؤلاءِ المُنسلخين مِن الدينِ والعلمِ، الذين يَتقحَّمونه تَقَحُّمًا(٣)، ويُفسِّرونَه

= فيما علموه، وسكتوا عمَّا جَهِلوه، وهذا هو الواجبُ علىٰ كلِّ أحدٍ؛ فإنه كما يجب السكوت عمَّا لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]. اهـ

وانظر كذلك قول الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٣/ هجر) في توجيه هذه الآثار.

(١) قال القاضي ابن أبي يعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الطبقات» (٣/ ٢٦٤) مُعلِّقًا علىٰ أثري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما السابقين: (حسبُكَ بشيخَيِ الإسلام، وإمامي الهدىٰ، وخليفتي رسول الله ﷺ، الهاديين الرَّاشدين، وتوقُّفهما وإحجامِهُما عن تفسيرِ آيةٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهما أعلمُ الخلق بالله عَزَّوَجَلَّ بعد رسول الله ﷺ وبرسوله، وبكتاب الله وتأويله؛ فماذا عسىٰ أن نقول في جسارةِ المعتزلة والأشاعرة، وبقية المُتكلمين الضَّالين في تأويل صفات الرحمن عَزَّوَجَلَّ التي نطق بها القرآن، ونقلها الأئمة الأثبات، والعلماء الثقات؟). اهـ

(٢) المُرادي الهمداني، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يَلْقه، قال سفيان بن عيينة: كان عَبيدة يوازي شُريحًا القاضي في العلم والقضاء. توفي سنة: (٧٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) في الأصل: (يتقحُّونه تقحنًا).

وفي «النهاية»: اقتحم الإنسان الأمر العظيم، وتقحَّمَهُ إذا رمىٰ نفسه فيه من غير روية وتثبت. اهـ

بأهوائِهم خِلافَ ما عنىٰ اللهُ، وخلافَ ما تحتملُه لُغاتُ العرَبِ(١).

(١) ومِن أعظم ذلك: تأويلاتهم لآيات وأحاديث الصِّفات التي امتلأت بها كتب التفاسير وشروح الأحاديث، والتي هي في الحقيقةِ تحريفاتٌ مُستبشعة ومُستشنعة نفوا بها حقيقة صفات الله تعالىٰ اللائقة به.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٢٩٧) وهو يتكلَّم عن تلك التحريفات الفاسدة: تلاعبهم بالنُّصوصِ، وانتهاك حُرماتِها، فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواهِهم، وقد حلَّت بها المثُلات، وتلاعبت بها أمواج التأويلاتِ، وتقاذفت بها رياح الآراء، واحتوشتها رماح الأهواء، ونادىٰ عليها أهل التأويل في سُوق من يزيد، فبذل كلُّ واحدٍ في ثمنها مِن التأويلاتِ ما يُريد، فلو شاهدتها بينهم وقد تخطَّفتها أيدي الاحتمالات، ثم قُيِّدت بعد ما كانت مُطلقةً بأنواعِ الإشكالاتِ، وعُزلت عن سَلطنة اليقين، وجُعلت تحت حُكم تأويل الجاهلين، هذا وطالما نُصِبت لها حبائل الإلحاد، وبقيت عُرضة للمطاعنِ والإفساد، وقعد النُّفاة علىٰ صراطها المُستقيم، بالدَّفعِ في صدورها والأعجاز، وقالوا: لا طريق لك علينا، وإن كان لا بُدّ فعلىٰ سبيل المجاز ... فلا إله إلَّا الله، كم هُدِمت بهذه المعاول مِن معاقل الإيمان؟! وثُلِمت بها حُصون حقائق السُّنة والقُرآن؟! وكم أطلقت في نُصوص الوحي مِن لسان كلّ جاهلٍ أخرق، ومُنافق أرعن، وطرقت لأعداء الدِّين الطَّريق، وفتحت الباب لكُلِّ مُبتدعٍ وزنديق.

ومَن نظر في التأويلاتِ المُخالفةِ لحقائق النُّصوص، رأىٰ مِن ذلك ما يُضحِكُ عَجبًا، ويُبكِي حُزنًا، ويثير حميّة للنُّصوصِ، وغضبًا قد أعاد عَذْبَ النُّصوص مِلحًا أُجاجًا، وخرّجت الناسُ مِن الهُدىٰ والعلم أفواجًا ... فكشفُ عورات هؤلاء، وبيان فضائحهم، وفساد قواعدهم، مِن أفضل الجهاد في سبيل الله .. إلخ.

* وقول المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وخلاف ما تحتملُه لُغاتُ العرَبِ)، سيأتي من كلامه في «النقض» ضابط مُهمٌّ في استخدم لغات العربِ في تفسير القرآن، وهو قوله (٢٧٦): (لا يُحكم للأغربِ مِن كلامِ العربِ علىٰ الأغلب؛ ولكن نَصرِف معانيها =

١٢- ولقد قال بعض أهل العلم: لا تَهلِكُ هذه الأُمَّةُ حتىٰ تظهرَ فيهم الزندقةُ(١)، ويَتكلَّموا في الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ.

١٣- حدثناه سويد بن سعيد الأنباريُّ، ثنا خلفُ بن خليفة، عن الحجَّاج ابن دينار، عن منصورِ بن المُعتمر، قال: ما هَلَكَ دِينٌ قطُّ حتىٰ تَخلُفَ المَنَانيَّةُ.

قلتُ: وما المَنَانيَّة؟ قال: الزَّنادقةُ(٢).

=

إلىٰ الأغلبِ حتىٰ تأتوا بِبُرهانٍ أنه عنىٰ بها الأغرب)، وانظر تتمَّة كلامه.

(١) عرَّف المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الزنديق) (٢٩٣)، فقال: (الزنديقُ) عندنا شرٌّ مِن المُنافق، فلرُبَّما كان المنافِقُ جاحدًا بالرسولِ والإسلامِ، مُقرًّا بالله عَزَّوَجَلَّ، مُثبتًا لرُبوبيَّته في نفسِه، و(الزنديقُ) مُعطِّلٌ لله، جاحدٌ بالرسل، والكتب. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع المسائل» (المجموعة الرابعة) (ص١٣٣): لفظ الزِّنديق لفظ مُعرَّبٌ لم ينطق به رسول الله ﷺ، ولا أصحابه؛ ولكن نطقت به الفرسُ، فأخذته العرب فعرَّبته. ومعنىٰ الزِّنديق الذي تنازع الفقهاء في قبول توبته هو: معنىٰ المنافق الذي يُظهِر الإسلام ويُبطن الكفر، ولهذا قال الفقهاء: إن الزِّنديق هو المنافق .. إلخ.

(٢) ذكره ابن بطة في «الإبانة الصُّغرىٰ» (١٦٩) بأطول من هذا.

ورواه الهروي في «ذم الكلام» (٥٧) نحوه مطوَّلًا عن زيد بن رُفيع.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٩٥/أ) قال أبو حاتم: وأُخبرتُ عن بعض أهل العلمِ: أول ما افترق مِن هذه الأُمَّة؛ الزنادقة، والقدريَّة، والمُرجئة، والرافضة، والحرورية... فافترقت (الزنادقة) علىٰ إحدىٰ عشرة فرقةً، وكان منها: (المُعطِّلة)، ومنها: (المنانِيَّة)، وإنما سُموا (المَنَانيَّة): برجل كان يقال له: (ماني)، كان يدعو إلىٰ الاثنين، فزعموا أنه نبيُّهم، وكان في زمن الأكاسرة، فقتله بعضُهم. اهـ

١٤- **وحدثنا** محمد بن كثير العبديُّ، أنبأ سفيان - يعني: الثوري -، عن سالم - يعني: ابن أبي حفصة -، عن أبي يعلىٰ، عن محمد ابن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا تنقضي الدنيا حتىٰ تكونَ خُصومَتُهم في ربِّهم(١).

١٥- **وحدثناه** يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا عَمرو بن ثابت، عن سالم بن أبي حفصة، - قال أبو سعيدٍ(٢): وأحسبُه عن أبي يعلىٰ مُنذرٍ الثوري -، عن محمد ابن الحَنفيَّة، قال: إنما تَهلِكُ هذه الأُمَّةُ إذا تكلَّمت في ربِّها(٣).

١٦- **حدثنا** الحسن بن الصبَّاح البزَّار، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المُبارك، قال: لَأَن أحكي كلامَ اليهودِ والنصارىٰ أَحبُّ إليَّ مِن أن أحكي كلامَ الجهميةِ(٤).

١٧- **حدثنا** سَهل بن بكَّار، ثنا أبو عوانة، عن عُمَرَ بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يزالون يَسألون حتىٰ**

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٦٤٢ و٦٤٣)، واللالكائي (٢٠٢).

وقد روي مرفوعًا ولا يصحُّ، كما بيَّن ذلك الدارقطني في «العلل» (١٩٥٩).

وقد وقع ذلك في هذه الأُمة منذ ظهور الجهمية ثم الأشاعرة وغيرهم من المُعطِّلة الذين حرَّفوا نصوص صفات الله تعالىٰ بتلك التأويلات الفاسدة.

(٢) وهو المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) روىٰ اللالكائي (١٨٧) عن سعيد بن المُسيّب قال: إذا تكلمَ الناسُ في ربِّهم، وفي الملائكةِ؛ ظهر لهم الشيطانُ فقدَّمَهم إلىٰ عِبادةِ الأوثانِ.

(٤) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٢٣ و٢٠٢)، وأبو داود في «المسائل» (١٧٢٤)، والخلال في «السُّنة» (١٦٦٨ و١٦٦٩ و١٧٠٤)، والآجري في «الشريعة» (٦٧٤). وانظر تعليق المُصنِّف عليه برقم (٢٣).

يُقالَ لأحدِكم: هذا اللهُ خلقَنا، فمَن خَلَقَ اللهَ تبارك وتعالىٰ؟»(١).

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وإني لجالسٌ ذات يومٍ إذ قال رجلٌ مِن أهلِ العراقِ: يا أبا هريرةَ، هذا اللهُ خلَقَنا، فمَن خلقَ اللهَ تباركَ وتعالىٰ؟

قال أبو هريرة: فوضعتُ إصبَعيَّ في أُذُنيَّ، وصرَختُ: صدَقَ اللهُ ورسولُه، اللهُ الواحِدُ الأحدُ الصمدُ، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص](٢).

١٨- **وحدثناه** يحيىٰ بن بُكير المصري، ثنا الليث - يعني: ابن سعد -، عن عُقيلٍ، عن ابنِ شِهابٍ، قال: أخبرني عُروة بن الزُّبير، أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يأتي الشيطانُ العبدَ، فيقولُ له: مَن خلقَ كذا وكذا؟ حتىٰ** [٧٩/ أ] **يقولَ: مَن خلقَ ربَّك؟ فليَستعِذ بالله وليَنتَهِ»**(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٣٥) من طريق ابن سيرين، قال: وهو آخذٌ بيد رجلٍ، فقال: صدق الله ورسوله، قد سألني اثنان، وهذا الثالث، أو قال: سألني واحد، وهذا الثاني.

(٢) رواه اللالكائي (١٨٥) بهذا اللفظ.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٣٦٢) قال حنبل بن إسحاق: سمعتُ أبا عبد الله، قال: مَن زعمَ أن القرآن مخلوق؛ فقد زعم أن الله مخلوق. ثم قال أبو عبد الله: لا إله إلَّا الله، ما أعظمَ هذا القول وأشدّه، هذا الذي كنا نحذره أن يكون.

قال: بلغني عن بعض شيوخنا أنه قال: معنىٰ قول أبي عبد الله: (هذا الذي كنا نحذره)، ما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يكون قومٌ يقولون: هذا الله خلقَ الخلقَ، فمَن خلقَ الله؟»**. اهـ

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

١٩- حدثنا علي بن المديني، ثنا سُفيان، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: [مَن خلقَ السماءَ؟ فيقول: الله عَزَّوَجَلَّ.

فيقول: مَن خلقَ الأرضَ؟ فيقول: الله.

فيقول: مَن خلقَ اللهَ؟]، فمَن وجدَ مِن ذلك شيئًا فليقل: آمنَّا باللهِ»(١).

٢٠- حدثني أحمد بن مَنيع، ثنا محمد(٢) بن مُيَسَّر أبو سعد، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن المشركين قالوا: يا رسول الله(٣)، انسُب لنا ربَّك.

قال: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص]، قال: (فالصَّمدُ): الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص]؛ لأنه ليس شيءٌ يولدُ إلّا سيموتُ، وليس شيءٌ يموتُ [إلَّا] سَيورَثُ، وإنَّ اللهَ لا يَموتُ ولا يُورثُ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، قال: لم يكن له شِبْهٌ، ولا عِدلٌ، وليس كمثلِهِ شيءٌ(٤).

---

(١) رواه أحمد (٨٣٧٦)، ومسلم (١٣٤)، وما بين [ ] منهما.

(٢) في الأصل: (أحمد). والصواب ما أثبته كما في «الجرح والتعديل» (٨/ ١٠٥).

(٣) كذا في الأصل! وفي بعض المصادر: (قالوا لرسول الله). وهو الصواب.

(٤) رواه أحمد (٢١٢١٩) مُختصرًا، والترمذي (٣٣٦٤) مطوَّلًا. وما بين [ ] منه، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٨).

ورواه الترمذي (٣٣٦٥) عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم، فقالوا: انسب لنا ربك.

⇦=

٢١- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو هلال وهو الراسبي، قال: ثنا رجلٌ: أن عبد الله بن رَوَاحَة، قال للحسنِ: هل تَصِفُ ربَّك؟

قال: نعم، بغيرِ مِثَالٍ(١).

=

قال: فأتاه جبريل بهذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

قال الترمذي: فذكر نحوه، ولم يذكر فيه: عن أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وهذا أصحُّ من حديث أبي سعد. اهـ

ويشهد له: ما رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٦٣) عن جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاءَ أعرابيٌّ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: انسب لنا ربَّك. فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]، إلىٰ آخرها.

- وروىٰ البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٥٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

- وروىٰ الطبري في «تفسيره» (٣٨٦٦٨) نحوه من قول أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- ورواه أيضًا (٣٨٦٦٩) من قول أبي سعد الصغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٤١٣)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٤٨٣ و١١٠٩)

وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأثر من طريق المُصنِّف في تقريره بأن لفظ (التشبيه) (لم يَرِد الكتاب والسُّنة به مُطلقًا لا في نفيٍ ولا إثباتٍ؛ ولكن جاءت النصوص في النفي بلفظ: (المِثْل)، و(الكفو)، و(الند)، و(السَّمِي)، وجاء لفظ: (الشبه) في الإثبات مُقيَّدًا في كلام أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم).

انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٤٨٥).

فأهل السنة لا يمثلون صفات الله تعالىٰ بصفات خلقه وإن تشابها في الأسماء.

- قال ابنُ المُحبِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصفات» (١٨٠٨): روىٰ ابن منده عن محمد ابن إبراهيم - هو ابن أخي يعقوب القارئ - عن أبي بكر يعقوب، قال: قلتُ لابن المُقَفَّع: هل تعلمُ أن ربّك يَرضىٰ ويَسْخَط؟

قال: يَرْضىٰ كرِضَىٰ المخلوقين، ويَسْخَطُ كسخطِ المخلوقين!

=

٢٢- حدثنا أبو سلمة، [ثنا] عبد الواحد - يعني: ابن زياد -، ثنا سالم - يعني: ابن أبي حفصة -، ثنا منذر أبو يعلىٰ الثوري، قال: قال محمد ابن الحَنَفيَّة: إنَّ قومًا ممَّن كانوا قبلكم أُوتوا عِلمًا كانوا يَكتفون فيه، فسألوا عمَّا فوقَ السماءِ، وما تحتَ الأرضِ فتاهوا، كان أحدُهم إذا دُعِيَ مِن بين يديهِ أجابَ مِن خلفِهِ، وإذا دُعِيَ مِن خلفِهِ أجابَ مِن بينِ يَديه(١).

٢٣- قال أبو سعيد:

ولولا مَخافةُ هذه الأحاديثِ وما يُشبِهُها، لحكيتُ مِن قُبحِ كلامِ هؤلاءِ

=

قال يعقوب: قلتُ له: إني لم أسألك عن ذا - أو كما شاء الله أن يقول -، ولكنّي أزعمُ أنه قد رَضِيَ عن أقوامٍ، وسَخِطَ علىٰ آخرين، فأمّا أني أزعمُ أن رضاه كرِضَا المخلوقين، وسَخَطَه كسَخَطِ المخلوقين فمَعاذ الله، وهو أعظمُ من ذلك، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

قال ابنُ المُحبّ: وذكر سعد الزنجاني في آخر «شرح قصيدته» عبد الله بن المقفَّع فيمن استأصلهم الملوكُ من أهل الضلال. اهـ

قلت: وفي قول الحسن: (نعم، بغيرِ مثالٍ)، ردٌّ علىٰ المفوِّضة الذين لا يثبتون حقيقة صفات الله تعالىٰ، ويدَّعون أن معانيها مجهولة، وإنما يثبتون ألفاظًا مُجرَّدةً عن المعاني، وأمَّا الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد ذَكَرَ أنه يَصِفُه بما وصفَ به نفسَه، وإنما نفىٰ عنه المِثل فلا تُماثِل صفاته سبحانه صفات أحدٍ مِن خلقه.

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٦٤١) من طريق المُصنِّف، وما بين [ ] منه.

ورواه ابن أبي شيبة (٣٨٥٨٢) في (٤٠/ الفتن)، (١/ من كرهَ الخروج في الفتنة، وتَعوَّذَ منها) عن ابن الحنفية: إن قومًا مِن قَبلِكم تحيَّروا ونفروا حتىٰ تاهوا، فكان أحدهم إذا نُودي مِن خلفِهِ أجابَ مِن أمامَه، وإن نُودِيَ مِن أمامِه أجابَ مِن خلفِه.

المُعطِّلةِ وما يَرجعون إليه مِن الكُفرِ حكاياتٍ كثيرةٍ، يَتبيَّنُ بها عورةُ كلامِهم، وتكشِفُ عن كثيرٍ مِن سَوءاتِهم، ولكنَّا نتخوَّفُ من هذه الأحاديثِ، ونخافُ أن لا تَحتَمِلَه قلوبُ ضُعفاءِ الناسِ، فنوقِعُ فيها بعضَ الشكِّ والرِّيبةِ؛ لأن ابنَ المُباركِ قال: لَأَن أحكيَ كلامَ اليهودِ والنصارىٰ أحبُّ إليَّ مِن أن أحكيَ كلامَ الجهميةِ(١).

وصدقَ ابنُ المُباركِ، إنَّ مِن كلامِهم في تَعطيلِ صِفاتِ الله تعالىٰ ما هو أوحشُ مِن كلامِ اليهودِ والنصارىٰ، غيرَ أنا نختَصِرُ مِن ذلك [ما] نَستدِلُّ به علىٰ الكثيرِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ(٢).

(١) تقدم تخريجه برقم (١٦). وسيأتي برقم (٢٩١) كراهة الأئمة لحكاية كلام الجهمية لما فيه من الشُّبَه والتلبيس.

(٢) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة» (٢٤٥٦) مُعلِّقا علىٰ قول ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صدقَ عبد الله؛ فإن الذي تُجادل عليه هذه الطّائفة الضُّلال، وتتفوّه به من قبيح المقال في الله عَزَّوَجَلَّ تتحوَّب [يعني: تتأثَّم] اليهود والنصارىٰ والمجوس عن التفوّه به.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٣٧) قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيتُ أحدًا طلب الكلام واشتهاه إلَّا أخرجه إلىٰ أمرٍ عظيمٍ، لقد تكلَّموا بكلامٍ، واحتجُّوا بشيءٍ ما يقوىٰ قلبي ولا ينطقُ لساني أن أحكيه، والقوم يرجعون إلىٰ التعطيل في أقاويلهم، ويُنكرون الرؤية والآثار كلّها، ما ظننت أنه هكذا حتىٰ سمعت مقالتهم. اهـ

وسيأتي برقم (٢٨٨) تعليق حَسنٌ للمُصنِّف حول أثر ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وسيأتي كذلك (٢٥٩) بيان أن كفر الجهمية أشد مِن كفر اليهود والنصارىٰ.

١- باب

الإيمان بالعرش(١)

(١) بوّب المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» بابًا نحوه، فقال: (٥/ باب ما جاء في العرش).

وبوَّب كذلك غير واحدٍ مِن أهل السُّنة بابًا خاصًّا في العرش، ومِن ذلك:

حرب الكرماني في «السُّنة»: (٢٤/ باب في العرش).

وابن أبي زمنين في «أصول السُّنة»: (باب الإيمان بالعرش).

وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ»: (٨١/ باب ذكر العرش والإيمان بأن لله تعالىٰ عرشًا فوق السموات السبع).

وصنَّف غير واحدٍ مُصنفات خاصةً في (العرش)، ومنها: «كتاب العرش» لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة، و«كتاب العرش» للذهبي، وكلاهما منشور.

- قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٦٣): (العرش) في كلام العرب: سرير المَلِك، يدلُّك علىٰ ذلك سرير مَلكة سبأ، سَمَّاه الله جلّ وعزّ: عرشًا، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل]. اهـ

- وقال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ٦٢٥): قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]: حُجَّة في أن العرش هو السرير لا محالة، وأن عرش الله أيضًا جلَّ جلاله هو سريره الذي (استوىٰ) عليه لا (العِلم) كما يزعم الجهلة مِن الجهمية. اهـ

قلت: هذا معنىٰ (العرش) في أصل اللغةِ، وقد يُستعار لغيره من المعاني، وقد استغلَّ ذلك الجهمية المُعطلة فلبَّسوا علىٰ العامَّة حقيقة عرش الله تعالىٰ.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٢٦): ومثل

=⇦

=

هذا قول الجهميّ المُلبِّس: إذا قال لك المُشبِّه [مُثبت الصفات]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فقل له: (العرش) له عِدَّة معانٍ، و(الاستواء) له خمسُ معانٍ، فأيّ ذلك المراد؟ فإن المُشبِّه يَتحيَّرُ ولا يدري ما يقول!

فيُقال لهذا الجاهل: ويلك! ما ذنبُ الموحِّد الذي سميته أنت وأصحابك: (مُشبّهًا)، وقد قال لك نفس ما قال الله تعالىٰ، فوالله لو كان مُشبِّهًا كما تزعم لكان أولىٰ بالله ورسوله منك لأنه لم يتعدَّ النصَّ.

وأمَّا قولك: (العرش) له سبعةُ معانٍ ونحوه، و(الاستواء) له خمسةُ معانٍ، فتلبيسٌ منك علىٰ الجُهَّالِ، وكذبٌ ظاهر، فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوىٰ عليه إلَّا معنًىٰ واحد، وإن كان للعرشِ من حيث الجُملة عدّة معانٍ، فاللام للعهد، وقد صار بها العرش مُعيَّنًا وهو عرش الربِّ تعالىٰ الذي هو سرير مُلكه الذي اتَّفقت عليه الرسل، وأقرَّت به الأُمم إلَّا مَن نابَذَ الرُّسل. اهـ

- قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول السنة» (باب الإيمان بالعرش): ومن قول أهل السُّنة: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق العرش، واختصَّه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوىٰ عليه كيف شاء. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧٠٧): اعلموا - رحمكم الله - أن الجهمية تجحد أن لله عرشًا، وقالوا: لا نقول: إن الله علىٰ العرش؛ لأنه أعظم من العرش، ومتىٰ اعترفنا أنه علىٰ العرشِ، فقد حدَّدناه، وقد خلت منه أماكن كثيرة غير العرش، فردوا نصَّ التنزيل، وكذبوا أخبار الرسول ﷺ. اهـ

- وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البداية والنهاية» (١/ ٢٠) وهو يتكلَّم عن العرشِ: وليس هو فَلكًا، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العربِ، فهو سريرٌ ذو قوائم، تحمله الملائكة، وهو كالقُبَّة علىٰ العالم، وهو سقف المخلوقات. اهـ

قلت: ولمَّا كان العرش حقيقة لا كما يدَّعيه المُعطِّلة كانت له صفات كثيرة وردت في النصوص والآثار، ومن ذلك:

=

=

- أن الله عَزَّوَجَلَّ وصفه بأنه عظيم، قال: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].
- ووصفه بأنه كريم، فقال: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].
- أن الله خلقه بيده، كما في أثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سيأتي في «النقض» (فقرة/ ٦٩).
- وأن الله تعالىٰ مُستوٍ عليه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه].
- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٩١): اتفق المسلمون علىٰ أن الاستواء مُختصٌّ بالعرش. اهـ
- وأنه أعلىٰ المخلوقات، وسقفها، كما سيأتي برقم (٣١).
- وأنه أول المخلوقات خلقًا علىٰ الإطلاق، كما سيأتي برقم (٣٢).
- وأنه مثل القُبَّةِ علىٰ سائر الخلقِ، كما في حديث جُبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي برقم (٤٦).
- وأنه علىٰ الماء، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود:٧]، وكما في حديث حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي برقم (٢٩).
- وأن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد مِن ثِقَلِ الربِّ عليه. انظر: (٤٦ و٦٢).
- وأن له قوائم، كما روىٰ البخاري (٣٣٩٨) عن النبي ﷺ قال: **«الناسُ يُصعقون يوم القيامة، فأكون أول مَن يفيق، فإذا أنا بموسىٰ آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ ...»**.
- وأن الملائكة تحمله، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر:٧].
- وأنه تَحمِله ثمانية أوعال كما في حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي برقم (٤٧).
- وأن الملائكة تَحفُّه، قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الزمر:٧٥].
- وأنه أعظم وأكبر المخلوقات، كما جاء في الأثر: «ما الكرسيُّ في العرشِ إلَّا

=⇦

=
كحلقة مِن حديدٍ أُلقِيت بين ظهراني فلاةٍ مِن الأرضِ».

- وأن الكرسي دونه وتحته، قال أبو عمر الطلمنكي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أن لله تعالى كرسيًّا دون العرش. اهـ [«الصفات» لابن المُحب (٢٣٤)]

- وأن له وزنًا عظيمًا كما روى مسلم (٢٧٢٦) عن جُويرية رضي الله عنها الآتي (٢٠٧).

- وأن له ظِلًّا كما روى أحمد (٨٧١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظَر مُعسِرًا، أو وضعَ له، أظلَّه الله في ظلِّ عرشِهِ يومَ القيامة».

- وأنه يَهتَزُّ لموتِ بعض الصالحين، كما روى البخاري (٣٨٠٣) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمعت النبي ﷺ يقول: «اهتزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ».

- وأنه مخلوق مِن ياقوتةٍ حمراء كما روي ذلك عن غير واحدٍ من السلف. انظر: «السُّنة» لحرب الكرماني (٣٤٥)، و«العرش» لابن أبي شيبة (٤٠).

- أن الكتاب الذي كتبه الله تعالى وضعه عنده فوق العرش، كما روى أحمد (٨٧٠٠)، قال ﷺ: «لمَّا قضى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الخلقَ، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

- أن تحته كنزًا، ومنه قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، كما رواه أحمد (٢١٤١٥) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع .. الحديث، وفيه: «وأمرني أن أُكثِرَ مِن قول: لا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله، فإنهنَّ مِن كنزٍ تحتَ العرشِ».

- ومنه أعطي النبي ﷺ خواتيم سورة البقرة، كما روى النسائي (٧٩٦٩) عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خواتيم سورة البقرة أُنزلت من كنزٍ تحت العرش.

- وأن مُستقرَّ الشمس تحت العرش، كما روى البخاري (٧٤٣٣) عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت النبي ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس:٣٨]، قال: «مُستقرُّها تحت العرش».

- أن النبي ﷺ يجلس عليه يوم القيامة كما في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء]، قال مجاهد: يُجلسه على عرشه. رواه
=

وهو أحدُ ما أنكرته المُعطِّلةُ.

٢٤ - قال أبو سعيد:

وما ظننَّا أنا نَضطرُّ إلىٰ الاحتجاجِ علىٰ أحدٍ ممَّن يَدَّعي الإسلامَ في إثباتِ العرشِ، والإيمانِ به، حتىٰ ابتُلينا بهذه العِصابةِ المُلحِدةِ في آياتِ اللهِ، فشغلُونا بالاحتجاجِ لِمَا لم تَختلف فيه الأُممُ قبلنا، وإلىٰ اللهِ نشكو ما أوهَت هذه العِصابةُ مِن عُرىٰ الإسلامِ، وإليه نلجأُ، وبه نَستعين(١).

= الخلال في «السنة»، وعقد له بابًا فقال: (٢٦ / ذكر المقام المحمود).

(تنبيه): الجهمية ونفاة علوِّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه يدَّعون أن من خصائص العرش أنه قبلة الدعاء، فيزعمون أن الدَّاعي حين يرفع يديه إنما يتوجَّه إلىٰ السماء أو العرش الذي هو قبلة الدعاء، لا أن الداعي يرفع يديه إلى الله تعالى فوق سمواته.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٥٤٥): كون العرش أو السماء قبلة للدُّعاء لا يثبت بغير الشرع، فإن اختصاص بعض الجهات والأمكنة بأنه يستقبل دون غيرها هو أمرٌ شرعي ... فلو كان الله قد جعل العرش أو السماء قبلة للدُّعاء كان في الشريعة ما يُبيّن ذلك، ومعلوم أنه ليس في الكتاب، والسُّنة، ولا شيء من الآثار عن سلف الأُمة ولا أئمتها، ولا في الآثار عن الأنبياء المُتقدِّمين .. أن العرش أو السماء قبلة للدُّعاء، فعلم أن دعوىٰ ذلك من أعظم الفرية علىٰ الله، وأن هذا من جملة افتراء الجهمية ونحوهم علىٰ الله، وعلىٰ رسله ودينه. اهـ

وسيأتي تحت (فقرة ٣٧) زيادة بيان في رَدِّ دعوىٰ نُفاة العلو أن السماء والعرش قِبلة الدُّعاء.

(١) كما قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص ٥١) في الرد علىٰ الأشاعرة: (لمَّا عُدِمَ مَن ينظر في أمرِ المسلمين مُحِنًّا بالكلامِ مع مَن ينبغي أن يُلحق بالمجانين). اهـ

• وقد حَققَّ اللهُ العرشَ في آيٍ كثيرةٍ مِن القرآنِ، فقال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧].

• وقال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

• وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان].

• ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥].

في آيٍ كثيرةٍ سِواها. [٧٩/ ب]

٢٥- فادَّعت هذه العِصابةُ أنهم يُؤمنون بالعرشِ، ويُقرُّونَ به؛ لأنَّه مَذكورٌ في القرآنِ(١).

---

(١) فهؤلاء الجهمية الذين صنَّف الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أئمة السُّنة كتبهم في الردِّ عليهم، والذين يثبتون ألفاظ الكتاب والسُّنة ويدَّعون أنهم يؤمنون بها؛ إنما كان بلاؤهم مِن جهةِ التأويلِ والتحريفِ الذي سلكوه في نصوص الصفات، والذي حقيقته: الإنكارُ والتكذيبُ بها، فتنبَّه لهذا ولا تظننّ أن رُدود الأئمة علىٰ الجهمية إنما هو علىٰ الغُلاة وهم نُفاة الصفات فقط، فهؤلاء لا يَشكُّ أحدٌ في كُفرهم لتكذيبهم بكتابِ الله تعالىٰ، وسُنةِ نبيه ﷺ ابتداءً.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اجتماع الجيوش» (ص ٣٣٣): وليس مقصود السَّلف بأنَّ مَن أنكرَ لفظ القرآن يكون جهميًّا مُبتدعًا؛ فإنه يكون كافرًا زِنديقًا، وإنّما مقصودهم مَن أنكرَ معناه وحقيقته. اهـ

- وقال في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٤٦) وهو يتكلّم عن أنواع التَّكذيب بنصوص الصِّفات: ولو أقرّ بلفظِهِ مع جَحْدِ معناه، أو حرَّفَه إلىٰ معانٍ أُخر غير مَا
=⇐

فقلتُ لبعضِهِم: ما إيمانُكم به إلَّا كإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة:٤١].

وكالذين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة].

أتُقِرُّون أنَّ للهِ عرشًا معلومًا موصوفًا فوقَ السماءِ السابعةِ، تَحمِلُه الملائكةُ، واللهُ فوقَ كما وصفَ نفسَه، بائِنٌ مِن خلقِهِ؟(١).

فأبىٰ أن يُقرَّ به كذلك، وتَردَّدَ في الجوابِ، وخَلَّطَ ولم يُصرِّح(٢).

=

أُريد به لم يكن مُصدِّقًا بل هو إلىٰ التكذيب أقرب. اهـ

وستأتي زيادة بيان مُهمَّة تحت الفقرة (٧٠).

(١) سيأتي برقم (٤٣)، سبب قول أئمة السنة: (بائن من خلقه).

(٢) وهكذا يقال للأشاعرة والماتُريدية الذين يدَّعون أنهم يؤمنون بنصوص الصفات ولا يُكذِّبونها، فيؤمنون بأنَّ اللهَ تعالىٰ عالٍ علىٰ خلقه، وأن له عرشًا هو مستوٍ عليه، فإذا ما سمعهم الجاهل حسبهم موافقين لأهل السُّنة؛ ولكن عند التفصيل والبيان يفتضحون، فـ(العلوّ) عندهم: علوّ القهرِ والغَلبةِ لا علو المكان والارتفاع، و(العرش) عندهم: المُلك، و(الاستواء): الاستيلاء؛ فرجعَ مذهبهم إلىٰ التعطيل والتكذيب، ولكن بطريق التلبيس والتحريف.

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص٧٤) في الرد علىٰ الأشاعرة: (وأمَّا تظاهُرُهم بخلاف ما يعتقدونه كفعلِ الزنادقة؛ ففي إثبات أن الله سبحانه استوىٰ علىٰ العرش، ومِن عَقْدهم: أنّ الله سبحانه لا يجوز أن يوصف بأنه في سماء ولا في أرض، ولا علىٰ عرشٍ ولا فوق. وقد ذكر ابن الباقِلاني: أن الاستواء

=

٢٦ - قال أبو سعيد:

فقال لي زَعيمٌ منهم كبيرٌ: لا، ولكن لمَّا خلقَ اللهُ الخلقَ، يعني: السمواتِ

= فِعلٌ له أحدثه في العرش. وهذا مخالفٌ لقول علماء الأُمَّة). اهـ

- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُاللهُ في «الدُّرر السَّنية» (٣/ ٢٢٣): وأما قول الأشاعرة في نفي علوّ الله تعالىٰ علىٰ عرشه، فهو قول الجهمية سواء بسواء؛ وذلك يَردّه ويبطله: نُصوص الكتاب والسُّنة. اهـ

❖ (تنبيه): أهل السُّنة لما رأوا تلبيس المُعطِّلة في ادِّعائهم الإيمان بالعلوِّ والاستواء زادوا في البيان والإيضاح كلمة: (بذاته علىٰ عرشه).

- قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ٩٠٢): إن الجهمية لما قالوا: (بأن الاستواء مجازٌ)، صرَّحَ أهل السُّنة بأنه مستوٍ (بذاتِهِ) علىٰ العرش. اهـ

وقد صرّح بذلك غير واحدٍ مِن أهل السُّنة كما بيَّنتُ ذلك في التعليق علىٰ «إثبات الحد لله تعالىٰ» (ص ١١٩).

- قال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُٱللَّهُ في «الرسائل والمسائل» (٣/ ٣٤٧): قال ابن أبي زيد القيرواني في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، أي: (بذاته). وقد أنكر عليه مَن لا عِلمَ له، ولا اطِّلاع علىٰ مذهب السَّلفِ والأئمة [المُتقدِّمين] رضي الله عنهم، وخبّط في هذا المقام بما لا طائل تحته من فضولِ الكلام الدَّال علىٰ فسادِ القصدِ، وعدم رُسوخ الأفهامِ، فنعوذُ بالله من مَعرَّةِ الجهلِ والأوهام، ونستجير به من مزلةِ الأقدام. اهـ

قلت: ومنهم ابن السُّبكي الأشعري، فقد أنكر في «طبقات الشافعية الكُبرىٰ» (٦/ ١٤٣) علىٰ الكرجي رَحِمَهُٱللَّهُ قوله في «قصيدته في السُّنة»:

عقائـــدهم أن الإلـــه بذاتـــه ... علىٰ عرشه مع علمه بالغوائب

فقال: ليس فيها ما يُنكَرُ معناه إلَّا قوله: (بذاته). اهـ

والأرضَ وما فيهنَّ، سَمَّىٰ ذلك كلَّه: (عَرْشًا له)، واستوىٰ علىٰ جميع ذلك كُلِّه(١).

قلت: لم تَدَعوا مِن إنكارِ العرشِ والتكذيبِ به غايةً، وقد أحاطت بكم الحُجَجُ مِن حيثُ لا تَدرون، وهو تصديقُ ما قلنا: إنَّ إيمانكم به كإيمان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة:٤١].

فقد كذَّبَكم اللهُ تعالىٰ به في كتابِه، وكذَّبَكم به الرسولُ ﷺ.

---

(١) وهذا القول لا يزال يتناقله المُعطِّلة في كلِّ زمانٍ ومكان، يزعمون أن العرشَ: (المُلك)، وأن الله استوىٰ عليه بمعنىٰ: (استولىٰ علىٰ مُلكه)، ومن ذلك:
- قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٢): لما كان الاستواء علىٰ العرش وهو سرير المُلْك مما يردف المُلْك، جعلوه كناية عن (المُلك)، فقالوا: استوىٰ فلانٌ علىٰ العرش، يريدون: مَلَكَ، وإن لم يقعد علىٰ السرير البتة .. اهـ
- وقال البغدادي: والصحيح عندنا تأويل (العرش) في هذه الآية علىٰ معنىٰ: (المُلك)، كأنه أراد: أن المُلك ما استوىٰ لأحدٍ غيره ... إلخ.
[«التفسير الكبير» للرازي].
- وقال القُرطبي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/ ٤٣٦): و(العرش) في أصل اللغة: الرفع ... ومنه سُمي السرير وسقف البيت: عرشًا، ويقال: لِمَا يُستظَلُّ به عرش وعريش، وإضافته إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ جهة المُلك أو التشريف، لا لأنّ الله استقرّ عليه أو استظلّ به كما قد توهَّمه بعض الجُهَّال في الاستقرار، وذلك علىٰ الله مُحال؛ إذ يستحيل عليه الجسمية ولواحقها. اهـ
- وقال الألوسي في «روح المعاني» (٦/ ٦٣): واختار كثيرٌ من الخلف أن المراد بذلك: (المُلك والسلطان)، وذكره لبيان جلال مُلكه وسلطانه سبحانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قُدرته بما مرَّ من خلق هاتيك الأجرام العظيمة. اهـ

أرأيتُم قولَكم: (إنَّ عرشَه: سمواتُه، وأرضُه، وجميعُ خلقه)، فما تفسيرُ قوله عندكم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر:٧]، أحملَةُ عرشِ الله، أم حملةُ خلقِه؟!

• وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة].

أيَحملون السمواتِ والأرضَ ومَن فيهنَّ، أم عرشَ الرحمنِ؟!(١).

فإنكم إن قد تمَّ قولكم قولًا هذا يلزمكم أن تقولوا: (عرش ربِّك: خلقُ ربِّك أجمع)، وتُبطِلون العرشَ الذي هو العرشُ، وهذا تفسيرٌ لا يَشُكُّ أحدٌ في بُطُولِه واستِحالتِه، وتكذيبٌ بعرشِ الرَّحمنِ تبارك وتعالىٰ(٢).

(١) قال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (٤/ ٣٩٤) في تفسيره لهذه الآية: ردٌّ علىٰ من يزعم مِن المعتزلة: أن العرش (مُلكه)، فكيف يكون مُلكه محمولًا؟! أم كيف يكون الملائكة خارجين مِن المُلك، فقد بان - بغير إشكالٍ - أنه السرير. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٧٨): إن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [غافر:٧]، وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة]، يوجب أن لله عرشًا يُحمل، ويوجب أن ذلك العرش ليس هو (المُلك) كما تقوله طائفة من الجهمية، فإن المُلك هو مجموع الخلق، فهنا دلّت الآية علىٰ أن لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلىٰ أنه يوم القيامة يحمله ثمانية، إمَّا ثمانية أملاك، وإمَّا ثمانية أصناف، وهذا إلىٰ مذهب المُثبتة أقرب منه إلىٰ قول النافية. اهـ

(٢) الإيمان بمُجرَّد ألفاظ النصوص مع تحريف معانيها وحقائقها يُعدُّ عند أئمة السنة نوعًا مِن أنواع التكذيب بها، كما تقدم قريبًا، وسيأتي زيادة بيان برقم (٧٠).

٢٧- فقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود:٧].

• وقال رسول الله ﷺ: **«كانَ اللهُ ولم يَكنْ شيءٌ، وكانَ عرشُه علىٰ الماءِ»**(١).

ففي قولِ اللهِ تعالىٰ، وحديثِ رسولِ الله ﷺ دلالةٌ ظاهرةٌ: أنَّ العرشَ كان مخلوقًا علىٰ الماءِ؛ إذ لا أرضَ ولا سماءَ، فلم تُغالِطون الناسَ بما أنتم له مُنكِرون؟ ولكِنكم تُقِرُّون بالعرشِ بألسنتِكم تَحرُّزًا مِن إكفارِ الناسِ إيَّاكم بنصِّ التنزيلِ، فتُضرَبُ عليه رِقابُكم، وعند أنفسِكم أنتم به جاحِدون.

ولَعَمري لِئن كان أهلُ الجهلِ في شكٍّ مِن أمرِكُم، إنَّ أهلَ العلمِ مِن أمرِكُم لعلىٰ [يقين]، أو كما قلتُ لهم، زادَ أو نقصَ.

٢٨- حدثنا محمد بن كثير، أنبا سفيان وهو الثوري، عن جامع بن شدَّاد، عن صفوان بن مُحرزٍ، عن عمرانَ بن حُصينٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ نفرٌ مِن بني تميمٍ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقال: **«يا بني تَميمٍ أبشِروا»**.

قالوا: قد بشَّرتنا، فأعطنا.

قال: فتغيَّرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ.

قال: فجاءَه أهلُ اليمنِ، فقال لأهلِ اليمنِ: **«يا أهلَ اليمنِ، اقبَلوا البُشرىٰ إذ لم يَقبَلها بَنُو تَميمٍ»**.

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

قالوا: قد قَبِلنا، فأخذ رسول الله ﷺ يُحدِّثُ ببدءِ الخلقِ والعرشِ.

قال: فجاءَ رجلٌ، فقال: يا عمرانُ، راحِلتَكَ.

قال: فقمتُ، وليتني لم أَقُم(١).

٢٩- **وحدثنا** محبوب بن موسىٰ الأنطاكي، أنبأ أبو إسحاق الفَزاري، عن الأعمش، عن جامع [٨٠/ أ] بن شدَّاد، عن صفوان بن مُحْرِز، عن عمران بن حُصين رضي الله عنه، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فعقَلتُ ناقتي بالبابِ، ثم دخلتُ، فأتاه نَفرٌ مِن بني تَميمٍ، فقال: «**اقبَلوا البُشرىٰ [يا بني تَميمٍ]**».

قالوا: بَشَّرتنا، فأعطنا.

ثُمَّ دخلَ عليه ناسٌ مِن أهلِ اليمنِ، فقال: «**اقبلوا البُشرىٰ] يا أهلَ اليمنِ إذ لم يَقبَلها إخوانُكم بَنو تميمٍ**».

قالوا: قَبِلنا يا رسول الله، أتيناكَ لنتفَقَّه في الدِّينِ، ونسألُك عن أولِ هذا الأمر حيثُ كان.

قال: «**كان اللهُ لم يَكُن شَيءٌ غيرُه، وكان عرشُه علىٰ الماءِ، ثم كتبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ، ثم خَلَقَ السمواتِ والأرضَ**».

قال: ثُمَّ أتاني رجُلٌ، فقال: أدرِك ناقتَكَ، فقد ذهبتْ. فخرجتُ فوجدتُها قد يَقطعُ دونها السَّرابُ، وايمُ اللهِ لوَدِدتُ أني تَركتُها(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٠).

(٢) رواه البخاري (٧٤١٨)، وما بين [ ] منه.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٦٤) قال ضمرة بن ربيعة، عن صَدَقَة، سمعت ⇐=

* قال أبو سعيد:

ففي هذا بَيانٌ بيِّنٌ أنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ العرشَ قبلَ السمواتِ والأرض وما فيهنَّ، وتكذيبٌ لِمَا ادَّعوا مِن الباطلِ.

٣٠- وحدثنا عبد الله بن أبي شيبة، قال: ثنا عبد الله بن بكر[١] السَّهمي، ثنا بشر بن نُمير، عن القاسم، عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «خلقَ اللهُ الخلقَ، وقضىٰ القضيَّةَ، وأخذَ مِيثاقَ النبيينَ، وعرشُه علىٰ الماءِ، وأخذَ أهلَ اليمينِ بيمينِه، وأخذَ أهلَ الشِّمالِ بيدِه الأُخرىٰ، وكِلتا يدي الرحمنِ يَمينٌ، ثم قال: يا أصحابَ اليمينِ، قالوا: لبَّيك ربَّنا وسَعديك، قال: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلىٰ.

ثُم قال: يا أصحابَ الشِّمالِ، قالوا: لبَّيكَ ربَّنا وسعديك.

قال: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلىٰ.

قال: فخلَطَ بعضَهم ببعضٍ، فقال قائلٌ: ربِّ لم خَلطتَ بيننا؟

قال: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون]، إلىٰ قوله:

= سُليمان التيمي، يقول: لو سُئلتُ عن الله تبارك وتعالىٰ لقلتُ: في السماء.

فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: علىٰ الماء.

فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلتُ: لا أعلم.

قال أبو عبد الله البخاري: وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يعني: إلَّا بما بيَّن.

(١) في الأصل: (بكر بن عبد الله)، وسيأتي علىٰ الصواب برقم (١٧٢).

﴿كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف]، ثم ردَّهم في صُلبِ آدمَ».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**خلقَ اللهُ الخلقَ، وقضىٰ القَضيَّةَ، وأخذَ مِيثاقَ النبيّينَ، وعرشُه علىٰ الماءِ، وأهلُ الجنةِ أهلُها، وأهلُ النارِ أهلُها**».

قال: فقال قائلٌ: يا نبيَّ اللهِ، ففيمَ العملُ؟

قال: «**أن يَعملَ كلُّ قومٍ لمنزلَتِهم**».

فقال عمر: إذًا نَجتهدَ.

قال: وسُئل رسول الله ﷺ عن الأعمالِ.

فقيل: يا رسول الله، أرأيتَ الأعمالَ، أشيءٌ يؤتنفُ(١) أو فُرِغَ منها؟

قال: «**بل فُرِغَ منها**»(٢).

٣١- **حدثنا** يحيى الحِمَّاني، ويحيى بن صالح الوحاظي، قالا: ثنا عبد العزيز ابن محمد الدراوردي، ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن مُعاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، ما بين كلِّ**

---

(١) في الأصل: (يُتوقَّفُ)، وما أثبته مما سيأتي برقم (١٧٢).

وفي «لسان العرب» (٩/ ١٤): (الأمرُ أُنُفٌ): أي: يُستأنَفُ استِئنافًا مِن غيرِ أن يَسبِقَ به سابقُ قضاءٍ وتقديرٍ، وإنما هو علىٰ اختيارِك، ودخولك فيه، استأنفت الشيء إذا ابتدأته. اهـ

(٢) رواه حرب في «السنة» (٢٣٢)، والعُقيلي في «الضعفاء» (١٩٣)، في ترجمة: بشر بن نُمير، قال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال العُقيلي بعد إيراده لحديثه: لا يُتابع عليه.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (١٨٧٣٧)، من طريق يزيد بن يوسف، عن جعفر ابن الزبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة. وفي إسناده: جعفر، وهو متروك.

درجتينِ كما بين السماءِ والأرضِ، والفردوسُ أعلىٰ الجنةِ وأوسَطُها، وفوقَها عَرشُ الرحمنِ، ومنها تَفجَّرُ أنهارُ الجنةِ، فإذا سألتُم اللهَ فسلوه الفِردوسَ»(١).

٣٢- حدثنا محمد بن كثير، أنبا سفيان وهو الثوري، ثنا أبو هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنَّ [اللهَ] كان علىٰ عرشِهِ قبلَ أن يَخلقَ شيئًا، فكان أولُ ما خلقَ اللهُ القلمَ، فأمرَه وكتَبَ ما هو كائِنٌ، وإنَّما يَجري الناسُ علىٰ أمرٍ قد فُرِغَ منه(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٠)، وابن ماجه (٤٣٣١). قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: عطاء لم يُدرك معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاذٌ قديم الموت، مات في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. اهـ

والحديث رواه البخاري (٧٤٢٣) عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنةِ مائةَ درجةٍ، أعدَّها اللهُ للمُجاهدين في سبيلِه، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماءِ والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسطُ الجنةِ، وأعلىٰ الجنةِ، وفوقَه عرشُ الرحمنِ، ومنه تَفجَّرُ أنهارُ الجنة».

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (١٧٣)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٦)، والآجري في «الشريعة» (٥٢٦ و٧٧٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٤٨٤)، واللالكائي (٦٢٥ و١١٣٠). وهو صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

تقدم قريبًا قولُ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٩): (ففي هذا بَيانٌ بيِّنٌ أنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ العرشَ قبلَ السمواتِ والأرض وما فيهنَّ ..).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصفدية» (٢/ ٨٢): الصحيح أن العرش خُلِقَ أولًا؛ لأن ذلك ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «أنه قدَّرَ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ، وكان عرشه علىٰ الماء»، فهذا يدلُّ علىٰ أنه قدَّر إذ كان عرشه علىٰ الماء، فكان العرشُ موجودًا مخلوقًا عند التقديرِ لم يوجد بعده.

=⇦

٣٣- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال: حدثني ابن لهيعة، ورِشد[ين] بن سعد، عن أبي عبد الرحمن الحُبُليِّ[١]، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: لمَّا أرادَ الله تبارك وتعالىٰ [٨٠/ ب] أن يَخلُقَ شيئًا إذ كان عرشُه علىٰ الماءِ، وإذ لا أرضَ ولا سماءَ، خلقَ الرِّيحَ فسلَّطها علىٰ [الماءِ]، حتىٰ اضطربت أمواجُه، وأثارَ رُكامَه، فأخرجَ مِن الماءِ دُخانًا وطينًا وزَبَدًا، فأمرَ الدُّخانَ فعَلا، وسَمَا ونَمَا، فخلقَ منه السموات، وخلقَ مِن الطينِ الأرضين، وخلقَ مِن الزَّبدِ الجبالَ[٢].

=

وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**كان الله ولا شيء قبله، وكان عرشه علىٰ الماء، وكتبَ في الذكرِ كل شيء**».

وفي رواية: «**ثم كتبَ في الذكرِ كل شيء**»، فهو أيضًا دليلٌ علىٰ أن الكتابة في الذكر كانت والعرش علىٰ الماء.

وأمَّا الحديث الذي فيه: «**أولُ ما خلقَ اللهُ القلمُ**»، وأنه أمرَه أن يكتُبَ ما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة، فذلك بيانٌ لخلق العالم الذي خلقه في ستة أيام، وأن تقدير هذا العالم كان قبل خلقه، وأن أول ما خلقَ من أسباب هذا العالم القلم؛ لأن تقدير المخلوق سابق لخلق المخلوق ... إلخ.

- ونحوه قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل» (١/ ١٩).

(١) في «العلو»: بين (رشدين)، و(أبي عبدالرحمن): (عبدالرحمن بن زياد بن أَنعُم). والأثر ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بُغية المُرتاد» (ص ٢٩٦) عن المُصنِّف كما في الأصل.

(٢) ذكره ابن تيمية في «بغية المرتاد» (ص ٢٩٦)، والذهبي في «العلو» (٢٧٠)، وضَعَّفه. وما بين [ ] منهما.

* قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ففي ما ذكرنا مِن كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وفي هذه الأحاديث بيانٌ بَيِّنٌ أن العرشَ كان مخلوقًا قبل ما سِواه مِن الخلقِ، وأنَّ ما ادَّعىٰ فيه هؤلاءِ المُعطِّلة تكذيبٌ بالعرشِ، وتخرُّصٌ بالباطلِ، ولو شِئنا أن نجمعَ في تحقيقِ العرشِ كثيرًا مِن أحاديثِ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه والتابعين لجمعنا[١]، ولكن علمنا أنه خَلصَ عِلمُ ذلك والإيمان به إلىٰ النِّساءِ والصِّبيانِ، إلَّا إلىٰ هذه العِصابةِ المُلحدةِ في آياتِ اللهِ، طهَّرَ اللهُ منهم بلادَه، وأراحَ منهم عِبادَه.

(١) جمعها عثمان بن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابٍ مُفردٍ سمَّاه: «كتاب العرش»، والذهبي في «كتاب العرش»، وكلاهما منشور.

٢- باب

استواء الرب تبارك وتعالى على العرش، وارتفاعه إلى السماء، وبينونته مِن الخلق(١)

٣٤- وهو أيضًا ممَّا أنكروه(٢).

---

(١) لا يكاد يخلو كتاب في الاعتقاد من بابٍ لهذه المسألة العظيمة، ومِن ذلك:

١- «الشريعة» للآجري: (٤٩ / باب التحذير من مذاهب الحُلولية)، و(٥٠ / باب ذكر السُّنن التي دلَّت العُقلاء على أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه فوق سبع سماواته).

٢- و«الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة: (٨٠/ باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، وعِلمه مُحيطٌ بجميع خلقه).

٣- و«السنة» للخلال: (٨٠ / باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، وعلمه مُحيط بجميع خلقه).

٤- و«التوحيد» لابن خزيمة: (باب ذكر البيان أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء).

٥- واللالكائي: (١٩/ سياق ما روي في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]، وأن الله تعالىٰ علىٰ عرشه في السماء).

٦- و«الصفات» لابن المُحبّ (١/ ٩٥): (باب قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]).

وقد أفرد غيرُ واحدٍ هذه المسألة بالتصنيف، كابن قدامة في كتاب «إثبات صفة العلو»، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ حرب المُعطِّلة والجهمية»، والذهبي في «العلو للعلي الغفار»، وغيرهم.

(٢) يعني: الجهمية ومَن وافقهم علىٰ هذه العقيدة الكُفرية كالأشاعرة، والماتريدية، وغيرهم مِن المُعطِّلة.

⇐=

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تلبيس الجهمية» (١/ ٤١٧): القول بأن الله تعالىٰ ليس فوق العرش، أول مَن ابتدعه في الإسلام: «الجعد بن درهم»، و«الجهم بن صفوان»، وشيعتهما، وهم عند الأُمَّة مِن شرارِ أهلِ الأهواء، وقد أطلق السلف مِن القولِ بتكفيرهم ما لم يُطلقوه بتكفيرِ أحدٍ ... وقالوا: اتفق المسلمون واليهود والنصارىٰ علىٰ أن الله تعالىٰ فوق العرش، وقالت الجهمية: ليس فوق العرش. اهـ

قلت: فهذه العقيدة الفاسدة المُخالفة للوحي والفطرة قد مُلِئَت بها كتب التفاسير وشروح الأحاديث، وأصبح القول بنفي العلوّ هو الغالب عليها ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، وقد ذكرتُ شيئًا من أقوالهم في التعليق علىٰ «النقض» (فقرة/ ٥٣) تحت قوله: (وقد اتفقت الكلمةُ مِن المسلمين والكافرين: أنَّ اللهَ في السماءِ، وحدُّوه بذلك، إلَّا المريسيّ الضالّ وأصحابه...).

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٤١) قال حماد بن زيد: إنما يُحاوِلون أن يقولوا: ليسَ في السماءِ شيءٌ.

- وفيه (٦٨) قال عباد بن العوَّام: كلَّمتُ بشرًا المريسي، وأصحاب بشرٍ؛ فرأيتُ آخِرَ كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السَّماءِ شيء.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٥٢٢): .. الجهمية أظهروا مسألة القرآن وأنه مخلوق، وأظهروا أن الله لا يُرىٰ في الآخرة، ولم يكونوا يُظهرون لعامَّة المؤمنين وعلمائهم إنكار أن اللهَ فوقَ العرش، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وإنما كان العلماء يعلمون هذا منهم بالاستدلال والتَّوسّم، كما يُعلم المنافقون في لحنِ القولِ .. إلخ.

- وقال أيضًا: كان الجهمية يدورون علىٰ هذا، ولم يكونوا يُصرِّحون به لوفور السلف والأئمة، وكثرةِ أهل السُّنة، فلما بَعُد العهد، وانقرض الأئمة، صرَّح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه، ويدورون حوله.

قلت: فأمّا الآن فإنهم يعلنون هذه العقيدة الكُفرية، ويدرسونها طُلَّابهم، ويُقرِّرونها في كتبهم، بل ويُصرِّحون بكفر مَن خالفهم فيها. والله المستعان.

• وقد قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤][(١)].

• وقال: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[طه].

• وقد قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ [السجدة].

• وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

• وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام].

---

(١) قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ٤٢٦): حُجَّة علىٰ الجهمية؛ لأن (الاستواء) في هذا الموضع هو (الاستقرار)، فقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، أي: استقرَّ عليه، فهو بما استقلّ العرش منه جلَّ جلاله له حدٌّ عند نفسه لا بحدٍّ يُدركه خلقه والمحيط بالأشياء علمه سبحانه. اهـ

قلت: مِن معاني الاستواء الصحيحة: تفسيره بالاستقرار علىٰ العرش، كما بيَّنتُ ذلك في مقدمات تحقيق كتاب «إثبات الحدِّ لله تعالىٰ» للدشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

• وقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل](١).

• وقوله: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر: ١٠](٢).

• وقوله: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج].

• وقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك].

• ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ

---

(١) قال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (٢/ ٦٨): دليلٌ علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ بذاته في السماء علىٰ العرش، وليس في الأرضِ إلَّا علمه المُحيط بكلِّ شيء. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٦١): ممَّا ادَّعىٰ المُعطِّلة أنه مجازٌ لفظ: (الفوقية) ... وحقيقة (الفوقية): علوّ ذات الشيء علىٰ غيره، فادَّعىٰ الجهمي أنها مجازٌ في فوقية الرُّتبة والقهر. اهـ

- وقال (٣/ ١٠٦٤): قد جاءت فوقية الربِّ مقرونة بـ(مِن)، كقوله تعالىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل: ٥٠]، فهذا صريحٌ في فوقية الذات، ولا يصحُّ حمله علىٰ فوقية الرُّتبة لعدم استعمال أهل اللغة له. اهـ

(٢) قال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (٣/ ٦٩٤) في تفسير هذه الآية: حُجَّة قاطعة لكلِّ لُبسة علىٰ مَن يزعم أن الله بنفسه في الأرض، فكيف يصعد إليه - ويحهم - العمل الصالح وهو مع عامله بزعمهم في الأرض، بل هو في السماء علىٰ العرش بلا مِرية، ولا شكٍّ، وعلمه بكلِّ مكانٍ، لا يخلو من علمه مكان. اهـ

رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت].

٣٥ - قال أبو سعيد:

أقرَّت هذه العِصابةُ بهذه الآياتِ بألسِنَتِها، وادَّعوا الإيمانَ بها، ثم نقضوا دعواهم [٨١/أ] بدعوىٰ غيرها، فقالوا: اللهُ في كلِّ مكانٍ، لا يخلو منه مكانٌ(١).

قلنا: قد نقضتُم دعواكم بالإيمانِ باستواءِ الرَّبِّ علىٰ عرشِه، إذ ادَّعيتم أنه في كلِّ مكانٍ.

٣٦- فقالوا: (**تفسيرُه عندنا: أنه استولى عليه وعلاه**(٢)).

---

(١) وهذا عين مذهب الأشاعرة إذ ادّعوا الإيمان بنصوص الوحي في الظاهر، ثم نقضوا دعواهم فأنكروا حقيقة علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، واستوائه علىٰ عرشه كما هو مُقرَّر في كتبهم، وقد تقدم تقرير ذلك تحت التعليق رقم (٢٥).

وسيأتي نقل أقوالهم في نفي العلوّ، وإنكارهم علىٰ من أثبته، وتكفيرهم لهم.

(٢) هذا القول هو الدارج في كتب التفسير وشروح الأحاديث التي ألَّفها جمهور المُعطِّلة مِن الجهمية والأشاعرة السابقين منهم واللاحقين، وبالوقوف علىٰ أقوالهم فيها يتبيَّن لك أن مذهب المريسية الذين ردَّ عليهم المُصنِّف لا يزال هو الساري في كتب القومِ إلىٰ يومنا هذا، والله المُستعان، ومن ذلك:

- قال محمود بن أبي الحسن النيسابوري في «إيجاز البيان عن معاني القرآن»:

=⇦

=
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استولىٰ بالاقتدار ونفوذ السلطان. اهـ

- وقال البيضاوي في «تفسيره» (٣/ ١٦): ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، استوىٰ أمره، أو استولىٰ. اهـ

- وقال العزُّ بن عبد السلام في «تفسيره» (ص ٤٨٦): ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: أمره علىٰ العرش، أو استولىٰ. اهـ

- وقال ابن جماعة في «إيضاح الدليل» (ص ١٠٣): قوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: يتعيَّن فيه معنىٰ الاستيلاء والقهر، لا القعُود والاستقرار. اهـ

- وقال النَّسَفي في «تفسيره» (١/ ٥٧٣): ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾: استولىٰ، ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أضاف الاستيلاء إلىٰ العرش وإن كان سبحانه وتعالىٰ مُستوليًا علىٰ جميع المخلوقات؛ لأن العرش أعظمها وأعلاها، وتفسير العرش: (بالسرير)، والاستواء: (بالاستقرار) كما تقوله المُشبِّهة باطل؛ لأنه تعالىٰ كان قبل العرش ولا مكان، وهو الآن كما كان. اهـ

- وقال الزُّحيلي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٩): ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي: استولىٰ علىٰ مُلكه، يُدبر أمره، ويحكم شأنه. اهـ

قلت: فكل هذا تحريف لحقيقية الاستواء، وهو مذهب المريسيّة الذي ردَّ عليه المُصنِّف، وبيَّن ضلاله.

- روىٰ اللالكائي (٦٣١) عن أبي عبد الله نفطويه، قال: حدثني أبو سليمان داود ابن علي، قال: كنا عند ابن الأعرابيِّ، فأتاه رجلٌ، فقال له: ما معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]؟ فقال: هو علىٰ عرشه كما أخبر عَزَّوَجَلَّ.

فقال: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه! إنما معناه: استولىٰ!

قال: اسكُت، ما أنت وهذا، لا يُقال: استولىٰ علىٰ الشيءِ أو يكون له مُضادٌّ، فإذا غلب أحدُهُما فقيل: استولىٰ. أما سمعتَ قولَ النابغة:

=

قلنا: فهل مِن مكانٍ لم يَستولِ عليه ولم يَعْلُه حتىٰ خَصَّ العرشَ مِن بين الأمكنةِ بالاستواءِ عليه، وكرَّرَ ذِكرَه في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابه؟

فأيُّ معنًى إذًا لخصوصِ العرشِ إذ كان عندكم مستويًا علىٰ جميعِ الأشياءِ كاستوائِه علىٰ العرشِ تبارك وتعالىٰ.

هذا مُحالٌ مِن الحُججِ، وباطلٌ مِن الكلامِ، لا تشكُّون أنتم إن شاءَ الله في

=

ألا لِمِثْلِـك أو مَـن أنـتَ سـابقُهُ ... سَبقَ الجوادِ إذا استَولىٰ علىٰ الأمدِ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوىٰ الحموية» (ص ٢٤٣ - ٢٥٣): فإن أوّل مَن حُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلامِ - أعني: أن الله سبحانه وتعالىٰ ليس علىٰ العرش حقيقةً، وأن معنى (استوى) بمعنى: (استولى)، ونحو ذلك -، هو: «الجعد بن درهم»، وأخذها عنه «الجهم بن صفوان»، وأظهرها فنُسِبت مقالة «الجهمية» إليه. اهـ

- وقال في «التسعينية» (٢/ ٥٤٥): وأهل السُّنة وسلف الأُمّة مُتفقون علىٰ أن مَن تأوّل (استوىٰ) بمعنىٰ: (استولىٰ)، أو بمعنىٰ آخر ينفي أن يكون الله فوق سمواته، فهو: جهمي ضالٌّ. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ٩٢٨): إن أئمة السُّنة مُتَّفقون علىٰ أن تفسير (الاستواء) بـ(الاستيلاءِ) إنما هو مُتلقًّىٰ عن الجهمية والمعتزلة والخوارج. اهـ

- وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في «عيون الرسائل» (١/ ٣٧٢): فيمن آمن بلفظِ (الاستواء) الوارد في كتابِ اللهِ؛ لكن نازع في المعنىٰ، وزعم أنه (الاستيلاء): فهذا جهميٌّ، مُعطلٌ، ضالٌّ، مُخالفٌ لنُصوص الكتابِ والسُّنة وإجماع سلف الأُمّة، وهذا القول هو المعروف عند السَّلفِ عن جهمٍ، وشيعته الجهمية، فإنهم لم يصرِّحوا بردٍّ لفظِ القُرآنِ كالاستواء، وغيرِهِ من الصِّفات، وإنما خالفوا السّلف في المعنىٰ المُراد. اهـ

بُطُولِه واستحالتِه، غير أنكم تُغالطون به الناسَ(١).

أرأيتُم إذ قلتم: هو في كلِّ مكانٍ، وفي كلِّ خلقٍ، أكان اللهُ إلهًا واحدًا قبلَ

(١) قال عبد العزيز بن يحيىٰ الكناني - صاحب الشافعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ - في «الرد علىٰ الجهمية»: زعمت الجهمية أن معنىٰ (استوىٰ): (استولىٰ)، من قول العرب: استوىٰ فلان علىٰ مصر، يريدون: استولىٰ عليها.

قال: فيقال له: هل يكون خلقٌ مِن خلقِ الله أتت عليه مُدَّةٌ ليس بمستولٍ عليه؟ فإذا قال: لا. قيل له: فمَن زعمَ ذلك فهو كافر.

فيقال له: يلزمك أن تقول: إن العرشَ أتت عليه مُدَّةٌ ليس الله بمستولٍ عليه، وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرشَ قبل خلق السموات والأرض، ثم استولىٰ عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: المُدَّة التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله بمستولٍ عليه فيها. [«اجتماع الجيوش» (ص ٣٣١)].

- وقال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ٤٢٦): قولهم: (الاستواء): الاستيلاء مِن غير جهةٍ خطأ.

فأولها: المُكابرة في اللغة، تقول العرب: استوىٰ فلان علىٰ الفرس، أي: استقرَّ عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود]، أي: استقرَّت السفينة عليه. أفيجوز أن يقال: استولت السفينة علىٰ الجبل.

وإذا كان الرجل في شيءٍ، ثم تركه وعمد لغيره يقال: استوىٰ إلىٰ كذا، قال الله تبارك: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]، ويقال: استوىٰ الميزان والحساب إذا اعتدلا.

فهذه وما شاكلها مواضع الاستواء لا نعرف في شيء من شواذ اللغات ولا مشهورها أحدًا عدَّ (الاستواء) (استيلاء)، إذ الاستيلاء: هو الغلبة والقهر والتملك. فهل كان العرش مُمتنعًا عليه خارجًا من يديه حتىٰ استولىٰ عليه؟!

وذكر أوجه كثيرة في إبطال معنىٰ استوىٰ باستولىٰ.

أن يخلُقَ الخلقَ والأمكنةَ؟

قالوا: نعم.

قلنا: فحِينَ خلقَ الخلقَ والأمكنةَ، أقدرَ أن يبقىٰ كما كان في أزليَّتِه في غيرِ مكانٍ، فلا يصيرُ في شيءٍ من الخلقِ والأمكنةِ التي خلقَها بزعمكم، أو لم يجِد بُدًّا مِن أن يصيرَ فيها، أو لم يستغنِ عن ذلك؟

قالوا: بلىٰ.

قلنا: فما الذي دعا الملكَ القُدوسَ إذ هو علىٰ عرشِه، في عِزِّهِ وبهائه، بائنٌ مِن خلقِه أن يصيرَ في الأمكنةِ القذرَةِ، وأجوافِ الناسِ، والطيرِ والبهائمِ، ويَصيرَ بزعمِكم في كلِّ زاويةٍ وحُجرةٍ ومكانٍ منه شيءٌ(١).

---

(١) يستخدم أئمة السُّنة في أبواب صفات الله قياس الأولىٰ في بابِ النفي والإثبات.

ومِن ذلك قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (٣٧) وهو يرد عليهم في إنكارهم العلوّ: (فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة وليس فيها من عِظمِ الربِّ شيء. فقالوا [يعني: الجهمية]: أيُّ مكان؟

فقلنا: أحشاؤكم، وأجوافكم، وأجواف الخنازير، والحُشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عِظمِ الرب شيء. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٧٩) مُعلِّقًا علىٰ هذا، وما فيه من الاحتجاج بالأقيسة العقلية: .. وذَكَرَ الأحشاش والأجواف؛ لأنَّ عِلم المسلمين بذلك ببديهة حِسهم وعقلهم؛ ولأن في ذلك ممَّا يجب تنزيه الربِّ عنه، إذ كان من أعظم كفر النصارىٰ دعواهم ذلك في واحدٍ من البشر، فكيف من يَدَّعيه في البشر كلهم؟! وكذلك ما ذَكَره من أجوافِ الخنازير والحشوش والأماكن القذرة، فإنَّ هذا كما تقدم ممَّا يُعلم بالضرورة العقلية الفطرية أنه يجب تنزيه الربِّ =

لقد شوَّهتُم معبودَكم إذ كانت هذه صِفتَه، واللهُ أعلىٰ وأجلُّ مِن أن تكونَ هذه صفتَه، فلا بُدَّ لكم مِن أن تأتوا ببُرهانٍ بيِّنٍ علىٰ دعواكم مِن كتابٍ ناطقٍ،

= وتقديسه أن يكون فيها أو مُلاصقًا لها أو مُماسًّا.

وتخصيص هذه الأجسام القذرة والأجواف بالذكرِ فيه اتِّباع لطريقة القرآن في الأمثال والأقيسة المُستعملة في باب صفات الله سبحانه، فإن الإمام أحمد ونحوه من الأئمة هم في ذلك جارون علىٰ المنهج الذي جاء به الكتاب والسُّنة، وهو المنهج العقلي المُستقيم، فيستعملون في هذا الباب قياسَ الأولىٰ والأحرىٰ، والتنبيه في باب النفي والإثبات، فما وجب إثباته للعباد مِن صفات المدح والحمد والكمال: فالرَّبُّ أولىٰ بذلك، وما وَجَبَ تنزيه العباد عنه مِن النقص والعيب والذم: فالربُّ سبحانه أحقّ بتنزيهه وتقديسه عن العيوب والنقائص من الخلق، وبهذا جاء القرآن .. ثم ذكر الأدلة عليه.

وقال: والأقيسة العقلية وهي الأمثال المضروبة كالتي تُسمىٰ: (أقيسة منطقيّة، وبراهينَ عقليّة)، ونحو ذلك، استعمل سلف الأمة وأئمتها منها في حقِّ الله سبحانه وتعالىٰ ما هو الواجب، وهو ما يتضمّن نفيًا وإثباتًا بطريق الأولىٰ؛ لأن الله تعالىٰ وغيره لا يكونان مُتماثلين في شيءٍ من الأشياء لا في نفي ولا في إثبات، بل ما كان من الإثبات الذي ثبت لله تعالىٰ ولغيره فإنه لا يكون إلَّا حقًّا متضمنًا مدحًا وثناءً وكمالًا، والله أحقُّ به، ليس هو فيه مُمَاثِلًا لغيره، وما كان من النفي الذي يُنْفَىٰ عن الله وعن غيره، فإنه لا يكون إلَّا نفي عيب ونقص، والله سبحانه أحقّ بنفي العيوب والنقائص عنه من المخلوق، فهذه الأقيسة العادلة، والطريقة العقلية السلفية الشرعية الكاملة.

فأمَّا ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمولي أو تمثيل يتساويان فيه، فهذا من الشرك والعدل بالله، وهو من الظلم، وهو ضرب الأمثال لله، وهو من القياس والكلام الذي ذمَّه السلف وعابوه... إلخ.

أو سُنَّةٍ ماضيةٍ، أو إجماعٍ مِن المسلمين، ولن تأتوا بشيءٍ منه أبدًا(١).

٣٧- فاحتجَّ بعضُهم فيه بكلمةِ زَندقةٍ أستوحِشُ مِن ذكرِها.

وتَستَّرَ آخرُ مِن زندقةِ صاحبِهِ، فقال: قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

قلنا: هذه الآيةُ لنا عليكم لا لكم، إنما يعني: أنه حاضِرٌ كلَّ نجوىٰ، ومع كلِّ أحدٍ مِن فوقِ العرشِ بعلمِهِ؛ لأنَّ علمَه بهم مُحيطٌ، وبصرُه فيهم نافذٌ، لا يَحجُبُه شيءٌ عن علمِه وبَصرِهِ، ولا يتوارون منه بشيءٍ، وهو بكمالِه فوقَ العرشِ، بائنٌ من خلقِه، يعلمُ السرَّ وأخفىٰ، أقربُ إلىٰ أحدهم مِن فوقِ العرشِ مِن حبلِ الوريدِ، قادرٌ علىٰ أن يكونَ له ذلك؛ لأنه لا يَبعُدُ عنه شيءٌ، ولا تَخفىٰ عليه خافيةٌ في السمواتِ ولا في الأرضِ، فهو كذلك رابعُهم، وخامِسُهم، وسادِسُهم، لا أنه معهم بنفسِه في الأرضِ كما ادَّعيتُم، وكذلك فسَّرَتْه العلماءُ.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «هداية الحيارىٰ» (ص ١٥٣): أَنِفَت الجهمية أن يكون الله سبحانه وتعالىٰ فوق سماواته علىٰ عرشه مُباينًا من خلقه حتىٰ لا يكون محصورًا بزعمهم في جهةٍ مُعيَّنة، ثم قالوا: هو في كلِّ مكانٍ بذاته، فحصروه في الآبارِ، والسُّجون، والأنجاس، والأحواش، وعوَّضوه بهذه الأمكنة عن عرشه المجيد، فليتأمَّل العاقل لَعِبَ الشيطان بعقول هذا الخلق، وضحكه عليهم، واستهزاءَه بهم. اهـ

٣٨- فقال بعضهم: (دَعونا مِن تفسيرِ العلماءِ، إنما احتججنا بكتابِ الله، فأتوا بكتابِ اللهِ).

قلنا: نعم، هذا الذي احتججتُم به هو حقٌّ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وبها نقولُ علىٰ المعنىٰ الذي ذكرنا، غيرَ أنكم جَهِلتُم معناها، فضللتُم عن سواءِ السبيلِ، وتعلَّقتم بوَسَطِ الآيةِ، وأغفلتُم فاتِحتها وخاتِمتها؛ لأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ [٨١/ ب] افتتحَ الآيةَ بالعلمِ بهم، وختمَها به، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ (١) أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة].

ففي هذا دليلٌ علىٰ: أنه أرادَ العِلمَ بهم وبأعمالِهم، لا بأنه نفسَه في كلِّ مكانٍ معهم كما زعمتُم، فهذه حُجَّةٌ بالغةٌ لو عقلتُم(٢).

---

(١) في الأصل: (ألم تعلم).

(٢) قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة»: (١٢/ باب بيان ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة]).

قالوا: إن الله عَزَّوَجَلَّ معنا وفينا.

فقلنا: لم قطعتم الخبر مِن أوَّله، إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، يعني: أن الله بعلمه رابعهم، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾، يعني: الله بعلمه، ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾، يعني: بعلمه فيهم، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة]، يفتحُ الخبرَ بعلمِه، ويختمُ الخبرَ بعلمه.

=⇦

وأُخرىٰ: أنَّا لمَّا سمِعنا قولَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

• و﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩](١).

= ☜

ويقال للجهمي: إذا قال: إنَّ الله إذا كان معنا بعظمة نفسِه، فقل له: هل يغفرُ الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

فإن قال: نعم؛ فقد زعم أن الله بائنٌ من خلقِه، وأن خلقه دونه.

وإن قال: لا؛ كفرَ. اهـ

– وبنحو هذا ردَّ ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٨٧) علىٰ هذه الشُّبهة.

– وحرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» (٥٤).

– وفي «الإبانة» (٢٦٩٨) قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله عن رجلٍ قال: إن الله معنا، وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧].

قال أبو عبد الله: قد تَجهَّم هذا، يأخذون بآخرِ الآية، ويدعون أوَّلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، العلم معهم.

– قال أبو عمر الطَّلمنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع المسلمون من أهل السُّنة علىٰ أن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك عِلمه، وأن الله فوق السَّموات بذاته مستوٍ علىٰ عرشه كيف شاء. اهـ

[«العلو» للذهبي (٥٦٦)].

(١) قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (١/ ٤٥٧): وأولىٰ المعاني بقول الله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة:٢٩]، علا عليهن وارتفع فدبَّرهنَّ بقدرته وخلقهنَّ سبع سموات. والعجب ممن أنكر المعنىٰ المفهوم مِن كلام

=⇦

• وقوله: ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج].

• وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة:٥].

• و﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠].

• ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٨].

• و﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥].

وما أشبَهَها مِن القرآنِ آمنَّا به، وعلمنا يقيناً بلا شكَّ أنَّ اللهَ فوقَ عرشِه، فوقَ سمواتِه، كما وصف، بائنٌ مِن خلقِه.

فحينَ قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ (١) أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧].

قُلنا: هو معهم بالعلمِ الذي افتتحَ به الآية وختَمَها؛ لأنه قال في آيٍ كثيرةٍ ما حقَّقَ أنه فوقَ عرشِه، فوقَ سمواتِه، فهو كذلك لا شكَّ فيه، فلمَّا أخبر أنه مع كلِّ ذي نجوىٰ، قلنا: عِلمُه وبصرُه معهم، وهو بنفسِه علىٰ العرشِ بكماله

=

العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنىٰ العلو والارتفاع؛ هربًا عند نفسه مِن أن يلزمه بزعمه إذا تأوَّله بمعناه المُفهِم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها، إلىٰ أن تأوَّلَه بالمجهول مِن تأويله المُسْتَنْكَرِ، ثم لم ينجُ مما هرَبَ منه. اهـ

(١) في الأصل: (ألم تعلم).

كما وصفَ؛ لأنه لا يتوارىٰ منه شيءٌ، ولا يفوتُ عِلمَه وبصرَه شيءٌ في السماءِ السابعةِ العُليا، ولا تحت الأرضِ السابعةِ السُّفلىٰ.

وهذا كقولِهِ تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه] مِن فوقِ العرشِ.

فهل مِن حُجَّةٍ أشفىٰ وأبلغ ممَّا احتججنا عليك من كتابِ الله تعالىٰ.

ثم الرِّواياتُ لتحقيقِ ما قلنا مُتظاهِرةٌ عن رسولِ الله ﷺ، وأصحابِه، والتابعين، سنأتي منها ببعضِ ما حضرَ إن شاء الله تعالىٰ.

ثم إجماعٌ مِن الأولين والآخِرين، العالمين منهم والجاهلين، أن كلَّ واحدٍ ممَّن مضىٰ وممَّن غَبَرَ إذا استغاثَ باللهِ تعالىٰ، أو دعاه، أو سألَه، يمُدُّ يديه وبصرَه إلىٰ السماءِ يدعوه منها(١)، ولم يكونوا يدعو[نـ]ـه مِن أسفلَ منهم مِن تحتِ الأرضِ، ولا مِن أمامِهم، ولا مِن خلفِهم، ولا عن أيمانِهم، ولا عن شمائِلهم، إلَّا مِن فوق السماءِ، لمعرفتهم باللهِ أنه فوقهم، حتىٰ اجتمعتِ الكلمةُ مِن المُصلِّين في سُجودِهم: (سبحان ربي الأعلىٰ)، لا ترىٰ

---

(١) أمَّا رفع البصر والرأس إلىٰ السماء عند الدُّعاء: فقد فعله النبيُّ ﷺ كما في الحديث الطويل الذي رواه مسلم (٢٠٥٥) من حديث المقداد رضي الله عنه، وفيه: أنه لما شربَ نصيبَ النبيِّ ﷺ خاف أن يدعو عليه. قال المقداد رضي الله عنه: فجاء النبيُّ ﷺ، فسلَّمَ كما كان يُسلمُ، ثم أتىٰ المسجدَ فصلَّىٰ، ثم أتىٰ شرابه فكشفَ عنه، فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسَه إلىٰ السماء، فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك، فقال: «**اللهم، أطعم مَن أطعمني، وأسقِ مَن أسقاني**».

أحدًا يقول: ربي الأسفل(١).

(١) إلَّا الجهمية نُفاة علوّ الله تعالىٰ، ومَن وافقهم مِن المُعطِّلة، فإنهم يُخالفون ذلك، كما صنع إمامهم المريسي - أخزاه الله -، فقد قال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» (٤١٩): وسألَ رجلٌ مِن أهلِ بغداد يزيد بن هارون، فقال: يا أبا خالد، سمعتُ بشر المريسي يقول في سُجوده: سُبحان ربي الأسفل؟

فقال يزيد: لئن كنتَ صادقًا؛ إنَّ بِشْرًا المريسي كافِرٌ بالله العظيم.

(تنبيه): بيَّن المُصنِّفُ وغيرُه مِن أئمة السُّنة أن الأيدي تُرفع في الدُّعاء إلىٰ الله تعالىٰ إلىٰ جهةِ علوِّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه لا كما يَدَّعيه أهل التعطيل مِن أن الأيدي تُرفع إلىٰ السماءِ لأنها (قبلة الدعاء)، كما أن الكعبة (قبلة الصلاة)، فهذا لا دليل عليه البتَّة، ومن أقوالهم في ذلك:

- قال القُرطبي في «المفهم» (٦/ ٤٥١): لا يلزم من مدِّ الأيدي إلىٰ السماء أن يكون مكانًا لله ولا جهة، كما لا يلزم من استقبال الكعبة أن يكون الله تعالىٰ فيها، بل السماء قبلة الدُّعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة، والباري تعالىٰ مُنَزَّهٌ عن الاختصاص بالأمكنة والجهات. اهـ

- وقال ابن دقيق العيد في «شرح الإلمام» (٥/ ١٧١): يظهرُ في فائدةِ رفعِ الطَّرْفِ إلى السماءِ التوجُّه إلى قبلةِ الدعاءِ، ومهابطِ الوحيِ، ومصادرِ تصرُّفِ الملائكة. اهـ

- وقال ابن رسلان في «شرحه لسنن أبي داود» (٣/ ٣٣٥): (ثم قال بأصبعه السبابة) أي: مشيرًا بها (يرفعها إلى السماء) أمَّا إشارته إلى السماء فلأنها قبلة الدعاء، أو لعلو الله تعالىٰ المعنوي؛ لأن الله تعالىٰ لا يحويه مكان، ولا يَختصُّ بجهة. اهـ

قلتُ: فالذي دعاهم إلىٰ إحداث هذا القول: هو نفيهم لعلوِّ الله علىٰ خلقه.

- قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٢٣١): (كل مَن دعا الله جلَّ وعلا: فإنما يرفع رأسه إلىٰ السماء، ويمدُّ يديه إلىٰ الله؛ إلىٰ أعلاه لا إلىٰ أسفل).

- وقال الزنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه لمنظومته في الاعتقاد» (٧٣): وقد أجمعَ
=⇦

=

المسلمون: علىٰ أنَّ اللهَ هو العليّ الأعلىٰ، ونطقَ بذلك القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①﴾ [الأعلى]، وأنَّ للهِ علوّ الغلبة، والعلوّ الأعلىٰ مِن سائرِ وجوه العلوّ؛ لأن العلوَّ صفة مدحٍ عند كلِّ عاقلٍ، فثبتَ بذلك أن للهِ علوّ الذاتِ، وعلوّ الصِّفاتِ، وعلوّ القهرِ والغلَبة.

وجماهيرُ المسلمين وسائرُ المِللِ قد وقع منهم الإجماع علىٰ الإشارةِ إلىٰ اللهِ جلَّ ثناؤه مِن جهةِ الفوقِ في الدُّعاءِ والسؤالِ، فاتِّفاقهم بأجمعهم علىٰ الإشارة إلىٰ اللهِ سبحانه مِن جهةِ الفوق حُجَّة، ولم يستجز أحدٌ الإشارة إليه مِن جهةِ الأسفل، ولا مِن سائرِ الجهاتِ سوىٰ جهة الفوق. اهـ

- وقال قوام السُّنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة» (٢/ ٩٧) وهو يتكلم عن الأشاعرة: (وفي منعهم الإشارة إلىٰ الله سبحانه من جهة الفوق خلاف منهم لسائر المِلل؛ لأن جماهير المسلمين، وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع علىٰ الإشارة إلىٰ الله جلَّ ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتِّفاقهم بأجمعهم علىٰ ذلك حُجَّة، ولم يستجز أحدٌ الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوىٰ جهة الفوق. اهـ

- وقال ابن قُدامة في «إثبات صفة العلو» (ص٦٣) بعد حكايته الإجماع علىٰ إثبات العلو: ... جعله مغروزًا في طباعِ الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلَّا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه علىٰ ضلالته. اهـ

- وقال ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٩٧): قال الرازي: (وأيضًا أنه تعالىٰ جعلَ العرشَ قِبلةً لدُعائنا، كما جعل الكعبةَ قِبلةً لصلاتنا).

قال ابن تيمية: يقال له: هذا باطلٌ معلوم بالاضطرار بطلانه عقلًا ودينًا، وذلك يظهر بوجوه: أحدها: أن المسلمين مجمعون علىٰ أن القبلة التي يشرع للدَّاعي

=

حتىٰ لقد عَلِمَ فرعونُ في كُفرِه وعُتوِّه علىٰ اللهِ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فوقَ السماءِ، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر].

ففي هذه الآيةِ: بيانٌ بيِّنٌ ودلالةٌ ظاهرةٌ أن موسىٰ كان يدعو فرعونَ إلىٰ معرفةِ اللهِ بأنه فوقَ السماءِ، فمِن أجلِ ذلك أمرَ ببناءِ الصرحِ، ورامَ الاطلاعَ إليه(١).

= استقبالها حين الدعاء هي القبلة التي شرع استقبالها حين ذكر الله ...

وقال: وإذا كانت قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة بعينها كان قول الجهمي: إن العرش والسماء قِبلة للدُّعاء؛ قول مُخالف لإجماع المسلمين، ولما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فيكون مِن أبطل الباطل. اهـ

- وقال (٤/ ٤٨٤): الاستدلال برفع الأيدي والأبصار إلىٰ السماء عند الدُّعاء علىٰ أن الله فوق هو حُجَّة أهل الإثبات المُثبتين للصفات مِن السلف والخلف. اهـ

(١) ونحوه قول ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٢٣٩): في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٧]، دلالة علىٰ أن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد كان أعلمه أن ربَّه عَزَّوَجَلَّ أعلىٰ وفوق. اهـ

- وقال قوام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة» (٢/ ٩٦) وهو يحكي قول أهل السنة في العلوِّ: فكان فرعون قد فهم عن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه يثبت إلهًا فوق السماء، حتىٰ رام بصرحه أن يطَّلع إليه، واتهم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أنَّ الله فوقه بوجود ذاته، فهم أعجز فهمًا من فرعون، بل وأضل. اهـ

ونحوه في «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٢٧)، والزنجاني في «شرحه لمنظومته» (٧٣)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٧٢).

وكذلك نُمرودُ - فرعون - إبراهيمَ، اتخذَ التابوتَ والنُّسُورَ، ورامَ الاطلاعَ إلىٰ اللهِ لما كان يَدعوه إبراهيمُ إلىٰ أن مَعرفتَه في السماءِ(١).

وكذلك كان محمدٌ ﷺ يدعو إليه الناسَ، ويمتحِنُ به إيمانَهم بمعرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) في «تفسير الطبري» (١٣/ ٧١٩-٧٢١): عن عبدالرحمن بن واصل: أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في هذه الآية: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم]، قال: أخذ ذلك الذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه نسرين صغيرين فربَّاهما، ثم استغلظا واستعلجا وشبا، قال: فأوثق رِجلَ كل واحدٍ منهما بوتدٍ إلىٰ تابوت، وجوَّعهما، وقعد هو ورجلٌ آخر في التابوت، قال: ورفع في التابوت عصا علىٰ رأسه اللحم، قال: فطارا، وجعل يقول لصاحبه: انظر ماذا ترىٰ؟ قال: أرىٰ كذا وكذا، حتىٰ قال: أرىٰ الدنيا كأنها ذبابٌ، فقال: صوب العصا فصوبها فهبطا، قال: فهو قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم].

- وعن عبد الرحمن بن دانيل، قال: سمعتُ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾، قال: ثم أنشأ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحدِّث، فقال: نزلت في جبَّارٍ مِن الجبابرة، قال: لا أنتهي حتىٰ أعلم ما في السماء، ثم اتَّخذ نسورًا فجعل يطعمها اللحم حتىٰ غلظت واستعلجت واشتدت.. ثم ذكر نحو ما سبق.

- وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: نمرود صاحب النسور، أمر بتابوت، فجُعِلَ وجعل معه رجلًا، ثم أمر بالنسورِ فاحتمل، فلما صعد قال لصاحبه: أي شيءٍ ترىٰ؟ قال: أرىٰ الماء وجزيرة، يعني: الدنيا. ثم صعد فقال لصاحبه: أيّ شيءٍ ترىٰ؟ قال: ما نزداد من السماء إلَّا بُعدًا، قال: اهبط، وقال غيره: نودي: أيها الطاغية، أين تُريد؟ قال: فسمعت الجبال حفيف النسور، فكانت ترىٰ أنها أمر من السماء، فكادت تزول، فهو قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم].

٣٩- حدثنا مسلم بن إبراهيم الأزدي، ثنا أبان - وهو ابن يزيد العطار-، عن [يحيىٰ بن](١) أبي كثير، عن هلالِ بن أبي ميمونة(٢)، عن عطاءِ بن يسار، عن مُعاويةَ بن الحَكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كانت لي جارِيةٌ ترعىٰ غنمًا لي في قِبلِ أُحُدٍ والجَوَّانيَّة، وإني اطلعتُ يومًا اطلاعةً، فوجدتُ ذِئبًا ذَهَبَ منها بشاةٍ، وإني مِن بني آدمَ، آسَفُ كما يأسَفُون(٣)، فصككتُها صكَّةً، فَعَظَّمَ ذلك عليَّ النبيُّ ﷺ، فقلتُ: أفلا أُعتِقُها؟

فقال: «ادعُها»، فقال لها النبيُّ ﷺ: «أينَ اللهُ؟». قالت: في السماءِ.

قال: «فمَن أنا؟». قالت: أنتَ رسولُ الله.

قال: «أَعْتِقْهَا، فإنَّها مؤمِنةٌ»(٤).

---

(١) ما بين [ ] من الأثر الذي يليه، ومن «النقض» (١٩٢).

(٢) في الأصل: (أمية)، والتصويب من الأثر الذي يليه، ومن «النقض» (١٩٢).

(٣) أي: أغضب كما يغضبون.

(٤) رواه المُصنِّف في «النقض» (١٩٢)، وأحمد (٢٣٧٦٢)، ومسلم (٥٣٧).

- قال أبو القاسم خلف بن عبد الله المُقرئ الأندلسي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن الحُجَّة أيضًا في أن الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ العرش فوق السماوات السبع: ... قوله ﷺ للأَمَة التي أراد مولاها أن يعتقها: «أين الله؟»، فأشارت إلىٰ السماء، ثم قال لها: «مَن أنا؟»، قالت: أنت رسول الله. قال: «أَعْتِقْهَا، فإنها مؤمنة».

فاكتفىٰ رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلىٰ السماء.

ودلَّ علىٰ ما قدمناه أنه علىٰ العرش، والعرش فوق السموات السبع. اهـ

[«اجتماع الجيوش» (ص ٢٢١)].

- قال الذهبي في «العلو» (ص ٢٨): وهكذا رأينا كل مَن يُسأل: (أين الله؟) =

=
يُبادر بفطرته ويقول: في السماء. ففي الخبر مسألتان:

إحداهما: شرعية قول المُسلمِ: (أين الله؟).

وثانيهما: قول المسؤول: (في السماء).

فمَن أنكرَ هاتين المسألتين فإنما يُنكر علىٰ المُصطفىٰ ﷺ. اهـ

قلت: وهذا الحديث مِن أشدّ الأحاديث علىٰ المُعطِّلة مِن جهميةٍ وأشعريةٍ وماتريدية وغيرهم مِن نُفاة العلو والصفات؛ وذلك لاشتماله علىٰ إثبات العلوِّ والجهة والمكان، وهذا الحديث لم يَألُ المُعطِّلة جهدًا في نفي صِحَّته، ونفي دلالته، ودعوىٰ الإجماع علىٰ خلافه وبُطلانه !!

فهذا النووي في «شرحه لصحيح مسلم» (٥/ ٢٤) ينقل عند شرحه لحديث الجارية حكاية القاضي عياض الأشعري الإجماع علىٰ أن النصوص الدالّة علىٰ علوِّ الربِّ تعالىٰ ليست علىٰ ظاهرِها !

فيقول: (قال القاضي عياض: لا خلافَ بين المسلمين قاطبةً فقيههم ومُحدِّثهم ومُتكلّمهم ونظَّارهم ومُقلِّدهم: أن الظواهرَ الواردة بذكرِ الله تعالىٰ في السماءِ كقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، ونحوه ليست علىٰ ظاهرها، بل مُتأوَّلة عند جميعهم. اهـ

- وقال القُرطبي في «المفهم شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٤٣) وهو يشرح حديث الجارية، ويردُّ قوله ﷺ: **(أين الله؟)**: .. وهو لا يصحُّ إطلاقه علىٰ اللهِ تعالىٰ بالحقيقة؛ إذ الله تعالىٰ مُنزَّهٌ عن المكانِ، كما هو مُنزَّهٌ عن الزمانِ، بل هو خالقُ الزمانِ والمكان، ولم يزل موجودًا، ولا زمانَ ولا مكانَ، وهو الآن علىٰ ما عليه كان. اهـ

- وقال ابن الجوزي في «دفع شُبه التشبيه» (ص٣٢): قد ثبت عند العلماء أن الله تعالىٰ لا يحويه السماء والأرض، ولا تضمُّه الأقطار، وإنما عُرِفَ بإشارتها تعظيم الخالق عندها. اهـ

- وقال البيضاوي في «تحفة الأبرار» (٢/ ٣٩٥): **«أين ربُّك؟»**: لم يُرِد به السؤال عن مكانه، فإنه مُنزَّهٌ عنه، والرسول ﷺ أعلىٰ مِن أن يسأل أمثال ذلك. اهـ
=

=

قلت: كل هذا تخبُّط لا طائلَ تحته إلّا تقرير عقيدة الجهمية في نفي علوّ الرب تعالىٰ، فالحمد لله الذي عافانا ممَّا ابتلاهم به، وهدنا لمعرفة مكانه فوق عرشه.

- قال عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاقتصاد» (ص ٨٩) مُعلِّقًا علىٰ هذا الحديث: ومَن أجهل جهلًا، وأسخفُ عقلًا، وأضلّ سبيلًا ممَّن يقول: إنه لا يجوز أن يقال: (أين الله؟) بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: «أين الله؟». اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إعلام الموقعين» (٦/ ٤٢٨): وسأل ﷺ: «أين الله؟»، فأجاب مَن سأله بأنَّ الله في السماء، فرَضِيَ جوابه، وعَلِمَ به أنه حقيقة الإيمان لربِّه تبارك وتعالىٰ، وأجابَ هو ﷺ مَن سأله: «أين الله؟»، ولم يُنكر هذا السؤال عليه، **وعند الجهميّ**: أن السؤال (بأين الله؟) كالسؤالِ بما لونه؟ وما طعمه؟ وما جِنسُه؟ وما أصله؟ ونحو ذلك مِن الأسئلة المحالة الباطلة. اهـ

- وقال أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٣٥): فاسمعوا الآن يا ذوي الألباب، وانظروا ما فضل هؤلاء علىٰ أولئك، قالوا - قبَّحَ الله مقالتهم [يعني: الجهمية] -: إن الله موجود بكل مكان.

وهؤلاء [يعني: الأشاعرة]: يقولون ليس هو في مكان، ولا يوصف بأين؟

وقد قال المُبلِّغُ عن الله عَزَّوَجَلَّ لجارية معاوية بن الحكم السُّلمي: «أين الله؟».

وقالوا: هو مِن فوق كما هو من تحت، لا يُدرىٰ أين هو، ولا يوصف بمكان، وليس هو في السماءِ، وليس هو في الأرض، وأنكروا الجهةَ والحدَّ. اهـ

- وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٧/ ٣٣٧): وأمَّا - قوله في هذا الحديث للجارية: «أين الله؟»، فعلىٰ ذلك جماعة أهل السُّنة، وهم أهل الحديث ورواته المُتفقهون فيه وسائر نقلته، كلهم يقول ما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وأن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، وعلمه في كل مكان، وهو ظاهر القرآن في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك]، ... ومثل هذا كثيرٌ في القرآن ... وليس في هذا الحديث معنىٰ

=⇐

٤٠- **وحدثنا** يحيىٰ، ثنا إسماعيل ابن عُليَّة، عن الحجَّاج الصَّواف، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن مُعاوية ابن الحكم ﵁، عن النبيِّ ﷺ مثله.

٤١ - **وحدثنا** يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي، قال: قرأتُ علىٰ مالك بن أنس، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسارٍ، عن الحكم(١) ﵁ أنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، إن جاريةً لي ترعىٰ غنمًا، فجئتُها، ففقدتُ شاةً مِن الغنمِ، فسألتُها عنها، فقالت: أكلَها الذئبُ، فأسِفتُ عليها، وكنتُ مِن بني آدم، فلطمتُ وجهها، وعليَّ رقبةٌ، أفأُعتِقُها؟

فقال لها رسول الله ﷺ: «**أينَ اللهُ؟**».

قالت: في السماءِ.

قال: «**مَن أنا؟**».

قالت: أنتَ رسولُ الله.

قال: «**أعتِقها**»(٢).

=

يشكل غير ما وصفنا، ولم يزل المسلمون إذا دهمهم أمرٌ يُقلقهم فزعوا إلىٰ ربِّهم، فرفعوا أيديهم وأوجههم نحو السماء يدعونه، ومخالفونا ينسبونا في ذلك إلىٰ التشبيه، والله المستعان، ومن قال بما نطق به القرآن فلا عيبَ عليه عند ذوي الألباب. اهـ

(١) كذا في الأصل.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢٨٧٥)، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عمر ابن الحكم .. فذكره.

=

٤٢ - قال أبو سعيد:

ففي حديثِ رسولِ الله ﷺ هذا دليلٌ علىٰ أنَّ الرجلَ إذا لم يَعْلم أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في السماءِ دون الأرضِ فليس بمؤمنٍ، ولو كان عبدًا فأُعتِقَ لم يُجزِ في رقبةٍ مُؤمنةٍ، إذ لا يَعلمُ أنَّ اللهَ في السماءِ.

ألا ترىٰ أن رسولَ الله ﷺ جعلَ أمارةَ إيمانِها: معرفتها أنَّ اللهَ في السماءِ(١).

=

كذا وقع عند مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عمر بن الحكم)، وفي هامش «الموطأ»: (صوابه: معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ليس في الصحابة رضي الله عنهم: عمر بن الحكم». وبهامشه أيضـًا: (قال أبو عمر: الصواب: عن معاوية بن الحكم، والغلط فيه من هلال بن أُسامة).

(١) قال أبو عمرو عثمان بن أبي الحسن الشهرزوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإمامُنا في الأصول والفروع أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ احتجَّ في كتابه «المبسوط» علىٰ المُخالفِ في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفَّارة، وأن الرقبة الكافرة لا يصحُّ التكفير بها: بخبرِ معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفَّارة، وسألَ رسول الله ﷺ عن إعتاقه إيَّاها، فامتحنها ﷺ ليعرف أنها مؤمنة أم لا، فقال لها: «**أين ربُّكِ؟**»، فأشارت إلىٰ السماء، إذ كانت أعجمية، فقال ﷺ لها: «**مَن أنا؟**»، فأشارت إليه وإلىٰ السماء، تعني: أنك رسول الله الذي في السماء، فقال ﷺ: «**أَعْتِقْهَا، فإنها مؤمنة**»، فحكمَ رسولُ الله ﷺ بإسلامِها وإيمانها؛ لمَّا أقرَّت بأن ربَّها في السماءِ، وعرفت ربَّها بصفةِ العلوِ والفوقية.

وإنما احتجَّ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ المُخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر؛ لاعتقاده أنَّ اللهَ سبحانه فوقَ خلقه، وفوقَ سبع سماواته علىٰ عرشه، كما هو مُعتقدُ المسلمين مِن أهل السنةِ والجماعةِ سَلَفِهم =

وفي قولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «أين اللهُ؟» تكذِيبٌ لقولِ مَن يقولُ: هو في كلِّ مكانٍ، لا يوصفُ بـ (أين؟)، لأن شيئًا لا يخلو منه مكانٌ يَستحيلُ أن يُقالَ: أين هو؟ ولا يُقالَ: (أين) إلَّا لِمَن هو في مكانٍ يَخلو منه مكانٌ(١).

ولو كان الأمرُ علىٰ ما يدَّعي هؤلاءِ الزائغةُ لأنكرَ عليها رسولُ الله ﷺ قولَها وعلَّمها، ولكنَّها علِمَت به، فصدَّقها رسولُ الله ﷺ، وشَهِدَ لها بالإيمانِ بذلك، ولو كان في الأرضِ كما هو في السماءِ لم يَتمّ إيمانُها حتىٰ تعرِفَه في الأرضِ، كما عَرَفته في السماءِ(٢).

= وخلَفِهم، إذ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يروي خبرًا صَحيحًا ثم لا يقول به. اهـ

[انظر: «اجتماع الجيوش» (ص ٢٧٦)، و«عقيدة أصحاب الحديث» (٣٠)]

(١) وقال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٥٢): (فقول رسول الله ﷺ: «**إنها مؤمنةٌ**»، دليلٌ علىٰ أنها لو لم تُؤمن بأنَّ الله في السماءِ لم تكن مؤمنةً، وأنه لا يجوز في الرقبة المؤمنةِ إلَّا مَن يَحُدُّ الله أنه في السماءِ، كما قال الله ورسوله ﷺ). اهـ

- وقال قوام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة» (٥١٢): قال ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: (إن الله في السماء)، وتحكُم الجهمية بكفر من يقول ذلك. اهـ

- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص٨١) بعد ذكره لحديث الجارية: وعند الأشعري أن من اعتقد أن الله بذاته في السماء فهو كافر. اهـ

(٢) هكذا تلقَّىٰ أهل السنة هذا الحديث بكلِّ تصديقٍ وإيمانٍ وقبولٍ وتسليمٍ فلم ينفوا عن الله موجبه، ولم يردُّوا علىٰ رسوله ﷺ حُكمه.

وأمَّا خصوم الله ورسله ﷺ مِن مُعطِّلة العلوِّ فقد ذهبوا كل مذهبٍ لردِّ ما دلَّ عليه مع صِحَّتِه وصَرَاحتِه: من إثبات العلو، وجواز السؤال بـ(أين؟)، فأوَّلوه وحرَّفوه، ثم جعلوا يتخبَّطون في سببِ تركِ إنكار النبيِّ ﷺ علىٰ هذه الأمَّةِ قولها: =

= (بأنّ الله تعالىٰ في السماءِ).

ومن ذلك: قول القُرطبي في «المفهم»، فقد ذكر أن النبي ﷺ إنما قَبِلَ منها هذا القول لجهلها بحقيقة خالقها وربِّها لحداثة إسلامها، فقال (٢/ ١٤٣): فأراد النبي ﷺ أن يتعرَّف منها: هل هي ممَّن يعتقد أن معبودها في بيتِ الأصنام، أم لا؟ فقال لها: «أين الله؟»، فقالت: في السماء، فقنعَ منها بذلك، وحكمَ بإيمانها؛ إذ لم تتمكَّن مِن فَهم غير ذلك. وإذ نزَّهت الله تعالىٰ عن أن يكون مِن قبيل معبوداتهم وأصنامهم، ورفعته عن أن يكون في مثل أمكنتهم. وحمَلَها علىٰ ذلك: أنها رأت المسلمين يرفعون أبصارهم وأيديهم إلىٰ السماءِ عند الدُّعاء، فتُركت علىٰ ذلك في تلك الحالِ لقصور فهمها، إلىٰ أن يتمكَّن فهمها وينشرحَ صدرها؛ إذ لو قيل لها في تلك الحالةِ: الله تعالىٰ يستحيل عليه المكان والزمان، لخيفَ عليها أن تعتقد النفي المَحض والتعطيل؛ إذ ليس كلّ عقل يقبل هذا، ويعقله علىٰ وجهه، بل إنما يعقله العالمون الذين شرحَ الله صدورهم لهدايته ... اهـ

قلت: فعنده أن النبيَّ ﷺ أقرَّها علىٰ هذا العقيدة الفاسدة - بزعمه - لِقلَّة بصيرتها وإدراكها بحقيقة خالقها !

- وكذا نحوه قول الطيبي في «شرح المشكاة» (٧/ ٢٣٥٢)، فقد نقل عن البيضاوي نحو هذا الضلال وأقرَّه عليه، فقال: (ولأنه لما كان مأمورًا بأن يُكلم الناس علىٰ قدرِ عقولهم، ويهديهم إلىٰ الحقِّ علىٰ حسب فهمهم، ووجدها تعتقد أن المستحقّ للعبودية إلهٌ يُدبِرُ الأمر من السماء إلىٰ الأرض، لا الآلهة التي يعبدها المشركون، قنع منها بذلك، ولم يُكلِّفها اعتقاد ما هو صرف التوحيد، وحقيقة التنزيه). اهـ

قلت: وإذا قارنت ما قرَّره هؤلاء المتهوِّكون الحيارىٰ بما قرَّره المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبما سبَقَ ذِكرُه عن أئمة السُّنة والأثر تبيَّن لك مَن هو أولىٰ بالله ورسوله ﷺ من الطائفتين، والله غالبٌ علىٰ أمرِه ولكن أكثر الناسِ لا يعلمون.

فاللهُ تبارك وتعالىٰ فوقَ عرشِه، فوقَ سمواتِه، بائنٌ من خلقِه، فمَن لم يعرِفه بذلك لم يعرف إلهَهُ الذي يَعبُدُ.

وعِلمُه مِن فوقِ العرشِ بأقصىٰ خلقِه وأدناهم واحِدٌ، لا يَبعُدُ عنه شيءٌ، و﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سبأ:٣] سبحانه وتعالىٰ عما يَصفُه المُعطِّلون علوًّا كبيرًا.

٤٣- حدثنا الحسن بن الصباح البزَّار، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المُبارك، قال: قيل له: كيفَ نعرِفُ ربَّنا؟

قال: بأنه فوقَ السماءِ السابعة، علىٰ العرشِ، بائنٌ مِن خلقِه(١).

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٥٢)، ورواه هاهنا (١١١)، وفيه زيادة إثبات الحدِّ.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٢٠٢)، وحرب الكرماني في «السنة» (٣٣٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٩٤).

«**تنبيه**»: زاد الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: (بائنٌ من خلقه)، وتابعه علىٰ ذلك علماء أهل السُّنة قاطبةً بلا خلاف، وسبب ذلك: أن الجهمية المُعطِّلة لما ادَّعت أن العلو واستواءه علىٰ عرشه مجازٌ لا حقيقة، وإنما هو علوّ القهر والغلبة لا علو الذات والمكان، وادَّعت أنَّ الله في كلِّ مكانٍ، ولبَّسوا علىٰ العامَّة اعتقادهم في ربِّهم، صرَّح أهل السُّنة بأنه: (بائنٌ من خلقه) بما يزيل اللبس، ويثبت حقيقة العلو والاستواء.

وممَّن صرَّح بذلك مِن الأئمة: عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وأحمد ابن حنبل، وحرب الكرماني، وأبو حاتم، وأبو زُرعة، وابن بطة، والآجري، واللالكائي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وغيرهم ممَّن يطول حصرهم هاهنا.

انظر: «السُّنة» لحرب الكرماني (٥٤ و٢٠٢ و٣٣٦)، واللالكائي (٢٩٣)، و«الإبانة الكبرىٰ» (باب/ ٨٠)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ١٦٣).

⇦=

* قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومِمَّا يُحقِّقُ قول ابن المبارك: قولُ رسول الله ﷺ للجاريةِ: «**أين الله؟**»، يَمتحِنُ بذلك إيمانها، فلمَّا قالت: في السماءِ، قال رسول الله ﷺ: «**أَعْتِقْهَا، فإنها مؤمنةٌ**».

☜ =

- وروىٰ ابن أبي حاتم: أن هشام بن عُبيد الله الرَّازي القاضي - صاحب محمد ابن الحسن - حبس رجُلًا في التجهُّم، فتابَ، فجيء به إلىٰ هشام ليمتحنه، فقال: الحمدُ لله علىٰ التوبة، أتشهد أن الله علىٰ عرشه بائنٌ مِن خلقِه؟

قال: أشهدُ أنَّ الله علىٰ عرشِه، ولا أدري ما (بائنٌ مِن خلقِه).

فقال: رُدُّوه إلىٰ الحبس فإنه لم يتُب. «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٤٤٠).

- وفي «العلو» للذهبي (٤٠٢) قال صالح بن الضُّريس: جعل عبد الله بن أبي جعفر الرَّازي يضربُ رأس قرابةٍ له يُرمىٰ برأي جهم، فرأيته يضربُ النَّعل علىٰ رأسه، ويقول: لا، حتىٰ تقول: الرَّحمن علىٰ العرشِ استوىٰ، بائنٌ مِن خَلقهِ.

وقد بوَّب ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» بابًا في هذا، فقال: (٨٠ - باب الإيمان بأَن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، وعلمه مُحيط بجميع خلقه).

- وقال (٢٦٧٨): وأجمع المسلمون من الصَّحابة والتابعين، وجميع أهل القبلة من المؤمنين: أن الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عرشه، فوق سمواته، (بائنٌ من خلقه) ... إلخ.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٣٧): كان الأئمة كابن المبارك، والإمام أحمد، وإسحاق بن إبراهيم، وغيرهم، يقولون: إن الله فوق سمواته علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، ويقولون: بحدٍّ؛ لأن نفي المُباينة لخلقه يستلزم حلوله فيهم، واتحاده بهم. اهـ

- وقال أيضًا (٥/ ٧٠): وما زالَ علماء السلف يثبتون المُباينة، ويردُّون قول الجهمية بنفيها. اهـ

والآثارُ في ذلك عن رسولِ الله ﷺ كثيرةٌ، والحُجَجُ مُتظاهِرةٌ، والحمدُ لله علىٰ ذلك. [٨٢/ ب]

٤٤- **حدثنا** مُسدَّد، ثنا سُفيان، عن عمرو - يعني: ابن دينار -، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمونُ يَرحمهم الرحمن، ارحمـ[ـوا] أهل الأرضِ، يرحمْكم أهلُ السماءِ»**(١).

٤٥- **حدثنا** سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري، أنبا الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القُرظي، عن فَضالة بن عُبيدٍ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا اشتكىٰ أحدُكم شيئًا، أو اشتكىٰ أخٌ له، فليقل: ربُّنا اللهُ الذي في السماءِ، تقدَّسَ اسمُك، أمرُكَ في السماءِ والأرضِ، كما رحمتُكَ في السماءِ، فاجعل رحمتَكَ في الأرضِ، واغفر لنا حوبَنَا**(٢) **وخطايانا، أنت ربُّ الطيبين، أنزل شفاءً مِن شفائِكَ، ورحمةً مِن رحمتِكَ علىٰ هذا الوجَع، فيبرَأَ»**(٣).

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٠٢)، وأحمد (٦٤٩٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) في «النهاية» (١/ ٤٥٥): (حوبنا)، أي: إثمنا. وتفتح الحاء وتُضم. وقيل: الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم. اهـ

(٣) رواه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨١٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٨٠)، في ترجمة: زيادة بن محمد.

قال البخاري: زيادة بن محمد، عن محمد القُرظي، روىٰ عنه الليث بن سعد، منكر الحديث. قال ابن عدي: وزيادة بن محمد لا أعرف له إلَّا مقدار حديثين أو ثلاثة، روىٰ عنه الليث وابن لهيعَة، ومقدار ما له لا يُتابعُ عليه. اهـ

=⇦

٤٦ - حدثني محمد بن بشَّار العبديُّ، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق يُحدِّثُ، عن يعقوب بن عُتبة، عن جُبير بن محمد ابن جُبير بن مُطعم، عن أبيه، عن جده، قال: جاءَ رجلٌ أعرابيٌّ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا محمد، هلكتِ المواشي، ونُهكتِ الأموال، وإنَّا نَستشفعُ بك علىٰ اللهِ، وباللهِ عليك، فادعُ الله أن يَسقيَنا.

فقال النبيُّ ﷺ: **«يا أعرابيُّ، ويْحَكَ! وهل تدري ما تقول؟ إنَّ [اللهَ] أعظمُ مِن أن يُستَشفعَ عليه بأحدٍ مِن خلقِهِ**(١)**، إنَّ اللهَ فوقَ عرشِهِ، فوقَ سمواتِهِ، وسمواتُه فوقَ أرضيه مِثلُ القُبَّةِ»** - وأشارَ النبيُّ ﷺ بيدِه مِثل القُبَّةِ - **«وإنَّه ليَئِطُّ به أَطِيطَ الرَّحلِ بالرَّاكبِ»**(٢).

= قال الذهبي: وقد انفرَّد بحديث الرُّقية: «ربنا الله الذي في السماء»، بالإسناد.

(١) لفظ أبي داود: «ويْحَكَ! إنه لا يُستشفَعُ بالله علىٰ أحدٍ مِن خلقِهِ، شأنُ اللهِ أعظمُ مِن ذلك».

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وحرب في «السُّنة» (٣٤٩)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٥٨٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٧٥)، والآجري في «الشريعة» (٧٧١)، وهو حديث صحيح.

- قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (٣/ ١٨٨): وهو إسناد صحيح مُتَّصلٌ مِن رَسمِ أبي عيسىٰ والنسائي. اهـ

- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحرف والصوت» (ص٧٧) وهو يذكر أدلَّة إثبات العلوّ: وروي عن أبي هريرة، وجبير بن مطعم رضي الله عنهما وغيرهما، عن النبي ﷺ هذا المعنىٰ، والطُّرُق مقبولة محفوظة. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٧٦): رواه أبو =

=

داود بإسنادٍ حسن عنده.

وقال: فتأمَّل هذا السياق هل يحتمل غير الحقيقة بوجهٍ من الوجوه؟. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٥٤): وهذا الحديث وأمثاله وفيما يُشبهه في اللفظ والمعنىٰ لم يزل مُتداولاً بين أهل العلمِ خالفًا عن سالف، ولم يزل سلف الأُمة وأئمتها يروون ذلك رواية مُصدقٍ به، رادًّا به علىٰ من خالفه من الجهمية، مُتلقين لذلك بالقبول، حتىٰ قد ذكره الإمام أبو بكر محمد بن خزيمة في كتابه «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتجُّ فيه إلَّا بأحاديث الثقات المتصلة الإسناد ... إلخ.

- وقال في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٤٣٥): والحديث قد رواه علماء السنة كأحمد، وأبي داود، وغيرهما، وليس فيه إلَّا ما له شاهد من رواية أخرىٰ.

ولفظ «الأطيط» قد جاء في غيره. وحديث ابن خليفة رواه الإمام أحمد وغيره مختصرًا وذكر أنه حدَّث به وكيع. اهـ

- وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة أهل نجد في «الرسائل والمسائل النَّجدية» (٣/ ٢٤٤): وهذا الحديث لا يستطيع سَماعه الجهمي، ولا يؤمن به إلَّا أهل السُّنة والجماعة الذين عرفوا الله بصفات كماله، ونزَّهوه أن يستوي علىٰ ما لا يليق بكمالِهِ وقُدسه من سائر مخلوقاته. اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (١٧١٦-١٧٢٤):

واذكر حديثًا لابنِ إسحاقَ الرِّضا ... ذاكَ الصَّدوقِ الحافِظِ الرَّباني
في قِصَّةِ استِسقائِهم يَسْتشفِعو ... ن إلىٰ الرسولِ بربِّه المَنانِ
فاستَعظَمَ المُختارُ ذاكَ وقالَ شَأ ... نُ اللهِ ربِّ العرشِ أعظمُ شانِ
اللهُ فوقَ العرشِ فوقَ سمائِه ... سُبحانَ ذي المَلكوتِ
ولعرشِه منه أَطيطٌ مِثلَ ما ... قد أطَّ رَحلُ الرَّاكبِ العَجلانِ
للهِ مَا لقيَ ابنُ إسحاقٍ مِن الـ ... جهميِّ إذ يَرمِيهِ بالعُدوانِ

=⇦

٤٧ - حدثنا محمد بن الصباح البغدادي، ثنا الوليد بن أبي ثور، عن سِمَاك، عن عبد الله بن عَميرةَ، عن الأحنف بن قيس، عن العباسِ بن عبد المُطَّلبِ ﷺ، قال: كنتُ بالبطحاءِ في عِصابةٍ، وفيهم رسولُ اللهِ ﷺ، فمرَّت سَحابةٌ، فنظر إليها، فقال: «**ما تُسَمُّون هذه؟**».

قالوا: السَّحابَ.

قال: «**والمُزن؟**». قالوا: والمُزن.

قال: «**والعنانا؟**». قالوا: والعنانا(١).

قال: فقال: «**ما بُعدُ ما بين السماءِ والأرضِ؟**».

قالوا: لا ندري.

قال: «**فإنَّ بُعدَ ما بينهما إمَّا واحدةً، وإمَّا اثنتينِ، وإمَّا ثلاثًا وسبعين سنةً**(٢)، **والسماءُ فوقها كذلك**»، حتىٰ عدَّ سبعَ سمواتٍ، «**وفوقَ السماءِ**

=

ويَظَلُّ يَمْدحُه إذا كان الذي ... يَروِي يوافِقُ مذهبَ الطَّعَّانِ
كم قد رَأينا منهمُ أمثالَ ذَا ... فالحُكمُ للهِ العَظيمِ الشانِ
هذا هو التطفيفُ لا التطفيفُ في ... ذَرْع ولا كيل ولا مِيزانِ

وإن أردت الاستزادة في تخريج هذا الحديث ومَن احتجَّ به وصَحَّحه مِن أهل العلم، فانظر تحقيق: «إثبات الحدّ لله» للدشتي (٢٨ و٢٩).

(١) كذا في الأصل، وعند من خرَّجه: (العنان).

(٢) كذا في الأصل بالنصب، وعند من خرجه: بالرفع (وإما اثنتان، وإما ثلاث وسبعون سنة).

السابعةِ بَحرٌ، بين أسفلِهِ وأعلاه مثل ما بين السماءِ إلىٰ السماءِ، وفوقَ ذلك ثمانيةُ أوعالٍ(١)، ما بين أظلافِهِنَّ ورُكَبهنَّ مثل ما بين السماءِ إلىٰ السماءِ، وعلىٰ ظهورِهنَّ العرشُ، بين أسفلِهِ وأعلاه مثل ما بين السماءِ إلىٰ السماءِ، ثم الله عَزَّوَجَلَّ فوق ذلك تبارك وتعالىٰ»(٢).

---

(١) جمع (وَعْل): وهي الشاة الجبلية. «تهذيب اللغة» (٣/ ١٢٧).

(٢) رواه أحمد (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٥٨٩)، وابن خُزيمة في «التوحيد» (١٤٤)، والآجري في «الشريعة» (٧٦٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٨٩)، واللالكائي (٦١٥).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب

قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٥٩): عبد الله بن عَميرة، عن الأحنف ابن قيس، عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... ولا نعلم له سماعًا مِن الأحنف. اهـ

وقد صَحَّح هذا الحديث جماعة من أهل العلم، ومن ذلك:

قال الجوزقاني في «الأباطيل» (٧٢): حديث صحيح.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٦٤): رواه أبو داود بإسناد صحيح. فتأمل الفوقية في ألفاظ هذا الحديث هل أُريد بها فوقية الرتبة في لفظ واحد من ألفاظها؟. اهـ

وقال الذهبي في «العرش» (٢٤): رواه أبو داود بإسناد حسن، وفوق الحسن.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحموية» (ص٢٠٧): وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السُّنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خُزيمة في كتاب «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلَّا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلىٰ النبي ﷺ. اهـ

ورَدَّ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوىٰ» (٣/ ١٩٣) علىٰ مَن ضَعَّف هذا الحديث.

٤٨ - حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، ثنا عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جُبير، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما أُسرِيَ به مرَّت رائحةٌ طيبةٌ، «فقلتُ: يا جبريلُ، ما هذه الرائحةُ؟

فقال: هذه رائحةُ ماشِطةِ ابنةِ فرعونَ وأولادِها، كانت تَمشِّطُها، فوقَعَ المُشْطُ مِن يدها، فقالت: بسمِ الله.

فقالت ابنتُه: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربُّ أبيكِ الله.

فقالت: [٨٣/ أ] أُخبِرُ بذلك أبي؟ فقالت: نعم.

فأخبرتهُ، فدعا بها، فقال: مَن رَبُّكِ؟ هل لك ربٌّ غيري؟!

قالت: ربي وربُّك الذي في السماءِ.

فأمرَ بِبَقَرةٍ مِن نُحاسٍ(١) فأُحميت، ثم دعا بها وبولدِها فألقاهم فيها»(٢).

---

(١) قال الحافظ أبو موسىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي يقع لي في معناه: أنه لا يريد شيئًا مصوغًا علىٰ صورة البقرة، ولكنه رُبما كانت قِدرًا كبيرة واسعة، فسمَّاها بقرة، مأخوذًا من (التبقر): التوسُّع، أو كان شيئًا يسع بقرة تامّة بتوابلها فسُمِّيت بذلك. «النهاية» (١/ ١٤٥).

وعند البزار، وابن حبان، والبيهقي في «الشعب» وغيرهم: «نُقرة من نحاس»، وفي «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» (٣/ ٣٤٠) في الحديث: «فأمر بنقرةٍ من نحاس فأُحميت»، (النُّقرة): قِدرٌ يُسَخَّنُ فيه الماء وغيره بالشام وغيرها. اهـ

(٢) رواه أحمد (٢٨٢١)، والبزار (٥٠٦٧)، والطبراني (١٢٢٧٩ و١٢٢٨٠)، وابن حبان (٢٩٠٣و ٢٩٠٤).

والحديث صحَّحه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم.

⇦=

وساق أبو سلمة الحديث بطوله.

٤٩- **حدثنا** مُسدَّد، ثنا أبو الأحوص، ثنا أبو إسحاق، عن أبي عُبيدة، عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن لم يَرحمْ مَن في الأرضِ، لم يَرحَمْه مَن في السَّماءِ**»(١).

٥٠ - **حدثنا** أبو هشام الرفاعي، ثنا إسحاق بن سُليمان، ثنا أبو جعفر الرازي، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا أُلقِيَ إبراهيمُ في النارِ، قال: اللهم إنَّك في السماءِ واحدٌ، وأنا في الأرضِ واحِدٌ أَعبُدُك**»(٢).

=

وقال الذهبي في «العلو» (٨٤): هذا حديث حسن الإسناد.

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٠٢)، والطيالسي (٣٣٣)، والطبراني (٢٤٩٧).

ورجَّح الدارقطني وقفه، وهو مرفوع حُكماً، وأمَّا مَن ضعَّفه بالانقطاع فلم يصنع شيئًا، فرواية أبي عُبيدة عن أبيه احتجَّ بها وصحَّحته الأئمة النُّقاد رغم عدم سماعه منه؛ ولكن لمعرفة أبي عُبيدة بحديثِ أبيه وصحَّتها، وأنه لم يأتِ فيها بحديثٍ منكرٍ، وأنه تلقاها عن أهل بيته الثقات العارفين بحديثِ أبيه.

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (١٩١)، والبزار في «مسنده» (٩٠٤٧)، وقال: هذا الحديث لا نعلم رواه عن عاصم إلَّا أبو جعفر، ولا عن أبي جعفر إلَّا إسحاق، ولم نسمعه إلَّا من أبي هشام. اهـ

وذكره الذهبي في «العرش» (٥٠)، وقال: هذا حديث حسن، من حديث أبي جعفر الرازي، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. اهـ

وقال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ٣٢٣): رواه الدارمي بإسناد جيد. اهـ

وأورده الدارقطني في «العلل» (١٠/ ٩٩) وبيَّن أن الصحيح في آخر ما تكلم به =

٥١ - حدثنا مُسدَّد، ثنا جعفر بن سُليمان، عن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أصابنا ونحن مع رسولِ الله ﷺ مطرٌ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ فحسَرَ عنه ثوبَه حتىٰ أصابَه، فقلنا: يا رسول الله، لِمَ صنعت هذا؟

قال: «لأنه حديثُ عَهْدٍ بِرَبِّه»(١).

* قال أبو سعيد:

ولو كان علىٰ ما يقول هؤلاءِ الزائغةُ: (إنه في كلِّ مكانٍ)، ما كان المطرُ أحدثَ عهدًا باللهِ مِن غيرِهِ مِن المياهِ والخلائقِ(٢).

= إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُلقي في النار رواية أبي الضحىٰ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النار ...)، رواه البخاري (٤٥٦٣).

(١) رواه أحمد (١٢٣٦٥ و١٣٨٢٠)، ومسلم (٨٩٨).

(٢) أهل السُّنة يَستدلُّون بهذا الحديثِ على إثباتِ علوِّ الله تعالى بذاته على خلقه، وذلك أن المطرَ نزلَ مِن العلوِّ، فهو أقرب عهدًا بالله تعالى الذي هو عالٍ على خلقه، وأمَّا المُعطِّلة نفاة العلوّ فإنهم يبطلون مدلول هذا الحديث كما صنع النووي في شرحه لـ«صحيح مسلم» (٦/ ١٩٥) حيث قال: (المطرُ حديث عهد بتكوين الله إيَّاه) انتهىٰ.

ومعنىٰ كلامه: أن المطرَ رحمة، وهو قريب العهد بخلقِ الله تعالىٰ؛ فيُتبرَّك به لذلك، لا أنه قريب من جهة العلو بربه، وهذا التأويل هو الساري عندهم في شروحاتهم، وإنك لتعجب أن تجدَ هذا التحريف الذي يبطلون به ما دلَّ عليه هذا الحديث من إثبات العلو في حواشي كتب السُّنة والرد علىٰ الجهمية التي صنَّفها أئمتنا لإبطال مذاهبهم الرّديَّة!

وصنيع المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في إيرادِ هذا الحديث تحت باب إثبات علو الله تعالىٰ =

٥٢- حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، ثنا محمد بن فُضيل، عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لمَّا قُبِضَ رسول الله ﷺ، قال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الناس، إن كان محمدٌ إلهَكم الذي تعبدون فإنَّ إلهكم قد ماتَ، وإن كان إلهُكم اللهَ الذي في السماءِ، فإنَّ إلهكم لم يَمُت، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، حتىٰ ختم الآية(١).

= يُجلِّي لك مقصوده منه، ولهذا علَّق عليه بقوله: (ولو كان علىٰ ما يقول هؤلاءِ الزائغةُ: (إنه في كلِّ مكانٍ)، ما كان المطرُ أحدثَ عهدًا بالله مِن غيره مِن المياهِ والخلائقِ).

وكذا احتجَّ به ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» في باب إثبات علو الله تعالىٰ.

والذهبي في كتابيه: «العلو»، و«العرش».

وممَّا يزيده بيانًا ووضوحًا: ما رواه المُصنِّف في «النقض» (١٩٩) عن الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: (رأس المنارة أقرب إلىٰ الله من أسفلها)، ثم علَّق عليه الدارمي بقوله: (صدق ابن المبارك؛ لأن كلَّ ما كان إلىٰ السماء أقرب كان إلىٰ الله أقرب ... هذا معقول مفهوم إلَّا عند من لا يؤمن أن فوق العرش إلهًا). وانظر بقية كلامه هناك.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٨١٧٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٠٢).

قال الذهبي في «العلو» (١/ ٦٠٠): هذا حديث صحيح.

وأصل الحديث: رواه البخاري (٣٦٦٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه قول أبي بكر رضي الله عنه: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ..﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية.

٥٣- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، قال: ثنا جرير بن حازم، قال: سمعت أبا يزيد - يعني: المدني -، قال: لقيت امرأةٌ عمرَ، يقال لها: خَولةُ بنتُ ثعلبة وهو يسيرُ مع الناسِ، فاستوقفته، فوقفَ لها، ودنا منها، وأصغىٰ إليها رأسَه، حتىٰ قضت حاجتَها وانصرفت، فقال له رجلٌ: يا أمير المؤمنين، حَبَسْتَ رِجالاتِ قريشٍ علىٰ هذه العجوزِ!

فقال: ويلك، وهل تدري مَن هذه؟!

قال: لا.

قال: هذه امرأةٌ سَمِعَ اللهُ شكواها مِن فوقِ سبعِ سمواتٍ، هذه خَولةُ بنتُ ثعلبةَ، واللهِ لو لم تنصرِف عنِّي إلىٰ الليلِ ما انصرفتُ حتىٰ تَقضيَ حاجتَها، إلَّا أن تَحضُرَ صلاةٌ فأُصلِّيَها، ثم أرجعَ إليها حتىٰ تَقضيَ حاجتَها[1].

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٩٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٨٨٤١)، وإسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» (٢٧٤).

ورواه الذهبي في «العلو» (١٦٩) من طريق المُصنِّف، وقال: هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر رضي الله عنه . اهـ

وقال ابن كثير: هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد روي من غير وجهٍ. اهـ

«فائدة»: وممَّا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إثبات علوِّ الله تعالىٰ، والإشارة إليه: ما رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٣٦)، قال حدثنا وكيع، عن إسماعيل، عن قيس، قال : لما قَدِمَ عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو علىٰ بعيره، فقالوا : يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذونًا، يلقاك عُظماءُ الناس ووجوههم.

فقال عمر رضي الله عنه : لا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا، وأشارَ بيده إلىٰ السماء.

قال الذهبي في «العلو» (١٥٢): إسناده كالشمس.

٥٤ - حدثنا أحمد بن يونس، ثنا أبو شهاب الحناط، عن الأعمش، عن خيثمة: أن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن العبدَ ليَهِمُّ بالأمرِ مِن التجارةِ أو الإمارةِ، حتىٰ إذا تيسَّرَ له، نظرَ اللهُ إليه مِن فوقِ سبع سمواتٍ، فيقول للمَلَكِ: اصرِفْه عنه.

قال: فيَصرِفُه، فيتظنىٰ بحيرته، سَبَقني[١] فلانٌ، وما هو إلَّا الله[٢].

٥٥- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - يعني: ابن سلمة -، عن عاصم، عن زرٍّ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: ما بين السماءِ الدنيا والتي تليها مَسيرةُ خمسمائة عامٍ، وبين كلِّ سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماءِ السابعةِ وبين الكُرسي خمسمائة عامٍ، وبين الكُرسي إلىٰ الماءِ خمسمائةِ عام، والعرشُ علىٰ الماءِ، واللهُ تعالىٰ فوقَ العرشِ، وهو يعلمُ ما أنتم عليه[٣].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: (سَبَعني)، قال قاسم بن ثابت في «الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٩٠٧): قال في حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن الرجل ليهم بالأمر من أمر الإمارة، أو التجارة، فيقول تبارك وتعالىٰ للمَلَكِ: اصرفه عن عبدي، فإن أنا يسرته له أدخلته النار. فيصرفه عنه، فيظلُّ يتظنَّىٰ بجيرانه مَن سَبَعني؟ مَن سَبَعني؟ وإن صرفه عنه إلَّا الله تعالىٰ. ثم أسند هذا الأثر. قال يعقوب: يقال: سَبَعتُ فلانًا، إذا وقعت فيه وقيعة، ويقال: أسبعَ فلانٌ عبده إذا أهمله.. إلخ.

- وفي «غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ٤٥٨): يقال: سبع فلان فلانًا إذا انتقصه وتناوله بسوء، وفي الحديث: (من سبعني من قومِي). اهـ

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٩٨)، واللالكائي في «السنة» (١١٢٦).

قال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص١٠٧): رواه اللالكائي بإسناد صحيح. اهـ

(٣) رواه المُصنِّف في «النقض» (١٥٣ و١٧٧)، وابن خُزيمة في «التوحيد» (١٧٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧١١). وصحَّحه: ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ⇦=

٥٦- **حدثنا** سعيد بن أبي مريم المصري، أنبا يحيىٰ بن أيوب، حدثني عمارة بن غَزِيَّة(١)، عن قُدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطبٍ أنه حدَّثه: أن عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقع بجاريةٍ له، فقالت له امرأتُه: فعلتَها؟!

قال: أمَّا أنا فأقرأُ القرآنَ.

فقالت: أمَّا أنتَ فلا تقرأُ القرآنَ، وأنت جُنُبٌ.

فقال: أنا أقرأُ لَكِ. فقال:

= (ص٣٩٠)، والذهبي في «العلو» (١٥٧).

وقد جمع ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ بين هذا الأثر وبين ما تقدم برقم (٤٧) من حديث العباس بن عبد المُطّلب في تحديد المسافات بين السماء والأرض، فقال في «التوحيد» (١/ ٢٢٧): ولعلَّه يخطر ببال بعض مُقتبسي العلمِ أن خبر العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ في بُعْدِ ما بين السماء إلىٰ التي تليها خلاف خبر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس كذلك هو عندنا، إذ العلم مُحيطٌ أن السير يختلف سير الدواب من الخيل، والهُجن، والبغال، والحمير، والإبل، وسابق بني آدم، يختلف أيضًا، فجائزٌ أن يكون النبي المُصطفىٰ ﷺ أرادَ بقوله: «**بُعد ما بينهما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة**»، أي: بسير جواد الراكب من الخيل.

وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد: مسيرة الرجَّالة من بني آدم، أو مسيرة البِغال والحمير، أو الهُجن من البراذين، أو غير الجواد من الخيل، فلا يكون أحد الخبرين مخالفًا للخبر الآخر، وهذا مذهبنا في جميع العلوم أن كل خبرين يجوز أن يؤلف بينهما في المعنىٰ لم يجز أن يقال: هما متضادان متهاتران. اهـ ونحوه قول ابن القيم في «تهذيب السُّنن» (٣/ ٢٢٧)، والذهبي في «العرش» (٢/ ٤٢).

(١) في الأصل: (عرفة)، وما أثبته من كتب التراجم. «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٥٨).

شَـــهِدتُ بـــأنَّ وعـــدَ اللهِ حـــقٌّ ... وأنَّ النـــارَ مثـــوَىٰ الكافِرينـــا
وأنَّ العــرشَ فــوقَ المــاءِ طــافٍ ... وفــوقَ العــرشِ ربُّ العالمينــا
وتَحمِلُــــه ملائكـــــةٌ كِـــرامٌ ... ملائكـــةُ الإلَـــهِ مُسَوَّمينـــا

فقالت: آمنتُ باللهِ، وكذَّبتُ البصرَ(١).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (٥٧٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٨/ ١١٢-١١٦).

- قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٩٠٠): وقصَّته مع زوجته في حين وقع علىٰ أَمَته مشهورة، رويناها من وجوهٍ صحاحٍ ... وذكرها. اهـ

وذكره الذهبي في «العلو» (٨٣) وقال: روي من وجوه مُرسلة، منها: يحيىٰ بن أيوب المصري، حدثنا عمارة بن غزية، عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الحاطبي، فذكره، فهو منقطع. اهـ

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٦٥): لم يُنكر عليه ذلك، بل ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ومعلومٌ قطعًا أن ابن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يرد بقوله: (وفوق العرش رب العالمينا) أنه أفضل مِن العرش وخيرٌ منه، وهو كان أعلم بالله وصفاته وكماله من أن يقول ذلك، وإنما أراد فوقية الذات التي هي حقيقة اللفظ، وليس فيه ما يجب صرفه عن حقيقته، وأقل الأقسام أن اللفظ يحتمل الحقيقة والمجاز، وليس فيه ما يُعيّن المجاز بوجهٍ مِن الوجوه، فكيف يجوز إطلاق الحقيقة الباطلة عند الجهمية، ويُقرّه الرسول ﷺ عليها، ولا ينكر ذلك عليه؟!. اهـ

- وقال في «النونية» (١٧٢٧-١٧٣٠):

واذكُـر حـديثَ الصـادقِ ابـنِ ... في شـأنِ جاريـةٍ لـدىٰ الغشـيانِ
فيـه الشـهادةُ أنَّ عـرشَ اللهِ فـو ... قَ المـاءِ خـارجَ هـذه الأكـوانِ
واللهُ فـوقَ العـرشِ جـلَّ جلالُـه ... سُـبحانَه عـن نفـي ذي البُهتـانِ
ذكـرَ ابـنُ عبـدِ الـبرِّ في استيعابه ... هــذا وصَـحَّحه بــلا نُكــرانِ

٥٧- وحدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا جويرية - يعني: ابن أسماء -، قال: سمعتُ نافعًا، يقول: قالت عائشة ﵂: وايمُ الله، إنِّي لأخشىٰ لو كنتُ أُحِبُّ قتلَه لَقُتِلتُ - تعني: عثمانَ ﵁ -، ولكن عَلِمَ اللهُ مِن فوق عرشِهِ أني لم أُحِبَّ قتلَه(١).

٥٨- حدثنا النُّفيلي، ثنا زُهير بن معاوية، ثنا عبد الله بن عثمان بن خُثيم، حدثني عبد الله(٢) بن عبيد الله بن أبي مُليكة، أنه حدَّثه ذكوان حَاجِبُ عائشةَ ﵂: أن ابنَ عباسٍ ﵄ دخل علىٰ عائشة وهي تموتُ، فقال لها: كُنتِ أَحبَّ نساءِ رسولِ الله ﷺ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يُحبُّ إلَّا طيِّبًا، وأنزلَ اللهُ براءتكِ مِن فوقِ سبع سموات، جاءَ بها الروحُ الأمينُ، فأصبحَ ليسَ مسجدٌ مِن مساجِدِ اللهِ تعالىٰ يُذكرُ فيه اللهُ إلَّا وهي تُتلىٰ

---

(١) رواه أبو نعيم في «الفتن» (٢٠٢)، وإسناده صحيح. وهذا القول مرويٌّ عن أُمِّ المؤمنين ﵂ في كثير من المصادر، ولكن بدون ذكر الشاهد منه.

ورواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٩٤)، ومعمر في «الجامع» (٢٠٩٦٧)، واللفظ له، عن عروة، قال: دخلتُ علىٰ عائشة ﵂ أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، فذكرت عثمان ﵁، فقالت: يا ليتني كنتُ نسيًا منسيًّا، والله ما انتهكتُ من عثمان شيئًا إلَّا قد انتُهِكَ مني مثله، حتىٰ لو أحببت قتله لقُتلتُ.

وممَّا يروىٰ عن أُمِّ المؤمنين عائشة ﵂ في إثبات العلو والإشارة إليه:

ما رواه سعيد بن منصور في «السنن» (٥٨٥٧)، عن مسروق، قال: قالت لنا عائشة ﵂: إذا دعوتم الله عَزَّوَجَلَّ فادعوه بوترٍ. وأشارت إليه بإصبعها.

(٢) في الأصل: (عبيد الله)، والصواب ما أثبته كما في «النقض»، وهو كذلك عند من خرجه. وانظر: «تهذيب الكمال» (١٥/ ٢٥٦).

فيه آناءَ الليلِ والنهارِ(١).

٥٩- **حدثنا** محمد بن عمران بن أبي ليلىٰ، ثنا موسىٰ أبو محمد من موالي عثمان بن عفان، قال: وكان مِن خيارِ الناسِ، عن خالد بن يزيد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جدِّه، قال: خطبَ عليٌّ ﵁ الناسَ الخُطبةَ التي لم يَخطُب بعدها، فقال: الحمدُ لله الذي دنا في عُلوِّه، ونأىٰ في دُنوِّه، لا يَبلغُ شيءٌ مَكانَه، ولا يَمتنِعُ عليه شيءٌ أراده(٢).

٦٠- **حدثنا** نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أنبا سُليمان بن المُغيرة، عن ثابت البُناني، ثنا رجلٌ من أهل الشام، وكان يَتبع عبد الله بن عمرو بن العاص

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢١١)، ورواه أحمد (٢٤٩٦).

- ورواه البخاري (٤٧٥٣) عن ابن أبي مُليكة، قال: استأذن ابن عباس ﵄ قبل موتها علىٰ عائشة ﵂ وهي مغلوبة، قالت: أخشىٰ أن يُثني عليَّ.

فقيل: ابن عمِّ رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين. قالت: ائذنوا له.

فقال: كيف تَجِدِينَكِ؟ قالت: بخيرٍ إن اتَّقيتُ.

قال: فأنتِ بخيرٍ إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكِحْ بكرًا غيرَك، ونزلَ عُذرُكِ مِن السماءِ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤١٤)، و«الزهد» (٤٩٥)، ولكن لم يذكر هذه المُقدّمة فيها، وإنما اقتصر علىٰ ذكر الخُطبة.

- وروي عن معاوية ﵁ في معركة صفين نحوه، ذكره ابن حبان في «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» (٢/ ٥٤٠)، قال: ثم قام معاوية ﵁ خطيبًا في أهل الشام، واجتمع الناس، فقال: الحمد لله الذي دنا في علوِّه، وعلا في دنوِّه، وظهر وبطن فارتفع فوق كل منظرٍ أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، يقضي فيفصل، ويقدِّر فيغفر، ويفعل ما يشاء، وإذا أراد أمرًا أمضاه، وإذا عزم علىٰ أمرٍ قضاه ... إلخ.

ﷺ، ويَسمعُ منه، قال: كنتُ معه فلقي نَوفًا، فقال نوفٌ: ذُكِرَ لنا أن اللهَ تعالىٰ قال لملائكتِهِ: ادعُوا لي عبادِي.

فقالوا: يا ربِّ، كيف والسموات السبعُ دونَهم، والعرشُ فوق ذلك؟

قال: إنَّهم إذا قالوا: (لا إله إلَّا الله)، فقد استجابُوا لي.

قال: يقولُ عبد الله بن عَمرٍو ﷺ: صلينا مع رسولِ اللهِ ﷺ صلاةَ المغربِ، أو قال غيرَها - شكَّ سُليمان -، فقعَدَ رَهطٌ أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأُخرىٰ، فأقبلَ رسولُ الله ﷺ يُسرِعُ المشي، كأني أنظرُ إلىٰ رفعِه إزارَه كي يكونَ أخفَّ له في المَشي، فانتهىٰ إلينا، فقال: **«ألا أبشِروا، هذا ربُّكم أمرَ ببابٍ في السماءِ الوسطىٰ، - أو قال: بابِ السماءِ -، ففتَحه، ففاخرَ بكم الملائكةَ، فقال: انظرُوا إلىٰ عبادي، أدَّوا حقًّا مِن حقِّي، ثم انتظروا أداءَ حَقٍّ آخرَ يُؤدُّونَه»**(١).

٦١- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو هلال، ثنا قتادة، قال: قالت بنو إسرائيل: يا ربِّ، أنت في السماءِ، ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرِفَ رضاك وغضبك؟

قال: إذا رضيتُ عنكم؛ استعملتُ عليكم خيارَكم، وإذا غضبتُ عليكم؛

---

(١) رواه أحمد (٦٧٥٠-٦٧٥٢ و٦٨٦٠ و٦٩٤٦)، وابن ماجه (٨٠١).

والرجل المُبهم هو: أبو أيوب الأزدي، واسمه: يحيىٰ بن مالك كما عند من خرَّجه. والحديث صحيح.

ونوفٌ هو البكالي كما جاء مُصرَّحًا باسمه في بعض الروايات.

استعملتُ عليكم شِرارَكم(١).

٦٢- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال: حدثني ليث - وهو ابن سعد -، قال: حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، أن زيد بن أسلم حدَّثه، عن عطاء بن يسارٍ، قال: أتىٰ رجلٌ كعبًا وهو في نفرٍ، فقال: يا أبا إسحاق، حدثني عن الجبَّارِ؛ فأعظمَ القومُ قولَه.

فقال كعبٌ: دعوا الرجلَ، فإن كان جاهِلًا تعلَّمَ، وإن كان عالِمًا ازدادَ عِلمًا، ثم قال كعبٌ: أخبرُكَ أنَّ اللهَ خلق سبعَ سمواتٍ، ومِن الأرضِ مثلهنَّ، ثم جعلَ ما بين كل سماءينِ كما بين السماء الدنيا والأرضِ، وكثفهنَّ مثل ذلك، ثم رفَعَ العرشَ فاستوىٰ عليه، فما في السمواتِ سماءٌ إلَّا لها أطِيطٌ كأطيطِ الرحلِ العِلافيِّ أول ما يُرتحَلُ، مِن ثِقَلِ الجبَّار فوقهنَّ(٢).

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢١٣).

والأثر رواه عبد الله بن أحمد في زوائده علىٰ «الزهد» (١٥٧٧)، وابن أبي الدنيا «العقوبات» (٤٢)، وفيه: (قال موسىٰ بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب، أنت في السماء ..) الأثر. وذكره الذهبي في «العلو» (٣٦٦)، وقال: هذا ثابت عن قتادة أحد الحُفَّاظ الكبار. اهـ

وروىٰ الطبري في «تهذيب الآثار» (مسند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (١٣٢٦) نحوه عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٣٤)، وزاد فيه: قال أبو صالح: (العلافي): الجديد يُريد.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «اجتماع الجيوش» (ص ٤٠٠): روىٰ أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «العظمة» عنه بإسناد صحيح. اهـ

⇦=

=

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٦٨): وهذا الأثر وإن كان هو رواية كعب، فيَحتمل أن يكون من علوم أهل الكتاب، ويَحتملُ أن يكون ممَّا تلقَّاه عن الصحابة ﷺ، ورواية أهل الكتابِ التي ليس عندنا شاهدٌ هو لا دافعها، لا يُصدّقها، ولا يُكذِّبها، فهؤلاء الأئمة المذكورة في إسناده هم من أجلِّ الأئمة، وقد حدَّثوا به هم وغيرهم، ولم يُنكروا ما فيه من قوله: (مِن ثِقلِ الجبار فوقهنّ)، فلو كان هذا القول منكرًا في دين الإسلام عندهم لم يُحدِّثوا به علىٰ هذا الوجه. اهـ

قلت: هذا كلام متينٌ في قبول الأخبار التي رواها أئمة السُّنة، وتلقَّوها بالقبول، ولم يطعنوا فيها، ولا فيما دلّت عليه، وقد توسَّع كثير مِن المُتأخِّرين في تعقُّبِ هذه الأخبار بالردِّ والطعنِ بمُجرَّد دعواهم أنها مِن الإسرائيليات، ويظنون أنهم تفطَّنوا إلىٰ ما لم يتفطَّن له أئمة السُّنة؟!

وسيأتي زيادة بيان في كتاب «النقض» (فقرة/ ٢٧٠) عن الأخبار المروية عن بني إسرائيل في أبواب الاعتقاد.

وفي قول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لم يُنكروا ما فيه من قوله: مِن ثِقلِ الجبَّارِ فوقهنَّ)، ردٌّ علىٰ المُعطِّلة الذين استنكروا هذا الأثر لما فيه مِن نسبة (الثقل لله تعالىٰ)، وهذا إنما يتعاظمه ويستبشعه المُعطِّلة أو من تأثَّر بهم، وأمَّا سلف الأُمَّة وأئمتها فلم يؤثر عن أحدٍ منهم أنه تردّد في قبول ما دلَّ عليه هذا الأثر أو تحرج مِن التحديث به، كيف وقد شهد له الكتاب العزيز في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل:١٨]، فقد وردَ عن غيرِ واحدٍ من المُفسرين كالحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة في تفسيرها: (قالوا: مُثقَلَةٌ به)، رواها عنهم الطبري في «تفسيره»، وعبد الله ابن أحمد في «السُّنة»، كما بيَّنتُ ذلك في تحقيق كتاب «إثبات الحدِّ لله تعالىٰ» للدشتي (٤٤).

وروىٰ ابن أبي حاتم نحوه عن ابن عباس ﷺ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢١).

=

٦٣- حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، قال: حدثني عُقيل، عن ابن شهابٍ، قال: أخبرني سالم بن عبد الله: أنَّ كعب الأحبارِ قال لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ويلٌ لسُلطانِ الأرضِ مِن سُلطانِ السماءِ.

قال عمرُ: إلَّا مَن حاسَبَ نفسَه.

فقال كعبٌ: إلَّا مَن حاسَبَ نفسَه.

وكبَّرَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وخرَّ ساجدًا(١).

٦٤- حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحِمَّاني، ثنا أبي، عن نضر أبي عمر

=
ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» (ص ٩٩ - ١٠٠):

وبسُورةِ الشُّورىٰ وفي مُزَّمِّلٍ ... سِرٌّ عَظيمٌ شَأنُه ذُو شَانِ
في ذِكْرِ تَفطيرِ السَّماءِ فمَن يُرِدْ ... عِلمًا به فهو القريبُ الدَّاني
لم يسمَح المتأخِّرون بنَقْلِهِ ... جُبنًا وَضَعفًا عنه في الإيمانِ
بل قاله المُتقدِّمون فوارسُ الـ ... إسلام هم أُمراءُ هذا الشَّان
ومحمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ في ... تفسيره حُكِيت به القولانِ

- قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (٤/ ٨٦): قوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى:٥] حُجَّة علىٰ الجهمية والمعتزلة في إنكار الصفات كلها، وما ينكرون من كينونته في السماء، وحلوله فيها علىٰ العرش، وهذا يؤيد الحديث المرفوع: «**وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد مِن الثقل**». اهـ

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٠٧)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨٩). وهو أثر صحيح عنه.

الخزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

(سيِّدُ السمواتِ): السماءُ التي فيها العرشُ.

و(سيِّدُ الأرضين): التي نحن عليها.

و(سيِّدُ الشجرِ): العَوْسَجُ، ومنه عصا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(١).

٦٥- **حدثنا** القعنبيُّ، ثنا ثابت بن قيس أبو الغُصن، عن أبي سعيد المقبري، عن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: قلتُ: يا رسول الله، رأيتُك تصومُ من الشهرِ شيئًا ما لا تصومُه مِن الشهورِ أكثر إلَّا رمضان.

قال: «**أيَّ شهرٍ؟**».

قلت: شعبان.

قال: «**هو شهرٌ تُرفعُ فيه الأعمالُ إلىٰ ربِّ العالمين، فأُحِبُّ أن يُرفَعَ عملي وأنا صائِمٌ**»(٢).

٦٦- **حدثنا** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ للهِ ملائكةً**

---

(١) في إسناده: النضر بن عبد الرحمن، أبو عمر الخزاز. قال أحمد وابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث. «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٣٩٤).

(٢) رواه أحمد (٢١٧٥٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢٦٧٨ و٢٦٧٩)، و «المُجتبىٰ» (٢٣٥٧)، وابن أبي شيبة (٩٨٥٨). وهذا الحديث انفرد ثابت بن قيس بروايته، وقد قال ابن معين: أبو الغصن ثابت بن قيس ليس حديثه بذاك، وهو صالح.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٦٦) في ترجمته، وقال: وهو ممن يكتب حديثه.

يَتعاقبون فيكم، فإذا كانت صلاةُ الفجرِ نزلت مَلائكةُ النهارِ، فشَهِدوا معكم الصلاةَ، وصعدتْ ملائكةُ الليلِ، ومكثتْ فيكم ملائكةُ النهارِ، فيسألُهم ربُّهم وهو أعلمُ بهم: ما تركتُم عبادي يَصنعون؟ فيقولون: جِئناهم وهم يُصلُّون، وتَركناهم وهم يُصلُّون.

فإذا كانت صلاةُ العصرِ نزلت ملائكةُ الليلِ، فشهدوا معكم الصلاةَ، ثم صعدت ملائكةُ النهار، ومكثت معكم ملائكةُ الليلِ».

قال: «فيَسألُهم ربُّهم وهو أعلمُ بهم، فيقول: ما تركتُم عبادي يصنعون؟ قال: فيقولون: جئناهم وهم يُصلُّون، وتركناهم وهم يُصلُّون».

قال: فحسبتُه أنه قال: «فاغفِر لهم يومَ الدينِ»(١).

٦٧- حدثنا سُليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيدٍ، عن عاصم، عن زِرٍّ، قال: أتيتُ حُذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، فقلتُ: أخبرني عن صلاةِ رسول الله ﷺ [٨٤/أ] في بيتِ المقدسِ ليلةَ أُسرِيَ به.

قال: ما يُخبرُكَ ذاك؟

قلتُ: القرآنُ، فقرأتُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى﴾ [الإسراء:١].

قال: هكذا هو في قِراءةِ عبدِ الله.

---

(١) رواه أحمد (٨١٢٠ و١٠٣٠٩)، والبخاري (٥٥٥ و٧٤٢٩ و٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).
وقوله: «فاغفِر لهم يومَ الدينِ» عند أحمد فقط.

قال: هل تراه صلَّىٰ فيه يا أصلعُ؟ قلتُ: لا.

قال: فإنه أتاه بدابَّةٍ - فوصفها عاصم بحمارٍ -، فحملَه عليها، أحدُهما رَديفُ صاحبِه، ثم انطلقا، فأُرِيَ ما في السموات، وأُرِيَ، ثم عادا عودَهما علىٰ بَدئهما، فلم يُصلِّ فيه، ولو صَلَّىٰ فيه لكانت سُنَّةً(١).

٦٨- حدثنا عَمرو بن خالد الحرَّاني، ثنا ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن أبي تميم الجيشاني، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا مكثَ المَنيُّ في الرَّحِمِ أربعين ليلةً أتاه مَلَكُ النفوسِ، فعرجَ به إلىٰ الربِّ في راحتِه(٢)، فيقول: أي [ربِّ عبدُك هذا ذكرٌ أم أُنثىٰ؟ فيَقضي الله إليه ما هو قاضٍ، ثم يقول: أي ربِّ] أَشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فيَكتبُ بين عينيه ما هو لاقٍ**».

قال: وتلا أبو ذرٍّ مِن فاتحةِ التغابُنِ خمسَ آياتٍ(٣).

* قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإلىٰ مَن يَعرجُ المَلَكُ بالمنيِّ، والله بزعمِكم الكاذبِ في رَحِمِ المرأةِ

---

(١) رواه أحمد (٢٣٢٨٥)، والترمذي (٣١٤٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

- قال البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٦٤): وكأن حذيفة رضي الله عنه لم يسمع صلاته في بيت المقدس، وقد روينا في الحديث الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره أنه صلَّىٰ فيه ... والخبر المُثبت أولىٰ من النافي، وبالله التوفيق. اهـ

قلت: والشاهد منه: عُروج النبي ﷺ بروحه وجسده إلىٰ ربه تعالىٰ في السماء.

(٢) أي: في كفِّ يده.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٨٩٠٢)، والطبري (٣١٥١)، وما بين [ ] منهما. ورواه موقوفًا: الفريابي في «القدر» (١٠٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٥٣٠).

وجوفِها مع المَنيِّ؟!

٦٩- وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّة، عن أبي عُبيدة، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ، فقال: «**إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يَخفِضُ القِسطَ ويَرفَعُه، يُرفَعُ إليه عملُ الليلِ قبل النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ الليلِ، حِجابُه النورُ، لو كشفَه لأحرقت سُبحاتُ وجهه كلَّ شيءٍ أدركَه بَصرُه**»(١).

٧٠- قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإلىٰ مَن تُرفعُ الأعمالُ، واللهُ بزعمِكم الكاذبِ مع العاملِ بنفسِه في بيتِه، ومسجدِه، ومُنقلبِه، ومثواه؟ تعالىٰ الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

والأحاديثُ عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابِه، والتابعين، فمَن بعدهم في هذا أكثر مِن أن يُحصِيها كتابُنا هذا، غير أنَّا قد اختصرنا مِن ذلك ما يستدلُّ به أولو الألباب: أن الأُمَّةَ كلَّها، والأممَ السالفة قبلها لم يكونوا يَشُكُّون في معرفةِ الله تعالىٰ أنه فوقَ السماءِ، بائنٌ من خلقِه، غيرَ هذه العِصابةِ الزائغةِ عن الحقِّ، المُخالفةِ للكتابِ وأثاراتِ العلمِ كلِّها، حتىٰ لقد عرَفَ ذلك كثيرٌ مِن كفَّارِ الأُممِ وفراعنتِهم، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر](٢).

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣١٦ و٣٤٠)، وأحمد (١٩٥٣٠)، ومسلم (٣٦٤).
وسيأتي التعليق علىٰ هذا الحديث تحت رقم (٣٣٨).

(٢) تقدم برقم (٣٨) تعليق المُصنِّف عليه.

• واتَّخذ فرعونُ إبراهيمَ النُّسُورَ والتابوتَ يَرُومون الاطِّلاعَ إلىٰ الله تعالىٰ في السماء(١)، وذلك لِمَا أنَّ الأنبياءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يدعونهم إلىٰ الله بذلك.

• وقالت بنو إسرائيلَ: يا ربِّ، أنت في السماءِ، ونحن في الأرضِ.

وأشباه هذا كثيرٌ، تطول إن ذكرناها.

وظاهِرُ القرآنِ وباطنُه كلُّه يدلُّ علىٰ ذلك، لا لبسَ فيه، ولا تأوُّلَ إلَّا لمُتأوِّلٍ جاحدٍ يُكابرُ الحُجَّةَ، وهو يعلمُ أنها عليه.

• قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١].

• وقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران].

• وقوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت].

• ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت] .

• ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر] .

• ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]. [٨٤/ ب]

• ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور:١].

وما أشبَه هذا في كتابِ اللهِ كثيرٌ، كل ذلك دليلٌ: علىٰ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنزله

---

(١) تقدم برقم (٣٨) التعليق عليه.

مِن السماءِ مِن عنده.

ولو كان علىٰ ما يدَّعي هؤلاء الزائغةُ: أنه تحت الأرض وفوقها كما هو علىٰ العرشِ فوق السماءِ السابعة لقال جلَّ ذِكرُه في بعض الآيات: (إنا أطلعناه إليك)، (ورفعناه إليك)، وما أشبَهَه.

• وقال: ﴿ وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم:٦٤].

• و ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء].

• و﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، ولم يقل: ما يخرجُ مِن تحت الأرض، ولا يصعَدُ منها.

* قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فظاهرُ القرآنِ وباطِنُه يدلُّ علىٰ ما وصفنا مِن ذلك، نستغني فيه بالتنزيلِ عن التفسيرِ، ويَعرِفُه العامَّةُ والخاصَّةُ، فليس منها لمُتأوِّلٍ تأوُّلٌ، إلَّا لمُكذِّبٍ به في نفسِهِ، مُستترٍ بالتأويلِ(١).

---

(١) أئمة السُّنة يَعدُّون تحريف نصوص الصفات وتأويلها عن حقيقتها اللائقة بالله تعالىٰ نوعًا مِن التكذيب بها، فإن الجهمية والأشاعرة وغيرهم مِن المُعطِّلة لم يتجرؤوا علىٰ ردِّ هذه النصوص الكثيرة المشهورة والتكذيب بها صراحة كغلاتهم حتىٰ لا يفتضحوا عند العامَّةِ والخاصَّة، فسلكوا مسلك التحريف والتأويل للتكذيبِ بها وبما دلَّت عليه دِلسة يتترَّسون بها خشية الفضيحة، ولهذا قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (٦٧): (وما أحسبُ هذا المريسيَّ إلَّا وهو علىٰ يقينٍ مِن نفسِه أنها تأويلُ ضلالٍ، ودعوىٰ مُحالٍ، غيرَ أنه مُكذِّبٌ الأصلَ، مُتلطِّفٌ ⇐

=

لتكذيبه بمُحالِ التأويلِ؛ كيلا يَفطنَ لتكذيبِهِ أهلُ الجهلِ).

- وقال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية»: التأويل عند أصحاب الحديث: نوعٌ مِن التكذيب. اهـ [«طبقات الحنابلة» (١/ ٦٤)]

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٠٨) بعد أن ذكر أحاديث مجيء الله وإتيانه: (إذا كانت الأحاديث مُصرِّحةً بمجيء الربِّ نفسه تصريحًا يعلمه الخاصُّ والعامُّ، ويزيل كل شُبهةٍ؛ عُلِمَ أن هذه التحريفات تكذيب للرسول ﷺ لا تصدرُ إلَّا مِن جاهلٍ بما أخبر به، أو منافق ليس بمؤمن، فأمَّا مَن آمن به، وعلم ما جاء به؛ فلا يكون إلَّا مُصدِّقًا بمضمونها). اهـ

- وقال في «الفتاوىٰ» (١٢/ ٥٠٢) وإذا قال: لا أُكذِّبُ بلفظ القرآن، وهو قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، بل أقرّ بأن هذا اللفظ حقٌّ، لكن أنفي معناه وحقيقته؛ فإن هؤلاء هم الجهمية الذين اتَّفق السلف والأئمة علىٰ أنهم مِن شرِّ أهل الأهواء والبدع حتىٰ أخرجهم كثير مِن الأئمة عن الثنتين والسبعين فرقة. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٤٦) وهو يتكلّم عن أنواع التكذيب بنصوصِ الصِّفاتِ: ولو أقرَّ بلفظِهِ مع جَحدِ معناه، أو حرَّفَه إلىٰ معانٍ أُخر غير مَا أُريد به لم يكن مُصدِّقًا بل هو إلىٰ التكذيبِ أقرب. اهـ

- وقال كما في «مختصر الصواعق» (١/ ٣٠): قوله: «**إنكم ترون ربكم عيانًا كما ترون القمر ليلة البدر صحوًا ليس دونه سحاب** ..»، فتأويل الرؤية في هذا السياق بما يُخالف حقيقتها وظاهرها في غاية الامتناع، وهو ردٌّ وتكذيبٌ يَستَتِرُ صاحبُه بالتأويل. اهـ

- وقال في «اجتماع الجيوش» (ص ٣٣٣): وليس مقصود السلف بأن من أنكرَ لفظ القرآن يكون جهميًّا مُبتدعًا؛ فإنه يكون كافرًا زنديقًا، وإنما مقصودهم: مَن أنكر معناه وحقيقته. اهـ

قلت: وهم بذلك قد أخذوا بوصية شيطانهم الأكبر بشر المريسي، فقد قال =

=

المُصِّنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (فقرة/ ٣٩١): وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قالوا له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجُّون بها علينا في ردّ مذهبنا مما لا يمكن التكذيب بها؟ فقال المريسي: لا تردّوه فتفتضحوا؛ ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلُطفٍ إذ لم يمكنكم ردّها بعُنفٍ. اهـ

- ونقل المُصنِّف (١٣٨) عنه قوله: (ما شيءٌ أنقضَ لدعوانا مِن القرآنِ، غيرَ أنه لا سبيلَ إلىٰ دفعِه إلَّا مُكابرةً بالتأويلِ).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الدرء» (٥/ ٢١٧): وقيل عن بعض رُؤوس الجهمية إما بشر المريسي أو غيره إنَّه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن، فأقرُّوا به في الظاهر، ثم صرّفوه بالتأويل.

ويقال: إنّه قال: إذا احتجّوا عليكم بالحديث؛ فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجُّوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل. اهـ

- وقال في «جواب الاعتراضات المصرية» (ص١٠٨): فالمُتأوِّل بما يخالف الظاهر مع أنه مبتدعٌ لهذه التأويلات، فهي بدعة مخالفة لإجماع السلف، لا بدعة مسكوت عنها ... [و] الجهم والجعد، أو من بعد هؤلاء مثل أبي الهُذيل العلَّاف وطبقته وبشر المريسي ونحوه، فهؤلاء الذين ابتدعوا هذه التأويلات. اهـ

- وقال (٤/ ٤٠١): فعُلِمَ أن هؤلاء [يعني: متأخِّري الأشاعرة] حقيقة باطنهم باطن المعتزلة الجهمية المُعطِّلة، وإن كان ظاهرهم ظاهر أهل الإثبات. اهـ

- قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في «عيون الرسائل والأجوبة علىٰ المسائل» (١/ ٣٧٢): المعروف عند السَّلفِ عن جهمٍ، وشيعته الجهمية، فإنهم لم يصرِّحوا بردٍّ لفظِ القُرآنِ: كالاستواء، وغيرِهِ من الصِّفات، وإنما خالفوا السّلف في المعنىٰ المُراد. اهـ

قلت: والإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجعل إيمانهم بألفاظ النصوص مع تحريفهم وتأويلهم لحقيقتها مانعًا مِن وصمهم بالتَّجهُّمِ، ولا مانعًا مِن الحُكمِ عليهم بالكفرِ، وقد صرَّح بهذا في مواطن كثيرة، ومنها:

=

ويلَكُم! إجماعٌ مِن الصحابةِ، والتابعين، وجميع الأُمةِ مِن تفسيرِ القرآنِ، والفرائضِ، والحُدودِ، والأحكامِ: نزلت آيةُ كذا في كذا، ونزلت آيةُ كذا في كذا، ونزلت سورةُ كذا في مكان كذا، لا نسمعُ أحدًا يقول: طلعت مِن تحتِ الأرضِ، ولا جاءت مِن أمامٍ، ولا مِن خَلفٍ، ولكن كلّه: نزلت مِن فَوق.

وما يصنعُ بالتنزيلِ مَن هو بنفسِه في كلِّ مكانٍ.

إنما يكون شِبه مناولةٍ، لا تَنزيلًا مِن فوقِ السماءِ مع جبريلَ، إذ يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢].

والربُّ بزعَمِكُم الكاذبِ في البيتِ معه، وجبريلُ يأتيه مِن خارجٍ.

هذا واضحٌ، ولكنَّكم تُغالِطون.

فمَن لم يقصد بإيمانِه وعبادته إلىٰ اللهِ الذي استوىٰ علىٰ العرشِ فوق سمواتِه، وبانَ مِن خَلقِه، فإنَّما يَعبُدُ غيرَ الله، ولا يدري أينَ الله(١).

٧١ - **حدثنا** مهدي بن جعفر الرَّملي، ثنا جعفر بن عبد الله - وكان مِن أهل الحديثِ ثقة -، عن رجلٍ قد سمَّاه لي، قال: جاء رجلٌ إلىٰ مالك بن

=

- قوله (فقرة/ ٢٦٣): ونُكفِّرهم أيضًا بالمشهورِ مِن كفرهم أنهم لا يُثبتون لله تبارك وتعالىٰ وجهًا، ولا سَمعًا، ولا بصرًا، ولا عِلمًا، ولا كلامًا، ولا صفةً **إلَّا بتأويل ضلالٍ**. اهـ

(١) تقدم (فقرة/ ١) عن ابن المبارك ويزيد بن هارون: ليس تعبُدُ الجهمية شيئًا.
وقول وكيع: كلُّ صاحبِ هوًىٰ يعبد الله عَزَّوَجَلَّ ويعرفه إلَّا الجهمي.
وانظر قول المُصنِّف (برقم/ ١١٠) ففيها زيادة بيان.

أنسٍ، فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، كيف استوىٰ؟

قال: فما رأينا مالكًا وجَدَ مِن شيءٍ كوَجدِه مِن مقالتِهِ، وعلاه الرُّحَضاءُ(١)، وأطرقَ، وجعلنا ننتظِرُ ما يأمرُ به فيه.

قال: ثم سُرِّيَ عن مالكٍ، فقال: الكيفُ غيرُ معقولٍ، والاستواءُ منه غيرُ مجهولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ، وإني لأخافُ أن تكونَ ضالًّا. ثم أمرَ به فأُخرِجَ(٢).

---

(١) يعني: العَرَق.

(٢) رواه اللالكائي (٦٢٩)، والصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث» (٢٤ و٢٥ و٢٦).

وروىٰ اللالكائي (٦٣٠) نحوه عن ربيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وروي نحوه كذلك عن أمِّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، ولا يثبت عنها.

وقد جمع تلك الروايات ابن المُحبِّ في «الصفات» (١/ ٩٥) تحت: (باب قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]).

- وفي «الكامل» لابن عدي (٢/ ٢١٤) قال إبراهيم بن موسىٰ: كنت عند بُكير ابن جعفر الجُرجاني فجاءه رجلٌ، فقال: الله علىٰ عرشه كيف؟

فقال: خذوا برجله. فجَرُّوه.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٨١): وكلام مالك صريحٌ في إثبات الاستواء، وأنه معلومٌ، وأن له كيفية؛ لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن.

ولهذا بدَّعَ السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فإن السؤال إنما يكون عن أمرٍ معلومٍ لنا، ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلومًا وله كيفية تكون =

=
تلك الكيفية معلومة لنا. اهـ

قلت: وفي قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ هذا ردٌّ علىٰ المُفوِّضة الذين يَدَّعون أن نصوص الصفات مُجرَّدة عن معانيها التي خاطبنا الله تعالىٰ بها، وأنها مجهولة المعنىٰ، فلا يُفهم منها حقيقة الصفات، فرجع أمرهم إلىٰ التعطيل.

ونظيره في النهي عن السؤال عن الكيفية:

- ما رواه الصابوني في «اعتقاده» (٤١) قال إسحاق ابن راهويه: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «**ينزل ربُّنا كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**»، كيف ينزل؟

قال: قلتُ: أعزَّ الله الأمير، لا يقال لأمرِ الربِّ: كيف؟ إنما ينزل بلا كيف.

فنهىٰ الأئمة عن السؤال عن كيفية صفاته سبحانه وتعالىٰ، وأمَّا معانيها فهي محمولة عندهم علىٰ المعروف المشهور في لغةِ العرب التي خاطبنا الله بها.

ومن هذا الباب: ما رواه عبد الله في «السُّنة» (٥٦) عن شاذ بن يحيىٰ، قال: سمعت يزيد بن هارون وقيل له: مَن الجهمية؟ فقال: مَن زعم أنَّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] علىٰ خِلافِ ما يقرُّ في قلوب العامَّةِ فهو جهميٌّ.

- ونحوه قول القعنبي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «اجتماع الجيوش» (ص ٣٢٧).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي يَقِرُّ في قلوب العامَّة: هو ما فطرَ الله تعالىٰ عليه الخليقة مِن توجُّهها لربها تعالىٰ عند النوازل، والشدائد، والدُّعاء، والرَّغبات إليه تعالىٰ نحو العلوِّ، لا تلتفت يمنةً ولا يسرةً، مِن غير مُوقِفٍ وقَّفهم عليه؛ لكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلَّا وهو يُولد علىٰ هذه الفطرة حتىٰ يُجهِّمه وينقُلَه إلىٰ التَّعطيلِ مَن يُقيِّضُ له.

انتهىٰ من «اجتماع الجيوش» لابن القيم (ص ٣٢٥).

وسيأتي برقم (١٠٧) من كلام المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بيان سبب نهي السلف عن السؤال عن كيفية الصفات.

٧٢- قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وصدقَ مَالِكٌ، لا يُعقلُ منه كيفٌ، ولا يُجهلُ منه الاستواءُ، والقرآنُ ينطقُ ببعضِ ذلك في غيرِ آيةٍ.

فهذه الأشياءُ التي اقتصصنا في هذا البابِ، قد خَلَصَ عِلمُ كثيرٍ منها إلىٰ النِّساءِ والصِّبيانِ، ونطقَ بكثيرٍ منها كتابُ اللهِ تعالىٰ، وصدَّقته الآثارُ عن رسولِ الله ﷺ، وعن أصحابِه والتابعين، وليس هذا مِن العلمِ الذي يُشكِلُ علىٰ أحدٍ مِن العامَّةِ والخاصَّةِ(١)، إلَّا علىٰ هذه العِصابةِ المُلحِدةِ في آياتِ

---

(١) أهل العلم يعدُّون مسألة (علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه) مِن المسائل المعلومة مِن الدينِ بالضرورة فلا عُذرَ لأحدٍ في إنكارِها لظهورها كما قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا، وقال فيما تقدّم: (وظاهِرُ القرآنِ وباطنُه كلُّه يدلُّ علىٰ ذلك، لا لبسَ فيه، ولا تأوُّلَ إلَّا لمُتأوِّلٍ جاحدٍ يُكابرُ الحُجَّةَ، وهو يعلمُ أنها عليه).

- وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ٢٥٤): (باب ذكر البيان أن الله عَزَّوَجَلَّ في السَّماء كما أخبرنا في مُحكم تنزيله، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ، وكما هو مفهوم في فِطرة المسلمين: علمائهم وجهالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم، كلّ مَن دعا الله جلَّ وعلا فإنما يرفعُ رأسه إلىٰ السَّماء، ويَمُدّ يديه إلىٰ الله إلىٰ أعلاه لا إلىٰ أسفل). اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٤): العلم بعلو الله علىٰ العالم: فهو معلومٌ بالفطر الضرورية، وعند الاضطرار في الحاجاتِ، لا يقصد القلب إلَّا ما يعلم كما يعلم. اهـ

- وقال (٦/ ٥١٧): هذا ممَّا اتفق عليه أئمة المسلمين، وسائر أهل السنة والجماعة؛ أن العلم بكونه فوق العالم: فطري عقلي، وأمَّا العلم باستوائه علىٰ العرش؛ فسمعيٌّ شرعيٌّ. اهـ

⇦=

اللهِ، لم يزل العلماءُ يَروون هذه الآثار، ويَتناسخونَها، ويُصدِّقون بها علىٰ ما جاءت، حتىٰ ظهرت هذه العِصابةُ، فكذَّبوا بها أجمعَ، وجهَّلُوهم، وخالفوا أمرَهم، خالفَ اللهُ بهم(١).

=

- وقال الشيخ سُليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مسألة علو الله علىٰ خلقه، واستوائه علىٰ عرشه، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله من المسائل الجلية الظاهرة، ومما عُلِمَ من الدّين بالضرورة، فإن الله قد وضَّحها في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، فمن سمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية: فقد قامت عليه الحُجّة، وإن لم يفهمها، فإن كان ممن يقرأ القرآن فالأمر أعظم وأطم، لاسيما إن عاند، وزعم أن ما كان عليه هو الحقّ، وأن القرآن لم يُبيّن ذلك بيانًا شافيًا كافيًا؛ فهذا كفره أوضح من الشمس في نحر الظهيرة، ولا يتوقَّف في كفره من عرف الإسلام وأحكامه وقواعده. اهـ

انظر: «إجماع أهل السنة النبوية علىٰ تكفير المُعطَّلة الجهمية» (ص١١٧).

(١) فمع ظهور الحُجَّة مِن الكتاب والسُّنة والإجماع والفطرة علىٰ علوِّ الله تعالىٰ واستوائه علىٰ عرشه إلَّا أن المُطَّلع علىٰ أقوال كثيرٍ مِن المُتأخِّرين المُشتغلين بالتصنيف في التفسيرِ وشروحِ الأحاديث والعقائد يرىٰ أنهم قد سلكوا فيها مسلك الجهمية مُعطِّلة الصفات، فأنكروا علوَّ الربِّ عَزَّوَجَلَّ علىٰ خلقه، واستواءه علىٰ عرشه، وتسلَّطوا علىٰ النصوص الصريحة بالتحريف والتأويل، فأنكروا العلوّ، ثم أنكروا علىٰ من اعتقده، ونبزوهم بالتجسيم والتشبيه، ثم هم يحكمون عليهم تارةً بالتبديع والتضليل، وتارة بالتكفير والمروق مِن المِلَّة.

فهذا السنوسي الأشعري (٨٩٥هـ) في «شرح الكُبرىٰ» يقول: أصول الكفرِ ستةٌ ... السَّادس: .. التمسُّك في أصول العقائد بمجرَّدِ ظواهر الكتاب والسُّنة من غير بصيرة في العقل: هو أصلّ ضلال الحَشْوية !! فقالوا بالتَّشبيه، والجهة، عملًا بظاهر قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾

=

=

[طه]، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] ونحو ذلك. اهـ

وهذا الكوثري الجهمي يقول في «تبديد الظلام» (٣٥) وهو يتكلَّم عن الذين أثبتوا علوَّ الله علىٰ خلقه، واستواءه علىٰ عرشه: (لا حظّ لهم في الإسلام، غير أن جعلوا صَنمهم الأرضي صَنمًا سماويًّا). اهـ

وهذا ابن حجر الهيتمي الأشعري يشتدّ إنكاره علىٰ ابن تيمية وابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في إثباتهما العلوّ، فيقول: (هذا مِن قبيح رأيهما وضلالهما؛ إذ هو مبني علىٰ ما ذهبا إليه، وأطالا في الاستدلال له، والحطّ علىٰ أهل السُّنة [يريد: الأشاعرة] في نفيهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية له، تعالىٰ الله عمَّا يقول الظَّالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا. ولهما في هذا المقام مِن القبائح وسوء الاعتقاد ما تُصَمّ عنه الآذان، فيقضىٰ عليه بالزُّور والكذب والضَّلال والبُهتان، قبَّحهما الله، وقَبَّحَ مَن قال بقولهما، والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مُبرؤون عن هذه الوصمة، كيف وهو كُفرٌ عند كثيرين) !! .اهـ

بل قبَّحه الله، وقبَّح كل من أنكر علوّ ربنا وخالقنا جلَّ جلاله علىٰ خلقه، واستواءه علىٰ عرشه الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنة والإجماع والفطرة، فالحمد لله الذي عافانا ممّا ابتلاهم به.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «الحموية» (ص٢٠١): فهذا كتاب الله مِن أوَّله إلىٰ آخره، وسُنة رسوله ﷺ مِن أولها إلىٰ آخرها، ثم عامّة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمّة مَملوءٌ بما هو إمَّا نصٌّ، وإمَّا ظاهرٌ في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ علىٰ كل شيءٍ، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء. - ثم ساق بعض الأدلة التي ساقها المُصنِّف -. وقال: إلىٰ أمثال ذلك ممَّا لا يكاد يُحصىٰ إلَّا بكُلفة، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصىٰ - ثم ساق ما أسنده المُصنِّف في هذا الباب من الآثار-.

وقال: إلىٰ أمثال ذلك ممَّا لا يُحصيه إلَّا الله، ممَّا هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث عِلمًا يقينيًا مِن أبلغ العلوم الضرورية: أن الرسول ﷺ

=

=
المبلِّغ عن الله ألقىٰ إلىٰ أُمَّته المدعوين أنَّ اللهَ سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فطرَ الله علىٰ ذلك جميع الأُمَمِ عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، إلَّا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك مِن الأقوال ما لو جُمع لبلغ مئات، أو ألوفًا، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سُنة رسول ﷺ، ولا عن أحدٍ من سلف الأُمَّة لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين - الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف - حرفٌ واحدٌ يُخالف ذلك، لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحدٌ منهم قط: إنَّ اللهَ ليس في السماء، ولا أنه ليس علىٰ العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متَّصلٌ ولا مُنفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع، ونحوها ... فإن كان الحقُّ فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفاتِ الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله مِن هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتابِ والسنة إمَّا نصًّا وإمّا ظاهرًا، فكيف يجوز علىٰ الله، ثم علىٰ رسوله ﷺ ثم علىٰ خيرِ الأُمّةِ أنهم يتكلَّمون دائمًا بما هو نصٌّ أو ظاهر في خلاف الحقِّ الذي يجب اعتقاده، ولا يبوحون به قطّ، ولا يدلون عليه لا نصًّا ولا ظاهرًا، حتىٰ يجيء أنباط الفُرسِ والروم، وفروخ اليهود والنصارىٰ والفلاسفة، يُبيّنون للأُمَّةِ العقيدة الصحيحة التي يجب علىٰ كل مكلَّفٍ، أو كلّ فاضلٍ أن يعتقدها. لئن كان ما يقوله هؤلاء المُتكلّمون المُتكلِّفون هو الاعتقاد الواجبَ، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته علىٰ مُجرَّدِ عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضىٰ قياس عقولهم ما دلَّ عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتابٍ ولا سُنةٍ أهدىٰ لهم وأنفع علىٰ هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسُّنة ضَررًا مَحضًا في أصلِ الدين ... إلخ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٦٨): الأخبار الدالَّة علىٰ علوّ الربِّ تعالىٰ علىٰ خلقه وفوقيَّته واستوائه علىٰ عرشه قد قيل: إنها تُقاربُ الألف، وقد أجمعت عليها الرسل مِن أوَّلهم إلىٰ آخرهم. اهـ

=

ثم ما قد رُوِيَ في قبضِ الأرواحِ، وصُعودِ الملائكةِ بها إلىٰ اللهِ تعالىٰ [٨٥/ أ] مِن السماءِ.

وما ذكرَ رسولُ الله ﷺ مِن قِصَّتِه حين أُسرِيَ به، فعُرِجَ به إلىٰ سماءٍ بعد سماءٍ، حتىٰ انتُهِيَ به إلىٰ سِدرةِ المُنتهىٰ التي ينتهي إليها عِلمُ الخلائقِ فوقَ سبعِ سمواتٍ، ولو كان في كلِّ مكانٍ كما يزعمُ هؤلاء، ما كان للإسراءِ والبُراقِ والمِعراجِ إذًا مِن معنًى، وإلىٰ من يُعرجُ به إلىٰ السماءِ؟ وهو بزعمكم الكاذبِ معه في بيته في الأرضِ، ليس بينه وبينه سِترٌ، تبارك اسمه، وتعالىٰ عمَّا تصفون.

٧٣- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال: حدثني الليث - يعني: ابن سعد -، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذرٍّ رضي الله عنه يُحدِّثُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**فُرِجَ سَقفُ بيتي وأنا بمكةَ، فنزلَ جبريل، فعَرَجَ بي إلىٰ [السماء] الدنيا، فلمَّا جئنا السماءَ الدنيا قال جبريلُ لخازن سماءِ الدنيا: افتح. قال: مَن هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معكَ أحدٌ؟ قال: نعم، معي محمدٌ. قال: أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قال: فافتتحَ، فلما علونا السماء الدنيا...**».

= قلت: وبعد هذا كله يأتي من ينتسب إلىٰ السلف الصالح فيجادل ويُدافع عن نُفاة علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه، بل ويطعنُ ويُحذِّرُ ممن اتَّبع أئمة السنة في الإنكار علىٰ المُعطّلة، ومِن مُصنفاتهم التي نشروا فيها هذه المذاهب الباطلة الكفرية، ولكن عند الله تجتمع الخصوم.

وساق الحديث إلىٰ قوله: قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فذكَرَ أنه وجدَ في السمواتِ: آدمَ، وإدريسَ، وموسىٰ، وعيسىٰ، وإبراهيم.

قال ابنُ شِهابٍ: وأخبرني ابنُ حزم أن ابنَ عباسٍ وأبا حَبَّةَ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولان: قال رسول الله ﷺ: «**ثم عُرِجَ بي حتىٰ ظهرتُ لمستوًى أسمعُ صريفَ الأقلامِ**»، قال: «**ثم انطلقَ بي، حتىٰ سِدرةِ المُنتهىٰ، فغشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هي**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩ و٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

يورد أهل السُّنة أحاديث معراج نبينا ﷺ إلىٰ ربِّه عَزَّوَجَلَّ إلىٰ السماء تحت أبواب إثبات علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، خلافًا للمُعطِّلة من جهمية وأشعرية، فهم يحاولون إبطال ما دلَّ عليه من إثبات العلوِّ والمكان، كما نقل ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤١٦) عن ابن بطَّال قوله: (قد تقررَّ أن الله ليس بجسمٍ فلا يحتاج إلىٰ مكانٍ يستقرَّ فيه، فقد كان ولا مكان، وإنما أضاف (المعارج) إليه إضافة تشريفٍ، ومعنىٰ (الارتفاع إليه): اعتلاؤه مع تنزيهه عن المكان). اهـ

وانظر: «الذيل علىٰ السُّنة» للخلال (١٦ / تفريع ما ردّت الجهمية الضُّلال مِن فضائل نبينا محمد ﷺ من ذكر الإسراء، والرُّؤية، وغير ذلك).

- وفيه (٢٢٠٧/ ٥٦) قال المروذي: قلت لأبي عبد الله: فحُكي عن موسىٰ بن عُقبة أنه قال: إن أحاديث الإسراء منام.

فقال أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية. وجَمَعَ أحاديث الإسراء وأعطانيها، وقال: منام الأنبياء وحيٌ.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٢٨١): (وقول الإمام أحمد: (هذا قول الجهمية)؛ لأن أحاديث المعراج تدلُّ علىٰ أن الله فوق، وغير ذلك مما تُنكره الجهمية ..)، إلىٰ آخر كلامه الذي بيَّن فيه أنه أسري به ﷺ بجسده ⇦=

٧٤ - حدثنا أحمد بن صالح، عن ابن وهب، عن يونس، بإسناده نحو معناه.

٧٥- حدثنا عبد الله بن أبي شيبة أبو بكر، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المِنهال بن عَمرو، عن زاذان، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ مِن الدنيا، وإقبالٍ مِن الآخرةِ، أنزلَ اللهُ إليه من السماءِ ملائكةً ...**»، وساق الحديث.

قال: «**فتخرُجُ رُوحُه، فيَصعدون به، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماءِ، فيُستفتحُ، فيُفتح له، حتىٰ يُنتهىٰ به إلىٰ السماءِ السابعة، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابَ عبدي في عِلِّيِّين في السماءِ السابعةِ، وأعيدوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرىٰ.**

وأمَّا الكافر، قال: يُنتهىٰ به إلىٰ السماء الدنيا، فيَستفتِحونَ، فلا يُفتحُ له»، ثم قرأ: «﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] الآية».

قال: «**[فيقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ]: اكتبوا كتابَ عبدي في سِجينٍ، في الأرضِ السُّفلىٰ، وأعيدوه إلىٰ الأرضِ، فإني منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها**

= ورُوحه، كما بيَّنتُ ذلك في التعليق علىٰ كتاب «الشريعة» (الباب/ ٩٤).

- قال السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «رسالته» (ص ٨٣): وأنكرت المعتزلة حديث المِعراج. وقال الأشعري: إنه ثابتٌ، ثم قال: الله لا يجوز أن يوصف أنه فوق.

فكذَّبَ بما في حديث المِعراج، فصار موافقاً لهم مع إظهاره الخلاف. اهـ

وأمَّا إنكارهم المكان لله تعالىٰ فسيأتي نقضه في كتاب «النقض» (فقرة/ ١).

أُخرِجُهم تارةً أُخرىٰ. فيُطرَحُ طرحًا ...». وساق الحديث بطوله كما ساق(١).

٧٦ - قال أبو سعيد:

ففي قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:٤٠]، دلالةٌ ظاهِرةٌ: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فوقَ السماء؛ لأنَّ أبواب السماء إنما تُفتَّحُ لأرواحِ المؤمنين، ولرفعِ أعمالهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ منها، ولما سِوىٰ ذلك ممَّا يشاءُ الله تعالىٰ، فإذا كان مع الميتِ والعاملِ بنفسِه في الأرضِ فإلىٰ من يُعرَجُ بأرواحِهم وأعمالِهم؟ ولِمَ تُفتَّحُ أبوابُ السماءِ لقومٍ وتُغلَقُ عن آخرينَ، إذا كان اللهُ بزعمهم في الأرضِ؟ وما منزلةُ [٨٥/أ] قولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عندهم إذ لا تُفتَّحُ لهم أبوابُ السماءِ.

فمَن آمَنَ بهذا القرآنِ الذي احتججنا منه بهذه الآيات، وصدَّقَ هذا الرسولَ الذي روينا عنه هذه الرِّوايات، لزِمَه الإقرارُ بأنَّ اللهَ بِكمالِه فوقَ

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وعبد الله في «السنة» (١٤١٩).

قال الحاكم (١/ ٣٩): هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عَمرو، وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السُّنة، وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله، وله شواهد علىٰ شرطهما يستدل بها علىٰ صحته. اهـ

قال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ١٤٣): وهو حديث صحيح، صحَّحه جماعة من الحفاظ. اهـ

وصحَّحه ابن منده في «الإيمان» (٢/ ٩٦٥)، وابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٤/ ٢٩٠).

عرشِه، فوقَ سمواتِه، وإلَّا فليَحتمل قرآنًا غيرَ هذا؛ فإنه غيرُ مؤمنٍ بهذا(١).

---

(١) لأنه قد خالف الكتاب والسُّنة والإجماع والعقل والفطرة فلا عُذر له كما تقدم.

- ففي «الأسماء والصفات» (٨٦٥) بإسنادٍ صحيح إلىٰ الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالىٰ ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحموية» (ص٣٠١): وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك. اهـ

- وفي «خلق أفعال العباد» (١٨)، و«الرد علىٰ الجهمية» لابن أبي حاتم كما في «الحموية» (ص ٣٣٦) قال سعيد بن عامر الضُّبَعي: الجهمية شرٌّ قولًا من اليهود والنصارىٰ؛ قد اجتمع اليهود والنصارىٰ وأهل الأديان مع المسلمين علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ علىٰ العرش، وقالوا هم: ليس علىٰ العرش شيء. اهـ

- وفي «العلو» للذهبي (٢/ ١٢٩٠) قال أبو نصر السِّجزي في «الإبانة»: وأئمتنا كالثوري، ومالك، والحمادين، وابن عيينة، وابن المبارك، والفضيل، وأحمد، وإسحاق متفقون علىٰ أن الله فوق العرش بذاتِهِ، وأن علمه بكل مكان. اهـ

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٧٨): أجمع المسلمون من الصَّحابة والتابعين، وجميع أهل القبلة من المؤمنين: أن الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عرشه، فوق سمواته، بائنٌ من خلقه، وعلمه مُحيط بجميع خلقه، لا يأبىٰ ذلك ولا ينكره إلَّا من انتحل مذاهب الحلولية، وهم قومٌ زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين، وقالوا: إن الله ذاته لا يخلو منه مكان، فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء، وهو بذاته حالٌّ في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسُّنة، وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المُسلمين. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٢٣): كلام السلف والأئمة في هذا الباب أعظم وأكثر مِن أن يُذكر هنا إلَّا بعضه، كلهم مطبقون علىٰ ⇐

وممَّا يُحقِّقُ قولَنا ويُبطِلُ دعواهم: احتِجَابُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن الخلقِ فوقَ السمواتِ العُلىٰ.

= الذمِّ والردِّ علىٰ مَن نفىٰ أن يكون الله فوق العرش، كلهم مُتَّفِقون علىٰ وصفه بذلك، وعلىٰ ذمِّ الجهمية الذين ينكرون ذلك، وليس بينهم في ذلك خلافٌ، ولا يقدرُ أحدٌ أن ينقل عن أحدٍ من سلف الأمة وأئمتها في القرون الثلاثة حرفًا واحدًا يُخالف ذلك، ... بل هم مطبقون متفقون علىٰ أنه نفسه فوق العرش، وعلىٰ ذم من يُنكر ذلك بأعظم مما يذم به غيره من أهل البدع مثل: القدرية، والخوارج، والروافض، ونحوهم. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٦١) وهو يرد علىٰ الجهمية فيما ادَّعته من أن فوقية الله تعالىٰ مجازٌ: أن العهد والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المُنزَّلة علىٰ خلاف ذلك، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلىٰ المُستقرِّ في الفطر والعقول والكتب السماوية. اهـ

وسيأتي تكفير منكري العلو تحت فقرة رقم (٢٦٤).

٣- باب
الاحتجاب(١)

---

(١) بوَّب الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة»: (باب حُجب الرب) كما في «الصفات» لابن المُحبِّ (٢٦١٠).

وفي «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٦٦٧): (ذكر حجب ربنا تعالىٰ).

و(الحِجاب): هو السِّتر، يقال: توارت الشمس بالحِجاب، أي: غابت في الأفق واستترت به.

- وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٥٣) التي نقل فيها إجماع من أدركهم من أهل العلم: (وهو علىٰ العرشِ فوق السَّماءِ السَّابعةِ، ودُونَه حُجبٌ مِن نار، ونُورٍ، وظُلمةٍ، وما هو أعلمُ بها). اهـ

- وقال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول السُّنة»: (الإيمان بالحُجُبِ)، قال: ومن قول أهل السُّنة: أن الله عَزَّوَجَلَّ بائنٌ من خلقه، مُحتجبٌ عنهم بالحُجُب، فتعالىٰ الله عمَّا يقول الظالمون. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ١٢٨): مَن تأمَّلَ نصوص الكتاب وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين علم بالضرورة عِلمًا يقينًا لا يستريبُ فيه أن لله عَزَّوَجَلَّ حِجابًا وحُجبًا مُنفصلة عن العبدِ يكشفها إذا شاء فيتجلَّىٰ، وإذا شاء لم يكشفها. اهـ

وأهل السُّنة يُثبتون حُجبًا لله تعالىٰ حقيقية من نارٍ ونورٍ تمنع الأبصار من رؤيته تعالىٰ، فإذا جاء يوم القيامة كشفها فرأىٰ المؤمنون وجه ربهم تعالىٰ كما دلَّت علىٰ ذلك الآيات والأحاديث، خِلافًا للمُعطِّلة الذين قالوا: إن الحُجبَ للعينِ لا أنها حُجُب حقيقية يحتجبُ الله تعالىٰ بها عن خلقه. ومِن ذلك:

- قول ابن فورك الأشعري في «مشكل الحديث» (ص ٢١٣): اعلم أن كل ما ذكر فيه الحِجاب مِن أمثال هذا الخبر فإنما يرجع معناه إلىٰ الخلق؛ لأنهم هم =

٧٧ - قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١].

٧٨ - حدثنا علي بن المديني، ثنا موسىٰ بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن

= المحجوبون عنه بحجاب يخلقه فيهم، لا يجوز أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ مُحتجبًا ولا محجوبًا لاستحالة كونه جوهرًا أو جسمًا محدودًا .. إلخ.

- وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٣): والحِجاب المذكور في الأخبار يرجع إلىٰ الخلقِ لا إلىٰ الخالق. اهـ

- وقال مُلا علي قاري الحنفي في «مرقاة المفاتيح» (١/ ١٦٦): وأصل الحجاب: الستر الحائل بين الرائي والمرئي، وهو هاهنا يرجع إلىٰ منع الأبصار من الإصابة بالرؤية، فهو كناية عن منع رؤيته تعالىٰ في الدنيا. اهـ

- وقال ابن جماعة الأشعري في «إيضاح الدليل» (ص ١٨٨): وقوله: «حِجابه النُّور»، اعلم أن كل ما جاء في الحديث من الحِجاب أو الحُجب فمعناه رَاجع إلىٰ المخلوق لا إلىٰ الخالق؛ لأنهم هم المحجوبون عنه بحجاب خلقه لهم، وأمَّا الرب تعالىٰ فيستحيل أن يكون محتجبًا أو محجوبًا .. إلخ.

- وقال ابن الوزير في «إيثار الحق» (ص ١٧٢): .. وذِكرُ الحجاب قرآنيٌّ صحيح ... و(الحِجاب): حِجابٌ للعبادِ لا لله سبحانه ..).

فكل هذا تحريفٌ فاسدٌ مخالف لمدلول نصوص هذا الباب الصريحة.

- قال خُشيش بن أصرم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنكر جهم أن يكون لله جلّ وَعلا حِجاب. «التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع» (ص١١٢).

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (ص٤٢٤): حِجابُ الربِّ تبارك وتعالىٰ نور، وهو نار، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها. اهـ

وقد أطال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٧٦) في إثبات حقيقة الحُجُب لله تعالىٰ، وردَّ علىٰ من تأول حقيقتها.

الفاكِه الأنصاري، ثم السُّلمي، قال: سمعتُ طلحة بن خِراش بن عبدالرحمن ابن خِراشِ بن الصِّمَّة الأنصاري ثم السُّلمي، يقول: سمعتُ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: نظرَ إليَّ رسول الله ﷺ، فقال: «يا جابرُ، ما لي أراكَ مُهتمًّا؟».

قال: قلتُ: استُشهِدَ أبي، وترك دينًا عليه وعيالًا.

فقال: «ألا أُخبِرُك؟ ما كلَّمَ اللهُ أحدًا قطّ إلَّا مِن وراءِ حِجابٍ، وكلَّمَ أباكَ كِفاحًا(١)، فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطِكَ»(٢). وساق عليٌّ الحديث.

٧٩ - حدثنا عَمرو بن عون الواسطي، أنبا هُشيم، عن داود، عن الشعبي، قال: ثنا مسروق، قال: بينا أنا عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: يا أبا عائشة، مَن زعمَ أن محمدًا رأىٰ ربَّه فقد أعظمَ علىٰ الله الفِريةِ، وتلت: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام]. ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى:٥١](٣).

---

(١) قال قوام السُّنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المَحجَّة» (٢٣٢): قال أهل اللُّغة: (كِفاحًا): أي مُقابلة. قال «صاحِبُ الغريبين»: (كِفاحًا) أي: مُواجهة ليس بينه وبينه الحجاب. اهـ

- وفي «الصفات» لابن المُحبّ (٢٦٩١) قال عثمان بن عمر: سألت يونس النحوي (١٨٢هـ) عن (الكِفاح)، فقال: أي واجَهَه مُواجهةً.

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٤١)، والترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠)، وحرب الكرماني في «السنة» (٣٢٣). وهو حديث صحيح.

(٣) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٤٢)، ومسلم (١٧٧) بأطول من هذا.

ورواه البخاري (٣٢٣٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم، ولكن قد رأىٰ جبريل في صورته، وخلقُهُ سادٌّ ما بين الأُفق.

٨٠ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّة، عن أبي عُبيدة، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربعٍ، فقال: «**إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن يَنامَ، يَخفِضُ القِسطَ ويَرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليلِ قبل النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ الليلِ، حِجابُه النورُ، لو كشفَها لأحرقت سُبُحاتُ وجهه كلَّ شيءٍ أدركَه بَصَرُه**»(١).

٨١- حدثنا محبوب بن موسىٰ الأنطاكي، أنبأ أبو إسحاق الفزاري، عن سفيان، عن عُبيدٍ المُكتِب، عن مجاهد، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: احتجبَ اللهُ مِن خلقِه بأربعٍ: بنارٍ، وظُلمةٍ، ونورٍ، وظُلمةٍ(٢).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٦٩).

وعند مسلم: («**حِجابُه النُّورُ**»، وفي روايةٍ: «**النارُ**»).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٧): فهذا الحديث فيه ذكر حِجابه. فإنَّ تردد الراوي في لفظ: (النار) و(النور) لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كلم بها موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقال لها: (نار)، و(نور) كما سمَّىٰ الله نارَ المصباحِ نورًا، بخلاف النار المُظلمة كنار جهنم، فتلك لا تُسمَّىٰ: (نورًا). اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٤٠): والنور الذي احتجب به سُمِّي نورًا ونارًا، كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح، حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو قوله: «**حِجابه النور أو النار**»، فإن هذه النار هي نور، وهي التي كلَّم الله كليمه موسىٰ فيها، وهي نارٌ صافية لها إشراقٌ بلا إحراق. اهـ

وتفسير (السُّبحات) سيأتي في كتاب «النقض» برقم (٣٣٨).

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٤٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٨١٧)، واللالكائي (٦٨٦)، وهو أثر صحيح.

⇐

٨٢- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل أبو سلمة، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، قال: أنبا أبو عمران الجَوني، عن زُرَارة بن أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ سأَلَ جبريلَ: «هل رأيتَ ربَّك؟ فانتفضَ جبريلُ، وقال: يا محمد، إنَّ بيني وبينه سبعينَ حِجابًا مِن نورٍ، لو دنوتُ مِن أدناها حِجابًا لاحترقتُ»(١).

= ورواه المُصنِّف في «النقض» (٣٤٥) مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ونقض المُصنِّف في «النقض» (٣٣٧) تحريف الجهميِّ لهذا الأثر، فقال: (ففسَّرَه المُعارِضُ تفسيرًا يُضحَكُ منه، فقال: يحتملُ أن تكونَ تلك الحُجُبُ آياتٍ يَعرِفونَها، ودلائلَ علىٰ معرفته أنه الواحِدُ المعروفُ، إذ عرَّفَهم بدلالاته، فهي آياتٌ لو قد ظهرت للخلقِ لكانت معرفتُهم كالعيانِ بها).

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٤٤)، وحرب الكرماني في «السُّنة» (٣٥٤)، ومحمد ابن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٧٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٧١). ورجاله ثقات إلَّا أنَّه مرسل.

وقد رواه الدولابي في «الكُنىٰ والأسماء» (١٧٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٦٤٠٧) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**يا جبريل، هل ترىٰ ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين ألف حجابٍ من نورٍ، أو نارٍ، لو رأيتُ أدناها لاحترقت**».

قال في «مجمع الزوائد» (١/ ٧٩): رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه: قائد الأعمش، قال أبو داود: عنده أحاديث موضوعة، وذكره ابن حبان في «الثقات». اهـ

وذكره في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٤) مع غيره من الشواهد، وقال: الطريق إلىٰ الطُّرُقِ السابقة أفاد قوَّة. والله أعلم.

وسيأتي برقم (١٢٧) ما يشهد له.

وانظر تعليق المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ هذا الحديث في «النقض» برقم (٣٤٤).

وفي باب إثبات الحِجاب لله تعالىٰ:

- ما رواه مسلم (١٨١) عن صُهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل =

٨٣ - قال أبو سعيد:

مَن يُقدِّرُ قدر هذه الحُجُبِ التي احتجبَ الجبَّارُ بها؟ ومَن يعلمُ كيف هي غيرُ الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلمًا؟ وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عَدَدًا؟!

ففي هذا أيضًا: دليلٌ أنه بائنٌ مِن خلقِه، مُحتجِبٌ عنهم، لا يستطيعُ جبريلُ مع قُربه إليه الدُّنو مِن تلك(١) الحُجُبِ، وليس كما يقول هؤلاء الزائغةُ: إنه معهم في كلِّ مكانٍ، ولو كان كذلك ما [٨٦/ ب] كان للحُجُبِ هناك معنًى؛ لأن الذي هو في كلِّ مكانٍ لا يَحتجبُ بشيءٍ من شيءٍ، فكيف يَحتجبُ مَن هو خارجَ الحِجابِ كما هو مِن ورائه؟!

فليس لقولِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣] عند القوم مِصداقٌ.

والآثارُ التي جاءت عن رسولِ اللهِ ﷺ في نزولِ الربِّ تبارك وتعالىٰ تدلُّ علىٰ أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ فوقَ السمواتِ علىٰ عرشِه، بائنٌ مِن خلقِه.

❁❁❁

= **الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالىٰ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلىٰ ربهم عَزَّوَجَلَّ».**

وفي الباب آثار كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين مبثوثة في كتب السنة والاعتقاد.

(١) في الأصل: (ذلك).

٤- باب
النزول[١]

(١) عقد المُصنِّف في «النقض» الباب (٤) في إثبات نزول الله تعالىٰ.

والآثار في هذا الباب متواترة عند أهل السنة والجماعة، وهي علىٰ أنواع:

١ - نزوله تعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا.

٢ - النزول إلىٰ السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان.

٣ - النزول إلىٰ السماء الدنيا عشية عرفة.

٤ - النزول يوم القيامة للحساب.

٥ - نزول الله تعالىٰ لأهل الجنة.

وسيعقدُ المُصنِّف لكل نوعٍ مِن هذه الأنواع بابًا مُستقلًّا.

وقد ذكرَ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٢١٠) غير هذه الأنواع، وقال: فهذه عشرةُ أنواعٍ مِن النزول، والمَجيء، والإتيان، ونظائرها، تضمنها كلام أعلم الخلق بالله، وأقدرهم علىٰ اللفظِ المُطابق لما قصده من وصفِ الربِّ تعالىٰ، وأنصحهم للأُمَّة، والمجاز وإن أمكن في فردٍ من أفراد هذه الأنواع أو أكثر فإنه من المُحالِ عادة أن يَطَّردَ في جميعها اطرادًا واحدًا، بحيث يكون الجميع من أوَّله إلىٰ آخره مجازًا. اهـ

وأطال المُصنِّف في كتابه «النقض» الكلام في هذا الباب، والردَّ علىٰ من تأوَّلَه بنزولِ رَحمته وملائكته، وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أحاديث النزول مِن أشدِّ الأحاديث علىٰ الجهمية المُعطِّلة؛ لما يترتّب عليها: مِن إثبات علوّ الربّ تعالىٰ علىٰ خلقه، ولهذا قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٩٧): (أغيظ حديث للجهمية وأنقض شيءٍ لدعواهم؛ لأنهم لا يُقرُّون أن اللهَ فوق عرشه، فوق سمواته.. إلخ

وانظر التعليق عليه هناك ففيه زيادة بيان.

٨٤ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فما يُعتبَرُ به مِن كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ في النزولِ، ويُحتجُّ به على مَن أنكرَه:

• قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة:٢١٠](١).

• وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر](٢).

وهذا يوم القيامة إذا نزل اللهُ ليَحكمَ بين العباد، وهو قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى

---

(١) قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تهذيب اللغة» (١/ ١٥٧): فالغمام معروفٌ في كلام العرب، إلَّا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله جلَّ وعز يوم القيامة في ظُلَلٍ منه، فنحن نؤمنُ به، ولا نُكيِّفُ صفته، وكذلك سائر صفات الله جلّ وعزّ. اهـ

(٢) قال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (٤/ ٥١٨) في تفسير هذه الآية: حُجَّة عليهم شديدة بذكر الجيَّة، وهو نظير قوله في سورة البقرة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، وهي حُجَّة خانقة لهم، شديدة عليهم. اهـ

- وفي «الأربعين في صفات رب العالمين» للذهبي (ص١٦٣) عن محمد ابن أسلم الطوسي قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، فمَن كذَّبَ بالنزول فقد كذَّبَ كتاب الله تعالى، وكذَّبَ رسول الله ﷺ. اهـ

- وفي «الأسماء والصفات» (٩٥٧) قال المُزني: حديثُ النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوهٍ صحيحة، وورد في التنزيل ما يُصَدِّقُه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

ﭐلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان].

فالذي يقدِرُ علىٰ النزول يومَ القيامةِ مِن السمواتِ كلّها ليفصل بين عبادِه قادرٌ أن يَنزِلَ كلَّ ليلةٍ مِن سَماءٍ إلىٰ سماءٍ، فإن رَدُّوا قولَ رسولِ الله ﷺ في النزولِ، فماذا يصنعون بقولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تبارك وتعالىٰ؟(١).

٨٥- حدثنا عَمرو بن عون الواسطي، أنبا أبو عوانة، عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، قال: أشهدُ علىٰ أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما

---

(١) ونحو هذا قول الإمام إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سأله الأمير عبد الله بن طاهر عن النزول.

- ففي «عقيدة السلف» للصابوني (٤٤) قال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرتُ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم - يعني: ابن راهويه - فسُئل عن حديث النزول: أصحيحٌ هو؟ قال: نعم.

ثم استدلَّ إسحاق علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾.

فقال له الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة !

فقال إسحاق: أعزَّ الله الأمير، ومَن يجيء يوم القيامة مَن يَمنعه اليوم؟!

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١١١٣) وهو يتكلَّم عن أوجه إثبات حقيقة النزول: أنه لم يقتصر علىٰ لفظ (النزول) العاري عن قرينة المجاز المذكور معه ما يؤكِّد إرادة الحقيقة حتىٰ نوَّع هذا المعنىٰ، وعبَّر عنه بعبارات متنوعة كالهبوط، والدنو، والمجيء، والإتيان، والطواف في الأرض قبل يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾، وقال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ففرّق بين إتيان الملائكة وإتيان أمره سبحانه وإتيان نفسه. اهـ

شَهِدَا علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ يُمهِلُ حتىٰ إذا ذهبَ ثُلُثُ الليلِ هَبَطَ، فقال: مَن تائِبٌ فيُتابَ عليه؟ مَن داعي فيُستَجابَ له؟ مَن مُستغفِرٌ؟ مَن مُذنِبٌ؟ مَن سائلٌ فيُعطىٰ؟**»(١).

٨٦ - حدثنا يحيىٰ بن بُكير المصري، ثنا مالك - وهو ابن أنس -، عن ابن شهابٍ، عن أبي عبد الله الأغر، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالىٰ كلَّ ليلةٍ إلىٰ السماءِ الدنيا حين يبقىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ، فيقولُ: مَنْ يدعوني أستجيبُ له، مَن يسألُني فأُعطِيَه؟ ومَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (١١٣٨٦)، ومسلم (١٧٢٧).

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٤٤)، ومالك في «الموطأ» (٦١٩)، وأحمد (٧٥٩٢)، والبخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (١٧٢١).

- ذكر أبو حامد أحمد بن محمد بن شارك (٣٥٥هـ) في «صحيحه» أحاديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النزول: حديث أبي عبد الله الأغر، وأبي سلمة، وأبي صالح، وسعيد بن مرجانة، وأبي مسلم الأغرّ عنه، وبوَّب عليها: (باب ذكر ما جاء في قُربِ العبد مِن ربِّه بتقرُّبه إيَّاه)، ثم قال: هذه أخبارٌ قد صحَّت، فالواجب علىٰ ذي العقل أن يعترفَ بصِحَّتِها، ويتلقَّاها بالقبول، ويكِل عِلمَ ما يخفىٰ عليه منها إلىٰ عالمه، ولا يُكيِّف النزول.

قال: وقد حكىٰ فُضيل بن عياض أنه قال: إذا قال الجهمي: كفرتُ بربٍّ ينزل ويصعد، فقل: آمنتُ بربٍّ يفعل ما يشاء.

والذي ذُكِرَ في هذا الخبر من الاستغفار والسؤال، فإنما ذلك إذا خرجت بشرائطها، وصحَّت نيَّات أهلها، ثم يكون عند وجودها تحقيقُ الموعود لما عرف من العهود. [«الصفات» لابن المُحبِّ (١١٠٦)].

قال أبو سعيد: وزادني فيه أحمد بن صالح، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابنِ شِهابٍ، بإسناده.

٨٧ - قال: وقال هشامٌ الدستوائي: عن يحيىٰ - وهو ابن أبي كثير(١) -، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار: أن رِفاعة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدَّثه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مضىٰ ثلُثُ الليلِ، أو شطرُ الليلِ، أو ثُلُثا الليلِ، يتنزَّل**(٢) **اللهُ إلىٰ سماءِ [الدنيا]، فيقول: لا أسأَلُ عن عبادي أحدًا غيري، مَن يَستغفِرُني أغفرُ له، مَن يَدعوني أستجيبُ له، ومَن [يسأَلُني] أُعطيه، حتىٰ ينفجرَ الصُّبحُ**»(٣).

---

(١) في الأصل: (ابن بُكير)، وما أثبته من «النقض» (٤٥)، وهو الصواب.

(٢) كذا في الأصل، وفي «النقض»: (ينزل).

(٣) رواه المُصنِّف في «النقض» (٤٥) وما بين [ ] منه، وأحمد (١٦٢١٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢٣٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٧).

وصَحَّح إسناده ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح حديث النزول» (ص ١٤٣)، وقال: وهذا أيضًا ممَّا يُبطلُ حُجَّة بعض الناس، فإنه احتجَّ بما رواه النسائي في بعض طُرق الحديث: «**أنه يأمر مناديًا فيُنادي**». فإن هذا إن كان ثابتًا عن النبي ﷺ فإن الربَّ يقول ذلك، ويأمرُ مُناديًا بذلك، لا أن المُنادي يقول: «**من يدعوني فأستجيب له**». ومَن روىٰ عن النبي ﷺ أن المُنادي يقول ذلك فقد علمنا أنه يكذب علىٰ رسول الله ﷺ، فإنه مع أنه خلاف اللفظ المُستفيض المتواتر الذي نقلته الأُمَّة خَلفًا عن سلف فاسد في المعقول، فعُلِمَ أنه من كذب بعض المُبتدعين، كما روىٰ بعضهم يُنزِّل - بالضَّم -، وكما قرأ بعضهم: (وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)، ونحو ذلك مِن تحريفهم اللفظَ والمعنىٰ. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٤٩): هذا حديث =⇦

٨٨ - حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري، أنبا الليث - يعني: ابن سعد -، قال: حدثني زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القُرظي، عن فَضالة بن عُبيد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ تبارك وتعالىٰ [ينزلُ] في ثلاثِ ساعاتٍ مِن الليلِ [بَقِينَ]، يَفتحُ الذِّكرَ [٨٧/ أ] في الساعةِ الأُولىٰ لم يَرَه غيرُه، فيَمحو ما يشاءُ، ويُثبِتُ ما يشاءُ.**

ثم ينزلُ في الساعةِ الثانيةِ إلىٰ جنةِ عدنٍ، وهي دارُه التي لم ترها عَينٌ، ولم تَخطُر علىٰ قلبِ بشرٍ، وهي مسكنُه، ولا يسكنُها معه مِن بني آدم غيرُ ثلاثٍ(١): النبيينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءِ، ثم يقول: طُوبىٰ لمَن دخلَكِ.

ثُم ينزلُ في الساعةِ الثالثةِ إلىٰ السماءِ الدنيا برُوحِه وملائكتِه، فتنتفِضُ، فيقول: قومي بعزَّتي، ثم يطَّلِعُ إلىٰ عباده، فيقول: هل مِن مُستغفرٍ أغفرْ له؟ وهل من داعٍ أجيبُ؟ حتىٰ تكونَ صلاةُ الفجرِ، ولذلك يقول: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء]، يشهدُه اللهُ وملائكةُ الليلِ والنهارِ»(٢).

= صحيح، رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وفيه ردٌّ علىٰ من زعم أن الذي ينزل مَلَكٌ مِن الملائكة، فإن المَلَكَ لا يقول: «**لا أسأل عن عبادي غيري**»، ولا يقولُ: «**مَن يَسألني أُعطه**». اهـ

(١) كذا في الأصل.

(٢) رواه ابن خُزيمة في «التوحيد» (١٩٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧٥٤).

ورواه العُقيلي في «الضُّعفاء» (٢/ ٩٣) في ترجمة زيادة، ونقل عن البخاري أنه منكر الحديث. وقال العقيلي: والحديث في نزول الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ السماء الدنيا ثابت =

٨٩ - حدثنا حفص بن عمر النمري أبو عمر الحوضي، ثنا هشام - وهو الدَّستوائي -، عن يحيىٰ - وهو ابن أبي كثيرٍ -، عن أبي جعفر، عن أبي هريرة رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا بقي»، أو قال: «مضىٰ ثلُثُ الليلِ ينزِلُ اللهُ إلىٰ سماءِ الدنيا، فيقولُ: مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يَسترزِقُني فأرزُقَه؟ مَن يسألُني فأُعطيهُ؟ مَن يَستكشِفُ الضُّرَّ أكشِفْهُ عنه؟ حتىٰ ينفجِرَ الصُّبحُ»(١).

٩٠ - حدثنا عَمرو بن عون الواسطي، أنبأ خالد - يعني: ابن عبد الله -، عن الهَجَري، عن [أبي] الأحوص، عن عبد الله رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يَفتحُ أبوابَ السماءِ في ثُلُثِ الليلِ، فيَهبطُ إلىٰ السماءِ الدنيا، فيَبسُطُ يديه، فيقولُ: ألا عبدٌ يَسألُني فأُعطيَه؟ إلىٰ طُلُوع الفجرِ»(٢).

٩١- حدثنا عبد العزيز بن يوسف(٣) الحرَّاني أبو الأصبغ، قال: حدثني محمد - يعني: ابن سلمة الحرَّاني -، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد

= فيه أحاديث صحاح، إلَّا أن زيادة هذا جاء في حديثه بألفاظ لم يأت بها الناس، ولا يتابعه عليها منهم أحد. اهـ

(١) رواه أحمد (٧٥٠٩)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٢٣٧)، والدارقطني في «النزول» (٣٧).

(٢) رواه أحمد (٣٦٧٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٥)، والدارقطني في «النزول» (١٦)، وغُلام الخلال في «السُّنة» (٥٦)، والآجري في «الشريعة» (٨٢٥ و٨٢٦) بألفاظ مُتقاربة. قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٤٢): هذا حديث حسن، رجاله أئمة.

(٣) كتب فوقها: (ض)، وفي الهامش: (يحيىٰ، ص).

المَقبُري، عن عطاءٍ مولىٰ أُمِّ صُبَيَّةَ، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشُقَّ علىٰ أُمَّتي لأمرتُهم بالسواكِ عند كلِّ صلاةٍ، ولأخَّرتُ العشاءَ الآخِرةَ حتىٰ يذهبَ ثلثُ الليلِ، فإنه إذا ذهبَ ثلثُ الليلِ الأولُ هبطَ اللهُ إلىٰ السماءِ الدنيا، فلا يزالُ بها حتىٰ يَطلُعَ الفجرُ، يقولُ قائلٌ: ألا مَن سائلٌ فيُعطىٰ؟ ألا مَن داعٍ فيُستجابَ له؟ ألا مَن مريضٌ فيَستشفي فيُشفىٰ؟ ألا مَن مُذنبٌ يَستغفرُ فيُغفرَ له؟**»(١).

٩٢- حدثنا عَمرو بن محمد الناقد، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن [ابن] إسحاق، بإسنادِه نحوه.

٩٣- قال عمرٌو: وثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن محمد ابن إسحاق، قال: وحدثني عَمِّي عبد الرحمن بن يسار، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عن رسول الله ﷺ بمثلِ حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ(٢).

---

(١) رواه أحمد (٩٦٧ و٧٤١٢ و٩٥٩١)، والترمذي (١٦٧)، وابن ماجه (٢٨٧)، والدارمي في «المسند» (١٦٢٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٢٦)، والدارقطني في «النزول» (٦٨ و٧٣). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد (٩٦٨).

- في «الصفات» لابن المُحِبِّ (١٠٢٦) قال الحافظ أبو زُرعة الرازي رَحِمَهُٱللَّهُ: هذه الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ: «**أن الله تبارك وتعالىٰ ينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا**»، قد رواه عدّة مِن أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ.

وهي عندنا صِحاح قوية، قال رسول الله ﷺ: «**ينزل**»، فنقول: (ينزل). ولم يقل: (كيف ينزل؟)، فلا نقول: (كيف ينزل؟). نقول كما قال رسول الله ﷺ.

⇦=

٩٤- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، عن طارقٍ، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ﭭ، قال: إنَّ اللهَ يُمهِلُ حتىٰ إذا مَضىٰ ثلُثُ الليلِ هَبَطَ إلىٰ سماءِ الدنيا، ثم قال: هل مِن تائبٍ فيُتابُ عليه؟ هل مِن مُستغفرٍ فأغفِرُ له؟ هل مِن سائلٍ يُعطىٰ؟(١).

٩٥- حدثنا الزهراني أبو الربيع، ثنا حماد - يعني: ابن زيد -، عن عَمرو ابن دينار، عن عُبيد بن عُمير، قال: إذا مضىٰ ثلُثُ الليل، أو بَقِيَ نصفٌ، ينزلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ سماء [٨٧/ أ] الدنيا، فيقول: مَن ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن ذا الذي يسألُني فأُعطيَه؟(٢).

=

- وفيه أيضًا (٢٤) قال عبد الله بن محمد بن يعقوب: سمعت أبا حاتم الرازي قال: مَن قال: النزولُ غيرُ النزول وما أشبهه فهو جهميٌّ كافرٌ.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٣). وفي روايته زيادة: (شهر رمضان)، وهي شاذَّة، والصواب ما روىٰ أبو عوانة، عن طارق، وتابعه إسرائيل، عن طارق به، ذكره ابن المُحبِّ في «الصفات» (١٢١٣)، وعزاه لابن خزيمة.

(٢) رواه عبد الله في «السُّنة» (٤٩٢).

٥- باب

النزول ليلة النصف من شعبان(١)

(١) قال الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «ذيل السُّنة» (٢٣٢٣): أخبرني أحمد بن الحسين، قال: قيل لأبي عبد الله: إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا كل ليلة؟ قال: نعم.

قيل له: وفي شعبان كما جاء في الأثر؟

قال: نعم. «مختصر الصواعق» (٣/ ١٢١٦).

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٤٩٣) عن عَبَّاد بن العَوام، قال: قَدِمَ علينا شَريكٌ، فسألناه عن الحديثِ: «إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ينزلُ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبان»؟

قلنا: إن قومًا يُنكِرون هذه الأحاديث !

قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها.

فقال: إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآنِ، وبأن الصَّلوات خمسٌ، وبحجِّ البيتِ، وبصومِ رمضان، فما نَعرِفُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إلَّا بهذه الأحاديث.

- وفي «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ١٩٦) قال محمد بن سلَّام: سألت عبد الله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان.

فقال عبد الله: يا ضعيف، في كل ليلةٍ ينزل.

فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن، كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟

فقال عبد الله: ينزل كيف شاء.

- وفي رواية أُخرىٰ لهذه الحكاية: أن عبد الله بن المبارك قال للرجل: إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له.

* انظر: «الصفات» لابن المُحبِّ (١/ ٦٦١) (باب ما روي أن الله جل ثناؤه ينزل ليلة النصف من شعبان)، فقد جمع الأحاديث الواردة في هذا الباب.

٩٦ - **حدثنا** الأصبغ بن الفرج المصري، قال: أخبرني ابن وهب، عن عَمرو بن الحارث، عن عبد الملك، عن مصعب بن أبي الحارث، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه، أو عن عمِّه، عن جدِّه أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالىٰ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ، فيغفرُ لكلِّ نفسٍ إلَّا مُشركٍ بالله، أو مُشاحنٍ**»(١).

---

(١) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٠)، والبزار في «مسنده» (٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (١٣٣٩١)، ورواه اللالكائي (٧٠٤).

قال ابن عدي: وعبد الملك بن عبد الملك معروف بهذا الحديث، ولا يرويه عنه غير عمرو بن الحارث، وهو حديث منكر بهذا الإسناد. اهـ

وقال البزار: وهذه الأحاديث التي ذكرت عن محمد بن أبي بكر، عن أبيه في بعض أسانيدها ضعف وهي عندي - والله أعلم - مما لم يسمعها محمد بن أبي بكر من أبيه لصغره؛ ولكن حدَّث بها قوم من أهل العلم فذكرنا وبينا العلة فيها. اهـ

ورواه العُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٩)، وقال: وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول في كل ليلة أحاديث ثابتة صحاح، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة» (٢/ ٦٣٨): وأما النزول ليلة النصف من شعبان ففيه حديث اختلف في إسناده. اهـ

- وفي «الترغيب والترهيب» (١٨٥٩) عن عمير بن هانئ قال: سألت ابن ثوبان عن (المشاحن)، فقال: هو التارك لسُنّة نبيه ﷺ، الطاعن علىٰ أُمَّته، السافك لدمائهم.

- وفي «الأمالي المُطلقة» (ص ١٢٥) قال الأوزاعي: ليس المشاحن في هذا الحديث من لا يُكلم الرجل، بل الذي في قلبه شحناء لأصحاب رسول الله ﷺ.

- وفي «فضائل رمضان» لابن أبي الدنيا (ص٢٩) قال ابن المبارك: سمعت ⇦

٦- باب

النزول يوم عرفة(١)

٩٧- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل أبو سلمة، وعلي بن عثمان اللاحقي، قالا: ثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن عاصم بن أبي النجود، قال: قالت أُمُّ سلمة رضي الله عنها: نِعم اليومُ يومُ عرفةَ، يَنزلُ فيه ربُّ العِزَّة إلىٰ السماءِ الدنيا يومَ عرفة(٢).

= الأوزاعي يُفسِّر (المُشاحن)، فقال: كل صاحب بدعةٍ فارق عليها أُمَّته.

- وفي «الصفات» لابن المُحبّ (١١٤٤)، قال عتبة بن حماد الحكمي من تلاميذ الإمام مالك: (المُشَاحِنُ): صاحِبُ البدعِ، الخارِجُ علىٰ أُمَّتِه. اهـ

- وفي «الدعاء» للطبراني (٦٠٦) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: (المشاحن): هم أهل البدع الذين يشاحنون أهل الإسلام ويعادونهم.

ولابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «لطائف المعارف» (ص١٣٩) جمع طيب لكلام السلف في كلمة (المشاحن)، وعلق عليه بتعليق حسن.

(١) انظر: «الصفات» لابن المُحبِّ (٢/ ٦٦١) (باب من روىٰ النزول يوم عرفة)، فقد جمع الأحاديث الواردة في هذا الباب.

(٢) إسناده منقطع، عاصم بن أبي النجود لم يسمع من أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

ورواه الدارقطني في «النزول» (٩٥)، وابن أبي حاتم في «الرد علىٰ الجهمية» كما عند اللالكائي (٧٢٠)، من طريق آخر مُتَّصل.

- ويشهد له: ما رواه مسلم (١٣٤٨) عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: **«ما مِن يومٍ أكثر مِن أن يعتقَ الله فيه عبدًا من النارِ مِن يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يُباهي بهمُ الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟»**.

٧- باب

نزول الرب تبارك وتعالى يوم القيامة للحساب(١)

٩٨- **حدثنا** نُعيم بن حماد، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ، فيقولُ: مَن كان يَعبدُ شيئًا فليَتبَعه»**. وساق الحديث إلىٰ قوله: **«وتبقىٰ هذه الأُمةُ، فيقولون: هذا مكانُنا حتىٰ يأتيَنا ربُّنا، فإذا جاءَ رَبُّنا عرفناه، فيَأتِيهم الله عَزَّوَجَلَّ، فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيَتَّبِعونه»**، وساق نعيم الحديث إلىٰ آخره(٢).

٩٩- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، عن

---

(١) بوَّب ابن المُحبّ في «الصفات» (٢/ ٦٨١) نحوه، فقال: (باب نزول الله جلَّ ثناؤه يوم القيامة).

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٢٠٨): وهذا النزول إلىٰ الأرض يوم القيامة قد تواترت به الأحاديث والآثار، ودلَّ عليه القرآن صريحًا في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وقال عبد الله بن المبارك: .. وذكر إسناده إلىٰ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا كان يوم القيامة نزلَ اللهُ إلىٰ العبادِ ليقضي بينهم، وكل أُمَّةٍ جاثية، فأوَّل مَن يُدعىٰ رجلٌ جمعَ القرآن..»**، وذكر الحديث بطوله، وأصله في صحيح مسلم. اهـ

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (١١٦)، وأحمد (٧٩٢٧ و١٠٩٠٦)، والبخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

ثابت، وحُميد، وعلي بن زيد، عن الحسن: أن رسول الله ﷺ قال: «**يأتِينا ربُّنا يومَ القيامةِ ونحن علىٰ مكانٍ رفيعٍ، فيَتجلَّىٰ لنا ضاحِكًا**»(١).

١٠٠- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أنبا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يُنادي مناديٌ(٢) [بين يدي الصيحة: يا أيها النَّاسُ. فيسمَعُها الأحياءُ والأمواتُ، قال: وينزلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا فيُنادي مُنادٍ]: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر](٣).

١٠١- حدثنا عبد [الله] بن صالح المصري، قال: حدثني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال وتلا هذه الآية: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، قال: يُبدِّلها اللهُ يومَ القيامة بأرضٍ من فضَّةٍ، لم يُعمل عليها الخطايا، ينزلُ عليها الجبارُ تبارك وتعالىٰ(٤).

---

(١) حديث مرسل. ورویٰ مسلم (١٩١) نحوه من حديث جابر رضي الله عنه في الورود.
ورویٰ أحمد (١٩٦٥٤) نحوه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصل، وله وجه في اللغة.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٢٠٦)، وما بين [ ] منه، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٤٢٧).

(٤) رواه المُصنِّف في «النقض» (١١٨)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (٢١٠٦٥).
ورویٰ البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «**يُحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ علىٰ أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليس فيها عَلَمٌ لأحدٍ**».

١٠٢- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - وهو ابن سلمة -، عن علي ابن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفرقان]، قال: يَنزِلُ أهلُ سماءِ الدنيا، وهم أكثرُ مِن أهل الأرض، ومن الجنِّ والإنسِ، فيقول أهل الأرضُ: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا، وسيأتي.

ثم تشقَّقُ السماءُ الثانية. - وساق أبو سلمة الحديث إلى السماء السابعة -، قال: فيقولون: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا، وسيأتي، ثم يأتي الربُّ تبارك وتعالىٰ في الكَرُوبيِّين(١)، وهم أكثرُ مِن أهل السمواتِ والأرضِ(٢).

١٠٣- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، ثنا الأجلح، ثنا الضَّحَّاك [٨٧/أ] بن مُزاحم، قال: إنَّ الله يأمرُ السماءَ يومَ القيامةِ، فتَنشَقُّ بمَن فيها، فيُحيطون بالأرض ومن فيها، ويأمرُ السماء الثانية - حتىٰ ذكرَ سبعَ سمواتٍ،

---

(١) في «مقاييس اللغة» (٥/ ١٧٥): والملائكةُ الكَرُوبِيُّونَ فعوليُّون مِن الكُرُوبِ، وهم المُقرَّبُون. يقال: كَرَبَتِ الشمسُ: دَنَت للمغيب. اهـ

وفي «تهذيب اللغة» (١٠/ ١١٨): عن أبي العالية أنه قال: (الكَرُوبِيُّونَ): سادةُ الملائكَة. منهم: جبريل، وميكائيلُ، وإسرافيلُ.

وأنشد شِمرٌ لأمية بن أبي الصَّلْت: (كَرُوبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسجَّدُ). اهـ

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (١١٧)، والطبري في «تفسيره» (٣٧٥٢٩)، والحاكم (٤/ ٥٦٩).

وفي إسناده: علي بن زيد بن جدعان هو ضعيف، وقد تُوبعَ كما عند المُصنِّف في «النقض» (١١٨).

فيكونون سبعةَ صفوفٍ قد أحاطوا بالناسِ -.

قال: ثم ينزلُ اللهُ في بهائِهِ وجمالِهِ، ومعه ما شاء مِن الملائكةِ، مجنبتُه اليُسرىٰ جهنمُ، فإذا رآها الناس تلظَّىٰ، سمعوا زَفيرها وشَهيقها، نَدَّ الناسُ في الأرض، فلا يأتون قُطرًا مِن أقطارِها إلَّا وجدوا سبعةَ صفوفٍ مِن الملائكةِ، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [غافر]، يقول: يَندُّ الناسُ، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن]، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر]، و﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفرقان]، ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ ﴾ [الحاقة].

قال: قلتُ له: ما أرجاؤُها؟

قال: حافَّتُها(١).

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٤٠٦٣)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٥٨)، وهو ثابت عن الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- باب

نزول الله لأهل الجنة

١٠٤ - حدثنا هشام بن خالد الدمشقي - وكان ثقةً -، ثنا محمد بن شعيب وهو ابن شابور، أنبا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفرة، قال: سمعت أنسَ ابن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريلُ وفي يدِهِ كهيئةِ المرآةِ البيضاءِ، وفيها نُكتةٌ(١) سَوداءُ، قلتُ: ما هذه يا جبريلُ؟**

قال: هذه الجُمعةُ، بعثَ بها إليك ربُّك، تكونُ عيدًا لك، ولأُمَّتِكَ مِن بعدِك. قلتُ: وما لنا فيها؟

قال: لكم فيها خيرٌ كثيرٌ، أنتم الآخِرون السابقون يومَ القيامةِ، وفيها ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ يُصلِّي يَسألُ اللهَ شيئًا إلَّا أعطاه.

قلتُ: ما هذه النُّكتةُ السوداءُ؟

قال: هذه الساعةُ، تكونُ يومَ الجمعةِ، وهو سيِّدُ الأيامِ، ونحن نُسمِّيه عندنا: يومَ المَزيدِ.

قلت: وما المزيدُ يا جبريلُ؟

قال: ذلك بأنَّ ربَّك اتخذَ في الجنةِ واديًا أفيحَ(٢) مِن مسكٍ أبيضَ، فإذا كان يومُ الجمعةِ مِن أيامِ الآخرةِ هبطَ الرَّبُّ تبارك وتعالىٰ عن عرشِهِ إلىٰ

---

(١) في «النهاية» (٥/ ١١٤) أي: أثرٌ قليلٌ كالنُّقْطة، شبْه الوسَخ في المِرآة والسَّيفِ.

(٢) أي: واسعًا.

كُرسيِّهِ، وحُفَّ الكرسيُّ بمنابرَ مِن نورٍ، فيَجلسُ عليها النبيون، وحُفَّ المنابرُ بكراسيٍّ من ذهبٍ، فيجلسُ عليها الصديقون والشُّهداءُ، ويهبِطُ أهلُ الغُرفِ مِن غُرَفِهم، فيجلِسُون علىٰ كُثبانِ المسكِ[(١)]، لا يرون لأهلِ المنابرِ والكراسيِّ عليهم فضلًا في المجلسِ، ثم يَتبدَّىٰ لهم ذو الجلالِ والإكرامِ، فيقول: سَلوني، فيقولون بأجمعهم: نَسألُكَ الرِّضا، فيُشهدُهم علىٰ الرِّضا، ثم يَسألونه، حتىٰ تَنتهي نُهيةُ[(٢)] كلِّ عبدٍ منهم، ثم يُسعىٰ عليهم بما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بشرٍ، ثم يَرتفعُ الربُّ عن كرسيهِ إلىٰ عرشِه، ويَرتفِعُ أهلُ الغُرَفِ إلىٰ غُرفِهم، وهي غُرفةٌ مِن لؤلؤةٍ بيضاءَ، أو زَبرجدةٍ[(٣)] خضراءَ، أو ياقوتةٍ حمراءَ، ليس فيها قَصمٌ، ولا وَصَمٌ[(٤)]، مُطَّرِدةٌ أنهارُها، مُتدلِّيةٌ فيها ثِمارُها، فيها أزواجُها وخدمُها ومساكنُها، فليس أهلُ الجنةِ إلىٰ شيءٍ أشوقَ منهم [٨٨/ ب] إلىٰ يومِ الجمعةِ ليزدادوا قربًا مِن الله ورضوانًا»[(٥)].

---

(١) (الكثيب): الرمل المستطيل المحدودب.

(٢) وفي «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٥٦): (نُهمَة)، أي: حاجة ورغبة.

(٣) (الزبرجد والزمرد) نوعٌ من أنواع الجواهر. «الصحاح» (٢/ ٤٨٠).

(٤) قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غريب الحديث» (١/ ٣٥٠): في حديث النبي ﷺ: «**ليس فيها قَصم، ولا فَصم**»، قوله: (**القَصْم**): بالقاف هو أن ينكسر الشيء فيَبين ..، وأمَّا (**الفصم**): بالفاء فهو: أن ينصدع الشيء من غير أن يبين. ونحوه في «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٩٨).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٥٥٦٠)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٤٤٢)، والدارقطني في «الرؤية» (ص١٧٢ - ١٩٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ١٧٥)، والآجري في =

١٠٥ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي حُميد، عن أنس ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبريلُ في كفِّهِ كالمرآةِ البيضاءِ، فيها كالنُّكتةِ السوداءِ، فقلتُ: ما هذا الذي في يدكَ؟ قال: الجمعةُ. قلتُ: وما الجمعةُ؟

قال: لكم فيها خيرٌ، وهو عندنا سيِّدُ الأيامِ، ونحن نُسمِّيه يوم القيامةِ: المزيدَ.

قال: ولِمَ ذاكَ؟ قال: لأن الربَّ تبارك وتعالىٰ اتخذَ في الجنةِ واديًا أفيحَ،

= «الشريعة» (٧٠٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٥٨٧).

- قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (٩٢): هذا حديث مشهور عن عثمان بن عُمير. اهـ

- وقال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩١): هذا حديث كبير عظيم الشَّأن، رواه أئمة السُّنة، وتلقّوه بالقبول، وجمَّلَ به الشَّافعي «مُسنده» .. إلخ.

وقال: وأمَّا حديث أنس بن مالك ﵁ فهو الحديث العظيم الشأن الذي هو قُرَّة لعيون أهل الإيمان، وشجًى في حلوق أهل التعطيل والبهتان، رواه الشافعي في «مُسنده» مُجمِّلًا به كتابه، راجيًا بروايته عن الرسول ﷺ من الله ثوابه، ورواه أئمة السُّنة له مُقرِّين، وعلىٰ من أنكره مُنكرين. اهـ. ثم جمع طرقه ورواياته وساقها بأسانيدها عمن خرجها.

وقال في «اجتماع الجيوش» (ص ١٣٩): صحَّحه جماعة من الحُفَّاظ. اهـ

وانظر: «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٥٤)، وفيه: وقد جَمَعَ ابنُ أبي داود طُرُق هذا الحديث. اهـ

- وقال الذهبي في «العرش» (٩٦): هذا حديث محفوظٌ، له شاهد في السُّنن، أخرجه عبد الله بن أحمد في «الرد علىٰ الجهمية» ثم ذكر إسناده ومن خَرّجه. اهـ

مِن مسكٍ أبيضَ، فإذا كان يوم الجمعةِ، ينزلُ علىٰ كرسيِّه مِن علِّيِّينَ، أو نزل من عِلِّيِّين علىٰ كرسيِّهِ، ثم حُفَّ الكُرسيُّ بمنابرَ مِن ذهبٍ مُكلَّلةٍ بالجوهرِ، ثم يَجيء النبيون حتىٰ يجلسوا علىٰ تلك المنابرِ، ثم يَنزلُ أهلُ الغُرفِ حتىٰ يجلسوا علىٰ ذلك الكثيبِ، ثم يَتجلَّىٰ لهم ربُّهم فيقولُ: أنا الذي صدقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، وهذا مَحلُّ كرامتي، فسلوني..».

وساقَ عثمان بن أبي شيبة الحديث إلىٰ قوله: «وذلك مِقدارُ مُنصرَفِهم مِن الجمعةِ، ثم يرتفعُ إلىٰ كُرسيِّهِ، ويرتفعُ معه النبيون والصِّدِّيقون والشُّهداءُ، أو النبيون، والشُّهداءُ والصِّدِّيقون، ويَرجعُ أهلُ الغُرفِ إلىٰ غُرَفِهم»(١).

١٠٦- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال: حدثني حرملة بن عمران، عن سُليمان بن حُميد، قال: سمعتُ محمدَ بن كعب القُرظي يُحدِّثُ عمر بن عبد العزيز، قال: فإذا فرغَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن أهلِ الجنةِ والنارِ، أقبلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ظُللٍ مِن الغمامِ والملائكةُ، فسلَّمَ علىٰ أهلِ الجنةِ في أولِ درجةٍ، فيَردُّون عليه السلام.

قال القُرظيُّ: وهذا في القرآن: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس]. فيقولُ: سلوني.

قال: ففعل ذلك بهم في دَرَجِهم حتىٰ يستوي في مَجلسِهِ، ثم يأتيهم التُّحفُ مِن اللهِ تَحمِلُه الملائكةُ إليهم(٢).

(١) انظر ما قبله.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩٤٥٠)، واللالكائي (٧٢٣).

١٠٧- قال أبو سعيد:

فهذه الأحاديثُ قد جاءت كلُّها، وأكثرُ منها في نزولِ الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ في هذه المَواطِنِ، وعلىٰ تصديقِها والإيمانِ بها أدركنا أهلَ الفقهِ والبصرِ مِن مشايخِنا، لا يُنكرُها منهم أحدٌ، ولا يَمتنعُ مِن رِوايتِها، حتىٰ ظهرت هذه العِصابةُ فعارضت آثارَ رسولِ الله ﷺ بِرَدٍّ، وتَشمَّرُوا لرَفعِها بِجِدٍّ(١).

فقالوا: كيف نُزولُه هذا؟(٢).

---

(١) ولكلِّ قومٍ وارث، فلقد ورثت الأشاعرة وغيرهم هذه العِصابة في ردِّ هذه الصفة لله تعالىٰ وصرفها عن حقيقتها، وملأت الكتب والشروحات بهذه التحريفات، وذِكر بعض اللوازم لصرفها عن حقيقتها اللائقة بالله تعالىٰ، وقد نقض المُصنِّفُ شيئًا منها في كتابه «النقض علىٰ بشر المريسي»، وما ذكره في نقضه هو بعينه ما يذكره الأشاعرة في كتبهم كما بيَّنته هناك تحت (فقرة / ٤٦).

(٢) المُعطِّلة يَسألون عن الكيفية ليتوصلوا بذلك إلىٰ نفي الصِّفة، فهم يُشبِّهون ويَتخيّلون، ثم ينفون ويُحرِّفون، وقد تقدم (برقم/ ٧١) إنكار الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ من سألَه عن كيفيةِ الاستواءِ، فاشتدَّ غضبُه عليه، وأمرَ بإخراجه؛ لأن هذا السؤال بدعة، ولم يكن السلفُ يسألون عن الكيفيةِ حتىٰ ظهرت الجهمية.

- قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٨٠٥): الإيمانُ بهذا واجبٌ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزلُ؟ ولا يردُّ هذا إلَّا المُعتزلة، وأمَّا أهل الحقِّ فيقولون: الإيمان به واجبٌ بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحَّت عن رسول الله ﷺ: **«أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ينزلُ إلىٰ السماءِ الدنيا كلَّ ليلةٍ»**.. إلخ.

- وروىٰ الصابوني في «اعتقاده» (٤١): قال إسحاق [ابن راهويه]: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: **«ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلىٰ سماء الدنيا»**، كيف ينزلُ؟

=⇦

قلنا: لم نُكلَّف كيفيَّة نُزولِه في دِيننا، ولا تعقِله قلوبُنا، وليس كمثلِه شيءٌ مِن خلقِهِ فنُشبِّه منه فِعلًا أو صفةً بفعالِهم وصفتِهم، ولكن ينزلُ بقُدرتِه، ولُطفِ رُبوبيَّتِه كيف يشاءُ، فالكيفُ منه غيرُ معقولٍ، والإيمانُ بقولِ رسولِ الله ﷺ في نزولِه واجبٌ، ولا يُسألُ الربُّ عمَّا يَفعلُ كيف يَفعلُ وهم يُسألون؛ لأنه القادرُ علىٰ ما يشاءُ أن يَفعلَه كيفَ يشاءُ، وإنما يقالُ لفعلِ المخلوقِ

=

قال: قلتُ: أعزَّ الله الأمير، لا يُقالُ لأمرِ الربِّ: كيف؟ إنما ينزلُ بلا كيف.

- وفي «الكامل» لابن عدي (٢/ ٢١٤) قال إبراهيم بن موسىٰ: كنت عند بُكير ابن جعفر الجُرجاني فجاءه رجلٌ، فقال: اللهُ علىٰ عرشِهِ كيفَ؟

فقال: خُذوا برجلِهِ. فجَرُّوه.

- وعند اللالكائي (٧٢٩) قال حنبل: سألتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تُروىٰ عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ ينزلُ إلىٰ سماءِ الدنيا**».

فقال أبو عبد الله: نؤمنُ بها، ونُصدِّقُ بها، ولا نرُدُّ شيئًا منها إذا كانت بأسانيدَ صِحاحٍ، ولا نرُدُّ علىٰ رسول الله ﷺ قولَه، ونعلمُ أنَّ ما جاء به الرسول حقٌّ.

قلتُ: ينزلُ الله إلىٰ سماء الدنيا، قال: قلتُ: نزولُه بعلمِه أو بماذا؟

فقال لي: اسكُت عن هذا، ما لك ولهذا ! أمضِ الحديث علىٰ ما رُوي، بلا كيفٍ ولا حدٍّ، بما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، ينزلُ كيف شاء، بعلمِهِ، وقُدرتِهِ، وعظمتِهِ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلمًا، لا يبلُغُ قدرَه واصِفٌ، ولا يَنأىٰ عنه هرَبُ هارِبٍ. اهـ

- قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (١/ ١٢٤): مراده: أن نزولَه تعالىٰ ليس كنزول المخلوقين، بل هو نزولٌ يليق بقدرته وعظمته وعلمِه المُحيط بكل شيء، والمخلوقون لا يحيطون به علمًا، وإنما ينتهون إلىٰ ما أخبرهم به عن نفسه، أو أخبر به عنه رسوله ﷺ. اهـ

الضعيفِ الذي لا قُدرةَ له إلَّا ما أقدرَه اللهُ تعالىٰ عليه: كيفَ يَصنعُ؟ وكيف قَدَرَ؟(١).

ولو قد آمنتم باستواءِ الربِّ علىٰ عرشِه، وارتفاعِهِ فوق السماءِ السابعةِ بَدءًا إذ خلقَها، كإيمانِ المُصلينَ به، لقلنا لكم: ليس نزولُه مِن سماءٍ إلىٰ سماءٍ بأشدَّ عليه، [٨٩/أ] ولا بأعجبَ مِن استوائِه عليها إذ خلقها بَدءًا، فكما قدَرَ علىٰ الأُولىٰ منهما كيف شاء، فكذلك يَقدِرُ علىٰ الأُخرىٰ كيف يشاء.

وليس قولُ رسولِ الله ﷺ في نزولِهِ بأعجبَ مِن قولِ اللهِ تبارك وتعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠].

---

(١) العلم بكيفية الصِّفات مِن غير الممكن حصوله، إذ إن الصِّفات تابعة لذاتِ الموصوف بها.

- قال قوام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة» (١/ ١٨٩): الكلام في الصِّفات فرعٌ علىٰ الكلامِ في الذَّات، وإثبات الذَّات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات، وإنما أثبتناها لأن التوقيف وردَ بها، وعلىٰ هذا مضىٰ السَّلف. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١١٤): وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهميّ: (كيف استوىٰ؟ أو كيف ينزل إلىٰ سماء الدنيا؟ أو كيف يداه؟)، ونحو ذلك، فقل له: كيف هو في ذاته؟

فإذا قال لك: لا يعلمُ ما هو إلَّا هو، وكُنه الباري تعالىٰ غير معلوم للبشرِ.

فقل له: فالعلمُ بكيفية الصِّفة مُستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تُعلم كيفية صفة لموصوف لم تُعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات مِن حيث الجُملة علىٰ الوجه الذي ينبغي له. اهـ

ومِن قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر].

فكما يقدِرُ علىٰ هذا، يَقدِرُ علىٰ ذاك(١).

فهذا الناطقُ مِن قولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وذاك المَحفوظُ مِن قولِ رسولِ الله ﷺ بأخبارٍ ليس عليها غُبارٌ، فإن كنتم مِن عبادِ اللهِ المؤمنين؛ لزِمكم الإيمانُ بها كما آمنَ بها المؤمنون، وإلَّا فصرِّحوا ممَّا تُضمِرون، ودعوا هذه الأُغلوطاتِ التي تَلوون بها ألسِنتَكُم، فلئن كان أهلُ الجهلِ في شكٍّ مِن أمرِكُم، إن أهلَ العلمِ مِن أمرِكُم لعلىٰ يَقين(٢).

١٠٨- قال: فقال قائلٌ منهم: (معنى إتيانِه في ظُللٍ مِن الغمامِ، ومَجيئِه

---

(١) تقدم تقرير ذلك تحت رقم (٨٤).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١١٠٨): إن نزول الرب تبارك وتعالىٰ إلىٰ سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسًا مِن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يدلُّ علىٰ أنه كان يُبلِّغُه في كلِّ موطنٍ ومَجمعٍ، فكيف تكون حقيقته مُحالًا وباطلًا وهو ﷺ يتكلمُ بها دائمًا، ويُعيدُها ويُبديها مرَّةً بعد مرَّةً، ولا يقرن باللفظ ما يدلّ علىٰ مجازِه بوجهٍ ما، بل يأتي بما يدلُّ علىٰ إرادةِ الحقيقة؟ كقوله: **«ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلىٰ السماءِ الدنيا فيقولُ: وعِزَّتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري»**، وقوله: **«مَن ذا الذي يسألني فأُعطيه، مَن ذا الذي يَستغفرني فأغفر له، مَن ذا الذي يَدعوني فأستجيب له»**، وقوله: **«فيكون كذلك حتىٰ يَطلعَ الفجرُ ثم يعلو علىٰ كُرسيِّه»**، فهذا كلُّه بيانٌ لإرادة الحقيقة، ومانعٌ مِن حَملِه علىٰ المجاز. وقد صرَّحَ نُعيم بن حمادٍ وجماعة مِن أهلِ الحديث .. أنه سبحانه ينزلُ إلىٰ السماء الدنيا بذاتِه. اهـ

والمَلَكُ صفًّا صفًّا؛ كمعنى كذا وكذا(١)).

قلتُ: هذا التكذيبُ بالآيةِ صُراحًا، تلك معناها بيِّنٌ للأُمَّةِ، لا اختلافَ بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهومِ المعقولِ عند جميعِ المُسلمينَ(٢).

فأمَّا مَجيئه يومَ القيامةِ، وإتيانُه في ظُلَلٍ مِن الغمامِ والملائكةِ، ولا اختلافَ بين الأُمةِ أنه إنما يأتِيَهم يومئذٍ كذلك لمُحاسَبَتِهم، وليَصدعَ بين خلقِهِ ويُقرِّرَهم بأعمالِهم، ويَجزيَهم بها، وليُنصِفَ المظلومَ منهم مِن الظالمِ، لا يتولَّىٰ ذلك أحدٌ غيرُه تباركَ اسمُه، وتعالىٰ جَدُّه، فمَن لم يُؤمن بذلك لم يُؤمن بيومِ الحِسابِ.

ولكن إن كنتم مُحقِّينَ في تأويلكم هذا، وما ادَّعيتُم مِن باطِلِكم، - ولستُم كذلك -، فأتوا بحديثٍ يُقوِّي مذهبَكم فيه عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو بتفسيرٍ

---

(١) المُصنِّف هاهنا ذكر أنهم يُحرِّفون النزول والإتيان إجمالًا ولم يذكر أقوالهم بعينها، وأمَّا في كتاب «النقض» (١١٤) فقد ذكرها ونقضها عليهم.

(٢) اشتملت هذه الفقرة علىٰ أمرين مُهمَّينِ في أبوابِ الأسماء والصفات.

الأول: في قوله: (لا اختلافَ بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقولِ عند جميع المسلمين)، ففيه ردٌّ علىٰ المفوِّضة الذين يؤمنون باللفظِ المُجَرَّدِ، ويجحدون المعنىٰ المفهوم المعقول في لغةِ العرب التي خاطبنا الله بها، وهذا تناقُضٌ لا يَثبتُ معه الإيمان بهذا الباب.

الثاني: الحُكم علىٰ مَن حرَّف أو أوَّل أو فوَّض نصوص الصفات بأنه مُكذِّبٌ بها، وقد تقدم تقرير ذلك تحت (الفقرة / ٧٠).

تأثُرونه صحيحًا عن أحدٍ مِن الصحابةِ، أو التابعين كما أتيناكم به عنهم نحن لمذهَبِنا، وإلَّا فمتىٰ نُزِّلت الجهمية مِن العلمِ بكتابِ اللهِ وبتفسيرِه المنزلةَ الذي يجبُ علىٰ الناسِ قبولُ قولهم فيه، وتركُ ما يؤثرُ مِن خِلافهم عن رسولِ الله ﷺ، وعن أصحابِه، وعن التابعين بعدَهم(١).

(١) فهذه الحُجَّةُ عند أهل السُّنة والأثر: الكتابُ، والسُّنة، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، الذين زكَّاهم النبيُّ ﷺ بأنهم خير القرون.

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته للمتوكِّلِ، وفي مُناظرته مع الجهمية: وهو الذي أذهبُ إليه، ولستُ بصاحِبِ كلامٍ، ولا أرىٰ الكلامَ في شيءٍ مِن هذا؛ إلَّا ما كان في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أو في حديثٍ عن النبيِّ ﷺ، أو عن أصحابِه، أو عن التابعين، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلام فيه غير محمودٍ.

[«السنة» لعبد الله بن أحمد (٩٠)، و«السنة» للخلال (١٩٠٦)].

- وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٤٠٥): اعلم يا شقي، أنا لسنا أصحاب كلام، والكلام علىٰ غير أصلٍ لا تثبت به حُجَّة، وحُجَّتنا: كتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسول الله ﷺ. اهـ

- وقال (٦١٥): هذه حُجتنا علىٰ القدرية: كتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسوله ﷺ، وسُنة أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، مع تركنا للجدل والمِراء. اهـ

- وقال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اعتقاده الذي نقل فيه إجماع من أدركهم (٨٧): والدِّينُ إنما هو: كتابُ الله عَزَّوَجَلَّ، وآثارٌ، وسُننٌ، ورواياتٌ صِحاحٌ عن الثِّقاتِ بالأخبارِ الصَّحيحة القويةِ المعروفةِ المشهورةِ. يرويها الثِّقةُ الأولُ المعروف عن الثاني الثِّقة المعروف، يُصدِّقُ بعضُهم بعضًا، حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ النبي ﷺ، أو أصحابِ النبيِّ، أو التابعينَ، أو تابعِ التابعين، أو مَن بعدهم مِن الأئمةِ المعروفين المُقتدىٰ بهم، المُتمسِّكين بالسُّنةِ، والمُتعلِّقين بالأثرِ، الذين لا يُعرَفون ⇐

هذا حَدَثٌ كبيرٌ في الإسلامِ، وظلمٌ عظيمٌ أن يُتَّبَعَ تفسيرُكم كِتابَ اللهِ بلا أثرٍ، ويُتْرَكَ المأثورُ فيه الصحيح مِن قولِ رسولِ الله ﷺ، وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ رضي الله عنهم.

ومتىٰ ما قدرتُم أن تُجامعوا أهلَ العلمِ في مجالسِهم، أو تَنتحِلوا شيئًا مِن العلمِ في آبادِ الدهرِ إلَّا مُنافقةً واستِتارًا، حتىٰ تتقلَّدوا اليومَ مِن تفسيرِ كتابِ الله ما كان يَتَوقَّىٰ أوضحَ منه أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، لقد عدوتُم طَورَكم، وأنزلتُم أنفُسَكم المنزلةَ التي بعَّدَكُم اللهُ منها، ثم المسلمون.

ولو لم يُوجد فيها عن رسولِ الله ﷺ، ولا عن أصحابِه خبرٌ، ولا أثرٌ(١) لم تكونوا مؤتمنين علىٰ كتابِ اللهِ وتفسيرِه أن يُلتفتَ إلىٰ شيءٍ مِن أقاويلِكم، أو يُعْتَمَدَ علىٰ شيءٍ مِن تَفسيرِكم كتابَ اللهِ، لِمَا ظهرَ للأُمَّةِ مِن إِلحادِكم،

= ببدعةٍ، ولا يُطعنُ عليهم بكذِبٍ، ولا يُرمون بخلافٍ. اهـ

– وقال السِّجزيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إثبات الحرف والصوت» (ص ٦٠): فكلّ مُدَّعٍ للسُّنَّة يجب أن يُطالب بالنقلِ الصحيحِ بما يقوله، فإن أتىٰ بذلك عُلِم صِدقُه، وقُبِلَ قولُه، وإن لم يتمكَّن مِن نقلِ ما يقوله عن السلفِ، عُلِمَ أنه مُحْدِثٌ زائغٌ، وأنه لا يستحقُّ أن يُصغىٰ إليه، أو يُناظر في قوله.

وخُصومنا المُتكلِّمون معلوم منهم أجمع: اجتنابُ النقلِ والقول به، بل تمحينُهم لأهله ظاهرٌ، ونفورُهم عنهم بيِّنٌ، وكتبهم عاريةٌ عن إسنادٍ، بل يقولون: قال الأشعري، وقال ابن كُلَّابٍ، وقال القلانسي، وقال الجُبَّائي.

فأقلُّ ما يلزم المرءَ في بابهم أن يَعرِضَ ما قالوه علىٰ ما جاء عن النبي ﷺ، فإن وجده موافقـًا له ومستخرَجـًا منه قَبِلَه، وإن وجده مُخالفـًا له رمىٰ به. اهـ

(١) في الأصل: (خبراً ولا أثرًا).

فكيف إذا هم خالفوكم؟(١).

---

(١) وإن مِن غُربة الدِّينِ أن يُصبحَ هؤلاء المُعطِّلة مِن جهميةٍ وأشعريةٍ وغيرهم من أهل الكلام هم أئمَّة للدينِ، وحُفَّاظَ السُّنة، والمُفسِّرين للقرآنِ، والشارحين للأحاديثِ، والمُصنِّفين في أبواب السنة والاعتقاد، والمعوَّل عليهم في كثيرٍ من أبوابِ العلمِ والفتاوىٰ!

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص ٨٠): وإن زمانًا يُقبل فيه قولُ مَن يَرُدُّ علىٰ الله سبحانه، وعلىٰ الرسول ﷺ، ويُخالف العقلَ، ويُعَدُّ مع ذلك إمامـًا، لزمانٌ صَعْبٌ، والله المُستعان. اهـ

- وقال (ص ١٢٩): فلمَّا عُلِمَ أن الأئمَّة علىٰ ضربين:

أئمَّةُ حقٍّ ممدوحون، وأئمَّةُ ضلالٍ مذمومون، احتجنا إلىٰ أن نُبيِّن أحوالَ الضّربينِ ليُتَّبَعَ المُحِقُّ، ويُهجَرَ المُبطِلُ.

فأئمَّةُ الحقِّ: هم المُتَّبعون لكتابِ ربِّهم سبحانه، المُقتفون سُنة نبيهم ﷺ، المُتمسِّكون بآثار سلفهم الذين أُمروا بالاقتداء بهم... إلخ.

وقال بعد أن عدَّ كثيرًا مِن أسماءِ أئمة السُّنةِ: (وكانوا أئمةً في العلمِ، مشاهير بالاتِّباع، والأخذ عن أمثالهم، وكان في وقتهم عُلماء لهم تقدُّمٌ في علومٍ، وأتباع علىٰ مذهبهم؛ لكنهم وقعوا في شيءٍ مِن البدعِ؛ إمَّا القدر، وإما التشيُّع، أو الإرجاء، عُرفوا بذلك فانحطَّت منزلتهم عند أهل الحقِّ...

وأمَّا أئمة الضلالة: فالمشركون، والمُدَّعون الرُّبوبية، والمنافقون، ثم كلُّ من أحدث في الإسلام حَدَثًا، وأسَّسَ بخلافِ الحديث طريقًا، ورَدَّ أمر المُعتقدات إلىٰ العقليَّات، ولم يُعرف شيوخُه باتِّباع الآثار، ولم يأخذ السُّنة عن أهلِها، أو أخذ عنهم ثم خالفهم). اهـ

وقد ختم كتابه هذا ببابٍ مُهمٍّ، فقال: (الحذر من الركون إلىٰ كلِّ أحدٍ، والأخذ من كل كتابٍ؛ لأن التلبيس قد كثُر، والكذب علىٰ المذاهب قد انتشر).

وقال: اعلموا - رحمنا وإياكم الله سبحانه - أن هذا الفصل مِن أولىٰ هذه =

١٠٩ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [٨٩/ ب]

وممَّا يُرُدُّ هذا ويُبطلُه قوله تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨] الآية.

فهذا ممَّا يُحقِّقُ دعوانا، ويُبطلُ دعواكم التي تَخرَّصتُموها عَدْوًا بغيرِ علمٍ

= الفصولِ بالضبط لعموم البلاء، وما يدخل علىٰ الناس بإهماله، وذلك أن أحوال أهل الزمانِ قد اضطربت، والمُعتمَد فيهم قد عزَّ، ومن يبيع دينَه بعَرَضٍ يسيرٍ، أو تَحَبُّبًا إلىٰ مَن يراه قد كَثُرَ، والكذب علىٰ المذاهبِ قد ظهر، فالواجبُ علىٰ كل مسلمٍ يُحبُّ الخلاص أن لا يركنَ إلىٰ كلِّ أحدٍ، ولا يعتمد علىٰ كلِّ كتابٍ، ولا يُسْلِم عِنانه إلىٰ مَن أظهر له الموافقة.

وقال: فمَن رام النجاةَ من هؤلاء، والسلامةَ من الأهواء؛ فليكن ميزانُه الكتابَ والأثرَ في كلِّ ما يسمع ويرىٰ، فإن كان عالمًا بهما عرضه عليهما، وإن كان مُقَصِّرًا عرضه علىٰ مَن عُلِمَ تقدُّمه في عِلمهما، واتِّباعه للسلفِ.

ولا يَقبلُ مِن أحدٍ قولاً إلَّا وطالبه علىٰ صِحَّته بآيةٍ مُحكمةٍ، أو سُنةٍ ثابتةٍ، أو قولِ صحابيٍّ مِن طريقٍ صحيح.

وليُكثِرِ النظرَ في كُتُبِ السُّننِ لِمَن تقدَّم مثل: أبي داود السجستاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي بكر الأثرم، وحرب بن إسماعيل السيرجاني، وخُشيش بن أصرم النسائي، وعروة بن مروان الرَّقي، وعثمان بن سعيد الدارمي السجستاني.

وليحذر تصانيف مَن لا يُخبر حالُهم؛ فإن فيها العقارِبَ، ورُبَّما تعذَّر التِّرياق.

ولقد قال بعضُ السلف: سمعتُ مِن مبتدعٍ في الصبا قولاً، أجتهدُ في إخراجه مِن قلبي وسمعي، ولا يَتِمُّ لي ذلك.

وكان طاوس يَسُدُّ أُذُنَه إذا سَمِعَ مُبتدعًا يتكلَّم، ويقول: القلبُ ضعيفٌ. اهـ

في إتيانِ اللهِ تعالىٰ ومَجيئِه يومَ القيامةِ والمَلَكُ صفًّا صفًّا.

فإن أبيتُم إلَّا لُزُومًا لتفسيرِكم هذا، ومُخالفةً لما احتججنا به مِن كتابِ اللهِ، وآثارِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، فإنه ليس لكم مِن الرُّسوخِ في العلمِ والمعرفة بالكتابِ والسُّنةِ ما يُعتمدُ علىٰ تفسيرِكم لو قد أصبتُم الحقَّ، فكيف إذا أنتُم أخطأتُمُوه؟

ولكن بيننا وبينكم حُجَّةٌ واضِحةٌ يَعقلِها مَن شاء اللهُ مِن النساءِ والوِلدانِ: ألستُم تعلمون أنَّا قد أتيناكم بهذه الرِّواياتِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وعن أصحابِه، والتابعين، منصوصةً صَحيحةً عنهم أنَّ اللهَ تبارك وتعالىٰ ينزلُ كلَّ ليلةٍ إلىٰ سماءِ الدنيا؟

وقد علمتُم يَقينًا أنَّا لم نَخترع هذه الرِّواياتِ، ولم نفتَعِلها، بل رويناها عن الأئمةِ الهاديةِ الذين نقلوا أُصُولَ الدينِ وفروعَه إلىٰ الأنامِ[1]، وكانت

---

(١) كثيرٌ ما يُصرِّحُ أهل السنة في مُصنفاتهم في الاعتقاد وغيرها بتقسيم الدين إلىٰ أصول وفروع، وهذا أمرٌ مُتّفقٌ عليه بينهم، وهو ظاهر في معاملاتهم وأحكامهم مع المخالفين لهم في أصول الدين وفُروعه.

والأصل في هذا التقسيم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقوله ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق**»، متفق عليه. فليست كلمة التوحيد مثل إماطة الأذىٰ.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٧٣٢): فأمَّا الاختلاف فهو ينقسمُ علىٰ وجهين: أحدهما: اختلافُ الإقرار به إيمانٌ ورحمةٌ وصوابٌ، وهو (الاختلاف ⇐=

مُستفيضةً في أيديهم، يتنافسون فيها، ويَتزيَّنون برواياتِها، ويَحتجُّون بها علىٰ مَن خالفَها، قد علِمتُم ذلك، ورويتموه كما رويناها إن شاء الله، فائتُوا ببعضها: (أنه لا ينزِلُ) منصوصًا كما روينا عنهم النُّزولَ منصوصًا، حتىٰ يكونَ بعضُ ما تأتون به ضِدًّا لبعضِ ما أتيناكم به، وإلَّا لَمْ يُدفع إجماعُ الأمَّةِ وما ثَبتَ عنهم في النُّزولِ منصوصًا بلا ضِدٍّ منصوصٍ مِن قولهم، أو مِن قولِ نُظرائهم؛ ولَمْ يُدفع شيءٌ بلا شيءٍ؛ لأنَّ أقاويلَهم ورِواياتهم شيءٌ لازِمٌ، وأصلٌ مَنيعٌ، وأقاويلكم رِيحٌ ليست بشيءٍ، ولا يلزمُ أحدًا منها شيءٌ إلَّا أن تأتوا فيها بأثرٍ ثابتٍ مُستفيضٍ في الأُمةِ كاستفاضةِ ما روينا عنهم، ولن تأتوا به أبدًا.

هذا واضِحٌ بيِّنٌ يعقِلُه كثيرٌ مِن ضُعفاءِ الرِّجالِ والنِّساءِ، وتعقِلونَه أنتم إن شاء اللهُ، فإنه ليس لكم مِن الغفلةِ كلُّ ما لا تعلمون أنَّ هذه الحُججَ آخِذةٌ

= المحمود) الذي نطق به الكتاب، ومضت به السُّنة، ورضيت به الأُمة، وذلك في: الفروع والأحكام التي أصولها ترجع إلىٰ الإجماع والائتلاف.

واختلافٌ هو كفرٌ وفُرقةٌ وسَخطةٌ وعذابٌ يؤول بأهله إلىٰ الشتات والتضاغُن، والتباين والعداوة، واستحلال الدم والمال: وهو اختلاف أهل الزيغ في الأصولِ والاعتقادِ والديانة. اهـ

وتتبُّع كلام الأئمة في هذه المسألة الواضحة يطول، وبعض مَن ينفي هذا التقسيم ويُنكره يحتجُّ ببعض كلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومَن تأمَّل حقيقة كلامه تبيَّن أنه إنما كان يُنكر علىٰ بعض أهل البدع إدخالهم تحت كل قسمٍ مِن تلك الأقسام أمورًا لا تتوافق مع نصوص الكتاب والسُّنة، لا أنه يُنكر أصل التقسيم، فإنه كثيرًا ما يُصرِّح به في كتبه ويُقرِّره بلا نكير، انظر: «درء التعارض» (١/ ٢٣٣)، وغيره.

بحلوقِكم، غيرَ أنكم تقصِدون قصدَ شيءٍ لا يَنقادُ إلَّا بدفعِ هذه الحُجَجِ والآثارِ كلِّها.

١١٠- تزعمون أنَّ إلهَكُم الذي كنتم تَعبدون منكم: في كلِّ مكانٍ، واقِعٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، لا حَدَّ له ولا مُنتهىٰ عندكم، ولا يَخلو منه شيءٌ مكانٌ بِزعمِكم.

ثُم قلتُم: (**إنما يوصفُ بالنزولِ مَن هو في مكانٍ دون مكانٍ، فأمَّا مَن هو في كلِّ مكانٍ فكيف ينزِلُ إلى مكانٍ**[(١)]).

---

(١) أهل السنة يُثبتون لله تعالىٰ مكانًا وهو بمعنىٰ العلوّ والفوقية، وأمَّا الجهمية فإنهم أول مَن نفىٰ المكانَ عن الله تعالىٰ، ويُريدون به نفي علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، وقد انتشر هذا المذهب الرديء في كثيرٍ مِن المُصنفات في التفسير والشُّرُوح كما سيأتي نقل بعض أقوالهم هاهنا.

- قال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٩٦): (الجهمية) - أعداءُ الله - وهم الذين يزعمون .. أن اللهَ لا يتكلَّم، ولا يُرىٰ، ولا يُعرفُ لله مكانٌ ... اهـ

وسيأتي الكلام عن إثبات المكان لله تعالىٰ في التعليقِ علىٰ «النقض» عند قول المُصنِّف (١): (وكيف يَهتدي بِشرٌ للتوحيدِ، وهو لا يَعرفُ مكانَ واحدِهِ).

(تنبيه): ومِن هذا الباب: نفي الجهمية والأشاعرة وغيرهم: (الجِهة والحيِّز) عن الله تعالىٰ، ويُريدون بذلك نفي علوّ الله تعالىٰ علىٰ خلقه، وقد طلبَ أئمَّة الأشاعرة من ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في السجنِ: (أن ينفي الجهة عن الله تعالىٰ والتحيُّز)، فكتبَ إليهم كما في «التسعينية» (١/ ١٩٢): (أني قد قلتُ لهم: قائلُ هذا القول: إن أراد به أن ليس في السموات ربٌّ، ولا فوق العرش إلهٌ، وأن محمدًا لم يُعرج به إلىٰ ربِّه، وما فوق العالم إلّا العدم المحض، فهذا باطل، مُخالفٌ لإجماعِ سلف الأُمَّة وأئمتها، وهذا المعنىٰ هو الذي يَعنيه جمهور الجهمية مِن مشايخ المُمتَحِنين ⇐

قلنا: هذه صِفةٌ خِلافُ صِفةِ ربِّ العالمين، ولا نعرِفُ بهذه الصفةِ شيئًا إلَّا هذا الهواءَ الداخلَ في كلِّ مكانٍ، النازِلَ علىٰ كل شيءٍ، فإن لم يكُن ذلك إلَهَكم الذي تَعبُدون، فقد غلبَكم عن عبادةِ اللهِ رأسًا، وصِرتُم في عبادةِ ما تعبُدون أسوأَ منزِلةً مِن عبادةِ الأوثانِ، وعبادةِ الشمسِ والقمرِ؛ لأنَّ كلَّ صِنفٍ منهم عبدَ شيئًا هو عند الخلقِ شيءٌ، وعبدتُم أنتم شيئًا هو عند الخلقِ (لا شيءٌ)، لأنَّ الكلمةَ قد اتَّفقت من الخلقِ كلهم أنَّ (الشيءَ) لا يكون إلَّا بحَدٍّ وصِفةٍ، وأن (لا شيءَ) ليس له حدٌّ ولا صِفةٌ(١).

= ونحوهم، يُصرِّحون به في كلامهم وكتابهم). اهـ

قوله: (مِن مشايخ المُمتحنين) يريد بهم: أئمَّة الأشاعرة في وقته الذين امتحنوه بعقائد المُعطِّلة الفاسدة، وقد سَمَّاهم: (جهمية).

وقال: (فصارت الجهمية الذين ينفون عن الله (الجِهة والحيِّز)، مقصودهم: أنه ليس فوق العرش ربٌّ، ولا فوق السموات إلهٌ).

قال: (ومن المعلومِ أن قائل ذلك لا يجترئ أن يقوله في مَلأ من المؤمنين، وإنما يقوله بين إخوانه مِن المنافقين، الذين إذا اجتمعوا يتناجون، وإذا افترقوا يتهاجون، وهم وإن زعموا أنهم أهل المعرفة المُحقِّقون، فقد شابهوا مَن سبَقَ من إخوانهم المنافقين). اهـ

(١) تقدم في التعليق (رقم/ ١) النقل عن ابن المبارك ويزيد بن هارون رَحِمَهُمَاللهُ قولهما: ليس تعبُدُ الجهمية شيئًا.

- وفي «شرح مذاهب أهل السنة» لابن شاهين (٣٤) قال حماد بن زيد: مثل الجهمية مثل رجل قيل له: أفي دارك نخلة؟ قال: نعم. قيل: فلها خوص؟ قال: لا. قيل: فلها سَعفٌ؟ قال: لا. قيل: فلها كربٌ؟ قال: لا. قيل: فلها جذعٌ؟ قال: لا. قيل: فلها أصلٌ؟ قال: لا. قيل: فلا نخلة في دارك.

=

فلذلك قلتُم: (لا حدَّ له)، وقد أكذبَكم الله تعالىٰ، فسَمَّىٰ نفسَه: [٨٩/أ] أكبرَ الأشياءِ، وأعظمَ الأشياءِ، وخلَّاقَ الأشياءِ.

• قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩].

• وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

فهو سَمَّىٰ نفسَه: أكبرَ الأشياءِ، وأعظمَ الأشياءِ، وخلَّاقَ الأشياءِ، وله حَدٌّ، وهو يَعلمُه لا غيرُه(١).

= هؤلاء الجهمية، قيل لهم: لكم ربٌّ؟ قالوا: نعم.
قيل: يتكلّمُ؟ قالوا: لا. قيل: فله يدٌ؟ قالوا: لا.
قيل: فله قدمٌ؟ قالوا: لا. قيل: فله إصبعٌ؟ قالوا: لا.
قيل: فيرضىٰ ويغضبُ؟ قالوا: لا.
قيل: فلا ربَّ لكم.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المدارج» (٢/ ٤٠٢): والتعطيلُ شرٌّ مِن الشِّرك؛ فإن المُعطِّل جَاحد للذَّات، أو لكمالها، وهو جَاحدٌ لحقيقة الإلهية، فإن ذاتًا لا تسمعُ، ولا تُبصر، ولا تتكلّم، ولا ترضىٰ، ولا تغضب، ولا تفعل شيئًا، وليست داخل العالم، ولا خارجه ... ولا فوق العرش، ولا تحت العرش، ولا خلفه، ولا أمامه، ولا عن يمينه، ولا عن يسارِه سواء هي والعدم.

والمُشركُ مُقرٌّ باللهِ وصفاته؛ لكن عبدَ معه غيره، **فهو خيرٌ مِن المُعطِّل للذَّات والصِّفات**. اهـ

وسيأتي برقم (٢٥٩) بيان أن كفر الجهمية أشد من كفر اليهود والنصارىٰ.

(١) أهل السنة يخبرون عن الله تعالىٰ بأنه: (شيء)، كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة.

- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» (كتاب التوحيد) (٤/ ٣٨٧) (باب ﴿قُلْ =

١١١ - حدثنا الحسن بن الصباح البزار البغداديُّ، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابنِ المُباركِ، أنه سُئِلَ: بِمَ نعرِفُ ربَّنا؟

قال: بأنه فوقَ العرشِ، فوقَ السماءِ السابعةِ علىٰ العرشِ، بائنٌ مِن خلقِه.

= ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٩]، فسمَّىٰ الله نفسه شيئًا، وسَمَّىٰ النبي ﷺ القرآن شيئًا، وهو صفة من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]. اهـ

ثم أسند حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «**أمعك مِن القرآنِ شيءٌ؟**». قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا. لسورٍ سمّاها. اهـ

قلت: وأمَّا الجهمية فينكرون الإخبار عن الله تعالىٰ بأنه (شيء)، لأنه عندهم لا شيء، وليس له حَدٌّ ولا غاية، وهذا محض الزندقة كما قال المُصنِّف في «النقض» (٣٣٣) عن إنكار الجهميّ أن الله تعالىٰ (شيء): (فهذا محضُ الزندقةِ؛ لأن الله أكبرُ الأشياءِ، وأعظمُ الأشياءِ، وخالِقُ الأشياء). اهـ

«**فائدة**»: ومن هذا الباب: الإخبار عن الله تعالىٰ بأنه (شخصٌ).

- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» في (كتاب التوحيد) (٤/ ٣٨٧): (باب: قول النبي ﷺ: «**لا شخصَ أغيرُ من الله ..**» الحديث.

ونحوه في «السُّنة» لابن أبي عاصم (١/ ٣٦٤)، و«الأربعين في التوحيد» للهروي.

واستدلُّوا بحديث سعد بن عُبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قوله ﷺ: «... **ولا شخصَ أغيرُ مِن الله، ولا شخصَ أحبُّ إليه العُذر مِن الله** عَزَّ وَجَلَّ ...» الحديث.

رواه البخاري (٧٤١٦) بلفظ: «**لا أحد**»، ورواه مسلم (٣٧٥٧)، واللفظ له.

ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٨)، وفيه: قال عُبيد الله القواريري: ليس حديثٌ أشدَّ علىٰ الجهمية من هذا الحديث قوله: «**لا شَخصَ أحبُّ إليه العُذر من الله** عَزَّ وَجَلَّ». وانظر: كتاب «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (٧/ ٣٩١).

قال: قلت: بِحَدٍّ؟

قال: فبأيِّ شيءٍ؟!(١).

١١٢- قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحُجَّةُ لقولِ ابنِ المُباركِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥](٢).

فلماذا يحفُّون حولَ العرشِ إلَّا لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فوقَه، ولو كان في كلِّ مكانٍ لحفُّوا بالأمكنةِ كلِّها، لا بالعرشِ دونها.

ففي هذا بيانٌ بيِّنٌ للحدِّ، وأنَّ اللهَ فوقَ العرشِ، والملائكةَ حولَه حافُّون يسبِّحونَـ[ـه] ويُقدِّسونَه، ويحمِلُ عرشَه بعضُهم.

• قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر:٧].

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٤٣).

عقد المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» بابًا خاصًّا في إثبات الحدِّ لله تعالىٰ، فقال: (٣/ باب الحدّ والعرش)، وسأرجئ الكلام عن هذه المسألة تحته.

(٢) في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٩٦) قال أبو بكر المَرُّوذِي: سمعتُ أبا عبد الله - يعني: أحمد بن حنبل - وقيل له: رُوِيَ عن علي بن الحَسن بن شقيق، عن ابنِ المبارك أنه قيل له: كيف نعرِفُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ؟ قال: علىٰ العرشِ بحدٍّ.

فقال: بلغني ذلك عنه، وأعجبَه.

ثم قال أبو عبد الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

١١٣ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فسمعتُ مُحتجًّا، يَحتجُّ عنهم في إنكارِهم الحدَّ والنزولَ، وفي قولهم: هو في كلِّ مكانٍ، بحديثِ: (أربعةُ أملاكٍ التقوا: أحدُهم جاء مِن المشرقِ، والآخرُ مِن المغربِ، والثالثُ مِن السماءِ، والرابعُ مِن الأرضِ، فقالوا أربعتُهم: جِئنا مِن عندِ الله)(١).

---

(١) روى الجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٨) عن جُويبر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ أربعةَ أملاكٍ، التقوا في الهواءِ، بعثهم ربي جميعًا، فقال مَلَكٌ: بعثنا ربُّنا جميعًا، فمِن أين بعثَكَ أنت ربُّك؟ قال: مِن فوقِ عرشِه، فمِن أين بعثك أنت معي؟ قال: بعثني مِن تحتِ الأرضِ السُّفلىٰ، ثم قال الثالث لصاحبه: فمِن أين بعثَكَ أنت معي؟ قال: بعثني مِن المشرقِ، ثم قال الرابعُ لصاحبِه: فمِن أين بعثك؟ قال: مِن المغربِ**». ثم تلا رسول الله ﷺ: «﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾ [الحديد:٣]، **هو الأول فلم يكن قبله شيءٌ، هو الآخرِ فليس بعده شيء، وهو الظاهرُ فليس فوقَه شيءٌ، وهو الباطنُ فليس دونه شيء**».

قال: رسول الله ﷺ: «**فلو دُلِّي أحدُكم إلىٰ الأرضِ السُّفلىٰ لدُلِّيَ علىٰ الله تعالىٰ، لأنه لا يخلو مِنه مكانٍ**».

أخبرنا محمد بن عبد الغفار، أخبرنا أبو علي، حدثنا ابن خزر، حدثنا ابن فيرة الطيان، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم الزاهد، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي زياد، حدثنا ضِرار بن عَمرو، عن يزيد الرقاشي، عن حطَّان بن عبد الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ مثله.

قال: هذا حديثٌ باطلٌ لا أصل له جُملة، والحُسين الزاهد، وإسماعيل بن أبي زياد، وجويبر، وضِرار بن عَمرو، ويزيد الرقاشي خمستهم متروكون مجروحون، والضَّحَّاك لم يسمع مِن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما شيئًا. اهـ

فقلت: إن أفلسَ الناسِ مِن الحديثِ وأفقرَهم فيه الذي لا يجِدُ من الحديث ما يدفعُ به تلك الأحاديثَ الصحيحةَ المشهورةَ في تلك الأبوابِ إلَّا هذا الحديث، وهو أيضًا مِن الحديثِ أفلَس؛ لأن هذا الحديثَ لو صحَّ كان عليه لا له(١).

(١) كلام المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا يدلُّ علىٰ أن أئمة السنة لا يحتجُّون في أبواب الاعتقاد إلَّا بما صحَّ عندهم إمَّا متنًا وسَندًا، وإمَّا مَتنًا وإن كان في أسانيدها بعض الضعف، فلا يحتجُّون في عقائدهم بكلِّ ما يروونه ويُسندونه مِن غيرِ نظرٍ فيما دلَّت عليه متون هذه الأحاديث والروايات مِن معانٍ وعقائد، فليس هذا شأن أئمة السُّنة وحُفَّاظ الحديث كما يُصوِّره بعض مَن قَصُر عِلمه بشأنهم ومكانتهم وفقههم وعلمهم، ثم إذا أرادوا أن يُبرِّروا لهم هذا الشيء، قالوا: (مَن أسند فقد أحالك)، وهذه القاعدة ليست علىٰ إطلاقها، وخاصَّة في أبواب السُّنة والاعتقاد والكلامِ في شأنِ الربِّ عَزَّوَجَلَّ وأسمائه وصفاته، فهم لا يوردون الأحاديث التي دلَّت متونها وألفاظها علىٰ ما لا يجوز نسبته لله تعالىٰ، فهم أورع وأخشىٰ لله مِن ذلك.

- ففي «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٣٤) حدثني وَهبُ بن بقيَّة الواسطي، سمعتُ وكيعَ بن الجرَّاح، يقول: القرآنُ كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ ليس بالمخلوق، سمعتُه مِن وكيعٍ، وأثبتُّه عندي في كتابٍ.

قال وهبُ بن بقية: لو لم يكن رأيي ما حدَّثتُ به.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصفدية» (١/ ٢٨٧): والأئمة كانوا يروون ما في الباب مِن الأحاديث التي لم يُعلم أنها كَذِبٌ من المرفوع، والمُسند، والموقوف، وآثار الصحابة والتابعين؛ لأن ذلك يقويٍّ بعضه بعضًا، كما تذكر المسألة مِن أصولِ الدين، ويُذكرُ فيها مذاهب الأئمة والسلف، فثمَّ أمورٌ تُذكر للاعتماد، وأمورٌ تُذكر للاعتضاد، وأمورٌ تُذكر لأنها لم يُعلم أنها من نوع الفساد. اهـ

- وقال في «الانتصار لأهل الآثار» (١/ ٣٩): وأهل الحديثِ لا يستدلُّون ⇐

فالحمدُ لله إذ ألجأَتهم الضَّرورةُ إلىٰ هذا وما أشبهَه؛ لأنهم لو وجدوا حديثًا منصوصًا في دعواهم لاحتجُّوا به لا بهذا، ولكن حين أيِسُوا مِن ذلك وأعياهم طلبُه تعلَّقوا بهذا الحديث المُشتبِه علىٰ جُهَّالِ الناسِ ليُروِّجوا بسببِه عليهم أغلوطةً.

وسنُبيِّنُ لهم ما اشتبَه عليهم مِن هذا الحديثِ إن شاء الله، حتىٰ يعلموا أنه عليهم لا لهم.

قلنا: هذا الحديثُ لو صحَّ لكان معناه مفهومًا معقولًا، لا لبسَ له، أنهم جاءوا كلُّهم مِن عند الله كما قالوا؛ لأن الله تعالىٰ علىٰ عرشِه، فوق سماواتِه، وسماواتُه فوقَ أرضِه كالقُبَّةِ، وكما وَصَفَ رسول الله ﷺ(١)، فهو يُنزِّلُ ملائكةً مِن عندِه بالمشرقِ، وملائكةً بالمغربِ، وملائكةً إلىٰ تُخُومِ الأرضِ(٢) للأمرِ مِن أُمورِه، ولرحمتِه، ولعذابِه، ولما يشاءُ مِن أمورِه.

فلو أنزلَ أحدَ هؤلاءِ الأربعةِ بالمشرقِ، والثاني بالمغربِ، والثالثَ أنزلَه مِن السماءِ إلىٰ تُخُومِ الأرضِ للأمرِ مِن أمورِه، ثم عرجوا منها، والتقوا

=

بحديثٍ ضعيفٍ في نقضِ أصلٍ عظيم مِن أصولِ الشريعةِ، بل في تأييده، وإمَّا في فرعٍ مِن فروعه. اهـ

- وقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٣٥٦): فإن ضعف إسنادِ الحديث لا يمنعُ أن يكون متنه ومعناه حقًّا، ولا يمنعُ أيضًا أن يكون له مِن الشَّواهد والمُتابعات ما يُبيِّنُ صِحَّته. اهـ

(١) يُشير إلىٰ حديث جُبير بن مُطعم رضي الله عنه المتقدِّم برقم (٤٦).

(٢) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (١/ ٣٤١): (التُّخُوم): أعلام الأرض وحدودها.

جميعًا في مُلتقىً مِن الأرض مع رابعٍ، نزلَ مِن مُلتقاهم مِن السماءِ، فسُئلوا جميعًا: مِن أينَ جاءوا؟ فقالوا جميعًا: جِئنا مِن عندِ اللهِ، لكان المعنىٰ فيه صَحِيحًا علىٰ مذهبنا، لا علىٰ مذهبِكم؛ لأن كلًّا بعثهم اللهُ تعالىٰ مِن السماءِ، وكلًّا نزلوا مِن عنده في مواطنَ مُختلفةٍ، ولو نزل مائةُ ألفِ مَلَكٍ في مائةِ ألفِ مكانٍ مِن الأرضِ لجاءوا مِن عند الله.

وإنما قيل: [٩٠/ب] مِن عندِ اللهِ؛ لأن اللهَ تبارك وتعالىٰ فوقَ السماءِ، والملائكةُ في السمواتِ، وبعضُهم حافُّون بعرشِهِ، فهم أقربُ إلى عرشِ الرحمن مِن أهلِ الأرضِ.

١١٤- وممَّا يُبيِّن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾ [الأعراف].

ففي هذه الآية: بيانٌ لتحقيق ما ادَّعينا للحدِّ، فإنه فوق العرشِ، بائنٌ مِن خلقِه، ولإبطالِ دعوىٰ الذين ادَّعوا أنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ، لأنه لو كان في كلِّ مكانٍ ما كان لخصوصِ الملائكة أنهم ﴿ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] معنًى، بل كانتِ الملائكةُ والجنُّ والإنسُ وسائرُ الخلقِ كلهم عند ربِّك في دعواهم بمنزلةٍ واحِدةٍ، إن لو كان في كلِّ مكانٍ، وإذًا لذهبَ معنىٰ قوله: ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾ [الأعراف]، لأن أكثرَ أهلِ الأرضِ مِن الجنِّ والإنسِ مَن يَستكبِرُ عن عبادتِه، ولا يسجدُ له، ولكن خَصَّ اللهُ بهذه الصفةِ الملائكةَ الذين هم عندَه في السمواتِ.

فأوطِئوا بهذه الآية، واقرَعوا بها رُءوسهم عند دعواهم أنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ، فإنها آخِذةٌ بحُلوقِهم، لا مَفرَّ لهم منها إلَّا بجحودٍ.

فإن أقرُّوا أنهم مِن الملائكةِ الذين عنده دون مَن سِواهم، فقد أصابوا ما أراد الله، ونقضوا قولهم: (إنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ)، وأقرُّوا له بالحدِّ، وأنه فوقَ السمواتِ، والملائكةُ عنده: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾ [الأعراف].

وإن لم يُقرُّوا به كانوا بذلك جاحِدينَ لتنزيلِ اللهِ تعالىٰ، ويَلزمُهم في دعواهم أن يَشهدوا لجميعِ عبدةِ الأوثانِ، وعبدةِ الشمسِ والقمرِ، والجنِّ والإنسِ، وكفرةِ أهلِ الكتابين والمجُوسِ أنهم كلهم ﴿عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾ [الأعراف]؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قد أخبرَ: أنَّ الذين عنده كذلك صفاتُهم.

فإن يكن الخلقُ كلُّهم في دعواهم عنده، وهو عندهم، وكلٌّ يُسبِّحُ له، ويسجدُ له، ولا يستكبرُ عن عبادته، ومَن قال هذا فقد كفرَ بكتابِ الله، وجَحدَ بآياتِ اللهِ؛ لأن اللهَ تعالىٰ وصفَ الملائكةَ الذين عنده بهذه الصِّفةِ، ووصفَ كفارَ الجنِّ والإنسِ، وعبدةَ الأوثانِ بالعُتوِّ والاستكبارِ عن عبادتِهِ، والنفورِ عن طاعتِهِ، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾ [الفرقان].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا (٦٠)﴾ [الفرقان].

فافهموا هذه الآيَةَ، فإنَّها قاطِعةٌ لحُجَجِهم(١).

(١) قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (٢/ ٣٠٦): وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء:١٩]، حُجَّة على المعتزلة والجهمية فيما يزعمون أن الله جلَّ جلاله لا يوصف بحدِّ ذاتٍ، وأنه ليس على العرش، إذ محالٌ عندهم أن يكون في موضع دون موضعٍ، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾، فوصفهم بأنهم (عنده)، ولو لم يكن جل جلاله أنه في موضع وعلمه في كلِّ موضعٍ ما كان لقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ معنًى. اهـ

٩- باب

الرُّؤية(١)

١١٥ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

• قال الله تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة].

• وقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين](٢).

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٣٩٢): مسألة الرُّؤية كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السُّنة المُثبتة، وبين الجهمية حتىٰ كان علماء أهل الحديث والسُّنة يُصنِّفون الكتب في الإثبات، ويقولون كتاب: «الرُّؤية والرَّدّ علىٰ الجهمية»، وكذلك الأحاديث التي تنكرها الجهمية من أحاديث الرُّؤية وما يتبعها، ويعدون من أنكر الرُّؤية مُعطِّلًا. اهـ

وقد صنَّف غيرُ واحدٍ في (الرُّؤية)، منهم: الآجري وسمَّاه: «التصديق بالنظر يوم القيامة» وضمنه كتابه «الشريعة»، والدارقطني: «كتاب الرؤية».

ولا يخلو كتابٌ مِن كتب الاعتقاد مِن باب لهذه المسألة الكبيرة، ومن ذلك: «الإبانة الكبرىٰ» (٧٥ / باب الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأَبصار رءوسهم فيكلمهم ويكلمونه لا حائل بينه وبينهم ولا تُرجمان)، واللالكائي (٢٤/ سياق ما فُسِّر من الآيات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أن المؤمنين يرون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بأبصارهم)، وعقد ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» أبوابًا كثيرة في إثباتِ (الرؤية). وسيأتي في كتاب «النقض» كثير من المباحث حول هذه المسألة، والتعليق عليها.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: آيات الرؤية في القرآن نحو عشرة، وهي ظاهرة ومستنبطة، مع ⇐

ففي هذا دَليلٌ أن الكفارَ كلَّهم مَحجوبون عن النظرِ إلىٰ الرحمن عزَّ وعلا، وأنَّ أهلَ الجنةِ غيرُ مَحجوبين عنه(١).

• قال رسول الله ﷺ: **«أيُّما والدٍ جَحَدَ ولدَه؛ احتجبَ اللهُ منه وفضحَه علىٰ رُؤوسِ الأوَّلينَ والآخِرين»**.

١١٦- حدثناه يحيىٰ الحِماني، ثنا عبد العزيز - يعني: الدراوردي -، عن

= النقل عن النبي ﷺ والصحابة للتفسير. «الصفات» لابن المحب (٤/ ١٤٦٦).

(١) في «حادي الأرواح» (٢/ ٦٩٧) قال ابن المبارك: ما حجبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أحدًا عنه إلَّا عذَّبه، ثم قرأ الآية ﴿... لَمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾. قال: بالرُّؤية.

- وعند اللالكائي (٧٦٣) سُئل الإمام الشافعي عن هذه الآية، فقال: ففي هذا دليلٌ علىٰ أن المؤمنين لا يُحجبون عن الله عَزَّوَجَلَّ.

- وفي «الشريعة» (٦٧٢) قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة. فغَضِبَ غضبًا شديدًا، ثم قال: مَن قال إنَّ الله تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة فقد كفر، عليه لعنةُ الله وغضبُه مَن كان مِن الناس، أليس الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]، هذا دليلٌ علىٰ أن المؤمنين يرون الله.

- وفيه (٦٧٣) قال حنبل بن إسحاق: سمعتُ أبا عبد الله يقول: قالت الجهمية: إن الله تعالىٰ لا يُرىٰ في الآخرة، وقال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]، فلا يكون هذا إلَّا أن الله تعالىٰ يُرىٰ.

- قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (٤/ ٤٨٥) في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]، أدلُّ دليل علىٰ الرُّؤية، لأنه لا يُخصُّ قومٌ بالاحتجاب عقوبةً لهم إلَّا ويَظهرُ لآخرين كرامةً لَهم، وهو بيِّنٌ. اهـ

يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن [٩٠/ ب] يونس، سَمِع المَقبُري، يُحدِّثُ قال: حدثني أبو هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقوله(١).

* قال أبو سعيد:

ففي هذا الحديث دليلٌ أنه إذا احتجبَ عن بعضِهم لم يَحتجب مِن بعضٍ.

• وقال رسولُ الله ﷺ: «سَترونَ ربَّكم عَزَّوَجَلَّ كما تَرون الشمسَ والقمرَ». فلم يَدَع لمتأوِّلٍ فيه مقالًا.

١١٧ - **حدثنا** أحمد بن يونس، ثنا أبو شهاب - وهو الحنَّاط -، قال: أخبرني إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، قال: كنا جلوسًا عند رسولِ الله ﷺ، فرفعَ رأسَه إلىٰ السماءِ ليلةَ البدرِ، فنظرَ إلىٰ القمرِ، فقال: «**أمَا إنكم سَترونَ ربَّكم عيانًا(٢) كما تَرون هذا، لا تُضامُّون في**

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٦٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٦٤٥)، وابن ماجه (٢٧٤٣).

وفي إسناده: عبد الله بن يونس، قال الدارقطني في «العلل» (٢٠٦٢): لا أعرفه إلَّا في هذا الحديث. اهـ

وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر ذكره الدارقطني في «العلل» (٢٠٦٢)، وبيَّن ضَعفه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (١٤٢٦/٤) بعد ذكره لهذا الحديث وما فيه من التصريح بقوله (عيانًا): تحقيقًا لثبوت الرُّؤية، ونفيًا لاحتمال ما يوهم خلافها، فأتىٰ بغاية البيان والإيضاح. اهـ

قلت: وهذا النصُّ فيه ردٌّ علىٰ الأشاعرة الذين يُفسِّرون الرؤية بزيادة يقين في ⇦=

رُؤيتِه، فإن استطعتُم أن لا تُغلبوا علىٰ صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غُروبها فافعلوا»(١).

= القلب لا أنها رؤية بالعين، كما سيأتي التنبيه عليه فيما سيأتي.

- وفي «الصفات» لابن المُحبّ (٨٥٠) عن عبد الله بن سُليمان الأشعث، ثنا أحمد بن صالح، ثنا أحمد بن صالح، ثنا عبد الله بن وهب، قال: قال مالك بن أنس: الناسُ ينظرون إلىٰ اللهِ يومَ القيامة بأعينهم.

قال ابن أبي داود: مَن لم يُؤمن بهذا فهو كافر.

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٤١)، والبخاري (٧٤٣٤و ٧٤٣٥)، ومسلم (٦٣٣).

ورواه الدارقطني في «الرؤية» (٩٧) عن زيد بن أبي أُنيسة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، والقمر طالع ليلة البدر، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنكم سَتُعاينون ربّكم عَزَّوَجَلَّ في الجنةِ كما تُعاينون هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته ...**».

قال الدارقطني: جوَّده زيد بن أبي أُنيسة، عن إسماعيل بقوله: «**سَتُعاينون ربكم عَزَّوَجَلَّ كما تُعاينون هذا القمر**».

وكذلك رواه أبو شهاب الحنَّاط عبد ربه بن رافع، عن إسماعيل، فقال فيه: «**إنكم سَترونَ ربّكم عِيانًا**». اهـ

ورواية الحناط، عن إسماعيل؛ رواها البخاري في «صحيحه» (٧٤٣٥).

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٣٩٩) عن إسحاق بن بُهلُول الأنباري، قال: سمعت وكيعًا يقول: مَن رَدَّ حديث: إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ في الرُّؤيةِ؛ فاحسِبوه مِن الجهميةِ.

- وفيه (٤٠٠) قال يزيد بن هارون بعد روايته لحديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرؤية، قال: مَن كذَّبَ بهذا الحديث فهو بريء مِن الله عَزَّوَجَلَّ، ومِن رسول الله ﷺ.

- وفي «السُّنة» للخلال (١٧٠٩) قال عبيد الله الحلبي: سمعت أحمد =

١١٨- حدثنا بنحوه ابن المديني، عن سُفيان بن عُيينة، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ(١).

قال علي بن المديني: هي عندنا صلاةُ العصرِ، وصلاةُ الصبحِ إن شاء الله تعالىٰ.

قال: حدثنا به سِتَّةٌ عن إسماعيلَ: سفيانُ، وهُشيمٌ، ووكيعٌ، والمُعتمرُ، وغيرُهم.

قال عليٌّ: لا يكونُ الإسنادُ أجودَ مِن ذا(٢).

١١٩ - حدثنا محمد بن عبد الله الخُزاعي أبو عبد الله البصري، وأبو سلمة، - واللفظ لفظ محمد -، قالا: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن صُهيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: «**إذا دَخَلَ أهلُ الجنةِ**

=
- وحدثني بحديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرؤية -، فلما فرغ قال: علىٰ الجهمية لعنة الله.

- وفي «الصفات» لابن المُحبِّ (١٠٢٨) قال أبو بكر طاهر بن عبد الله بن ماهلة في كتاب «قيام الليل»، عن سلمة بن شَبيب يقول: سألت إسحاق بن راهويه عن هذه الأحاديث التي جاءت في الرؤية الصِّحاحُ، ما تقول فيه؟

قال: مَن ردَّ هذه الأحاديث الصِّحاح، مثل: جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و «**اللهُ ينزلُ إلىٰ سماءِ الدنيا**»؛ فمَن ردَّها فقد كفر.

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٤٢).

(٢) وقال في «النقض» (٤٢): حدثنا ابن المديني، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بإسناده مثله. قال ابن المديني: لا يكون مِن الإسناد شيءٌ أجود من هذا.

الجنةَ، ودخلَ أهلُ النارِ النارَ، نادىٰ مُنادي: يا أهلَ الجنةِ، إن لكم عندَ الله مَوعِدًا يُريدُ أن يُنجِزَكُموه.

قال: فيُقالُ: ما هو؟ ألم يُبيِّض وجُوهنا؟ ويُثَقِّل موازيننا؟ وأدخلنا الجنة؟ وأجارنا مِن النارِ؟».

قال: «فيَكشِفُ الحِجابَ، فيتجلَّىٰ لهم تبارك وتعالىٰ».

قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما أعطاهم شيئًا هو أحبُّ إليهم ولا أقرُّ لأعيُنِهم مِن النظرِ إلىٰ وجهِ الله تبارك وتعالىٰ»(١).

١٢٠ - حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حمادٌ - يعني: ابن سلمة -، ثنا يعلىٰ بن عطاء، عن وكيع بن حُدس، عن أبي رَزِين العُقيلي، قال: قلتُ: يا رسول الله، أكُلُّنا يرىٰ ربَّه يومَ القيامةِ؟ وما آيةُ ذلك في خلقِهِ؟

قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا رَزِينٍ، أليسَ كُلُّكم يَرىٰ القمرَ مُخليًا به؟». قلتُ: بلىٰ. قال: «فاللهُ أعظمُ»(٢).

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣١٨)، وأحمد (١٨٩٣٥)، ومسلم (١٨١).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٤٢٨ و٤٢٩). وهو حديث صحيح.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٤٣): فقد أخبر النبي ﷺ أن الله يُرىٰ يوم القيامة لمَّا سأله، وسأله عن آيةِ ذلك في خلقه، والآية: العلامة والدَّلالة، وهو ما يُعلمُ به ويدلُّ علىٰ جوازِ ذلك، فذكرَ له النبيُّ ﷺ ما يدلُّ بطريق قياس التنبيه والأولىٰ، وقد قدَّمنا غير مرَّة أن مثل هذا القياس في قياس الغائبِ علىٰ الشاهد هو ممَّا وردَ في الكتابِ والسُّنةِ، فقال: أليس كُلُّكم يرىٰ القمر مُخليًا به ليلة ⇐

١٢١ - حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا إبراهيم - وهو ابن سعد -، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة ﵁، قال: قال الناسُ: يا رسولَ الله، هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ؟

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هل تُضارُّون**(١) **في الشمسِ ليس دونها سَحابٌ؟**». قالوا: لا.

قال: «**فهل تُضارُّون في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دونَه سحابٌ؟**».

قالوا: لا.

قال(٢): «**فكذلك تَرونَ ربَّكم يومَ القيامة، إنَّ اللهَ يجمعُ الناسَ يومَ**

=

البدر؟ قال: «**فالله أعظمُ وأجلُّ**»، وقال: «**إنما هو خلق مِن خلقِ الله**»، «**وذلك آيته في خلقه**». وإثباته ﷺ جواز الرؤية لجميع الخلق في وقتٍ واحدٍ، وكل منهم يكون مُخليًا به بالقياس علىٰ رؤية القمر، مع قوله: «**والله أعظمُ وأجلُّ**»، دليل واضح علىٰ أن الناس يرونه مواجهة عيانًا، يكون بجهةٍ منهم، وأنه إذا أمكن في بعضِ مخلوقاته أنه يراه الناس في وقتٍ واحدٍ كلهم يكون مُخليًا به، فالله أولىٰ أن يمكن ذلك فيه، فإنه أعظمُ وأجلُّ. اهـ

(١) قال أبو الفتوح الطائي في «الأربعين الطائية» (ص١٢٠): «**لا تضارون في رؤيته**»، بروايتين: بتشديد الراء، وتخفيفها.

فإذا شددت الرّاء؛ فمعناها: لا تَخالفون، أي: لا يُخالف بعضكم بعضًا، فيقول واحدٌ: هو ذاك، ويقول الآخرُ: ليس بذاك، كما في رُؤية الأهلة.

وقال بعضهم: معناه: لا تضايقون، والمُضارّة: المضايقة، والضِّرار: الضيق... وأمَّا تخفيف الراء؛ فهو مِن الضَّير، و(الضَّير): الضُّرُّ. اهـ

(٢) في الأصل: (قالوا).

القيامةِ، فيقول: مَن كان يعبُدُ شيئًا فليتَّبِعه، فيَتَّبِعُ مَن كان يعبُدُ الشمسَ الشمسَ، ومَن كان يَعبدُ القمرَ القمرَ، ومَن كان [٩١/أ] يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقىٰ هذه الأمةُ فيها منافقوها». وساق الحديث إلىٰ قوله: «هذا مكانُنا حتىٰ يأتيَنا ربُّنا، فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه، فيأتيهم اللهُ في الصورةِ التي يَعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيَتَّبِعونه».

قال عطاء بن يزيد في آخر الحديث: قال أبو سعيد - يعني: الخدري -، وهو مع أبي هريرة رضي الله عنهما حين حدَّث بهذا الحديث، لا يردُّ عليه شيئًا مِن حديثه، حتىٰ إذا قال: «ذلك له، ومثلُه معَه».

قال أبو سعيد رضي الله عنه: أشهدُ لحفظتُه مِن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «ذلك له، وعشرةُ أمثالِه»(١).

١٢٢ - حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، ثنا مَعمر، عن الزُّهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم بنحوه(٢).

١٢٣ - وحدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال: حدثني الليث، قال: حدثني هشام بن سعد(٣)، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٩)، والبخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٨).

(٣) في الأصل: (سعيد)، والصواب ما أثبته.

فقال رسول الله ﷺ: «**هل تُضارُّون في الشمسِ في الظهيرةِ صَحوًا ليس فيها سحابٌ؟**». قال: قلنا: لا.

قال رسول الله ﷺ: «**فهل تُضارُّون في رُؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ صَحوًا ليس فيها سحابٌ؟**». قال: فقلنا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: «**فما تُضارُّون في رؤيتِه يومَ القيامةِ إلَّا كهيئةِ ما تُضارُّون في رُؤيةِ أحدِهما**»(١).

١٢٤ - حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - يعني: ابن سلمة -، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، أنه كان عند عمر بن عبد العزيز، فأتاه أبو بُردة ابن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، فقضىٰ له حوائِجَه، فلمَّا قضىٰ رَجَعَ، فقال عمر: ادّكرَ الشيخُ؟

فقال له عمر: ما ردَّك؟! ألم تُقضَ حوائجُكَ؟

قال: بلىٰ، ولكن ذكرتُ حديثًا حدثناه أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يَجمعُ اللهُ الأُممَ يومَ القيامةِ في صعيدٍ واحدٍ، فإذا بدا له أن يَصدعَ بين خلقِه مَثَّلَ لكلِّ قومٍ ما كانوا يَعبدون، فيُدرِجُونَهم حتىٰ يُقحِموهم النار، ثم يأتينا ربُّنا، ونحن في مكانٍ [رفيعٍ]، فيقول: مَن أنتم؟ فنقول: نحن المؤمنون. فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظرُ ربَّنا، فيقول: من أين تعلمون أنه ربُّكم؟ فيقولون: حَدَّثتنا الرُّسُلُ، أو جاءتنا، أو ما أشبَه معناه، فيقولُ: هل تَعرِفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نَعم، فيقولُ: كيف تَعرِفونه ولم**

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٤٠)، والبخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٢).

تَروه؟ فيقولون: نعم، إنه لا عِدْلَ له، فيتجلَّىٰ لنا ضَاحِكًا، ثم يقول تبارك وتعالىٰ: أبشِرُوا معشرَ المسلمين، فإنه ليس منكم أحدٌ إلَّا قد جعلتُ مكانه في النارِ يهوديًّا أو نصرانيًّا».

فقال عمرُ لأبي بُردة: والله لقد سمعتَ أبا موسىٰ ﵁ يُحدِّثُ بهذا الحديث عن رسولِ الله ﷺ؟ قال: نعم[1].

١٢٥ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا النضر بن شُميل، ثنا أبو نَعامة العدوي، قال: ثنا أبو هُنَيْدَةَ البراء بن نوفل، عن والانَ[2] العدوي، عن حُذيفة ﵁، عن أبي بكر الصديق ﵁ في حديث الشفاعة، قال: قال رسول الله ﷺ. [٩٢/أ] وساقَ إسحاقُ الحديثَ إلىٰ قوله: «يَخِرُّ[3] ساجِدًا قدرَ جُمعةٍ، فيقولُ الله تبارك وتعالىٰ: يا محمد، ارفع رأسَكَ، وقُل يُسمَع، واشفع تُشفَّع»، فيرفعُ رأسَه، فإذا نظرَ إلىٰ ربِّه خرَّ ساجِدًا قدرَ جُمعةٍ أُخرىٰ[4].

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٥٤)، وابنه عبد الله في «السُّنة» (٤٤٥)، وعبد بن حُميد (٥٤٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٣٩)، والآجري في «الشريعة» (٧٠٣ و٧٠٤)، والحديث إسناده ضعيف، ولكن لمتنه شواهد صحيحة. وما بين [ ] ممن خرَّجه.

(٢) في الأصل: (البرار نوفل، ولان)، والتصويب مما سيأتي برقم (٢٠٢).

(٣) في الأصل: (فليخر).

(٤) رواه أحمد (١٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٦٨)، وأبو عوانة في «المُستخرج» (٥١١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٧٦).

وذكر ابن حبان عَقِبَ هذا الحديث: قال إسحاق: هذا مِن أشرف الحديث، وقد روىٰ هذا الحديث عِدَّة عن النبي ﷺ نحو هذا، منهم: حُذيفة، وابن مسعود، ⇦=

١٢٦ - **حدثنا** حيوة بن شُريح الحمصي، ثنا بقيَّة، ثنا بَحِيرٌ - وهو ابن سعدٍ -، عن خالد - وهو ابن مَعْدان -، عن عَمرِو بن الأسود، عن جُنادة بن أبي أُمَيَّة، أنه حدَّثهم: عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنَّكم لن تَروا ربَّكم حتىٰ تَموتُوا»**(١).

١٢٧ - **حدثنا** نُعيم بن حماد، عن ابن المُبارك، عن مَعمرٍ، عن الزُّهريِّ، عن علي بن الحُسين: أن رجُلًا مِن أهل العلمِ أخبرَه: أن رسول الله ﷺ قال: **«تُمَدُّ الأرضُ يومَ القيامةِ مَدَّ الأديمِ(٢)، فأكونُ أولَ مَن أُدعىٰ، فأخِرُّ ساجِدًا، حتىٰ يأذنَ اللهُ لي برفعِ رأسي، فأرفعُ، ثم أقومُ وجِبريلُ عن يمينِ الرحمنِ، لم يرَ الرحمنَ تبارك اسمه قبلَ ذلك»**(٣).

= وأبو هريرة رضي الله عنه، وغيرهم. اهـ

قال البزار في «مسنده» (٧٦): هذا الحديث حديثٌ فيه رجلان لا نعلمهما رويا إلَّا هذا الحديث، أبو هنيدة البراء بن نوفل، فإنا لا نعلم روىٰ حديثًا غير هذا، وكذلك والَان، لا نعلم روىٰ إلَّا هذا الحديث، علىٰ أن هذا الإسناد مع ما فيه من الإسناد الذي ذكرنا، فقد رواه جماعةٌ مِن جِلّة أهل العلمِ بالنقل واحتملوه. اهـ

وذكر الدارقطني في «العلل» (١٤) الخلاف الواقع في إسناده، وقال: والان غير مشهور إلَّا في هذا الحديث، والحديث غير ثابتٍ. اهـ

(١) رواه أحمد (٢٢٧٦٤)، وأبو داود (٤٣٢٠)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٩٨٤).

وروىٰ البخاري ومسلم نحوه كما سيأتي برقم (١٣١).

(٢) (الأديم): الجلد.

(٣) فيه رجل لم يُسم، وقد يكون صحابيًا.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٢)، =

١٢٨- **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - يعني: ابن سلمة -، عن علي بن زيد، عن أبي نَضرة، قال: خطبنا ابنُ عباس رضي الله عنهما علىٰ هذا المنبر بالبصرةِ، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ما [مِن] نبيٍّ إلَّا له دعوةٌ تعجَّلها في الدنيا، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يومَ القيامةِ، وأنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ، وأولُ مَن تَنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخرَ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، وآدمُ ومَن دونَه تحتَ لوائي ولا فخرَ**».

قال رسول الله ﷺ: «**فيطولُ ذلك اليومُ علىٰ الناسِ، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: انطلقوا بنا إلىٰ آدمَ أبي البشرِ، فليشفع لنا إلىٰ ربِّنا**».

وساق الحديث إلىٰ قوله: «**فآتي بابَ الجنةِ، فآخُذُ بحلَقَةِ البابِ، فأقرَعُ البابَ، فيُقال: مَن أنت؟ فأقولُ: أنا محمدٌ، فيُفتحُ البابُ، فآتي ربي وهو علىٰ كُرسيِّه، أو علىٰ سَريرِه، فيتجلَّىٰ لي ربي، فأخِرُّ له ساجدًا**». وساق أبو سلمة الحديث بطوله إلىٰ آخره(١).

١٢٩ - **حدثنا** عبد الغفار بن داود الحراني أبو صالح، ثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، قال: سألت جابرًا رضي الله عنه عن الوُرُودِ، فأخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**نحن يومَ القيامةِ علىٰ كومٍ فوقَ الناسِ، فتُدعىٰ الأُممُ بأوثانِها وما**

=

عن علي بن الحُسين، عن النبي ﷺ، وهو حديث مرسل.

وقد تقدم برقم (٨٢) ما يشهد بأن جبريل عليه السلام لم ير ربه قبل يوم القيامة.

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٨) مختصرًا، ورواه أحمد (٢٥٤٦)، والطيالسي (٢٧١١)، وابن أبي شيبة (٣٧١٦٦)، واللالكائي (٧٨٩)، وما بين [ ] منه.

وأصله في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما.

كانت تعبدُ، الأولَ فالأولَ، ثم يأتينا ربُّنا بعدَ ذلك، فيقول: ما تَنتظِرون؟ فيقولون: نَنتظِرُ ربَّنا، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتىٰ ننظُرَ إليك، فيَتجلَّىٰ لهم يَضحكُ، فيتَّبِعونَه»(١).

١٣٠ - حدثنا هشام بن خالد الدمشقي، ثنا محمد بن شعيبٍ وهو ابن شابورٍ، ثنا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفرة، قال: سمعتُ أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريلُ وفي يدِه كهيئةِ المِرآةِ البيضاءِ، وفيها نُكتةٌ سَوداءُ، فقلت: ما هذه يا جبريلُ؟ قال: هذه الجُمعةُ، بَعَثَ بها إليك ربُّك، تكونُ عيدًا لك ولأُمَّتِكَ مِن بعدِك.

قلتُ: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خيرٌ كثيرٌ، أنتم الآخِرون السابقون يومَ القيامةِ، وفيها ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ يُصلِّي يسألُ اللهَ شيئًا إلَّا أعطاه.

قلتُ: [٩٢/أ] ما هذه النُّكتةُ السَّوداءُ؟ قال: هذه الساعةُ، تكونُ يوم الجمعةِ، وهو سيِّدُ الأيامِ، ونحن نُسمِّيهِ عندنا يومَ المزيدِ.

قلت: وما المزيدُ يا جبريل؟

قال: ذلك بأنَّ ربك اتخذَ في الجنةِ واديًا أفيحَ، مِن مِسكٍ أبيضَ، فإذا كان يومُ الجمعةِ مِن أيَّامِ الآخرةِ، هبطَ الربُّ تباركَ وتعالىٰ عن عرشِه إلىٰ كُرسيِّه، وحُفَّ الكُرسيُّ بمنابرَ من نورٍ، فيَجلسُ عليها النبيون، وحُفَّ المنابرُ بكراسيِّ مِن ذهبٍ، [فيجلسُ] عليها الصِّديقون والشُّهداءُ، ويَهبطُ أهلُ الغُرفِ مِن غُرفِهم، فيَجلسون علىٰ كُثبانِ المسكِ، لا يرون لأهل المنابرِ والكراسيِّ

(١) رواه مسلم (١٩١) من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه.

عليهم فضلًا في المجلسِ، ثم يتبدَّىٰ لهم ذو الجلالِ والإكرامِ، فيقول: سَلوني. فيقولون بأجمعهم: نَسألُك الرِّضا، فيُشهِدُهم علىٰ الرِّضا، ثم يسألونه حتىٰ تنتهي نهيةُ كلِّ عبدٍ منهم، ثم يُسعىٰ عليهم بما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بشرٍ، ثم يرتفعُ الربُّ عن كُرسيِّه إلىٰ عرشِه، ويرتفعُ أهلُ الغُرَفِ إلىٰ غُرفهم، وهي غُرفةٌ مِن لؤلؤةٍ بيضاءَ، أو زَبَرجدةٍ خَضراءَ، أو ياقوتةٍ حَمراءَ، ليس فيها قَصمٌ، ولا وَصمٌ، مُطَّرِدةٌ أنهارُها، مُتدلِّيةٌ فيها ثِمارُها، فيها أزواجُها وخدمُها ومساكنُها، فليس أهلُ الجنةِ إلىٰ شيءٍ أشوقَ منهم إلىٰ يوم الجمعةِ ليزدادوا(١) قُربًا مِن اللهِ ورِضوانًا»(٢).

١٣١ - **حدثنا** عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن سالم، [عن](٣) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قامَ للناسِ فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهلُه، ثم ذكرَ الدَّجَّالَ، فقال: «لا أدري أتُدرِكونه، ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أنذرَه قومَه، لقد أنذرَه نوحٌ قومَه، ولكنِّي أقولُ لكم قولًا لم يَقُله نبيٌّ لقومِه: تعلمون أنه أعورُ، وأنَّ الله ليس بأعورَ».

قال الزُّهري: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعضُ أصحابِ النبيِّ ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ قال يوم حذَّرَ الناسَ: «إنه مكتوبٌ بينَ عَينيه: كافِرٌ، يقرَؤه مَن كَرِهَ عَملَه»، أو: «يَقرأُه كلُّ مؤمنٍ».

---

(١) في الأصل: (ليزداوا).

(٢) تقدم تخريجه برقم (١٠٤).

(٣) في الأصل: (بن).

وقال: «تَعلَّمُنَّ أنه لن يرىٰ أحدُكم ربَّه حتىٰ يموتَ»(١).

١٣٢ - حدثنا سُليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه: أن عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما صلَّىٰ بأصحابِه صَلاةً أوجَزَ فيها، فقيلَ له: خَفَّفت.

فقال: أمَا إني قد دعوتُ فيها بدُعاءٍ سمعته مِن رسولِ اللهِ ﷺ.

ومضىٰ، فتَبِعه رجُلٌ فسألَه عن الدُّعاءِ، ثم رجعَ إلىٰ القومِ فأخبرَهم، فقال: «**اللهم إني أسألُك بعلمِكَ الغيبَ، وقُدرتِك علىٰ الخلقِ، أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيرًا لي، وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشهادةِ، وأسألُكَ كلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرِّضا، وأسألُكَ القصدَ في الفقرِ والغِنىٰ، وأسألُكَ نَعيمًا لا يَنفدُ، وأسألُك قُرَّةَ عينٍ لا تَنقطعُ، وأسألُكَ الرِّضا بعد القضاءِ، وأسألُكَ بَردَ العيشِ بعد الموتِ، وأسألُكَ لذَّةَ النظرِ إلىٰ وجهِكَ، وأسألُكَ الشوقَ إلىٰ لقائِكَ، في غيرِ ضرَّاءَ مُضرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضلَّةٍ، اللهم زيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهتدِين**»(٢). [٩٣/ ب]

١٣٣- حدثنا أحمد بن يونس، ثنا أبو شهاب - وهو الحنَّاط -، قال: أخبرني خالد بن دينار النّيلي، عن حماد بن جعفر، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «**ألا أُخبرُك بأسفلِ أهلِ الجنةِ ..**»، وساق أحمد الحديث بطُولِه، قال: «حتىٰ

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٧ و٧١٢٧)، ومسلم (٢٩٣١). وما بين [ ] منهما.

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣١٨)، وأحمد (١٨٣٢٥)، وابنه عبد الله في «السُّنة» (٤٤٩)، والنسائي (١٣٠٦)، وابن أبي عاصم في «السُّنة»، وأبو يعلىٰ في «المسند» (١٦٢٤). وهو حديث صحيح.

إذا بلغَ النعيمُ منهم كلَّ مَبلغٍ، وظنُّوا أن لا نَعيمَ أفضلُ منه، تجلَّىٰ لهم الربُّ، فنظروا إلىٰ وجهِ الرحمن».

قال أحمد: قلتُ لأبي [شهابٍ]: حديث خالد بن دينار هذا في ذكر الجنة: رَفعَه؟ قال: نعم(١).

١٣٤ - حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، وأبو بكر بن أبي شيبة، قالا: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن نِمران، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

قال: النظرُ إلىٰ وجه الله عَزَّوَجَلَّ(٢).

١٣٥- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن مسلم بن يزيد، عن حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: النظرُ إلىٰ وجهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(٣).

١٣٦ - حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، وسليمان بن حرب، قالا: ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٢١)، وعبد بن حُميد (٨٥١)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٤٢)، والدارقطني في «الرؤية» (١٩٣).

وقد احتجَّ به المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في «النقض» علىٰ إثبات وجه الله تعالىٰ والرد علىٰ مَن تأوَّل الوجه بالقبلة أو الأعمال الصالحة.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٤٥٣). وقد جمع روايات أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: الدارقطني في «الرُّؤية» (ص ٢٨٩ - ٢٩٣)، وهي صحيحة عنه.

(٣) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٢٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥٦).

وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، قال: (الحُسنىٰ): الجنةُ، و(الزيادةُ): النظرُ إلىٰ وجهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لا يُصيبُهم بعد النظرِ إليه قترٌ ولا ذِلَّة(١).

١٣٧- حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، ثنا أبو معاوية، عن جُويبر، عن الضَّحَّاك: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، قال: النظرُ إلىٰ وجهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(٢).

١٣٨- حدثنا أحمد بن يونس، ثنا فُضيل - يعني: ابن عياض -، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد في قوله تعالىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، قال: (الزيادةُ): النظرُ إلىٰ وجه ربِّهم عَزَّوَجَلَّ(٣).

١٣٩- حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا وكيع، عن أبي بكر الهُذلي، عن أبي تَميمة(٤) الهُجيمي، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (الزيادةُ): النظرُ إلىٰ وجهِ الرَّبِّ(٥).

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٢٦).

- قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (١٥/ ٧٢): يعني عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، لا يغشىٰ وجوههم كآبة، ولا كسوف، حتىٰ تصير من الحزن كأنما علاها قترٌ. و(القتر): الغبار .. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: ولا هوان. اهـ

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٢٤)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٤٤)

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥٥).

(٤) في الأصل: (تميم)، والتصويب من «النقض».

(٥) رواه في «النقض» (٣٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٧٨)، واللالكائي (٧٣٨).

١٤٠- حدثنا محمد بن المنهال البصري، ثنا يزيد بن زريع، عن سليمان التيمي، عن أسلم، عن أبي مُرَيَّة(١)، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: رآهم أبو موسىٰ وهم يَنظرون إلىٰ الهلالِ، فقال: كيفَ ربُّكم إذا رأيتموه جَهرةً؟(٢).

١٤١ - حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - يعني: ابن سلمة -، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه كان يقولُ في دُعائِه: اللهم إني أسألُكَ لذَّةَ النظرِ إلىٰ وجهِكَ، وشَوقًا إلىٰ لقائِكَ(٣).

١٤٢- حدثنا شيخٌ مِن أهل بغدادَ، ثنا شريك، عن عثمان بن أبي اليقظان(٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق]، قال: يَتجلَّىٰ لهم كلَّ جمعةٍ(٥).

---

(١) في الأصل: (عن أسلم بن أبي مرية).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٤٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٦٢).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٤٤): كون الله يُرىٰ بجهةٍ مِن الرائي : ثبتَ بإجماع السلف والأئمَّة ...إلخ.

وذكر كثيرًا مِن الآثار، ومنها أثر أبي موسىٰ رضي الله عنه هذا.

- قال القاضي في «إبطال التأويلات» (٢/ ٢٨٦): في رواية أبي موسىٰ رضي الله عنه : (ترون الله جهرة)، وهذا يرفع الإشكال؛ لأن الرُّؤية وإن كانت تُستعمل في معنىٰ العلم، فإنها إذا قُرنت بلفظ: (الجهر) لم تحتمل العلم. اهـ

(٣) تقدم برقم (١٣٢).

(٤) كذا في الأصل، والصواب: (عثمان أبي اليقظان).

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٠٤).

١٤٣- حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد، عن جُويبر، عن الضَّحَّاك، قال: إنَّ الملائكةَ إذا أخذوا بأصواتٍ مِن تَحميدٍ، وتَقديسٍ، وثناءٍ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فليس شيءٌ أطربَ منه، ليس النظرَ إلىٰ اللهِ(١).

١٤٤- حدثنا محمد بن منصور- الذي يقال له: الطوسي مِن أهل بغداد - ثنا علي بن شقيق، أنبا حُسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة]، قال: يَنظرونَ إلىٰ اللهِ نَظرًا(٢). [٩٣/ أ]

١٤٥ - حدثنا الزُّهراني أبو الربيع، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن كعب، قال: ما نظرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الجنةِ إلَّا قال: طِيبي لأهلك. فزادت طيبًا علىٰ ما كانت، وما مرَّ يومٌ كان لهم عيدًا في الدنيا إلَّا يخرجون في مقدارِه في رياضِ الجنةِ، ويَبرز لهم الربُّ ينظرون إليه، وتُسفي عليهم الريحُ بالطيبِ والمِسكِ، فلا يسألون ربَّهم شيئًا إلَّا أعطاهم، فيَرجعون إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا علىٰ ما كانوا عليه مِن الحُسنِ والجمالِ سَبعين ضِعفًا(٣).

١٤٦ - حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري، أنبا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري، قال: كتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلىٰ بعضِ أُمراءِ الأجنادِ: أما بعدُ، فإني أوصيك بتقوىٰ الله، وطاعتِه، والتمسُّكِ بأمره، والمُعاهدةِ علىٰ

(١) لم أقف عليه. والمُراد به: ليس شيء أطرب وأفضل من سماع صوت الملائكة إلَّا النظر إلىٰ وجه الرب تبارك وتعالىٰ في الجنة.
(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٦٥).
(٣) رواه الآجري في «الشريعة» (٦٨٨).

ما حمَّلَكَ اللهُ مِن دينِه، واستحفظكَ مِن كتابِه، فإنَّ بتقوىٰ الله: نَجَا أولياؤه مِن سخطِه، وبها تَحِقُّ لهم ولايتُه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نضِرت وجوههم، ونظروا إلىٰ خالقهم(١).

١٤٧ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذه الأحاديثُ كلُّها وأكثرُ منها قد رُويت في الرُّؤيةِ، علىٰ تصديقها والإيمانِ بها أدركنا أهل الفقهِ والبصرِ مِن مشايخنا(٢).

ولم يزل المسلمون قَدِيمًا وحَدِيثًا يَروُونها، ويؤمنون بها، لا يَستنكِرونها،

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٧٨)، وذكره ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٠١) بدون إسناد.

(٢) عند اللالكائي (٨٠١) قال يحيىٰ بن معين: عندي سبعةَ عشرَ حديثًا في الرُّؤية كلُّها صِحاحٌ.

وقد جمعها اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول اعتقاد السنة» (٨٠٠)، ثم قال: فحَصل في الباب ممَّن روىٰ عن رسول الله ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم حديث الرُّؤية: ثلاثٌ وعشرون نفسًا.. إلخ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح» (٢/ ٧١٣): قد دلَّ القران والسُّنة المتواترة، وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام ..: علىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ يُرىٰ يوم القيامة بالأبصار عِيانًا، كما يُرىٰ القمر ليلة البدرِ صَحوًا، وكما تُرىٰ الشمس في الظهيرة، فإن كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة - وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة - فلا يمكن أن يروه إلَّا مِن فوقهم .. وإن لم يكن لِمَا أخبر به حقيقة - كما يقوله أفراخ الصابئة، والفلاسفة، والمجوس، والفِرعونية - بطل الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث، هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلَّغها هو الذي بلَّغ الدين... إلخ

ولا يُنكِرونها، ومَن أنكرَها مِن أهلِ الزيغِ نَسبوه إلىٰ الضلالِ(١).

---

(١) روىٰ المُصنِّف في «النقض» (٤٣) عن علي بن خشرم قال: مَن نازعَ في حديث الرُّؤية ظهرَ أنه جهميٌّ.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٣٢) قال وكيعٌ: مَن كذَّبَ بحديثِ الرُّؤية فهو جهميّ، فاحذروه.

- قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد في الآخرة، ومَن أنكر رؤية المؤمنين خالقهم يوم المعادِ فليسوا بمؤمنين عند المؤمنين، هم أسوأ حالًا في الديانة من اليهود والنصارىٰ والمجوس، كما قال ابن المُبارك: نحن نَحكي كلام اليهود والنصارىٰ ولا نقدرُ أن نحكي كلام الجهمية.

- وقال أحمد بن صالح المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أنكر الرُّؤية فهو كافر بالله.

- وعن أبي زرعة وأبي حاتم: مَن قال: إنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرةِ فهو كافر.

[كل ما تقدم من «الصفات» لابن المُحبّ (ص ١٤٦٥)].

- وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «سؤالاته لابن المديني» (١١٣): سمعت عليًا -يعني ابن المديني- علىٰ المنبر يقول: ومن زعمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرىٰ فهو كافر.

- وفي «طبقات علماء إفريقية» (ص٨٢) عن يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ بن سلَّام، قال: حدَّث أسد بن الفرات يومًا بحديث فيه رؤية الله تبارك وتعالىٰ يوم القيامة، وسليمان الفراء [المعتزلي] في مؤخَّر المجلس، فتكلَّم الفرَّاء وأنكر، فسمعه أسدٌ، فقامَ إليه، وجمع بين طوقه ولحيته، واستقبله بِنعلِه، فضربَه ضربًا شديدًا حتىٰ أدماه.

- قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٦٦٥): وكان ممَّا بيَّنه لأُمَّته في هذه الآيات: أنه أعلمهم في غيرِ حديثٍ: «**إنكم ترون ربكم تعالىٰ**»، رواه عنه جماعة من صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقبِلَها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قَبِلوا عنهم علم الطهارة، ⇐

بل كان مِن أكبرِ رَجائهم، وأجزلِ ثوابِ اللهِ في أنفسهِم: النظرُ إلىٰ وجهِ خالِقِهم، حتىٰ ما يَعدلون به شيئًا مِن نعيمِ الجنةِ(١).

وقد كلَّمتُ بعضَ أولئك المُعطِّلةِ وحدَّثته ببعضِ هذه الأحاديث، وكان ممَّن يَتزيَّنُ بالحديثِ في الظاهرِ، ويدَّعي معرفتَها، فأنكرَ بعضها، وردَّ ردًّا عنيفًا(٢).

قلتُ: قد صحَّت الآثارُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فمَن بعدَه مِن أهلِ العلمِ، وكتابُ اللهِ الناطقُ به، فإذا اجتمعَ الكتابُ، وقولُ الرسولِ، وإجماعُ الأُمةِ لم

= والصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والجهاد، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار: أن المؤمنين يرون الله تعالىٰ، لا يشكُّون في ذلك، ثم قالوا: من ردَّ هذه الأخبار فقد كفر. اهـ

(١) في «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٤٧٠) قال الحسن البصري: لو علِمَ العابدون في الدُّنيا أنهم لا يرون ربهم عَزَّوَجَلَّ في الآخِرةِ لذابت أنفسُهم في الدُّنيا.

- وفي «الشريعة» (٦٦٧) عن الحسن قال: إن الله تعالىٰ ليتجلَّىٰ لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نَسوا نعيم الجنة.

(٢) وهذا حالهم في كلِّ وقتٍ، ومِن ذلك: ما حكاه القُرطبي في «التذكرة» وهو يتكلَّم عن حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صعودِ روح الميِّت إلىٰ السَّماء، وفيه: «أنه ينتهي به إلىٰ السَّماء التي فيها الله»، قال: وقد كنتُ تكلّمتُ مع بعضِ أصحابنا القُضاة ممَّن له عِلم ونظر! ومعنا جماعة مِن أهل النّظرِ فيما ذكره أبو عمر بن عبد البر مِن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فذكرتُ له هذا الحديث، فما كان منه إلّا أن بادرَ إلىٰ عَدَمِ صِحّته، ولعن رواتِهِ !!. اهـ

وسيأتي تحت رقم (١٨١) موقف إمام المعتزلة عَمرو بن عُبيد من حديث الصادق المصدوق ورده له، وتكذيبه لرواته.

يبقَ لمُتأوِّلٍ عندها تأوُّلٌ، إلَّا لمُكابرٍ أو جاحِدٍ(١).

أمَّا الكتاب:

• فقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة](٢).

• وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين].

ولم يقل للكفار: «محجوبون» إلَّا وإن المؤمنين لا يُحجبون عنه، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبين عن اللهِ كالكفَّارِ، فأيُّ توبيخٍ للكُفَّارِ في هذه الآيةِ إذا كانوا هم والمؤمنون جميعًا عن اللهِ يومئذٍ محجوبون؟(٣).

---

(١) وممَّن عاند ولبَّس في مسألة الرؤية: الأشاعرة، فقد وافقوا أهل السنة في الظاهر فأثبتوا رؤية الله تعالىٰ في الآخرة، ثم قالوا: هذه الرؤية مِن غيرِ مقابلة، ولا جهةٍ، فرجع قولهم إلىٰ الإنكارِ، وإذا قلتَ لهم: ما هذه الرؤية التي تثبتونها يوم القيامة؟ قالوا: هي زيادة علمٍ ويقينٍ في قلبِ المؤمن، لا رُؤية الأبصار.

فرجعَ أمرهم إلىٰ إنكارِ حقيقة الرُّؤية التي يعرفها المؤمنون وإلىٰ قول الجهمية؛ ولكن بمذهب التلبيس والتدليس علىٰ العامَّةِ حتىٰ لا يفتضحوا.

وقد نقلتُ بعض أقوالهم في التعليق علىٰ كتاب «النقض» تحت (فقرة/ ١٢٢) لموافقتهم لتأويل المريسي في الرُّؤية.

(٢) قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (١٤١): أجمع أهل التأويل كابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة، ومِن التابعين: محمد بن كعب، وعبد الرحمن ابن سابط، والحسن بن أبي الحسن، وعكرمة، وأبو صالح، وسعيد بن جبير، وغيرهم أن معناه: إلىٰ وجه ربِّها ناظرةٌ، والآخرون نحو معناه. اهـ

(٣) قال ابن بطة في «الإبانة» (٢٥٧١): فزعم الجهمي بكُفره وجرأته علىٰ تكذيبه بكتاب ربِّه: أن الأبرار والفجَّار جميعًا محجوبون عن ربِّهم، وقد أكذبه كتاب الله حين فرَّق

⇦=

وأمَّا قول الرسول ﷺ:

• فقوله: «**لا تُضامون في رُؤيتِه، كما لا تُضامُّون في رُؤيةِ الشمسِ والقمرِ في الصحوِ**».

ثم ما روينا عن هذه الجماعةِ مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ والتابعين.

فهل عندكم ما ردَّ ذلك مِن كتابٍ، أو سُنَّةٍ، أو إجماعٍ مِن الأُمَّةِ؟

١٤٨- فاحتجَّ بحديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**نورٌ أنَّىٰ أراه**»(١).

= بين الأبرار والفجَّار. ولو كان الخلق كلهم محجوبين لما كان علىٰ الفُجَّارِ في احتجاب ربِّهم نقصٌ، ولا كان ذلك بضائرهم ولا بصائرهم إلىٰ حال مكروهة ولا مذمومة، إذ هم والنبيون والشُّهداء والصَّالحون كلهم عن ربهم محجوبون. اهـ

وقد تقدم التعليق علىٰ هذه الآية برقم (١١٥).

وقوله: (يومئذٍ محجوبون) كذا في الأصل، الجادة: (محجوبين)

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (١٢٢)، وانظر تعليقه عليه ففيه زيادة بيان.

- ورواه مسلم (١٧٨) من حديث عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربَّك؟ قال: «**نورٌ أنَّىٰ أراه**».

- وروىٰ مسلم (١٧٨) عن عبد الله بن شقيق، قال: قلت لأبي ذر رضي الله عنه: لو رأيتُ رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أيِّ شيءٍ كنت تسأله؟

قال: كنتُ أسأله هل رأيتَ ربَّك؟

قال أبو ذرٍّ: قد سألتُ، فقال: «**رأيتُ نورًا**».

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٣/ ١٠٢٨): وفي معنىٰ الحديث قولان: أحدهما: أن معناه: (ثَمَّ نورٌ)، أي: فهناك نورٌ منعني من رؤيته، ويدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ شيئان: أحدهما: قوله في اللفظ الآخر في هذا الحديث: =

=

«رأيتُ نورًا»، فهذا النور الذي رآه هو الذي حال بينه وبين رؤية الذات.

الثاني: قوله في حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: «... **حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهىٰ إليه بصره**». رواه مسلم .. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: (احتجبَ الله من خلقه بأربع: بنار وظلمة ونور وظلمة).

المعنىٰ الثاني للحديث: أنه سبحانه نورٌ؛ فلا يمكنني رؤيته؛ لأن نوره الذي لو كشف الحجاب عنه لاحترقت السموات والأرض وما بينهما مانع من رؤيته.

- وقال في «اجتماع الجيوش» (ص ٢١): فسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: معناه كان ثَمَّ نورٌ، أو حال دون رُؤيتِه نورٌ فأنَّىٰ أراه.

قال: ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيح: هل رأيت ربك؟

فقال: «**رأيتُ نورًا**».

وقال ابن القيم: وقد أعضل أمر هذا الحديث علىٰ كثيرٍ من الناس حتىٰ صحَّفه بعضهم، فقال: (نورانيّ أراه) علىٰ أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا ومعنىٰ، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ: أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأىٰ ربه، وكان قوله: «**أنَّىٰ أراه**»، كالإنكار للرؤية، حاروا في الحديث، وردَّه بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكىٰ عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الردّ» له: إجماع الصحابة علىٰ أنه صلى الله عليه وسلم لم يَرَ ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنىٰ ابن عباس رضي الله عنهما من ذلك، وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلافٍ في الحقيقة، فإن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدىٰ الروايتين، حيث قال: إنه صلى الله عليه وسلم رآه، ولم يقل: بعيني رأسه. ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس رضي الله عنهما.

ويدلُّ علىٰ صحَّةِ ما قاله شيخنا في معنىٰ حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: «**حِجابه النور**»، فهذا النور هو- والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**رأيتُ نورًا**». اهـ

فقلت: هذا في الدنيا، وكلاهما قد قاله رسولُ اللهِ ﷺ، وتفسيرُهما بيِّنٌ في الحديثينِ جميعًا.

فقالت عائشة رضي الله عنها: مَن زعمَ أنَّ محمدًا [٩٣/أ] رأىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ فقد أعظمَ علىٰ الله الفرية، وتلت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام].

١٤٩- حدثناه عَمرو بن عون، عن هُشيم، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها(١).

١٥٠ - قال أبو سعيد:

وأنتم وجميعُ الأُمةِ تقول به: إنه لم يُرَ، ولا يُرىٰ في الدنيا، فأمَّا في الآخرةِ فما أكبرُ نعيمِ أهلِ الجنةِ إلَّا النظرُ إلىٰ وجهه، والخيبةُ لِمَن حُرِمَه.

وما تعجبون مِن أن كان اللهُ ولا شيءَ مِن خلقِه، ثم خلقَ الخلقَ، ثم استوىٰ علىٰ عرشِه فوقَ سمواتِه، واحتجبَ مِن خلقِه بحُجُبِ النارِ والظُّلمةِ، كما جاءت به الآثارُ، ثم أرسلَ إليهم رُسُلَه، يُعرِّفُهم نفسَه بصفاتِه المُقدَّسِ(٢)، ليبلوَ بذلك إيمانَهم أيهم يؤمنُ به ويعرفُه بالغيبِ ولم يَرَه، وإنما يُجزىٰ العبادُ علىٰ إيمانهم باللهِ بالغيبِ؛ لأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ لو تبدَّىٰ لخلقِه وتجلَّىٰ لهم في الدنيا لم يكن لإيمانِ الغيبِ هناك معنًى، لما أنه لم يَكفُر به عندها كافرٌ، ولا عصاه عاصٍ، ولكنه احتجبَ عنهم في الدنيا، ودعاهم إلىٰ الإيمانِ

(١) تقدم تخريجه برقم (٧٩).

(٢) كذا في الأصل، والجادة: (المقدسة).

به بالغيبِ، وإلىٰ معرفتِهِ، والإقرارِ بربوبيته؛ ليؤمنَ به مَن قد سبقت له منه السعادةُ، ويحقَّ القولُ علىٰ الكافرين.

ولو قد تجلَّىٰ لهم لآمنَ به مَن في الأرضِ كلُّهم جميعًا بغيرِ رُسلٍ، ولا كُتبٍ، ولا دُعاةٍ، ولم يعصوه طرفةَ عينٍ، فإذا كان يومُ القيامةِ: تجلَّىٰ لِمَن آمنَ به، وصدَّقَ رُسلَه وكتُبَه، وآمن برؤيتِه، وأقرَّ بصفاتِه التي وصفَ بها نفسَه، حتىٰ يَرَوه عيانًا، مثوبةً منه لهم وإكرامًا، ليزدادوا بالنظرِ إلىٰ مَن عبدوه بالغيبِ نعيمًا، وبرؤيتِه فرَحًا واغتباطًا، ولم يُحرموا رُؤيته في الدنيا والآخرةِ جميعًا، وحُجِبَ عنه الكفارُ يومئذٍ إذ حُرِموا رؤيتَه كما حَرَّموها في الدنيا ليزدادوا حَسْرةً وثبورًا.

١٥١ - فاحتجَّ مُحتجٌّ منهم بقولِ الله تعالىٰ لموسىٰ: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

قلنا: هذا لنا عليكم لا لكم، إنما قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ في الدنيا؛ لأن بصرَ موسىٰ مِن الأبصارِ التي كتبَ اللهُ عليها الفناءَ في الدنيا، فلا تَحتملُ النظرَ إلىٰ نورِ البقاءِ، فإذا كان يومُ القيامةِ رُكِّبت الأبصارُ والأسماعُ للبقاءِ، فاحتملت النظرَ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بما طوَّقها اللهُ.

ألا ترىٰ أنه يقول: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ولو قد شاءَ لاستقرَّ الجبلُ ورآه موسىٰ، ولكن سبقت منه الكلمةُ: أن لا يراه أحدٌ في الدنيا، فلذلك قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾.

فأمَّا في الآخرةِ: فإن الله تعالىٰ يُنشئُ خلقَه فيُركِّبُ أسماعَهم وأبصارَهم

للبقاءِ، فيراه أولياؤُه جهرًا، كما قال رسول الله ﷺ(١).

(١) عند اللالكائي (٨٣٥) عن رقيقِ نُعيم بن حماد قال: لمَّا صِرنا إلىٰ العِراقِ، وحُبِسَ نُعيم بن حماد، دخلَ عليه رجلٌ في السِّجنِ مِن هؤلاء، فقال لنُعيمٍ: أليس الله قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]؟.

فقال نُعيمٌ: بلىٰ، ذاك في الدنيا.

قال: وما دليلُكَ؟ فقال نُعيمٌ: إنَّ اللهَ هو البقاءُ، وخلقَ الخلق للفناءِ، فلا يستطيعون أن ينظروا بأبصارِ الفناء إلىٰ البقاءِ، فإذا جَدَّدَ لهم خلقَ البقاءِ، فنظروا بأبصارِ البقاءِ إلىٰ البَقاءِ.

- وفي «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٢): قيل لمالك: فإن قوماً يقولون: لا يُنظرُ إلىٰ الله، إنَّ (ناظرة) بمعنىٰ: مُنتظرة إلىٰ الثواب.

قال: كذبوا، بل يُنظرُ إلىٰ الله، أما سمعت قول موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، أفترىٰ موسىٰ سأل ربَّه مُحالاً؟! فقال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ في الدنيا؛ لأنها دار فناءٍ، ولا ينظرُ ما بقي بما يفنىٰ، فإذا صاروا إلىٰ دار البقاء نظروا بما بقي إلىٰ ما بقي.

- وقال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (١/ ٤٣٩): وليس في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]، حُجَّة أنَّ الله تبارك وتعالىٰ لا يُرىٰ في القيامة، ولا يكون منه ظهور للخلقِ، وكيف يجوز ذلك وهو يقول: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣]، و(التجلِّي) هو: الظهور في اللغة لا محالة، فكان المُنكَر عندنا ظهوره للبشرِ من بين سائر خلقه. إنما قوله هو قوله: لن تراني في الدنيا؛ لأني لم أحكم لك بذلك، فأمَّا في الآخرة فلا بُدَّ مِن رؤيته لقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين]، فهم الكفار لا محالة، ثم ساق الكلام فجعل في تمام عقوبتهم: =

١٥٢ - وقال بعضهم: إنَّا لا نقبلُ هذه الآثارَ، ولا نحتجُّ بها.

قلتُ: أجل، ولا كتابَ اللهِ تقبلون، أرأيتُم إن لم تَقبلوها، أتشُكُّون أنها مرويةٌ عن السلفِ، مأثورةٌ عنهم، مُستفيضةٌ فيهم، يتوارثونها عن أعلامِ الناس وفُقهائهم قَرنًا بعد قَرنٍ؟

قالوا: نعم.

قلنا: فحسبُنا إقرارُكم بها عليكم حُجَّةً لدعوانا أنها مشهورةٌ [٩٤/أ] مَرويةٌ، تداولتها العلماءُ والفقهاءُ، فهاتوا عنهم مثلَها حُجَّةً لدعواكم التي

=

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين]. أفيرتاب مميِّزٌ بأن الحجاب لا يخصّ به إلَّا وهناك من لا يُحجب، هذا ما لا يذهب علىٰ من تبحَّره، وليس يرتفع الحجاب بتة عن محجوب وإن قرُبَ محلّه وكثرت جائزته، ما لم يعاين مَلِكَه.

فإن احتجوا بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام:١٠٣]، قيل لهم: كيف تدركه وهو مُحتجبٌ عنها؟! فإذا ظهرَ لهم في الآخرة كما ظهر للجبلِ في الدنيا نظروا إليه.

فإن كنتم تُنكرون الظهور: فقد دللنا علىٰ بطلان قولكم بآيتين.

وإن كنتم تزعمون: أنه وإن ظهر لهم، فنظروا لم يُبصروه، فهذا مستحيلٌ في العقولِ أن تنظرَ عينٌ إلىٰ شيءٍ غير مستورٍ، والعينُ مُبصرةٌ فلا تُبصره، والعقولُ عندكم أكبر الحُجج.

وإن كنتم تنكرون (الإحاطة به): فنحن نوافقكم عليه، فنقول: (الإحاطة) غير (النظر)، لأنا نرىٰ السماء ولسنا نُحيط بجميعها.

وقد يجوز أن يكون ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، بمعنىٰ لا تُحيط به، وأولىٰ المعنيين به - والله أعلم - الأول ... إلخ

كذَّبتها الآثارُ كلُّها، فلا تقدرون أن تأتوا فيها بخبرٍ ولا أثرٍ.

وقد علِمتُم - إن شاء الله - أنه لا يُستدركُ سُننُ رسولِ الله ﷺ، وأصحابِه، وأحكامُهم، وقضاياهُم إلَّا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها مِن الاختلافِ، وهي السببُ إلى ذلك، والنهجُ الذي دَرجَ عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، منها يقتبسون العلمَ، وبها يقضون، وبها يُقيمون، وعليها يَعتمدون، وبها يَتزيَّنون، يُورِثُها الأولُ منهم الآخِرَ، ويُبلِّغُها الشاهدُ منهم الغائبَ احتجاجًا بها، واحتِسابًا في أدائها إلى مَن لم يسمعها، يُسمُّونها: السُّننَ، والآثارَ، والفقهَ، والعلمَ، ويَضربون في طلبِها شرقَ الأرضِ وغربَها، يُحِلُّون بها حلالَ اللهِ، ويُحرِّمون بها حرامَه، ويُميِّزون بها بين الحقِّ والباطلِ، والسُّننِ والبدعِ، ويستدلُّون بها على تفسيرِ القرآنِ ومعانيه وأحكامه، ويعرفون بها ضلالةَ مَن ضَلَّ عن الهُدى، فمَن رَغِبَ عنها فإنما يرغبُ عن آثارِ السلفِ وهديهم، ويُريدُ مُخالفتَهم ليتَّخذَ دينَه هواه، وليتأوَّلَ كتابَ اللهِ برأيه خلافَ ما عنى اللهُ به.

فإن كنتم مِن المؤمنين، وعلى مِنهاجِ أسلافهم، فاقتبسوا العلمَ مِن آثارِهم، واقتبِسوا الهُدى في سبيله، وارضوا بهذه الآثارِ إمامًا، كما رَضِيَ بها القومُ لأنفسهم إمامًا، فلعمري ما أنتم أعلمَ بكتابِ اللهِ منهم، ولا مثلهم، ولا يُمكنُ الاقتداءُ بهم إلَّا باتِّباعِ هذه الآثارِ على ما تَرْوُون(١).

فمَن لم يَقبلها فإنه يُريدُ أن يتَّبعَ غيرَ سبيلِ المؤمنين، وقال اللهُ

(١) في الأصل: (ترون).

تعالىٰ: ومن يتبع ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء](١).

---

(١) الدِّين إنما هو القرآن والسُّنن والآثار، فإن انسلخ العبد منها فقد انسلخ مِن دينه، واتبع رأيه وهواه. قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

- وسيأتي برقم (٢٩٤) قول شُريحٍ وابنِ سيرينَ: لن نَضِلَّ ما تَمسَّكنَا بالأثر. وانظر التعليق عليه هناك ففيه زيادة بيان.

- قال الإمام حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٨٧): والدِّينُ إنما هو: كتابُ الله عَزَّوَجَلَّ، وآثارٌ، وسُننٌ، ورواياتٌ صحاحٌ عن الثِّقاتِ بالأخبارِ الصَّحيحة القويةِ المعروفةِ المشهورةِ، يرويها الثِّقةُ الأولُ المعروف عن الثاني الثِّقة المعروف، يُصدِّقُ بعضُهم بعضًا، حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ النبي ﷺ، أو أصحابِ النبيِّ، أو التابعين، أو تابعِ التابعين، أو مَن بعدهم مِن الأئمةِ المعروفين المُقتدىٰ بهم، المُتمسِّكين بالسُّنةِ، والمُتعلِّقين بالأثرِ، الذين لا يُعرفون ببدعةٍ، ولا يُطعنُ عليهم بكذبٍ، ولا يُرمون بخلافٍ، وليسوا أصحاب قياسٍ، ولا رأيٍ؛ لأن القياسَ في الدِّينِ باطلٌ، والرَّأي كذلك، وأبطلُ منه. اهـ

- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ٥٩): لا خلافَ بين العقلاء في أن سُنّة الرسول ﷺ لا تُعلَم بالعقلِ، وإنما تُعلم بالنَّقل.

فأهل السُّنة: هم الثابتون علىٰ اعتقاد ما نقله إليهم السلفُ الصالحُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عن الرسول ﷺ، وعن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نصٌّ في الكتاب، ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمةٌ، وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم، واتِّباع سُنَّتهم، وهذا أظهر من أن يُحتاجَ فيه إلىٰ إقامة بُرهان. والأخذ بالسُّنة واعتقادها ممَّا لا مرية في وجوبه. اهـ

١٥٣ – فقال قائلٌ منهم: (لا، بل نقولُ بالمعقولِ[(١)]).

---

(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٨٩٣): المعتزلةُ يُخالفون هذا كله، لا يلتفتون إلىٰ سُنن رسول الله ﷺ، ولا إلىٰ سُنن أصحابه ﵃، وإنما يُعارضون بمُتشابه القرآن، وبما أراهم العقل عندهم، وليس هذا طريق المسلمين، إنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحقِّ، وقد لعِبَ به الشيطان. وقد حذَّرنا الله عَزَّوَجَلَّ مَن هذه صفته، وحذَّرناهم النبي ﷺ، وحذَّرناهم أئمَّة المسلمين قديمًا وحديثًا. اهـ

وقد عقد السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» بابًا في قضية تقديم العقل علىٰ النقل، فقال: (إقامة البرهان علىٰ أن الحُجَّة القاطعة هي التي يرد بها السمع لا غير، وأن العقل آلة للتمييز فحسب). قال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠]، فأمرَ جلَّ جلاله نبيّه ﷺ أن يدعو إلىٰ إثبات الوحدانية بالوحي.

وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]، فبيّن أن من تقدَّم مِن الرسلِ كانوا يحتَجُّون علىٰ الكفار في الوحدانية بالوحي ولم يؤمروا إلَّا بذلك.

ولم يَدْعُ النبيُّ ﷺ إلىٰ المُحَاجَّةِ بالعقلِ أحدًا، ولا أمرَ بذلك أُمَّته.

وقال عمرُ وسهلُ بن حنيف ﵄: (اتَّهِموا الرأي علىٰ الدِّين).

ولا مُخالفَ لهما في الصحابةِ، وقد كانا يجتهدان في الفروعِ، فعُلِمَ أنهما أرادا بذلك المنعَ مِن الرجوع إلىٰ العقلِ في المُعتقدات.

وقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع جلالته كَرِهَ الصُّلح يوم الحُديبية، واستعظمَ ردَّ المسلمين علىٰ الكفار، وكان ذلك مِن طريقِ العقلِ حتىٰ قال له النبيُّ ﷺ: «**تَراني قد رضيتُ يا عمرُ وتأبىٰ !**».

فانتبه عند ذلك عمر وسكت؛ عِلمًا منه أن رسول الله ﷺ مُفترضُ الطاعة، ولأنه لا ينطقُ عن الهوىٰ، وأنَّ الوحيَ لا يُقابل بالعقل.

⇦=

=

ولا خلافَ بين المسلمين في أن كتابَ الله لا يجوز ردُّه بالعقل، بل العقلُ دلَّ علىٰ وجوب قبوله، والائتمام به، وكذلك قول الرسول ﷺ إذا ثبت عنه لا يجوز ردُّه، وأن الواجبَ ردُّ كلِّ ما خالفهما أو أحدَهما...

وقد اتَّفقنا أيضًا علىٰ أن رجلًا لو قال: العقلُ ليس بحُجّةٍ في نفسه، وإنما يُعرف به الحُجَّة لم يُكفَّر، ولم يُفسَّق، ولو قال رجلٌ: كتابُ الله سبحانه ليس بحُجَّةٍ علينا بنفسِه، كان كافرًا، مُباحَ الدم.

فتحقَّقنا أن الحُجّةَ القاطعةَ: هي التي ورد بها السمعُ لا غير.

ووجدنا أيضًا القائلين بالعقلِ المُجرَّد وأنه أوّلُ الحُجَج مُختلفين فيه، كلُّ واحدٍ يزعمُ أنّ الحقَّ معه، وأنّ مُخالفَه قد أخطأ الطريقَ، ولا سبيلَ إلىٰ من يحكم بينهم في الحالِ، وإنما الحاصلُ دوامُ الجدل المنهيِّ عنه.

ونجدُهم أيضًا يقولون اليومَ قولاً يزعمون أنه مُقتضىٰ العقلِ، ويرجعون عنه غدًا إلىٰ غيره، وما كان بهذه المثابة لا يجب أن يكون حُجَّة في نفسه. اهـ

- قال أبو المُظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ١٠١٦): واعلم أن فصل ما بيننا وبين المُبتدعة هو (مسألة العقل)؛ فإنهم أسَّسوا دينهم علىٰ المعقول، وجعلوا الاتِّباع والمأثور تَبعًا للمعقولِ.

وأمَّا أهل السُّنة قالوا: الأصل الاتِّباع، والعقول تبعٌ، ولو كان أساس الدينِ علىٰ المعقول لاستغنىٰ الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنىٰ الأمر والنهي، ولقال مَن شاء ما شاء.

ولو كان الدين بُني علىٰ المعقولِ وَجَبَ ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئًا حتىٰ يعقلوا...

ثم نقول لهذا القائل الذي يقول: (بُني ديننا علىٰ العقل وأُمرنا باتباعه) أخْبِرنا إذا أتاك أمرٌ مِن الله تعالىٰ يُخالف عقلك؛ فبأيهما تأخذ: بالذي تعقل، أو بالذي تؤمر؟ فإن قال: (بالذي أعقل) فقد أخطأ، وترك سبيل الإسلام.

وإن قال: (إنما آخذ بالذي جاء من عند الله) فقد ترك قوله.

=

قُلنا: هاهنا ضَلَلتُم عن سواءِ السبيلِ، ووقعتُم في تيهٍ لا مَخرجَ لكم منه؛ لأن المعقولَ ليس لشيءٍ واحدٍ موصوفٍ بحدودٍ عند جميع الناسِ، فيُقتصرُ عليه، ولو كان كذلك كان راحةً للناسِ، ولقلنا به ولم نَعْدُ، ولم يكن الله تبارك وتعالىٰ قال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

فوجدنا المعقولَ عند كلِّ حزبٍ: ما هم عليه.

والمجهولَ عندهم: ما خالفهم.

فوجدنا فِرقَكم معشرَ الجهمية في المعقولِ مُختلفين، كلُّ فرقةٍ منكم تدَّعي أن (المعقول) عندها: ما تدعو إليه، و(المجهول): ما خالفها(١).

= وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيمانًا وتصديقًا، وما لم نعقله قبلناه تسليمًا واستسلامًا. وهذا معنىٰ قول القائل من أهل السنة: (إن الإسلام قنطرة لا تُعبر إلَّا بالتسليم). فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفَّانا علىٰ مِلَّة رسول الله ﷺ بمَنِّه وفضله. اهـ

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ٢٤٠): تأمَّل اضطراب فرق الشيعةِ والخوارج والمُعتزلة وطوائف أهل الكلام، وكل منهم يدَّعي أن صريح العقل معه، وأن مخالفه قد خرجَ عن صريح العقل، ونحن نُصدِّق جميعهم، ونُبطل عقل كلّ فرقهم بعقلِ الفرقةِ الأُخرىٰ، ثم نقول للجميع: بعقل مَن منكم يوزن كلامُ الله ورسوله ﷺ؟ فما وافقه قُبِلَ وأقرّ عليه، وما خالفه أُوِّلَ أو فُوِّضَ إلىٰ عقولكم ... أعقل أرسطو وشيعته؟ أم عقل أفلاطون؟ أم فيثاغورس؟ أم بقراط؟ أم الفارابي؟ أم ابن سينا؟ أم محمد بن زكريا؟ أم ثابت بن قُرَّة؟ أم جهم بن صفوان؟ أم النَّظَّام؟ أم العَلَّاف؟ أم الجُبَّائي؟ أم بشر المريسي؟ أم الإسكافي؟ أم ترضون بعقولِ المُتأخِّرين الذين هذبوا العقليات، ومخضوا زبدتها، واختاروا =

فحين رأينا (المعقولَ) اختلفَ مِنَّا ومنكم ومِن جميع أهلِ الأهواءِ، ولم نَقِف له علىٰ حدٍّ بيِّنٍ في كلِّ شيءٍ، رأينا أرشدَ الوجوه وأهداها: أن نرُدَّ المعقولاتِ كلها إلىٰ أمرِ رسولِ الله ﷺ، وإلىٰ المعقولِ عند أصحابه المُستفيض بين أظهرهم؛ لأن الوحي كان ينزلُ بين أظهرهم، فكانوا أعلمَ بتأويلِه منَّا ومنكم، وكانوا مؤتلفين في أصولِ الدِّينِ، لم يَفترقوا فيه، ولم تظهر فيهم البدعُ والأهواءُ الحائدة عن الطريقِ(١).

= لأنفسهم، ولم ترضوا بعقول سائر مَن تَقدَّم؟ فهذا أفضلهم عندكم الرازي، فبأيِّ معقولاته تزنون نصوص الوحي؟ وأنتم ترون اضطرابه فيها في كتبه أشدّ الاضطراب فلا يثبت علىٰ قول؟

.. فكل هؤلاء وأضعاف أضعافهم يدَّعي أن العقل الصريح معه، وأن مخالفيه خرجوا عن صحيح المعقول، وهذه عقولهم تُنادي عليهم، ولولا الإطالة لعرضناها علىٰ السامع عقلًا عقلًا، وقد عرضها المعتنون بذكر المقالات، وهذه العقول إنما تفيد الريب والشك والحَيرة والجهل المُركَّب.

فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذنا بالنقل الصحيح، ورُمِيَ بهذه العقول تحت الأقدام، وحُطت حيث حطَّها الله وأصحابها. اهـ

(١) وسبب اتفاق أهل السنة والآثار: هو أخذهم بالكتاب والسُّنة، وردّهم عند التنازع والاختلاف إليهما، وسبب اختلاف أهل البدع والأهواء: هو أخذهم بالعقل وتقديمه علىٰ الكتاب والسُّنة.

- قال أبو المُظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل فريق مِن المبتدعة يعتقد أن ما يقوله أَبَىٰ أن يكون الحقّ والعقيدة الصحيحة إلّا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرنٍ إلىٰ أن انتهوا إلىٰ التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب النبي ﷺ، وأخذه الصحابة عن رسول الله ﷺ، ولا طريق =

(فالمَعقولُ) عندنا: ما وافقَ هديهم.

و(المَجهولُ): ما خَالفَهم.

= إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلَّا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث.

وأمَّا سائر الفرق فطلبوا الدين بغير طريقه؛ لأنهم رجعوا إلىٰ معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين مِن قِبَله، فإذا سَمعوا شيئًا من الكتاب والسنة عرضوه علىٰ معيارِ عقولهم، فإن استقام لهم قبِلوه، وإن لم يَستقِم في ميزان عقولِهم رَدّوه، فإن اضطروا إلىٰ قبوله حرَّفوه بالتأويلاتِ البعيدة والمعاني المُستكرهة، فحادوا عن الحقِّ، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم.

وأمَّا أهل السنة فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبوا الدين مِن قِبَلِها، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم وآرائهم عرضوه علىٰ الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قَبِلوه، وشَكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقَّهم له، وإن وجدوه مُخالِفًا لهما تَركوا ما وقع لهم، وأقبلوا علىٰ الكتاب والسُّنة، ورجعوا بالتُّهمةِ علىٰ أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلَّا إلىٰ الحق، ورأي الإنسان قد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا.

قال: وكان السبب في اتفاق أهلِ الحديث: أنهم أخذوا الدينَ من الكتاب والسُّنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدع أخذوا الدِّينَ مِن عقولهم، فأورثهم التفرُّق والاختلاف ... إلخ

[«مختصر الصواعق المرسلة» (٤/ ١٥٩٢)]

(تنبيه): قد نقل غير واحدٍ مِن أهل العلم أن الصحابة ﵃ لم ينقل عنهم الاختلاف في أمورِ العقائد وأصول الدين وأبواب الأسماء والصفات بخلاف أبواب الفروع والأحكام. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٥/ ٧١)، و(٦/ ٣٩٤)، و«إعلام الموقعين» (١/ ٨٣).

ولا سبيلَ إلىٰ معرفةِ هَديهم وطريقتِهم إلَّا هذه الآثار، وقد انسَلختُم منها، وانتفيتُم منها [٩٥/ أ] بزعمكم، فأنَّىٰ تهتدون؟!.

١٥٤- واحتجَّ مُحتجٌّ منهم بقولِ مُجاهدٍ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة]، قال: (**تَنتظِرُ ثوابَ ربِّها**[١]).

---

(١) يُشير إلىٰ ما رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٢) عن وكيع، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة]، قال: تنتظر الثّواب من ربِّها. اهـ

- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥٧): قول مجاهد هذا مردود بالسُّنة الثابتة عن النبيِّ ﷺ، وأقاويلِ الصَّحابة، وجمهور السَّلف، وهو قولٌ عند أهل السُّنةِ مهجورٌ، والذي عليه جماعتهم: ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس من العلماء أحدٌ إلَّا وهو يؤخذ من قوله ويُترك إلَّا رسول الله ﷺ. اهـ

- وقال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية» (١٥١): مَن رُوي عنه أن معناه: أنها مُنتظرةٌ للثوابِ، فقولٌ شاذٌّ لا يثبُت. اهـ

- وعند اللالكائي (٨١٧) عن أشهب، قال: سُئل مالك عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة]، أتَنظُر إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: نعم.

فقلت: إنَّ أقوامًا يقولون: تَنتَظِرُ ما عنده. قال: بل تنظُرُ إليه نَظَرًا.

قلت: ومع أن هذا القول مهجور إلَّا أنه لا يقال: إن مجاهدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينفي الرؤية، فهذا لم يقله أحد، وإنما قوله في تفسير هذه الآية هو المهجور، وأمَّا قوله في إثبات الرُّؤية فمسألة أُخرىٰ، فقد روىٰ إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٤٢٩) قال: أخبرنا جرير، عن منصور، قال: كان أناس يقولون في حديث: إنهم يرون ربهم.

قال: فقلت لمجاهد: إن أناسًا يقولون: إنه يُرىٰ.

فقال: ألا تسمع إلىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢)﴾، يقول: نَضِرةٌ من =

قلنا: نعم، تنتظِرُ ثوابَ ربِّها، ولا ثوابَ أعظمُ مِن النظرِ إلىٰ وجهه تبارك

=

السرور، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

وروىٰ ابن أبي حاتم كما عند اللالكائي (٧٤٨) من طريق حماد بن سلمة، عن ليث، عن مجاهد: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس:٢٦]، قال: (الحُسنىٰ): الجنةُ، و(الزيادةُ): النظرُ إلىٰ الربِّ.

فتفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا موافق لما عليه أهل السُّنة من إثبات الرؤية. والله أعلم.

- وأمَّا ما رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥٩٨٩)، قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور عن مجاهد: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، قال: تنتظر الثواب مِن ربِّها، لا يراه مِن خلقه شيء.

فهذه زيادة منكرة، كما قال المُعلِّمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التنكيل» (١/ ٤٢١): أما ما زاده محمد بن حُميد في الحكاية عن مجاهد: (لا يراه من خلقه شيء)، فمحمد بن حُميد مُتَّهم. اهـ

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٢٥): وقالت الجهمية: إنما معنىٰ قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، إنما أراد بذلك: الانتظار.

فخالفت في هذا التأويل جميع لُغَات العرب، وما يعرفه الفُصحاء من كلامها؛ لأن القرآن إنما نزل بلسان العرب .. فليس يجوز عند أحدٍ ممَّن يعرف لُغَات العربِ وكلامها أن يكون معنىٰ قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: الانتظار.

ألا ترىٰ أنه لا يقول أحد: إني أنظر إليك، يعني: أنتظرك، وإنما يقول: أنتظرك، فإذا دخل في الكلام (إلىٰ)، فليس يجوز أن يعني به غير النظر، يقول: أنظر إليك.

وكذلك قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ولو أراد الانتظار لقال: (لربها مُنتظرة)، و(لربها ناظرة)، وذلك كله واضح بين عند أهل العلم، ممن وهب الله له علمًا في كتابه، وبصرًا في دينه. اهـ

وتعالىٰ(١).

فإن أبيتُم إلَّا تَعلُّقًا بحديثِ مجاهدٍ هذا، واحتجاجًا به دونَ ما سِواه مِن الآثارِ، فهذا آيةُ شُذوذِكم عن الحَقِّ، واتِّباعِكم الباطلَ؛ لأن دعواكم هذه لو صحَّت عن مجاهدٍ علىٰ المعنىٰ الذي تذهبون إليه كان مدحوضًا القول إليه مع هذه الآثارِ التي قد صحَّت فيه عن رسولِ الله ﷺ، وأصحابِه، وجماعةِ التابعين.

أوَلستُم قد زعمتُم أنكم لا تقبلون هذه الآثارَ، ولا تَحتجُّون بها؟ فكيف تَحتجُّون بالأثرِ عن مُجاهدٍ إذ وجدتم سبيلًا إلىٰ التعلُّقِ به لباطلكم علىٰ غيرِ بيانٍ؟ وتركتُم آثارَ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه والتابعين إذ خالفت مذهبَكم.

---

(١) قال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (١/ ٤٤١): ورسول الله ﷺ أعرف بما أنزل عليه مِن مُجاهد، مع أن مجاهدًا لا يدفعُ نظر العين؛ لأنه قال: هي مُنتظرة تَنتظر الثّواب. وهي الزيادة التي قال الله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. اهـ

- قال الإمام إسحاق بن راهويه في «مُسنده» (٣/ ٦٧٣): وقد مضت السُّنة مِن رسول الله ﷺ بأن أهل الجنة يرون ربهم، وهو من أعظم نِعَمِ أهل الجنة، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، يقول: يومئذ مُشرقة، إلىٰ الله ناظرة إلىٰ الجنة، وإنما معنىٰ قول مَن قال: (تنتظر الثواب)، ولا يرون ربَّهم يوم القيامة قبل دخول الجنةِ، ألا ترىٰ إلىٰ مجاهد حين فسَّرَ الآية فسَّره علىٰ معنىٰ ما وصفنا، قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، قال: ينظرون الثواب، تفسير الآية يجيء علىٰ أوجه، وهي نواظر يوم القيامة فتجيء الآية مُصدِّقة لمعنىٰ الآية الأُخرىٰ، وهي في الظاهر عند مَن يجهل تأويلها مُخالف للآخر. اهـ

فأمَّا إذا أقررتم بقبولِ الأثرِ عن مُجاهدٍ، فقد حَكمتُم علىٰ أنفسِكم بقبولِ آثارِ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه والتابعين بعدَهم، لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهدٍ، بل تأثِرونه عنه بإسنادٍ، وتأثرون بأسانيدَ مثلها أو أجودَ منها عن رسولِ اللهِ ﷺ، وعن أصحابِهِ والتابعين ما هو خِلافُه عندكم.

فكيف ألزمتُم أنفسَكم اتِّباعَ المُشتبهِ مِن آثارِ مجاهدٍ وحدَه، وتركتم الصحيحَ المنصوصَ مِن آثارِ رسول الله ﷺ وأصحابِهِ ونُظراءِ مجاهدٍ مِن التابعين، إلَّا مِن رِيبةٍ وشُذوذٍ عن الحقِّ؟

إنَّ الذي يُريدُ الشُّذوذَ عن الحقِّ: يَتَّبعُ الشاذَّ مِن قولِ العُلماءِ، ويَتعلَّقُ بزلَّاتِهم، والذي يَؤمُّ الحقَّ في نَفسِهِ: يتَّبعُ المشهورَ مِن قولِ جَماعتِهم، ويَنقلِبُ مع جُمهورِهم، فهما آيتانِ بيِّنتانِ يُستَدلُّ بهما علىٰ اتِّباعِ الرجُلِ، وعلىٰ ابتداعِهِ(١).

(١) هذه قاعدة مُهمَّة ينبغي التشبث بها في معرفة السُّني المُتَّبع للنصوصِ والآثارِ والأقوال الصحيحة الصريحة المشهورة بين أهل العلم، وبين البدعيّ الزائغ الذي يَتَّبع المُتشابه مِن النصوص والآثار وأقوال أهل العلم ابتغاءَ الفِتنةِ، وابتغاء تأويله، ليضلّ بها العامّة.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢٠٠): فالجهميُّ الملعون إنما أُتي مِن جهله باللسان العربيِّ، ومِن تعاشيه عن الجادَّةِ الواضحة، وطلبه المُتشابه، وبُنيات الطُّرُقِ ابتغاء الفتنة ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل].

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٤٠٩): بعض الخائضين بالتأويلاتِ الفاسدة، يَتشبَّثُ بألفاظٍ تُنقلُ عن بعضِ الأئمَّةِ وتكون إمَّا غلطًا، أو ⇐=

=
مُحرَّفة. اهـ

- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٥٤٨): ولكن الذين في قلوبهم زيغٌ من أهل الأهواء لا يفهمون مِن كلامِ الله، وكلامِ رسوله ﷺ، وكلامِ السّابقين الأوّلين، والتابعين لهم بإحسانٍ في بابِ صفات الله تعالىٰ إلَّا المعاني التي تليق بالخلقِ لا بالخالقِ، ثم يريدون تحريفَ الكَلِمِ عن مواضعه في كلامِ الله وكلامِ رسوله إذا وجدوا ذلك فيهما، وإن وجدوه في كلامِ التابعين للسَّلفِ افتروا الكذِبَ عليهم، ونقلوا عنهم بحسبِ الفهم الباطل الذي فهموه، أو زادوا عليهم في الألفاظ، أو غيّروها قدرًا ووصفًا، كما نسمع مِن ألسنتهم، ونرىٰ في كتبهم. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إعلام الموقعين» (١/ ٧٨): العالم قد يزلّ ولا بُدَّ، إذ ليس بمعصومٍ، فلا يجوزُ قبول كلّ ما يقوله، ويُنَزَّلُ قوله منزلة قول المعصوم ﷺ. اهـ

- وقال أبو المُظفّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ٩١): فإن قالوا: إن لكلِّ فريقٍ مِن أهل الأهواء وأصحاب الآراء حُججًا مِن آثار رسول الله ﷺ يحتجُّون بها.

قلنا: أجل، ولكن يحتجُّ أهل الأهواء بقول التابعي علىٰ قول النبي ﷺ، أو بحديث مرسلٍ ضعيفٍ علىٰ حديثٍ مُتَّصلٍ قويّ.

ومن هنا امتاز أهل اتباع السُّنة عن غيرهم؛ لأن صاحبَ السُّنة لا يألو أن يتبع مِن السُّنن أقواها، ومِن الشهود عليها أعدلها وأتقاها.

وصاحب الهوىٰ كالغريقِ: يَتعلّقُ بكلِّ عُودٍ ضعيفٍ أو قويٍّ، فإذا رأيت الحاكم لا يقبل مِن الشهودِ إلَّا أعدلها وأتقاها؛ كان ذلك منه شاهدًا علىٰ عدالته، وإذا غمَّض وقنع بأرداها؛ كان ذلك دليلًا علىٰ جَورِه، وكان المُتَّبع لا يتبع مِن الآثار إلَّا ما هو عند العلماء أقوىٰ، وصاحب الهوىٰ لا يتَّبع إلَّا ما يهوىٰ، وإن كان عند العلماء أوهاها. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجواب الصحيح» (٤/ ٤٤): فإنه يجب أن يُفسَّرَ كلام المُتكلِّم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتعرف ما عادته يعنيه =

= ويريده بذلك اللفظ إذا تكلَّمَ به، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضعٍ آخر، فإذا عرفَ عُرفه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا ممَّا يُستعان به علىٰ معرفةِ مُرادِه.

وأمَّا إذا استعمل لفظه في معنىٰ لم تجرِ عادته باستعماله فيه، وتركَ استعماله في المعنىٰ الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه علىٰ خلافِ المعنىٰ الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه مُتناقِضًا، وترك حمله علىٰ ما يناسب سائر كلامه، كان ذلك تحريفًا لكلامه عن موضعه، وتبديلًا لمقاصده وكذبًا عليه. اهـ

- في «السُّنن الكبرىٰ» (٢٠٩٦٢) قال إسماعيلُ بن إسحاقَ القاضي: دخلتُ علىٰ المُعتَضِدِ، فدفعَ إليَّ كتابًا نظَرتُ فيه، وكان قد جُمِعَ له الرُّخَصُ مِن زَلَلِ العُلماءِ، وما احتَجَّ به كُلٌّ منهم لِنفسِه، فقلتُ له: يا أميرَ المؤمنين، مُصَنِّفُ هذا الكتابِ زِنديقٌ.

فقال: لَم تَصِحَّ هذه الأحاديثُ؟

قلتُ: الأحاديثُ علىٰ ما رُويَت، ولكِن مَن أباحَ المُسكِرَ لم يُبحِ المُتعَةَ، ومَن أباحَ المُتعةَ لم يُبحِ الغِناءَ والمُسكِرَ، وما مِن عالِمٍ إلَّا وله زَلَّة، ومَن جَمَعَ زللَ العُلماءِ ثم أخَذَ بها ذهبَ دِينُه.

فأمَرَ المُعتَضِدُ فأُحرِقَ ذلك الكتاب.

١٠- باب

ذكر علمِ الله تبارك وتعالى(١)

(١) بَوَّبَ اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» بابًا نحوه، فقال: (٢٠/ سياق ما دلَّ من كتاب الله، وما روي عن النبي ﷺ في أن الله تعالىٰ عالم بعلمٍ، وأن علمه غير مخلوق).

- وفي «السُّنة» للخلال (١٨٥٤) قال الإمام أحمد: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومَن زعم أن القرآن مخلوق؛ فقد كفر؛ لأنه يزعم أن علم الله مخلوق، وأنه لم يكن له علمٌ حتىٰ خلقه.

- وفيه (١٨٥٥) عن عبد الملك، أنه سأل أبا عبد الله، قال: قلت: مَن قال: إنَّ اللهَ كان ولا علم؟ فتغيَّر وجهه تَغيُّرًا شديدًا، وكَثُرَ غَيظُه، ثم قال لي: كافر.

وقال لي: في كلِّ يومٍ أزداد في القومِ بصيرة.

- وفيه (١٨٥٥/ أ): وقال لي أبو عبد الله: علمتُ أن بشرًا المريسي كان يقول: العلم عِلمانِ: فعِلمٌ مخلوق، وعِلمٌ ليس بمخلوقٍ، فهذا أيش يكون هذا؟

قلت: يا أبا عبد الله، كيف يكون ذا؟!

قال: لا أدري، أيكون عِلمُه كله بعضُه مخلوق، وبعضه ليس بمخلوقٍ، لا أدري كيف ذا؟! بِشرٌ كذا كان يقول! وتعجَّب أبو عبد الله تعجُّبًا شديدًا.

- وفيه (١٨٦١) قال أبو بكر المروذي: قال أبو عبد الله: وقلتُ لابنِ الحَجَّام - يعني: يوم المِحنة - ما تقول في علمِ الله؟ فقال: مخلوق.

فنظر ابن رباح إلىٰ ابن الحجَّام نظرًا منكرًا عليه لما أسرع، فقلت لابن رباح: أيش تقول أنت؟ فلم يرض ما قال ابن الحجَّام، فقلت له: كفرت.

قال أبو عبد الله: يقول: إن الله كان لا علم له، وهذا الكفر بالله، وقد كان المريسي يقول: (إن علمَ اللهِ وكلامه مخلوقٌ)؛ فهذا الكفر بالله.

⇦=

=

- وفيه (١٨٦٤) قال أبو طالب: قال أبو عبد الله: ليس شيء أشدّ عليهم ممَّا أدخلتُ علىٰ مَن قال: القرآن مخلوق. قلتُ: علمُ الله مخلوق؟ قالوا: لا.

قلت: فإن عِلمَ الله هو القرآن، قال الله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٦١]. اهـ

قلتُ: ومِن نُفاة علمِ الله تعالىٰ: المريسي وابن الثلجي وهما مِن أئمَّة الجهمية الذين ردَّ عليهم المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «النقض».

- وفي مُناظرة عبد العزيز المكي الكناني الطويلة للمريسي بين يدي المأمون، سأله الكناني عن عِلمِ الله تعالىٰ هل هو داخلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، فيقالُ: بأن علمَ الله مخلوق، وأنَّ الله لم يكن له عِلمٌ حتىٰ خلقَ له ذلك، وقد أثبت الله تعالىٰ لنفسِه العلم في آياتٍ كثيرة مِن كتابه.

فقال الكناني له: أفمُقِرٌّ أنت أن لله علمًا كما أخبر عن علمه، أو تُخالف التنزيل؟

قال عبد العزيز: فحاد بشرٌ عن جوابي، وأبىٰ أن يُصرِّح بالكُفرِ، فيقول: ليس لله علمٌ، فأرجعُ عليه بالمسألة، وعَلِمَ ما يلزمه، فأقولُ له: أخبرني عن علمِ الله داخل في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ فلزم الحيدة، واجتلب كلامًا لم أسأله عنه، فقال: معنىٰ ذلك: لا يجهل.

فقال: يا أمير المؤمنين، إذًا تصونني يرحمك الله، فقد صدقَ بِشرٌ أنَّ الله لا يجهل، إنما سألته أن يُقرَّ بالعلمِ الذي أخبرَ الله عنه، فأبىٰ أن يُقرَّ به، وحادَ عن جوابي إلىٰ نفي الجهل، فليقُل: إن للهِ عِلمًا، وإنَّ الله لا يجهل.

فقال لي أمير المؤمنين: فإذا أقرَّ أنَّ لله عِلمًا يكون ماذا؟!

قلت: يا أمير المؤمنين، أسأله عن علمِ الله، أداخل هو في جُملة الأشياءِ المخلوقة حين احتجَّ بقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وزعمَ أنه لم يبق شيءٌ إلَّا وقد أتىٰ عليه هذا الخبر، فإن قال: نعم، فقد شَبَّه الله بخلقه الذين أخرجهم الله مِن بطون أُمهاتهم لا يعلمون شيئًا، وكل مَن تقدَّمَ وجودُه عِلمه فقد دخل عليه الجهل فيما =

١٥٥ - حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن أبي حازِم - يعني: عبد العزيز -، عن العلاء بن عبد الرحمن الحُرَقي، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِوَلِلَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «سَبَقَ عِلمُ اللهِ في خلقِه، فهم صائِرونَ إلىٰ ذلك»(١).

=

بين وجودِه إلىٰ حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين الذين أخرجهم الله مِن بطون أُمهاتهم لا يعلمون شيئًا، فيكون بِشرٌ قد شبَّه اللهَ بخلقه.

فقال لي أمير المؤمنين: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز.

ثم التفت إلىٰ بِشرٍ، فقال: يأبىٰ عليك عبد العزيز إلا أن تُقرَّ أن لله عِلمًا. اهـ

- وروىٰ الخلال في «السُّنة» (٢١٨٦/ ٣٥ / الذيل) عن أبي الحارث أنه قال للإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: إنا قلنا لابن الثلاج: يقول: إنَّ للهِ عِلمًا.

قال: أنا لا أقول: إنَّ للهِ علمًا.

فقال أبو عبد الله: أستغفرُ الله.

وقلتُ له: إني سمعتُه يقول: كلام الله غير الله.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ١١٠): وهؤلاء الجهمية نُفاة الصفات كثيرًا ما يجمعون بين نفي علوِّه وكونه فوق العالم، وبين الريب في عِلمه؛ فكثيرًا منهم مستريب في علمه، لا سيما مَن تفلسف منهم، فتارةً يقولون: لا عِلمَ له، وتارةً يقولون: لا يعلمُ إلَّا نفسه، وتارةً يقولون: إنما يعلم غيره علىٰ وجه كُليٍّ، ولهم مِن الاضطرابِ في مسألةِ العلم ما هو نظيرُ اضطرابه في علوِّه وفوقيته، وكان ما ذكره اللهُ في كتابه، وما كان عليه سلف الأُمَّةِ وأئمَّتها مِن الجمع بين هذين ردًّا لضلال هؤلاء في الأمرين، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وهؤلاء جاحدون، أو مستريبون بأنه فوق العرش، وبأنه معنا أينما كنا. اهـ

(١) رواه اللالكائي (٦٤٢) من طريق المُصنِّف.

١٥٦ - حدثنا نُعيم، ثنا ابن المبارك، ثنا الأوزاعي، قال: أخبرني ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن الديلمي، عن عبد الله بن عَمرو ﵄، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**جَفَّ القلمُ علىٰ عِلمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»(١).

١٥٧- قال أبو سعيد:

وما لنا نَرىٰ أن يَبلُغَ غدًا قومٌ في تَعطيلِ صِفاتِ اللهِ ما بلغَ بهذه العِصابةِ عِدلَهم في تعطيلها، حتىٰ أنكروا سابقَ علمِ اللهِ في خلقِه، وما الخلقُ عامِلون قبلَ أن يَعملوا.

ثم قالوا: ما نقولُ: إنَّ اللهَ مِن فوقِ عرشِه يعلمُ ما في الأرضِ، ولكن عِلْمُ اللهِ (هو الله) بزعمهم، واللهُ بزعمهم في كلِّ مكانٍ، ليس له عِلمٌ به يعلمُ، ولا هو يَسمعُ بسمعٍ، ولا يُبصرُ ببصرٍ، إنما سمعُه وبصرُه وعِلمُه بزعمهم شيءٌ واحِدٌ، فلا السمعُ عندهم غيرُ البصرِ، ولا البصرُ غيرُ السمعِ، ولا العِلمُ غيرُ البصرِ، هو كلُّه بزعمهم سَمعٌ، وبَصرٌ، وعِلمٌ، وهو بكُلِّيَّته في كلِّ مكانٍ، إن عَلِمَ [عَلِمَ] بكُلِّه، وإن سَمِعَ سَمِعَ بكُلِّه، وإن رأىٰ رأىٰ بكُلِّه(٢). [٩٥/ ب]

ويزعمون أن (عِلمَ اللهِ): بمنزلةِ النظرِ والمُشاهدةِ، لا يَعلمُ بالشيءِ حتىٰ

---

(١) رواه أحمد (٦٦٤٤)، والترمذي (٢٦٤٢)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٥٠)، كلهم يروونه موقوفًا عن عبد الله ﵁، ولفظهم: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق خلقه في ظُلمة، ثم ألقىٰ عليهم مِن نُورِه يومئذ، فمَن أصابه مِن نورِه يومئذٍ اهتدىٰ، ومَن أخطأه ضلَّ». فلذلك أقولُ: جفَّ القلم علىٰ علمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٢) وهذا هو عين مذهب الأشاعرة في هذه الصفات، يثبتونها في الظاهر موافقة لأهل السنة والإثبات، ومرادهم غير مراد أهل السُّنة في الباطن، وإنما حقيقة مذهبهم التعطيل.

يكون، فإذا كان الشيءُ عَلِمَ به علمَ كينونته، لا بعلمٍ لم يزل في نفسِه قبل كينونتِه، ولكن إذا حَدَثَ الشيءُ كان هو عند الشيءِ، ومعه الشيءُ بنفسِه، فإن أرادَ ذلك الشيءَ، كان هو يدُلُّ الشيءَ بزعمهم مِن مكانه، فذلك إحاطةُ عِلمِ اللهِ بالأشياءِ عندهم، لا أن يكون عَلِمَ بشيءٍ منها في نفسِه قبلَ كينونتِه، فتباركَ اللهُ ربُّ العالمين، وتعالىٰ عمَّا يصفون.

هذا هو الرَّدُّ لكتابِ الله، والجحودُ لآياتِ الله، وصاحِبُ هذا المذهبِ يخرجُه مذهبُه إلىٰ مذهبِ الزندقةِ حتىٰ لا يؤمنَ بيومِ الحِسابِ؛ لأنَّ الذي لا يُقرُّ بالعلمِ السابقِ بالأشياءِ قبل أن تكون، يلزمُه في مذهبِه أن لا يؤمنَ بيومِ الحسابِ، وبقيامِ الساعةِ، والبعثِ، والثوابِ والعِقابِ؛ لأن العبادَ إنما لزِمَهم الإيمانُ بها لإخبارِ الله بأن ﴿ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج]، وأنه محاسبُهم يومَ الحِسابِ، ومثيبُهم، ومُعاقِبُهم.

فإذا كان اللهُ - بزعمهم - لا يَعلمُ بالشيءِ حتىٰ يكون، وكيف عَلِمَ في مذهبِهم بقيامِ الساعةِ والبعثِ، ولم تقُمِ الساعةُ بعدُ، ولا تقومُ إلَّا بعد فناءِ الخلقِ، وانقطاعِ الدنيا؟!

فإن أقرُّوا للهِ بعلمِ قيامِ الساعةِ، والبعثِ، والحِسابِ؛ لزِمَهم أن يُقرُّوا له بعلمِ كلِّ شيءٍ دونَها، فإن أنكروا عِلمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بما دونها لزِمَهم الإنكارُ بها وبقيامِها، وبالبعثِ والحسابِ؛ لأن علمَه بالساعةِ كعلمِهِ بالخلقِ وأعمالهم سواءٌ لا يزيدُ ولا ينقصُ، فمن لم يؤمن بأحدِهما لزِمَه أن لا يؤمنَ بالآخرِ، وهي مِن أوضحِ الحُججِ وأشدِّها علىٰ مَن رَدَّ العلمَ وأنكرَه.

واعلموا أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يزل عالِمًا بالخلقِ وأعمالِهم قبلَ أن يخلُقهم،

ولا يزالُ بهم عالِمًا، لم يَزدد في عِلمِه بكينونَةِ الخلقِ خردلةً واحِدةً، ولا أقلَّ منها ولا أكثرَ، ولكن خلقَ الخلقَ على ما كان في نفسِه قبلَ أن يخلُقَهم، ومِن عِندِه بَدأَ العلمُ، وهو عَلَّمَ الخلقَ ما لم يعلموا، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

• وقال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة].

فبلغنا في تفسيرِه عن مجاهدٍ، قال: عَلِمَ مِن إبليسَ المعصيةَ وخلقَه لها.

١٥٨- حدثناه نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، عن ابن جُريج، عن مجاهدٍ(١).

١٥٩ - قال أبو سعيد:

ولعمري ما علمتِ الملائكةُ بسفكِ الدِّماءِ والفسادِ غيبًا مِن قِبَلِ أنفُسِهم، ولكن علَّمَهم ذلك علَّامُ الغيوبِ قبل أن يقولوا، ولذلك ادَّعوا معرِفتَه.

• وقال أيضًا: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٦٨)، وسعيد بن منصور (١٨٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٤٢٤ و١٥٠٥ و١٥٠٦)، وزاد: وعَلِمَ مِن آدم التوبة، ورحمه بها.
وفي لفظ آخر: وعَلِمَ مَن آدم الطاعة، وخلقه لها.

عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة].

فأخبر الله تبارك وتعالىٰ [٩٥/ ب] أنه هو الذي عَلَّمَ آدمَ والملائكةَ العلمَ، مِن غيرِ أن يعلموا شيئًا منه، وأقرَّتِ الملائكةُ بذلك، وردَّتِ العلمَ كله إلىٰ مَن بدأ منه، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة]، فهل علَّمَهم إلَّا ما قد علِمَه قبل ذلك؟

• وقال فيما أنزلَه علىٰ رسوله ﷺ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

• ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر].

• ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

• ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة].

• ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام].

• ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه]. قال: ما لم تُحدِّث به نفسَكَ.

• ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر].

فأخبرَ الله سبحانه أنه كان العالم قبل كلِّ أحدٍ، ومنه بدأ العلمُ.

• قال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

• وقال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٦١]. جاءه العِلمُ مِن اللهِ، وهو القرآن.

ثم أخبرَ بعلمِه السابقِ في عبادِهِ قبل أن يعملوا، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] الآية.

• وقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ].

• وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

• ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٥].

• ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠] الآية.

وما أشبه هذا مِن كتابِ اللهِ كثيرٌ.

ولو لم يكن منها في كتابِ اللهِ إلَّا حرفٌ واحِدٌ لاكُتفِيَ به حُجَّةً بالغةً، فكيف والكتابُ كلُّه ينطِقُ بنصِّه، يُستغنىٰ فيه بالتنزيلِ عن التفسيرِ، وتعرِفُه العامَّةُ والخاصَّةُ.

١٦٠- فلم تزل عليه الأُمَّة إلىٰ أن نبغت هذه النابغةُ بين أظهُرِ المسلمين، فأعظموا في اللهِ القولَ، وسَبُّوه بأقبحِ السِّبابِ، وجهَّلوه ونفوا عنه صفاتِه التي

بها يُعرفُ صِفَةً صِفَةً، حتىٰ نفوا عنه العِلمَ الأولَ السابقَ، والكلامَ، والسمعَ والبصرَ، والأمرَ كلَّه.

ثُم جعلوه كَلَا شيءٍ، فقالوا في الجُملةِ: (**ما نعرِفُ إلهًا غيرَ هذا الذي في كلِّ مكانٍ، فإذا بادَ شيءٌ صارَ مكانَه**).

فنظرنا في صِفةِ مَعبودِهم هذا فلم نجد بهذه الصِّفةِ شيئًا غيرَ هذا الهواء القائم علىٰ كلِّ شيءٍ، الداخلِ في كلِّ مكانٍ، فمَن قصدَ بعبادتِه إلىٰ إلهٍ بهذه الصِّفةِ فإنما يَعبُدُ غيرَ الله، وليس معبُودُه ذاك بإلهٍ، كُفرانَه، لا غُفرانَه(١).

---

(١) تقدم برقم (١ و٧٠ و١١٠) كلام أئمَّة السنة أن الجهمية لا يعبدون شيئًا، وإنما تعبُد عدمًا، وأن المُشرك الذي يعبد شيئًا خير مِن المُعطِّل الذي يعبدُ عدمًا.

- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (٢٤): يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو علىٰ العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكانٍ دون مكان، ولم يتكلمْ، ولا يتكلمُ، ولا ينظر إليه أحدٌ في الدنيا، ولا ينظر إليه أحدٌ في الآخرة، ولا يوصف، ولا يُعرف بصفة، ولا بفعل، ولا له غاية، ولا له مُنتهىٰ، ولا يدرك بعقل، وهو وجهٌ كله، وهو علمٌ كله، وهو سمعٌ كله، وهو بصرٌ كله، وهو نورٌ كله، وهو قدرةٌ كله، ولا يكون شيئين مختلفين، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلىٰ ولا أسفل، ولا نواحٍ ولا جوانب، ولا يمين ولا شمال، ولا هو ثقيلٌ ولا خفيف، ولا له لونٌ ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر علىٰ قلبك أنه شيء تعرفه فهو علىٰ خلافه.

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقلنا: فهو شيء؟ فقالوا: هو شيءٌ لا كالأشياء.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل، أنه لا شيء.

فعند ذلك، تبيَّن للناس أنهم لا يُثبتون شيئًا؛ ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشُّنعة ⇐

فاحذروا هؤلاءِ القومَ علىٰ أنفسِكم وأهليكم وأولادِكم أن يَفتِنوكم، أو يُكفِّروا صُدورَكم بالمغاليطِ والأضاليلِ التي تشتَبه علىٰ جُهَّالِكم، فإن الله تعالىٰ قال في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم].

فإن جَحَدَ منهم جاحِدٌ وانتفىٰ مِن بعضِ ما حكينا عنهم، فلا تُصدِّقُوهم، فإنه دينُهم الذي يَعتقِدونَه في أنفُسِهم، لا يجحدُ ذلك منهم إلَّا مُتعوِّذ مُستترٌ، أو جاهِلٌ بمذاهبِهم، لا يتوجّه بشيءٍ منها.

فقد اعترفَ لنا بذلك بعضُ كُبرائِهم، أو بما يُشبِه معناه، [٩٦/أ] وأسندوا بعضَ ذلك إلىٰ بعضِ المُضلِّين مِن أشياخِهم، فإلىٰ اللهِ أشكو رأيًا هذا تأويلُه،

= بما يقرون من العلانية.

فإذا قيل لهم: من تعبدون؟ قالوا: نعبد مَن يُدبِّر أمر هذا الخلق.

فقلنا: فهذا الذي يُدبِّر أمر هذا الخلق هو مجهولٌ لا يُعرف بصفة؟

قالوا: نعم.

قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تُثبتون شيئًا، وإنما تدفعون عن أنفسكم الشُّنعة بما تُظهرونه. وقلنا لهم: هذا الذي يُدبِّر هو الذي كلَّم موسىٰ؟

قالوا: لم يتكلم، ولا يتكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلَّا بجارحة، والجوارح عن الله منفية.

فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم مِن أشدِّ الناس تعظيمًا لله سبحانه، ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلىٰ فريةٍ في الله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلىٰ ضلالة وكفر. اهـ

وقومًا هذا إبطالُهم لعلمِ ربِّنا(١).

---

(١) وهذا الخفاء والتلبيس والتمويه كثيرًا ما يسلكه الأشاعرة في عقائدهم ومذاهبهم الملتوية، كما قال شيخ الحرمين أبو الحسن الكرجي (٥٣٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدةٍ له يذمُّ فيها الأشعري:

وخُبثُ مقالِ الأشعريِّ تخنُّثٌ ... يُضاهي تَلَوِّيه تَلَوِّي الشَّغازِبِ
يُزيِّنُ هذا الأشعريُّ مقالَه ... ويَقشِبْه بالسُّمِّ يا شرَّ قاشِبِ
فينفي تفاصيلًا ويُثبتُ جُملةً ... كناقضةٍ مِن بعدِ شدِّ الذوائبِ

و(الشغزبة: الالتواء والمكر)، (يقشبه: يَخلطه)، و(الذوائب: الضفائر).
«طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ١٤٤).

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص٧٤) وهي رسالة في الرد على الأشاعرة: وأمَّا تظاهُرُهم بخلافِ ما يعتقدونه كفعلِ الزنادقة؛ ففي إثبات أنَّ الله سبحانه استوىٰ علىٰ العرش، ومِن عَقْدهم: أنَّ الله سبحانه لا يجوز أن يوصف بأنه في سماءٍ ولا في أرض، ولا علىٰ عرشٍ ولا فوق .. إلخ.

وقد تقدم نقله تحت رقم (٢٥).

- وقال (ص ١١٣): والمعتزلة مع سُوء مذهبهم أقلُّ ضررًا علىٰ عوامِ أهل السُّنة مِن هؤلاء [يعني: الأشاعرة]؛ لأن المعتزلةَ قد أظهرت مذهبَها، ولم تَسْتَقِفِ، ولم تُموِّه.. إلخ. ثم ذَكَرَ بعض عقائد المعتزلة وقارنها بعقائد الأشاعرة، وبيَّن أنه لا خلاف بينهما في الحقيقة.

- وقال (ص ١١٦): وكذلك كثيرٌ مِن مذهبه، يقولُ في الظاهرِ بقولِ أهل السُّنة مُجملًا، ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلىٰ قولِ المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يُظهره، والعالمُ يجهره لِمَا منه يخبره، والضررُ بهم أكثر منه بالمعتزلةِ لإظهار أولئك ومجانبتهم أهل السنة، وإخفاءِ هؤلاء ومخالطتهم أهلَ الحق. نسأل الله السلامة من كلٍّ برحمته. اهـ

- وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حكاية المُناظرة في القرآن» (ص٣٢): وحقيقة ⇦=

واللهِ لقد علمتِ الملائكةُ - بما علَّمَهم اللهُ - ما هو كائنٌ مِن بني آدمَ مِن الفسادِ، وسفكِ الدِّماء قبل أن يُخلقوا، فكيف خالِقُهم الذي علَّمَهم ذلك؟!

فقالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة].

ووَصَفَ اللهُ هذه الأُمَّةَ في التوراةِ والإنجيلِ قبل أن يُخلقوا بصفاتِهم، فكيف وصفهم مِن غيرِ علمٍ له بهم؟!

• فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الفتح:٢٩].

• قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف].

=

مذهبهم: أنه ليس في السماءِ إلهٌ، ولا في الأرض قرآنٌ، ولا أن محمدًا رسول الله.

وليس في أهلِ البدع كلهم مَن يتظاهر بخلافِ ما يعتقدونه غيرهم، وغير من أشبههم من الزنادقة. اهـ.

فهل كان هذا الوصفُ مِن اللهِ والإخبارُ عنهم إلَّا لعلمِه السابقِ فيهم؟! فما قدَرُوا أن يتعدَّوا هذه الصفاتِ، ولا يُقصّروا عن شيءٍ مما وصفهم الله به قبل أن يكونوا.

• وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء]. فكتبَ ذلك بعلمٍ قبل أن يرثوها.

• وقال: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء].

قَضَىٰ عليهم في الكتابِ الإفسادَ في الأرضِ قبل أن يُفسِدوا.

١٦١ - وقوله: ﴿ وَقَضَيْنَآ ﴾، قال مُجاهدٌ: كتبنا.

كذلك حدثنا نُعيم بن حماد، عن ابنِ المُبارك، عن ابنِ جُريجٍ، عن مُجاهِدٍ(١).

١٦٢ - وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء]، سبقت لهم الحُسنىٰ مِن اللهِ قبل أن يُخلَقوا لعلمِ الله فيهم، فما استطاعوا أن يَتعدَّوا شيئًا عَلِمَه اللهُ فيهم.

• وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات].

---

(١) رواه يحيىٰ بن سلَّام في «تفسيره» (١/ ١١٥).

وأخبرَ عن أعمالِ قومٍ قبلَ أن يَعملوها.

• وقال: ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود].

فأخبرَ اللهُ تعالىٰ بتمتيعهم ومسِّ العذابِ إياهم قبل أن يُخلقوا.

• قال: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ [الجمعة:٣].

رُوِيَ في بعض التفاسير: أنهم الأعاجِمُ، أخبرَ اللهُ بدُخولهم في الإسلام قبل أن يدخلوا(١).

• وقال لأهلِ بدرٍ حين أخذوا الفِداءَ مِن المشركين: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنفال](٢).

يقول: لولا ما سَبَقَ لأهل بدرٍ مِن السعادةِ لمسَّهم العذابُ في أخذِهم الفِداءَ، فلم يقدر أهلُ بدرٍ أن لا يأخذوه، ولو حرصوا علىٰ تركِهِ.

• وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس].

• وقال: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام].

• وقال: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ [٩٦/أ] ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان].

---

(١) روي هذا عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «تفسير الطبري» (٢٢/ ٦٢٨).

(٢) القصَّة رواها أحمد في «المسند» (٢٠٨).

• وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر].

فسبقت لهم منه الرَّحمةُ قبل أن يُخلقوا، والدُّعاءُ لمَن سبقهم قبل أن يَدعوا.

• وقال: ﴿ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ ﴾ [الدخان].

فأخبرَ اللهُ باتِّباعِهم وإغراقِهم قبل أن يكون.

• وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾ [هود].

فأخبرَ باختِلافِهم قبل أن يختلِفوا.

• وقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾ [الجن].

• وقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾ [الأنفال].

ولكن عَلِمَ منهم غيرَ ذلك، فصاروا إلىٰ ما عَلِمَ منهم.

• وأخبر بعلمِه في قومٍ، فقال: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾ [البقرة].

• وأخبرَ عن قومٍ آخرين، فقال: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المؤمنون].

فمَن آمنَ بكتابِ اللهِ، وصَدَّقَ رُسلَ اللهِ اكتفىٰ ببعضٍ ما ذكرنا في عِلمِ اللهِ السابقِ في الخلقِ وأعمالهم قبل أن يَعملوها، ومَن يُحصي ما في كتابِ الله، وفي آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه والتابعين في إثباتِ عِلمِ اللهِ له، والإقرارِ به؟!

ويكفي في معرفةِ ذلك أقلُّ مِمَّا جمعنا، ولكن جمعناها ليتدبَّرَها أهلُ العقولِ والأفهامِ، فيعرِفوا ضلالةَ هؤلاءِ الذين أخرجوا الله مِن العلمِ ونفوه عنه، وجعلوه في العلمِ والمعرفةِ كالخلقِ سواء، فقالوا: كما لا يعلمُ الخلقُ بالشيءِ قبلَ أن يكون، فكذلك اللهُ بزعمهم لا يعلمُ قبلَ أن يكون.

فما فضلُ علَّامِ الغُيوبِ الذي يَعلمُ السرَّ وأخفىٰ علىٰ المخلوقِ الذي لا يَعلمُ شيئًا إلَّا ما علَّمَه اللهُ؟

١٦٣- وهذا المذهبُ الذي ا[دَّ]عوه في عِلمِ اللهِ قد وافقَهم علىٰ بعضِهِ بعضُ المعتزلةِ(١)؛ لأنه لا يَبقىٰ مذهبُ الفريقين جميعًا إلَّا بِرَدِّ عِلمِ اللهِ،

---

(١) وهم القدرية نُفاة عِلمِ الله، وهم أتباع معبد الجُهني، وعَمرو بن عُبيد، وغيلان أخزاهم الله، وهؤلاء هم أئمة القدرية الذين أجمع أئمة السُّنة علىٰ كفرهم.

- قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» (٨١٠): سمعتُ أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسأله علي بن الجهم عمَّن قال بالقدر، يكون كافرًا؟ قال: إذا جحدَ العلم، إذا قال: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يكن عالمًا حتىٰ خلق عِلمًا فعلم، فجحد علمَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهو كافر.

⇐=

فكفىٰ به ضَلالًا، ولأنهم متىٰ ما أقرُّوا بعلمٍ سابقٍ خُصِموا، كذلك قال عمر ابن عبد العزيز.

١٦٤ - حدثنا نُعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن معمر، عن زيد بن رُفيع الجَزري، عن عمر بن عبد العزيز، قال: مَن أقرَّ بالعلمِ فقد خُصِمَ(١).

١٦٥ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويلُ قولِهم ومذهبِهم: أنه كلَّما حَدَثَ للهِ خلقٌ حدثَ له عِلمٌ بكينونته علمٌ لم يكن عَلِمَه، ففي تأويلهم هذا: كان اللهُ ولا عِلمَ له بزعمِهم، حتىٰ جاءَ الخلقُ فأفادوه عِلمًا، فكلَّمَا حدَثَ خلقٌ حَدَثَ لله عِلمٌ بزعمهم، فهو بما كان

=

- وفيه (٨٥٠) عن أبي بكر المروذي، قال: سألت أبا عبد الله عن عَمرو بن عبيد، قال: كان لا يقرُّ بالعلم؛ وهذا الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

- وفيه (٨٥١) قال أحمد بن حنبل: القدريُّ الذي يقول: إن الله لم يعلم الشيء حتىٰ يكون؛ هذا كافر.

(١) روىٰ نحوه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٩٢٥)، واللالكائي (١٢٣٠) في مُناظرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لغيلان القدري، وقوله: (ويحكَ يا غيلان ! إنك إن أقررت بالعلمِ خُصِمتَ).

- وفي «الاستذكار» (٨/ ٢٦٣): قال الفضل الرقاشي لإياس بن معاوية: يا أبا واثلة، ما تقول في هذا الكلام الذي أكثر الناس فيه. - يعني: القدر -؟

قال: إن أقررت بالعلم خُصمت، وإن أنكرت كفرت.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٤٩): وكذلك قال مالك والشافعي وأحمد في القدريِّ: إن جحدَ علمَ الله كفر. ولفظ بعضهم: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا. اهـ

بزعمِهم عالِمٌ، وبما لم يكن غيرُ عالمٍ حتىٰ يكون، فتعالىٰ الله عمَّا يَصفون.

• قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

• وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الملك].

• وقال: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ﴾ [طه:٥٢].

فكيف يَحدُثُ للهِ عِلمٌ بكينونةِ الخلقِ وعلىٰ عِلمِهِ السابقِ [٩٧/أ] فيهم خُلِقوا، وبما كتبَ عليهم في أُمِّ الكتابِ يعملون، لا يزيدون مِثقالَ حبةٍ ولا يُنقِصون.

• قال: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر].

• وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف].

• وقال: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد].

• وقال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة:٣٦].

• وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد].

• وقال: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ﴾ [فاطر:١١].

• ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾ [الحج].

• وقال: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فهل كتبَ هذه الأشياء قبل كينونتها إلَّا للعلمِ بها قبل أن تكون؟.

١٦٦ - حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري، أنبأ الليث - وهو ابن سعد -، حدثني عبد الله بن حيان، قال: حدثني عبد الوهاب بن بُختٍ، [أبو](١) ثعلبة الخثعمي، عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، أنه قال: أيُّها الناسُ، لا يَشتَبِه عليكم بأنَّ اللهَ عَلِمَ عِلمًا، وخلقَ خلقًا، فإن كان العِلمُ قبلَ الخلقِ؛ فالخلقُ يتبعُ العلمَ، وإن كان الخلقُ قبل العلمِ؛ فالعلمُ يَتبعُ الخلقَ(٢).

١٦٧ - قال ابن أبي مريم: وأخبرنا ابن لهيعة، عن عبد الله بن حيان، عن عبد الوهاب بن بُخت، عن أبي أُمامة رضي الله عنه مثله.

---

(١) ما بين [ ] المعكوفتين من «تلخيص المتشابه».

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه في الرسم» (١/ ٢٠٢) في ترجمة: (عبد الله بن حيان الليثي)، من طريق سعيد بن أبي مريم به. اهـ

وعبد الله بن حيان الليثي، سكت عنه ابن أبي حاتم والبخاري، وذكره ابن حبان في الثقات. «الجرح والتعديل» (٥/ ٤١)، و«التاريخ الكبير» (٦/ ٨٧)، و«الثقات» (٧/ ٣١).

* قال أبو سعيد:

فادَّعت هذه العِصابةُ: (أن الخلقَ قبلَ العِلمِ، والعِلمَ يتبعُ الخلقَ)، فأيُّ ضلالٍ أبينُ مِن هذا؟!(١).

• وقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أوَّلَ شيءٍ خلقَ اللهُ القلمُ، فقال له: اكتُب، فكتَبَ كلَّ شيءٍ يكونُ».**

---

(١) أجمع أهل السُّنة علىٰ أن مَن ادَّعىٰ أن علمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ خارجٌ عن المِلَّة.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢١٤٥): ومَن زعم أن عِلمَ الله مخلوقٌ، فقد زعم أن الله كان ولا عِلمَ له. ومَن قال ذلك، فقد جعل الله تعالىٰ كخلقه الذين خلقهم الله جُهَّالًا لا يعلمون ثم عَلَّمهم؛ لأنَّ مَن سبق كونه علمه، فقد كان جاهلًا فيما بين حدوثه إلىٰ حدوثِ عِلمه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ فيما أخبرنا به من جهل ابن آدم قبل تعليمه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل:٧٨]...

فهذه أوصاف الإنسان الذي خلقه الله جاهلًا بلا عِلمَ، ثم علَّمه ما لم يكن يعلم، فمَن زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن علمَ الله مخلوق.

ومَن زعمَ أن عِلمَ الله مخلوق، فقد شَبَّه الله بخلقه، وأنه كان لا يعلمُ ثم تعلَّم، تعالىٰ الله عمَّا تنسِبُه إليه الجهمية الضَّالة عُلوًّا كبيرًا. اهـ

- وفي «السنة» للخلال (١٨٦٣) قال أحمد: من قال: إن علم الله مخلوق؛ فهو كافر. ومَن زعم أن علمه مخلوق؛ فكأنه لم يكن يعلم حتىٰ خلق العلم.

ومَن قال: إن أسماء الله مخلوقة؛ فكأنَّ أسماء الله لم تكن حتىٰ خُلقت، وإن كل مخلوق يبيد، فهذا عندي كافر إذا قال هذا. اهـ

- وعند اللالكائي (٦٤٥) قال الربيع بن سُليمان: قال حفصٌ الفرد: عِلمُ اللهِ مخلوقٌ. قال الشافعيُّ: كفرتَ باللهِ العظيم.

* قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلم يدرِ - والله - القلمُ بما يجري، حتىٰ أجراه اللهُ بعلمِه، وعلَّمَه ما يكتُبُ مما يكونُ قبل أن يكون.

• وقال رسول الله ﷺ: «**كتبَ اللهُ مقاديرَ أهلِ السمواتِ والأرضِ قبل أن يخلُقَهم بخمسينَ ألفَ سنةٍ**».

فهل كتبَ ذلك إلَّا بما عَلِمَ؟ فما موضعُ كتابِ هذا إن لم يكن عَلِمَه في دَعواهم؟

ثم الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ فيما يُشبِه هذا، وعن أصحابِهِ جُملةٌ كثيرةٌ، أكثرُ مِن أن يُحصيها كتابُنا هذا.

وسنأتي منها ببعضِ ما حضرَ إن شاء الله، مع أنَّا نعلمُ أنهم يُكذِّبون بأحاديثِ رسول الله ﷺ، ولا يؤمنون بها، ولكن خيرٌ منهم وأطيبُ وأفضلُ وأعلمُ مِن الناسِ مَن يُؤمنُ بها فيتَّقيهم.

١٦٨- حدثنا نُعيم بن حماد، وأحمد بن جميل، أن ابن المبارك أخبرهم، أنبا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يُحدِّث: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أولَ شيءٍ خلقَه اللهُ القلمُ، فأمرَه فكتبَ كلَّ شيءٍ يكون**»[1].

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٣٨٨)، والطبري في «التفسير» (٣٤٨٤٨)، وأبو يعلىٰ (٢٣٢٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٣٠).

وفي الباب أحاديث ذكرها ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٠١): (باب ذكر القلم وأنه أول ما خلق الله).

١٦٩- حدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال: حدثني الليث - يعني: [٩٧/ب] ابن سعد -، عن أبي هانئ حُميد بن هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي، عن عبد الله بن عَمرو ﵄، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتبَ اللهُ مقاديرَ كلِّ شيءٍ قبلَ أن يَخلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنَةٍ**»(١).

١٧٠- وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبد الله بن بكر السهمي، ثنا بشر ابن نُمير، عن القاسم، عن أبي أمامة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**خلقَ اللهُ الخلقَ، وقضىٰ القضيَّةَ، وأخذَ ميثاقَ النَّبيين، وعرشُه علىٰ الماءِ، فأخذَ أهلَ اليمينِ بيمينِه، وأخذ أهلَ الشمالِ بيده الأُخرىٰ، وكِلتا يدي الرحمن يمينٌ، وقال: يا أصحابَ اليمينِ، قالوا: لبَّيكَ وسعديكَ. قال: ألست بربِّكُم؟ قالوا: بلىٰ. ثم قال: يا أصحابَ الشمال. قالوا: لبَّيكَ ربَّنا وسعديك، قال: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلىٰ، فخلَطَ بعضَهم ببعضٍ، فقال قائلٌ: ربِّ، لم خلطت بيننا؟ قال:** ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون] إلىٰ قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، **ثم ردَّهم في صُلبِ آدم**».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**خلقَ اللهُ الخلقَ، وقضىٰ القضيَّةَ، وأخذَ مِيثاقَ النَّبيينَ، وعرشُه علىٰ الماءِ، وأهلُ الجنةِ أهلُها، وأهلُ النارِ أهلُها**».

فقال قائلٌ: يا نبيَّ الله، ما الأعمالُ؟

قال: «**أن يَعملَ كلُّ قومٍ لمنزِلَتِهم**».

---

(١) رواه أحمد (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٦٥٣).

فقال عمر: إذًا نجتهدَ.

قال: وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن الأعمالِ، فقيل: يا رسول الله، أرأيت الأعمالَ، أهو شيءٌ يؤتنفُ، أو فُرِغَ منها؟

قال: «بل فُرِغَ منها»(١).

١٧١- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، أنبأ المسعودي، عن علي ابن بَذِيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]، قال: خلقَ اللهُ آدمَ، فأخذَ ميثاقَه أنه ربُّه، وكتبَ أجلَه ورِزْقَه ومصائبه، وأخرجَ ولدَه مِن ظهرِه كهيئةِ الذَّرِّ، فأخذَ مواثيقَهم أنه ربُّهم، وكتبَ آجالَهم وأرزاقَهم ومصائبَهم(٢).

١٧٢ - حدثنا محمد بن كثير العبدي، ثنا سفيان، عن خالد الحَذَّاء، عن عبد الأعلىٰ، عن عبد الله بن الحارث، قال: خطبَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنَّ اللهَ خلقَ أهلَ الجنةِ، وما هم عاملون، وخلقَ أهلَ النارِ، وما هم عامِلون، فقال: هؤلاءِ لهذه، وهؤلاءِ لهذه(٣).

١٧٣- حدثنا عَمرو بن عون الواسطي، أنبا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ سُئِلَ عن أطفالِ

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٣٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٥٣٠)، والطبري (١٥٣٤٨ و١٥٣٤٩)، والفريابي في «القدر» (٤٥).

(٣) رواه عبد الله في «السنة» (٩٠٦)، والفريابي في «القدر» (٥٤ و٥٥)، والآجري في «الشريعة» (٤١٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٥٦٥ و١٥٦٧)، وهو صحيح.

المُشركين. فقال: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ إذ خلقَهم»(١).

١٧٤- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، عن أيوب، عن الزُّهري، عن عطاء، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ مثله(٢).

١٧٥- حدثنا عَمرو بن عون، أنبأ هُشيم، عن خالد وهو الحَذَّاء، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي الجدعاء، قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، متىٰ كُتِبتَ نبيًّا؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ»(٣).

١٧٦- قرأتُ علىٰ أبي اليمان: أن أبا بكر بن أبي مريم الغسَّاني حدَّثه، عن سعيد بن سويد، عن عِرباض بن سَارِية السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٩٨/أ]، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إني عِنْدَ الله في أُمِّ الكتابِ لخاتَمُ النبِيِّينَ، وإنَّ آدمَ لمُنجدَلٌ(٤) في طينَتِه»(٥).

(١) رواه البخاري (٦٥٩٧)، مسلم (٢٦٦٠). وسيأتي برقم (١٨١) تعليق المُصنِّف عليه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٨)، ومسلم (٢٦٥٩).

(٣) رواه أحمد (٢٠٥٩٦)، وابنه عبد الله في «السُّنة» (٨٤٠).

- قال الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «منتخب العلل» (٩٥): وقرأت علىٰ زهير: حدثنا مُهنَّا، قال: سألت أحمد عن حديث ميسرة الفجر: متىٰ كنت نبيًّا؟

قال أحمد: يقولون أيضًا: متىٰ كُتِبت؟ قاله حماد بن سلمة، عن خالد، عن ابن شقيق، عن ابن أبي الجدعاء. وابن أبي الجدعاء: هو ميسرة الفجر.

قلت: له حديث غير هذا؟ قال: نعم، آخر. اهـ

ورجَّح الدارقطني في «العلل» (٣٤٣٢) إرساله.

(٤) أي: مُلقىٰ علىٰ الجَدَالَة، وهي الأرضُ. «النهاية» (١/ ٢٤٨).

(٥) رواه أحمد (١٧١٥٠ و١٧١٦٣)، والبزار في «مسنده» (٤١٩٩)، وقال: هذا ⇐

١٧٧- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أنبأ حيوة بن شُريح، قال: أخبرني أبو هانئ الخولاني، أنه سمِعَ أبا عبد الرحمن الحُبُلي، يقول: سمعتُ عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ [يقول]: «**قدَّرَ اللهُ المقاديرَ قبلَ أن يَخلقَ السمواتِ والأرضَ**»(١).

١٧٨- حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري، قال: أخبرني الليث بن سعد، قال: حدثني أبو قُبيل، عن شُفَيٍّ بن ماتِعٍ الأصبحي، عن عبدِ الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ وفي يده كِتابانِ، فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابَانِ؟**». قالوا: لا يا رسول الله.

فقال للأيمنِ منهما: «**هذا كتابٌ مِن ربِّ العالمين بأسماءِ أهلِ الجنةِ، وأسماءِ آبائهم وقبائلهم، أُجْمِلَ علىٰ آخرِهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقصُ منهم أبدًا**».

وقال للذي في يدِه اليُسرىٰ: «**وهذا كتابٌ بأسماءِ أهلِ النارِ، وأسماءِ آبائهم وقبائلهم، ثم أُجْمِلَ علىٰ آخرِهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقصُ منهم أبدًا**».

فقال أصحابُ رسول الله ﷺ: فلأيِّ شيءٍ يُعملُ إن كان هذا الأمر قد فُرِغَ منه؟

= الحديث لا نعلمه يروىٰ عن رسول الله ﷺ بإسناد مُتَّصِل عنه بأحسن من هذا الإسناد، وسعيد بن سويد رجلٌ مِن أهل الشام ليس به بأس. اهـ

(١) رواه أحمد (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٦٥٣)، ولفظه: «**كتبَ اللهُ مقادير الخلائق قبلَ أن يخلقَ السماوات والأرض بخمسينَ ألفَ سَنةٍ، قال: وعرشه علىٰ الماء**».

فقال رسول الله ﷺ: «سَدِّدوا وقارِبوا، فإن أصحابَ الجنةِ يُختمُ له بعملِ أهلِ الجنةِ، وإن عَمِلَ أيّما عَمَلٍ، وإنَّ أصحابَ النارِ يُختمُ له بعملِ أهلِ النارِ، وإن عَمِلَ أيّما عملٍ»، ثم قبضَ يديه، وقال: «فرَغَ ربُّكم مِن العبادِ»، ثم قال بيده اليُمنىٰ فنبذَ بها، فقال: «فريقٌ في الجنةِ»، ونبذَ بالأُخرىٰ، وقال: «فريقٌ في السعيرِ»(١).

١٧٩ - قال أبو سعيد:

فهؤلاءِ قد كتبَهم اللهُ بأسمائِهم التي كان في عِلمِه أن يُسَمِّيهم بها آباؤهم وأُمَّهاتُهم قبل أن يَخلُقَهم، فما قدَرَ الآباءُ لتلك الأسماءِ تَبديلًا، ولا استطاعَ إبليسُ لِمَن هَدَىٰ الله منهم تضليلًا.

• وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن أطفالِ المُشركين، فقال: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلين»، فرَدَّ أمرهم إلىٰ سابقِ عِلمِ اللهِ فيهم قبل أن يُخلَقوا، وقبل أن يَعملوا.

• وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل].

• وقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم].

• وقال رسولُ الله ﷺ: «يُكتبُ بين عيني المولودِ ما هو لاقٍ قبلَ أن يُولدَ، حتىٰ النكْبَة يُنكبُها».

(١) رواه أحمد (٦٥٦٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٠٩)، والترمذي (٢١٤١)، وقال: وهذا حديث حسن صحيح غريب. وأبو قُبيل اسمه: حيي بن هانئ. اهـ

١٨٠- حدثنا أحمد بن صالح المصري، ثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب: أن عبد الرحمن بن هُنيدة حدَّثه: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يَخلقَ النَّسَمَةَ، قال ملكُ الأرحامِ مُعرِّضًا: يا ربِّ، أذكرٌ أم أُنثىٰ؟ فيَقضي اللهُ أمرَه، ثم يقول: يا ربِّ، شقيٌّ أم سعيدٌ؟ فيَقضي اللهُ أمرَه، ثم يَكتبُ بين عَينَيه ما هو لاقٍ، حتىٰ النكبة يُنكبُها**»(١).

١٨١- حدثنا محمد بن كثير(٢)، أنبأ سفيان [٩٨/ب] الثوري، عن الأعمش، ثنا زيد بن وهب، قال: ثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصَّادقُ المصدوق: «**إنَّ أحدَكم يُجمعُ في بَطنِ أُمِّه أربعين ليلةً، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكون مُضغةً مثل ذلك، ثم يبعثُ الله ملكًا، فيؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، فيقولُ: اكتب عملَه، وأجلَه، ورِزقَه، وشقيٌّ أم سعيدٌ، فإن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتىٰ ما يكون بينَه وبين الجنة إلَّا ذِراعٌ، فيَغلبُ عليه الكتابُ الذي سبق، فيُختمُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُ النارَ، وإن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتىٰ ما يكون بينه وبين النارِ إلَّا ذِراعٌ، فيَغلبُ عليه الكتابُ الذي سبق، فيُختمُ بعملِ أهل الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ**»(٣).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٨٣)، والفريابي في «القدر» (١٣٧)، وأبو يعلىٰ (٥٧٧٥). ورجَّح الدارقطني في «العلل» (٣٠٠٧) وقفه.
وروراه عبد الرزاق (٢٠٠٦٦)، والفريابي، في «القدر» (١٣٨ و١٣٩) موقوفًا.

(٢) في الأصل: (معاذ بن محمد بن كثير)، والصواب ما أثبته، وقد تكرر مرارًا.

(٣) رواه أحمد (٣٦٢٤)، والبخاري (٣٢٠٨و ٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).
وفي هذا الحديث ردٌّ علىٰ القدرية، ولهذا أنكره أئمَّتهم وردُّوه:

⇦=

١٨٢- حدثناه أبو عمر الحوضي، ثنا شعبة، عن سُليمان الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المَصدوق. ذكر نحوه، قال: «فيَكتَبُ رِزقَه، وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثم يَنفخُ فيه الرُّوحَ».

١٨٣- حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن منصور، عن سعد بن عَبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا في جنازة في بقيعِ الغرقدِ، قال: فأتانا رسول الله ﷺ، فقعدَ وقعدنا معه، ومعه مِخصرةٌ، فنكَّسَ، فجعلَ ينكت بمخصرتِه، ثم قال: «ما منكم مِن أحدٍ مِن نفسٍ منفوسةٍ إلَّا وقد كُتِبَ مكانها مِن الجنةِ أو النارِ، وإلَّا قد كُتبت شقيةً، أو سعيدةً».

قال: «فقال رجلٌ: يا رسول الله، أفلا نتَّكِلُ علىٰ كتابِ رَبِّنا وندعُ العملَ،

=

- ففي «تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٩ - ٧٠) عن عُبيد الله بن معاذ العنبري، قال: سمعت أبي يقول: سمعت عَمرو بن عُبيد يقول - وذكر حديث الصّادق المصدوق- فقال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا مَا أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالىٰ يقول هذا لقلت له: ليس علىٰ هذا أخذت ميثاقنا. اهـ

- وعند اللالكائي (٩٧٨) قال ابنُ قُتيبة في كتاب «مُختلف الحديث»: حُكي عن أبي الهُذيل العلّاف أنه لما رُوِيَ له عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الحديث، فقال: كذَبَ عبد الله بن مسعود علىٰ رسول الله ﷺ.

قال اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكذَبَ أبو الهُذيل الكافر الجَاحِدُ - لعنه الله -.

فمن كان مِنَّا مِن أهلِ السعادةِ فسيصيرُ إلىٰ عملِ أهلِ السعادةِ، ومن كان مِن أهلِ الشقاوةِ فسيصيرُ إلىٰ عملِ أهلِ الشقاوةِ؟».

قال: **«اعملوا، أمَّا أهلُ السعادةِ؛ فيُيَسَّرون لعملِ أهلِ السعادةِ، وأمَّا أهلُ الشقاوةِ؛ فيُيَسَّرون لعملِ الشقاوةِ»**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل][(١)].

١٨٤- حدثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن المُبارك، أنبا شُعبة بن الحَجَّاج، قال: أخبرني عاصم بن عُبيد الله[(٢)]، قال: سمعتُ سالم بن عبد الله، قال: سمعتُ أبي يقول: سَمِعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سألتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: أرأيتَ ما نَعملُ، أفي أمرٍ قد فُرِغَ منه أم أمرٍ مُبتدعٍ، أو مُبتدأ؟

فقال: **«فيما قد فُرِغَ [منه]»**.

فقال عمرُ: أفلا نَتَّكِل؟

فقال: **«اعمل يا ابنَ الخطابِ، فكلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ له، أمَّا مَن كان [مِن] أهلِ السعادةِ، فهو يعملُ للسعادةِ، وأمَّا مَن كان مِن أهلِ الشقاءِ، فهو يعملُ للشقاءِ»**[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٦٢١ و١٠٦٧)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، ولفظهم: **«ما منكم من نفسٍ منفوسة إلَّا وقد كتب مقعدها»**.

(٢) في الأصل: (عبد الله)، والصواب ما أثبته كما عند من خرجه.

(٣) رواه أحمد (١٩٦ و٥١٤٠)، والترمذي (٢١٣٥)، وقال: وفي الباب: عن علي، وحذيفة ابن أسيد، وأنس، وعمران بن حصين رضي الله عنهم، وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ

* قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومَن فرغَ منه إلَّا مَن قد علِمَه قبلَ أن يكون؟! ومَن يسَّرَهم لما خلَقهم له إلَّا مَن قد عَلِمَ ما هم عامِلون قبل أن يَخلُقَهم؟!

فسبُحان مَن لا يَستحقُّ أحدٌ أن يكون كذلك غيرُه، وتعالىٰ علوًّا كبيرًا. [٩٩/ ب]

١٨٥- فيُقال لمِن رَدَّ ما ذكرنا مِن كتابِ اللهِ وهذه الأخبارِ، ولم يُقرَّ للهِ بعلمٍ سابقٍ: أرأيتَ اللهَ يعلمُ أن الساعةَ آتيةٌ؟

فإن قال: لا. فقد فارَ[ق] قولَه، وكفرَ بما أنزلَ اللهُ علىٰ نَبِيِّه ﷺ، وكذَّبَ بالبعثِ، وأخبرك أنه نفسَه لا يُؤمنُ بقيامِ الساعةِ.

وإن قال: يَعلمُ اللهُ أن الساعةَ آتيةٌ، فقد أقرَّ بكُلِّ العلمِ، شاء أو أبىٰ.

ويُقالُ له أيضًا: أعلِمَ اللهُ قبل أن يَخلُقَ الخلقَ أنه خالِقُهم؟

فإن قال: لا، فقد كفرَ بالله العظيم.

وإن قال: بلىٰ، فقد أقرَّ بالعلمِ السابقِ، وانتقضَ عليه مذهبه في ردِّ علمِ اللهِ، وهو منتقضٌ عليه علىٰ زعمه(١).

---

(١) كما تقدم (برقم/ ١٦٣و١٦٤) من قول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة: إذا أقرَّ بالعلم فقد خُصِمَ.

١١- باب

الإيمان بكلامِ الله تبارك وتعالى

١٨٦- قال أبو سعيد:

فاللهُ المُتكلِّم أولًا وآخِرًا، لم يزل له الكلامُ، إذ لا مُتكلِّمَ غيره، ولا يزالُ له الكلامُ إذ لا يبقىٰ مُتكلِّمٌ غيره، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]؟ أنا المَلِكُ، أين ملوكُ الأرضِ؟ فلا يُنكِرُ كلامَ الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا مَن يريدُ إبطالَ ما أنزلَ الله عَزَّوَجَلَّ(١).

---

(١) قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ الجهمية»: وجدت في كتاب أبي عمر نُعيم ابن حماد، قال: يقال للجهمية: أخبرونا عن قول الله تعالىٰ بعد فناء خلقه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، فلا يُجيبه أحدٌ، فيرُدّ علىٰ نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾، وذلك بعد انقطاع ألفاظ خلقه بموتهم، أفهذا مخلوق؟!. «الفتح» (١٣/ ٢٦٨).

- روىٰ أبو عبد الله محمَّد بن سلام البيكندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - شيخ البخاري - في كتابِ «السُّنة والجماعة» له: عن ابن صالح، قال: لقيتُ جهمًا فقلتُ: نطقَ الله؟

قال: لا. قلتُ: فهو ينطقُ؟

قال: لا. قلتُ: فمَن يقول يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ ومَن يَرُدُّ عليه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾؟ فقال: إنهم زادوا في القرآن ونقصوا منه.

[انظر: «التسعينية» (١/ ٢٣٧)].

- وعند اللالكائي (٣٤٠) سأل رجلٌ أبا الهُذيلِ العلَّاف المُعتزلي البصري عن القرآنِ؟ فقال: مخلوقٌ.

⇦=

وكيف يَعجزُ عن الكلامِ مَن عَلَّمَ العِبادَ الكلامَ، وأنطقَ الأنامَ؟!

• قال اللهُ في كتابِه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء].

فهذا لا يَحتملُ تأويلًا غيرَ نفسِ الكلامِ(١).

فقال له: مخلوقٌ يموتُ أو يُخلَّدُ؟ قال: لا، بل يموتُ.

قال: فمتىٰ يموتُ القرآنُ؟! قال: إذا مات مَن يتلوه فهو موتُه.

قال: فقد ماتَ مَن يتلوه، وقد ذهبتِ الدنيا وتَصرَّمت، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، فهذا القرآنُ، وقد ماتَ الناسُ؟ فقال: ما أدري. وبُهِتَ.

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٩٩): فمما يُحتجُّ به علىٰ الجهمية: أن يقال لهم: أرأيتم إذا مات الخلق كلهم فلم يبقَ أحدٌ غير الله، من القائل: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾؟ وقد مات كل مخلوق، ومات مَلَكُ الموتِ، ثم يَرُدُّ ربُّنا تعالىٰ علىٰ نفسِه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾.

فإن قالوا: إن هذا القول مخلوق؛ فقد زعموا أنه يبقىٰ مخلوق مع الله.

وإن قالوا: إن الله لا يقول، ولكنه أخبر بما يدلُّ علىٰ عظمته؛ فقد كَذَّبوا كتابَ الله، وجحدوا به ورَدّوه.

أرأيتَ لو أن قائلًا قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقول يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، أليس يكون كاذبًا، ولكتابِ الله رادًّا، فأيُّ كفرٍ أبين من هذا؟. اهـ

(١) سيأتي التعليق عليها برقم (٢٦٠).

- وفي «السُّنة» لغلام الخلال (٣٢) قال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء]، فأثبتَ الكلام لموسىٰ كرامةً له منه لموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ثم قال بعد: ﴿تَكۡلِيمًا﴾.

قلتُ لأبي عبد الله: يُكلِّمُ الله عبده يومَ القيامة؟

=

قال: نعم، فمَن يقضي بين الخلائق إلّا اللهُ، يُكلِّم عبده ويَسأله، اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُتكلّمًا لم يزل، مُتكلِّمًا لم يزل يأمر بما يشاء، له الحُكم، ليس له عِدلٌ، ولا مِثلٌ، كيف شاءَ، وأنَّىٰ شاء.

- قال أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء: العربُ تُسمِّي ما يُوصَلُ إلىٰ الإنسان: كلامًا، بأيِّ طريقٍ وصل، ولكن لا تُحقِّقه بالمصدرِ، فإذا حُقِّق بالمصدرِ لم يكن إلَّا حقيقة الكلام. «معالم التنزيل» للبغوي (١/ ٥٠٠).

- وقال أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٥٠٧): (تكليمًا) مصدر مؤكَّد، وأجمع النحويون: علىٰ أنك إذا أكَّدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا.

- وقال الكرجي في «نكت القرآن» (١/ ٢٧٩): ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، حُجَّة علىٰ الجهمية، وهي من كبار الحجج عليهم. ويَحتجُّون بأنَّ الكلام منه علىٰ المجاز، والمجاز لا يؤكَّد بالمصدر، وقد أكَّده جلَّ وعلا كما ترىٰ فجاء بالتكليم. اهـ

- وقال ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لولا أن الله تعالىٰ أكَّد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلَّمتُ لك فلانًا، بمعنىٰ: كتبتُ إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولًا، فلما قال: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾، لم يكن إلَّا كلامًا مسموعًا من الله.
«زاد المسير» (٢/ ٢٥٦)

- وقال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص ٦٧): وأحد ما استدل به العلماء علىٰ نفي الخلق عن كلام الله سبحانه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾، فقالوا: أتىٰ بالمصدر ليعلم أنه كلام مِن مُكلِّم إلىٰ مُكلَّم.

وقال نوح بن أبي مريم في (تكليمًا): (يعني: المشافهة بين اثنين)، وإن لم يكن هناك مشافهة، فالله تعالىٰ قال لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه]، والاستماع بين الخلق لا يقع إلَّا إلىٰ صوت، وهو غير الإفهام؛ لأن الفهمَ يتأخَّر عن السمع. اهـ

• وقال لموسىٰ: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤].

• وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة].

• وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥].

• وقال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:٦٤].

• وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥].

• وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦][1].

---

(١) قال قوام السُّنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الحُجَّة في بيان المحجة» (١/ ٣٢١): قال بعض الحنابلة: ومن الدليل على ما قلناه: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، والمسموع إنما هو الحرف والصوت لا المعنىٰ؛ لأن العرب تقول: سَمعتُ الكلامَ، وفهمت المعنىٰ، ولا تقول: سمعت المعنىٰ. فلما قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ﴾، دلَّ علىٰ أنه الحرف والصوتُ؛ ولأن الاستجارة إنما حصلت للمشركين بشرطِ استماع كلام الله، فلو كان ما سمعوه من النبيِّ ﷺ ليس بكلامِ الله لم تحصل الاستجارة لهم، ولأنه قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، فلا يجوز أن يكون كلامًا لم يصل =

• وقال: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ ﴾ [الصافات].

• وقال: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾ [البقرة:٣٧].

١٨٧ - قال عُبيد بن عُمير الليثي في تفسيرها: قال: قال آدمُ لربِّه، وذَكَرَ خَطيئتَه: ربِّ، أشيءٌ كتبتَه عليَّ قبلَ أن تَخلُقني، أم شيءٌ ابتدعتَه؟

فقال: بل شيءٌ كتبتُه عليك قبل أن أخلُقَكَ.

قال: فكما كتبتَه عليَّ فاغفِره لي.

قال: فهؤلاءِ الكلماتُ التي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾ [البقرة:٣٧].

١٨٨ - حدثناه محمد بن كثيرٍ، أنبا سفيان - يعني: الثوري -، عن عبد العزيز بن رُفيع، قال: حدثني مَن سَمِعَ عُبيدَ بن عُمير يقولُه(١).

= إليهم؛ لأن ما لم يصل إليهم لا يتأتَّىٰ لهم تبديله، فلم يبق إلَّا أن يكون الحرف والصوت؛ ولأنه قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ [القصص:٣٠]، والنداء عند جميع أهل اللغة: لا يكون إلَّا بحرف وصوت، ولأنه قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [الإسراء:٨٨]، وعند أهل اللغة: هذا إشارة إلىٰ شيء حاضر، فلو كان قائمًا في نفسه لم يصح الإشارة إليه... وقد أجمع أهل العربية: أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة. اهـ

(١) رواه الطبري (١/ ٥٨١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤٠٩)، والآجري في «الشريعة» (٤٠٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٤٢٣ و١٥٠٠ و٢٠٣٩).

=

١٨٩ - قال أبو سعيد:

فسُئِلَ النبيُّ ﷺ عن آدمَ، فقال: «**كان نَبيًّا مُكلَّمًا**»(١).

• وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

• وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

• وقال لقوم موسىٰ حين اتخذوا العجل، فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه].

• وقال: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف].

=

وقد روىٰ الطبري هذا الأثر ضمن أحد الأقوال الكثيرة المروية في ذكرِ الكلمات التي تلقَّاها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن ربِّه عَزَّوَجَلَّ وكانت سببًا في توبته.

وقال: هذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها مُتفقَّة في أن الله جل ثناؤه لقَّىٰ آدمَ كلمات، فتلقَّاهن آدم من ربِّه فقبلهن، وعمل بهن ... والذي يدلُّ عليه كتاب الله: أن الكلمات التي تلقَّاهن آدم من ربه هنَّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلًا بقيلها إلىٰ ربه، معترفًا بذنبه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]، وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله ... اهـ

(١) سيأتي تخريجه برقم (٢٠٨ و٢٠٩ و٢٢٧).

١٩٠ – قال أبو سعيد:

ففي كلِّ ما ذكرنا تحقيقُ كلامِ الله وتَثبيته نصًّا بلا تأويل(١).

ففيما عابَ اللهُ به العِجلَ في عجزِه عن القولِ والكلامِ بيانٌ بيِّنٌ: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ غيرُ عاجزٍ عنه، وأنه مُتكلِّمٌ وقائلٌ، لأنه لم يكن يَعيبُ العِجلَ بشيءٍ هو موجودٌ فيه.

• وقال إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [٩٩/ ب] الآية إلىٰ قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) والأشاعرة كذلك يوافقون في الظاهر أهل السنة في إثبات الكلام لله تعالىٰ، فإذا ما فَصَّلوا انكشفوا وتبيّن مذهبهم وأنهم موافقون للجهمية في إبطالِ كلام الله تعالىٰ، فيقولون: (الله يتكلم)، ثم يقولون: (وكلامه سبحانه مِن غيرِ حرفٍ ولا صوتٍ)، فرجع أمرهم إلىٰ الإنكار ولكن بتلبيس وخداع حتىٰ لا يفتضحوا.

– قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (٨٣): قالت المُعتزلة: لا يجوز أن توصفَ ذاتُ الله بالكلام، ولا كلام إلَّا ما هو حرفٌ وصوتٌ.

وقال الأشعري: يجبُ وصفُ ذاته سبحانه بالكلام، وليس ذلك بحرفٍ ولا صوتٍ. فنفىٰ ما نفته المُعتزلة، وأثبتَ ما لا يُعقل، فهو مُظهِرٌ خلافهم موافقٌ لهم في الأصل. اهـ

– وقال الحافظ محمد بن إسحاق ابن منده الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه صفة الأشعريين، يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوق، والمقروء والمتلو حكايةً عن كلام الله، وأن ما بين الدفتين المكتوب حروفها مخلوقة، فهم قائلون بخلق القرآن عن غير تصريحٍ. انتهىٰ من «مجلس في الرد علىٰ الزنادقة–مخطوط».

وسيأتي برقم (٢٣٤ و٢٦٠) زيادة بيان بنقل كلامهم وردّ أهل السُّنة عليهم.

فلم يَعِب إبراهيمُ أصنامَهم وآلهتَهم التي يعبدون بالعجزِ عن الكلامِ إلَّا وإن إلهَهُ مُتكلِّمٌ قائلٌ؟!(١).

ففيما ذكرنا مِن ذلك بيانٌ بيِّنٌ لمن آمنَ بكتابِ اللهِ، وصدَّقَ بما أنزلَ الله.

١٩١ - وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ

---

(١) قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٩٨): ويلزم الجهمي في قوله: (إن الله لم يتكلَّم، ولا يتكلَّم)؛ أن يكون قد شَبَّه ربَّه بالأصنام المُتخذة من النحاس، والرّصاص، والحِجارة.

فتدبَّروا - رحمكم الله - نفي الجهمي للكلام عن الله، إنما أراد أن يجعل ربَّه كهذه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ عيَّر قومًا عبدوا مِن دونه آلهةً لا تتكلم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف]، فزعم الجهمي أن ربَّه كذا إذا دُعي لا يُجيب.

وقال إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين عَيَّرَ قومه بعبادة ما لا ينطِق حين قال: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ [الأنبياء]، أي: كيف يكون من لا ينطِق إلهًا؟ فلما أسكتهم بذلك وبَّخهم، فقال: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [الأنبياء]. فأيُّ خيرٍ عند من لا ينطِق، ولا ينفع، ولا يضرّ؟! ...

وقد كان إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عتب علىٰ أبيه فيما احتجَّ به عليه، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم].

فيقولون: إن إبراهيم عاتب أباه، ونقم عليه عبادة مَن لا يسمعُ ولا يُبصر، ثم دعا أباه إلىٰ عبادة من لا يَسمع ولا يُبصر. سبحان الله ما أبين كفر قائل هذه المقالة عند من عقل!. اهـ

كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

• وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٧].

وصدقَ وبلَّغَ رسولُ الله ﷺ، لو جُمِعَ مياه بحورِ السمواتِ والأرضِ وعيونِها، وقُطِّعت أشجارُها أقلامًا لنفِدت المياه، وانكسرتِ الأقلامُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ الله؛ لأنَّ المياه والأشجارَ مخلوقةٌ، وقد كتبَ اللهُ عليها الفناءَ عند مُدَّتِها، واللهُ حيٌّ لا يموتُ، ولا يفنىٰ كلامُه، ولا يزالُ مُتكلِّمًا بعد الخلقِ، كما لم يزل مُتكلِّمًا قبلهم.

فلا يُنفِدُ المخلوقُ الفاني كلامَ الخالقِ الباقي الذي لا انقِطاعَ له في الدنيا والآخرة.

ولو كان علىٰ ما يذهبُ إليه هؤلاء الجهميةُ أنه كلامٌ مخلوقٌ أُضِيفَ إلىٰ الله، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يتكلَّم بشيءٍ قطُّ، ولا يتكلَّمُ بشيءٍ قطُّ، ولا يتكلمُ؛ لنفِدَ كل مخلوقٍ من الكلامِ قبل أن ينفدَ ماءُ بحرٍ واحدٍ مِن البحورِ؛ لأنه لو جُمِعَ كلامُ خلقِ اللهِ كلهم من الجنِّ والإنسِ والملائكةِ والطيرِ والبهائمِ كلها، وجميعُ أعمالِهم، لكُتِبَ بماءِ بحرٍ واحدٍ مِن البحورِ، لكُتِبَ كلُّ ذلك ونَفِدَ قبل أن يَنفدَ ماءُ بحرٍ واحدٍ، ولا عُشرُ عشر بحرٍ واحدٍ، ولكنه كلامٌ لا انقِطاعَ له، فلا يَنفدُ ما لا يفنىٰ ويَنقطعُ ما يَبقىٰ.

ثم الأحاديثُ عن رسولِ الله ﷺ وأصحابِه والتابعين فمَن بعدهم، جَمَّةٌ كثيرةٌ مُتظاهرةٌ بتحقيقِ كلامِ اللهِ وتثبيتِه، وسنأتي منها ببعضِ ما حضرَ إن شاء

الله(١).

١٩٢ - حدثنا محمد بن كثير العبديُّ، أنبا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسولُ الله ﷺ يعرِضُ نفسَه علىٰ الناسِ بالموقفِ، فيقول: **«ألا رجُلٌ يَحمِلُني إلىٰ قومِه، فإن قُرَيشًا قد منعوني أن أُبلِّغَ كلماتِ ربيِّ»**(٢).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (٤/ ١٣٠١) وهو يتكلَّمُ علىٰ إثبات صفة كلام الله تعالىٰ: قد نوَّعَ الله تعالىٰ هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعًا يستحيل معه نفي حقائقها، بل ليس في الصفات الإلهية أظهر مِن صفة الكلام، والعلو، والفعل، والقُدرة، بل حقيقة الإرسال: تبليغ كلام الرب تبارك وتعالىٰ، فإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة.

والرب تبارك وتعالى يخلق بقوله وكلامه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه انتفىٰ الخلق.

وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تتكلَّم ولا تُكلِّم عابديها، ولا ترجع إليهم قولًا، والجهمية وصفوا الرب تبارك وتعالىٰ بصفة هذه الآلهة.

وقد ضرب اللهُ تعالىٰ لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحرِ يَمُدُّه مِن بعده سبعة أبحر، وأشجار الأرض كلها أقلامٌ، فيفنىٰ المداد والأقلامُ، ولا تنفد كلماته، أفهذا صفة من لا يتكلّم، ولا يقوم به كلام؟

فإذا كان كلامه وتكليمه، وخطابه ونداؤه، وقوله وأمره، ونهيه ووصيته ووصفه، وعهده وإذنه، وحكمه وأنباؤه، وإخباره وشهادته كل ذلك مجازًا لا حقيقة له بطَلت الحقائق كلها، فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينه ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس]، فما حقَّت الحقائق إلَّا بقوله وفعله. اهـ

(٢) رواه أحمد (١٥١٩٢)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٨٧)، وأبو داود ⇐

١٩٣ - **حدثنا** شِهاب بن عباد الكوفي، ثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد[(١)] الهمداني، عن عَمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن شَغَلَه قِراءةُ القرآنِ عن ذكري ومسألتي، أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين، وفضلُ كلامِ [اللهِ] علىٰ سائرِ الكلامِ، كفضلِ اللهِ علىٰ خلقِه**»[(٢)].

١٩٤ - **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل أبو سلمة، ثنا حماد بن سلمة، عن أشعث الحُدَّاني، عن شهرِ بن حوشبٍ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ فضلَ كلامِ اللهِ علىٰ سائرِ الكلامِ، كفضلِ اللهِ علىٰ سائرِ خلقِه**»[(٣)].

١٩٥ - **حدثناه** عقبة بن مُكرَم البصري، ثنا مُعلَّىٰ بن أسدٍ، ثنا محمد بن سَواء، ثنا سعيد بن أبي عَرُوبة، عن أشعث الحُدَّاني، عن شهر بن حوشب،

= (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وقال: هذا حسن صحيح.

(١) في الأصل: (بن أبي الحسن)، والتصويب من الأثر رقم (٢٣٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٩).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وهذا الحديث مروي عن: عُمر، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وحذيفة، وجابر، وأنس رضي الله عنهم. ورُوي عن عَمرو بن مُرّة مُرسلًا.

ورُوي مِن قول مالك بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما بينت ذلك في «الجامع في آداب المعلمين» (ص ٦٠٨).

(٣) رواه الدارمي في «المسند» (٣٤٠٠)، وأبو داود في «المراسيل» (٥٣٧)، وهو حديث مُرسل.

عن أبي هريرة ﷺ، [١٠٠/أ] قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَضلُ القرآنِ علىٰ سائرِ الكلامِ، كفضلِ الرحمنِ علىٰ سائرِ خلقِهِ**»(١).

١٩٦- حدثنا علي بن المَديني، ثنا موسىٰ بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكِه الأنصاري ثم السُّلمي، قال: سمعتُ طلحةَ بن خِراش بن الصِّمَّة الأنصاري ثم السُّلمي، يقول: سمعتُ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول نظرَ إليَّ رسول الله ﷺ، فقال: «**يا جابرُ ما لي أراكَ مُهتمًّا؟**».

قال: قلتُ: يا رسول الله، استُشهِدَ أبي، وتركَ دينًا عليه وعِيالًا.

فقال: «**ألَا أُخبِرُك، ما كلَّمَ اللهُ أحدًا قطّ إلَّا مِن وراءِ حِجابٍ، وكلَّم [أباكَ] كِفاحًا، فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطِكَ، قال: يا ربِّ، تُحيِيني، فأُقتَلَ فِيكَ الثانية، فقال الربُّ تبارك وتعالىٰ: إنه سَبَقَ منِّي أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا ربِّ، فأبْلِغ مَن ورائي**». قال: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ [آل عمران:١٦٩] حتىٰ أنفذَ الآيةَ(٢).

١٩٧ - حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد - يعني: ابن سلمة -، ثنا محمد بن عَمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لقِيَ آدمُ موسىٰ، فقال موسىٰ: أنتَ آدمُ الذي خلقك اللهُ بيده، ونفخ فيكَ مِن روحِهِ، وأسكنَك الجنةَ، وأسجدَ لك ملائكتَه، ثم فعلتَ ما**

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٠)، واللالكائي (٥٢٧)، وإسناده لا يصح.
ورواه عبد الله في «السنة» (١٠٥) عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُرسلًا بإسناد صحيح.

(٢) تقدم تخريجه برقم (٧٨). وما بين [ ] مما تقدم.

فعلتَ، فأخرجتَ ذُرِّيَّتَك مِن الجنةِ؟

فقال آدمُ: يا موسىٰ، أنت موسىٰ الذي اصطفاك اللهُ برسالاتِه، وكلَّمَك وقرَّبَك نجيًّا، وآتاك التوراةَ؟ فبِكم تجدُه كتَبَ عليَّ العملَ الذي عملتُ قبل أن يَخلُقني؟

قال: بأربعينَ سَنَةٍ. قال: فبِمَ تَلومني يا موسىٰ؟».

قال رسول الله ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسىٰ، فحجَّ آدمُ موسىٰ، فحَجَّ آدمُ موسىٰ»(١).

١٩٨ - **حدثناه** أبو سلمة، ثنا حماد، عن عمار بن أبي عمار، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يُحدِّث، عن النبي ﷺ(٢).

١٩٨/أ - وحُميد، عن الحسن، عن جُندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَقِيَ آدمُ موسىٰ»، فذكر مثله إلَّا أنه [قال]: «وكلَّمَكَ، وآتاك التوراةَ، وقرَّبَك نجيًّا؟ قال: نعم، قال: فأنا أقدمُ أمِ الذِّكرُ؟ قال: الذِّكرُ».

قال رسول الله ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسىٰ»، ثلاثًا(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٦ و٤٧٣٨ و٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) رواه أحمد (٩٩٨٩).

(٣) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٢٥٦)، وأبو يعلىٰ (١٥٢٨).

ورواه أحمد (٩٩٩٠) من طريق حماد، عن حُميد، عن الحسن، عن رجل - قال حماد: أظنه - جُندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

قال ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله في «المراسيل» (١٣٨): سمعت أبي رحمه الله يقول: لم يصح للحسن سماعٌ من جندب رضي الله عنه. اهـ

١٩٩ - **حدثناه** أبو سلمة، ثنا حماد بن سلمة، ثنا أبو هارون، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، وزاد فيه: «**أن يا موسىٰ، أرأيت ما عَلِمَ اللهُ أنه سيكونُ، بُدٌّ من أن يكون؟**»(١).

٢٠٠ - **حدثناه** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجَّ آدمُ وموسىٰ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، **فقال موسىٰ: يا آدمُ، أنت الذي خلقَكَ اللهُ بيدِه، ونفخَ فيك مِن رُوحِه؟**»، - فقال له قولًا كثيرًا لا أحفظُه - «**أغويتَ الناسَ، وأخرجتَهم مِن الجنةِ.**

فقال آدم: يا موسىٰ، أنت الذي اصطفاكَ اللهُ برسالاتِه، وكلَّمَكَ تكليمًا، تلومني أن أعملَ عَمَلًا قد كتبَه اللهُ عليَّ قبل أن يَخلُقَ السمواتِ والأرض؟».

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فحجَّ آدمُ موسىٰ**»(٢). [١٠١/أ]

٢٠١ - **حدثنا** الأصبغُ بن الفرج المصري، قال: أخبرني ابن وهب، عن

---

(١) رواه ابن النجاد في «خلق أفعال العباد» (٣٥و٣٦). وفي إسناده: أبو هارون العبدي عمارة بن جوين، ضعَّفه أكثر أهل العلم، واتَّهمه بعضهم.
انظر: «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٣٢).

(٢) رواه أحمد (٩١٧٦)، والترمذي (٢١٣٤)، قال: وهذا حديث حسن غريب من حديث سليمان التيمي، عن الأعمش، وقد رواه بعض أصحاب الأعمش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ نحوه.
وقال بعضهم: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ. اهـ

هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسىٰ قال: يا ربِّ، أرنا آدمَ الذي أخرجنا ونفسَه مِن الجنةِ. فأراه اللهُ آدمَ، فقال: أنت أبونا آدمُ؟ فقال: نعم.

قال: الذي نفخ فيك مِن رُوحِه، وعلَّمك الأسماءَ كلَّها، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك؟ قال: نعم.

قال: فما حملَكَ علىٰ أن أخرجتنا مِن الجنةِ ونفسَكَ؟!

فقال له آدمُ: ومَن أنت؟ قال: أنا موسىٰ.

قال: أنتَ نبيُّ بني إسرائيلَ؟ قال: نعم.

قال: وأنت الذي كلَّمَكَ اللهُ مِن وراءِ الحِجابِ، لم يجعل بينَك وبينَه رسولًا مِن خلقِه؟ قال: نعم.

قال: فهل وجدتَ في كتابِ الله أن ذلك كان في كتابٍ قبلَ أن أُخلَقَ؟

قال: بلىٰ.

قال: فبِمَ تلومُني علىٰ شيءٍ سبقَ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ القضاءُ فيه قَبْلُ؟».

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «فحَجَّ آدمُ موسىٰ». صلوات الله عليهما(١).

٢٠٢ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنبأ النضر بن شُميل، أنبأ

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٢)، وأبو يعلىٰ (٢٤٣)، والآجري في «الشريعة» (٢٢١ و٤٣٥ و٧٩٢)، ويشهد له ما تقدم.

أبو نَعَامَة العدوي، ثنا أبو هُنيدة البراء بن نوفل، عن وَالَان العدوِيّ، عن حُذيفة رضي الله عنه، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث الشفاعةِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فيَأتونَ إبراهيمَ، فيقول: ليسَ ذلكم عندي، فانطلقوا إلىٰ موسىٰ، فإنَّ اللهَ كلَّمَه تكليمًا، فيقول موسىٰ: ليس ذلكم عندي**»(١).

٢٠٣ - **حدثنا** عبد الغفار بن داود الحراني أبو صالح، ثنا ابن لهيعة، ثنا الحارث بن يزيد(٢)، عن علي بن رباح، عن رجلٍ سَمِعَ عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، يقول: إن النبي ﷺ خرج، فقال: «**إن جبريلَ أتاني، فقال: اخرُج فحدِّث بنعمةِ اللهِ التي أنعمَ بها عليك، فبَشَّرني بعشرٍ لم يؤتَها نَبيٌّ قبلي: بعثني إلىٰ الناسِ جميعًا، وأمرني أن أُنذِرَ الجنَّ، ولقَّاني كلامَه وأنا أُمِّيٌّ، قد أُوتيَ داودُ الزبور، وموسىٰ الألواحَ، وعيسىٰ الإنجيلَ**»(٣).

٢٠٤ - **حدثنا** عبد الله بن صالح المصري، أن معاوية بن صالح حدَّثه، عن أبي بكر - يعني: ابن أبي مريم -، عن عطية - وهو ابن قيس-: أن النبي ﷺ قال: «**ما مِن كلامٍ أعظمُ عند الله مِن كلامِه، ما ردَّ العِبادُ إلىٰ اللهِ كلامًا أحبَّ إليه مِن كلامِهِ**»(٤).

٢٠٥ - **حدثنا** سلَّام بن سُليمان المدائني، ثنا المسعودي، عن أبي عمر،

---

(١) تقدم تخريجه برقم (١٢٥).

(٢) في الأصل: (زيد)، والصواب ما أثبته.

(٣) رواه ابن وهب في «تفسيره» من كتاب «الجامع» (٣)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٥٥٥)، وإسناده ضعيف.

(٤) رواه الدارمي في «مسنده» (٣٣٩٦)، وإسناده ضعيف مع إرساله.

عن عُبيد بن الحَسْحَاس، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجدِ، فجلستُ إليه، فقلت: أيُّ الأنبياءِ كان أوَّلًا؟

قال: «آدمُ».

قلتُ: ونبِيًّا كان؟

قال: «نَعَم، نَبِيًّا مُكلَّمًا»(١).

٢٠٦ - وحدثنا الربيع بن نافع، ثنا معاوية - يعني: ابن سلام -، عن زيد وهو ابن سلَّام أنه سمع أبا سلام، حدثني أبو أمامة رضي الله عنه، أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله، أنبيًّا كان آدم؟

قال: «**نعم، مُكلَّمًا**».

قال: كم بينَه وبين نوحٍ؟

قال: «**عشرةُ قُرونٍ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٤٦)، وابن أبي شيبة (٣٧٠٨٣). في إسناده: أبو عمر الدمشقي، قال الدارقطني: متروك. «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٠٩).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٢٦٢) من طريق المصنف.

ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٥١٨٣)، وابن حبان (٦١٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٥)، من طريق أبي توبة الربيع بن نافع، به، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١١٣): وهذا علىٰ شرط مسلم ولم يخرجه. اهـ

ورواه أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده في «التوحيد» (ص٦١٠)، وقال: هذا إسناد صحيح علىٰ رسم مسلم والجماعة إلَّا البخاري. ورُويَ من حديث القاسم أبي عبد الرحمن وغيره، عن أبي أمامة عن أبي ذر بأسانيد فيها مقال. اهـ

٢٠٧ - **حدثنا** علي بن المديني، أنبأ سفيان، ثنا محمد بن عبد الرحمن، مولىٰ آل طلحة، عن كُريب، عن ابن عباس، عن جُويرية بنتِ [١٠١/ب] الحارثِ بن أبي ضِرارٍ: أن النبيَّ ﷺ خرجَ ذاتَ يومٍ مِن عندها، فخرَجَ وهي في المسجدِ، ثم رجعَ بعدما تعالىٰ النهار، فقال: «**ما زلتِ في مَجلِسِكِ هذا مُنذُ خرجتُ بَعدُ؟**».

قلتُ: نعم.

فقال: «**لقد قلتُ بَعدكِ أربعَ كلماتٍ، ولو وُزِنَّ بكلماتِكِ وزَنتهنَّ: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ عدَدَ خلقِهِ، ورَضَا نفسِه، وزِنَة عرشِهِ، ومِدَاد كلِماتِه**»(١).

٢٠٨ - **حدثنا** نُعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أنبأ يونس، عن الزُّهري، قال: أخبرني سعيد بن المُسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يَقبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ، ويطوِي السماءَ بيمينِه، ثم يقول: أنا الملِكُ، أين مُلوكُ الأرضِ؟**»(٢).

٢٠٩ - **حدثنا** أبو عمر الحَوضي، ثنا شُعبة، عن علي بن مُدرِكٍ، عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير، عن خَرشة بن الحُرِّ، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثةٌ(٣) لا يُكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا يُزكِّيهم، ولا ينظُرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليم**».

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) في الأصل: (ثلاث).

قال: قلتُ: مَن هم؟ خابُوا وخَسِرُوا. قال: فأعادها ثلاثًا.

فقلت: مَن هم؟ خابوا وخَسِروا.

قال: «**المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنفِّقُ سِلعتَه بالحلِفِ الكاذِبِ، أو الفاجِرِ**»(١).

٢١٠ - حدثنا مَحبوب بن موسىٰ الأنطاكي، أنبأ [أبو] إسحاق، عن أبي حماد - يعني: الحَنَفي -، قال أبو إسحاق: وكان مِن أوثقِ أهلِ زمانِه -، عن ابن عَقيل - وهو عبد الله بن محمد بن عَقيل -، قال: سمعتُ جابرَ بن عبد الله ﵄، قال: صلَّىٰ رسول الله ﷺ علىٰ الشُّهداءِ كلِّهم يومَ أُحُدٍ، فرجعتُ وأنا مُثقَلٌ، قد تركَ أبي عليَّ دينًا وعيالًا، فلمَّا كان عند الليلِ أرسلَ إليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**يا جابرُ، إنَّ اللهَ قد أحيا أباكَ وكلَّمَه**».

قال: قلتُ: وكلَّمَه كلامًا؟!

فقال: قال: «**وكلَّمَه كلامًا، فقال له: تَمَنَّ، قال: أتمنَّىٰ أن تَرُدَّ رُوحي، وتَنشُرَ خلقي كما كان، وتُرجِعَني إلىٰ نَبيِّكَ، فأُقاتِلَ في سَبيلِكَ، فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخرَىٰ**»(٢).

٢١١ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جريرٌ، عن ليثٍ، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، قال: قال عمر ﵁: إنَّ هذا القرآنَ كلامُ اللهِ، فلا

---

(١) رواه مسلم (١٠٦).

(٢) رواه أحمد (١٤٨٨١)، وقد تقدم برقم (٧٨ و١٩٩) ما يشهد له.

أعرِفَنَّكم ما عطفتُموه علىٰ أهوائِكم، إلَّا أن يكفُرَ به عَبدٌ عَمْدَ عَينٍ(١).

٢١٢ - **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: هُدىٰ وكَلامٌ، فخيرُ الكلامِ: كلامُ اللهِ، وأحسنُ الهدي: هَدي محمدٍ ﷺ(٢).

٢١٣ - **حدثنا** يحيىٰ بن سُليمان الجُعفي أبو سعيد، ثنا أحمد بن بشير، ثنا مُجالد، عن الشعبي، عن مسروق: أن عبد الله رضي الله عنه قال: القرآنُ كلامُ اللهِ، فمَن قال فيه فليَعلَم ما يقولُ، فإنما يقولُ علىٰ اللهِ(٣).

٢١٤ - **حدثنا** أحمد بن صالح المصري، ثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني علي بن حسين: أن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أخبرني رجالٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ مِن الأنصار، أنهم بينا هم جلوسٌ مع النبيِّ ﷺ رُمِيَ بنجمٍ فاستنارَ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**ماذا كنتم**

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٩٨)، وحرب الكرماني في «السُّنة» (٣٩٨)، والآجري في «الشريعة» (١٨٩).

و(العَمدُ): ارتكابك أمرًا بجدٍّ ويقين. تقول: فعلته عَمْدًا علىٰ عين، وعمد عين. «العين» (٢/ ٥٨)

(٢) رواه معمر في «جامعه» كما في «المصنف» (٢٠٠٧٦)، واللالكائي (٩٤)، وهو صحيح عنه. وقد روي مرفوعًا ولا يصحّ، وإنما الصحيح فيه الوقف كما قال الدارقطني وغيره.

(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٠٨٣) من طريق المُصنِّف.

وروىٰ نحوه عبد الله في «السنة» (١٠٠)، وحرب الكرماني في «السنة» (٤٠٢).

تقولون في الجاهليةِ إذا رُمِيَ بمثلِ هذا؟». [١٠٢/أ]

قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: وُلِدَ الليلةَ عظيمٌ، وماتَ عظيمٌ.

فقال رسول الله ﷺ: «فإنَّها لا يُرمىٰ بها لموتِ أحدٍ ولا حياةِ أحدٍ، ولكِنَّما ربُّنا إذا قضىٰ أمرًا سبَّحَ حملةُ العرشِ، ثم يُسبِّحُ أهلُ السماءِ الذين يلونهم، ثم يسبحُ الذين يلونهم، حتىٰ بلغ التسبيحُ أهلَ السماءِ الدنيا، ثم قال [الذين] يلونَ حملةَ العرشِ: ما قال ربُّكم؟ فيخبرُونهم بتسبيحِ أهلِ السموات، حتىٰ يبلُغَ الخبرُ أهلَ هذه السماءِ الدنيا، يتخطَّفُ الجنُّ السمعَ، فيذهبون به إلىٰ أوليائهم، فإذا جاءوا به علىٰ وجهِهِ فهو حقٌّ، ولكنَّهم يَزِقُّون فيه»، - يعني: يَقذفون -(١).

٢١٥ - حدثنا محمد بن بشار العبدي، ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمانَ الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروقٍ، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: إذا تكلَّمَ اللهُ بالوحي سَمِعَ أهلُ السمواتِ صَلصلةً كجرِّ السِّلسلةِ علىٰ الصفوانِ. قال: فيفزعون يرون أنه مِن أمرِ الساعة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ](٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «التفسير» (١٧٦٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٢٠)، وحرب الكرماني في «السنة» (٣٢٢)، وهو أثر صحيح وله حُكم الرفع.

وقد روي مرفوعًا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ولا يصح كما بينت ذلك في التعليق علىٰ اللالكائي (٥١٩).

وروىٰ نحوه البخاري (٤٧٠١ و٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

⇐

٢١٦ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا تكلَّمَ بالوحي سمعوا مثلَ سِلسِلةِ الحديدِ على الصفوان، فخرُّوا سُجَّدًا، فـ ﴿ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ]، ثم ينزلُ الشيطانُ إلى الأرضِ، فيزيدُ فيها سَبعينَ كَذْبةً(١).

٢١٧ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يِسَاف، عن فَروة بن نوفل، قال: كنتُ جارًا لخبَّابٍ رضي الله عنه، فخرجنا معه يومًا إلى الجمعةِ، فأخذ بيدي، فقال: يا هَنَاه(٢)، تقرَّب إلى اللهِ ما استطعتَ، فإنك لن تَقرَّبَ إلى اللهِ بشيءٍ أحبَّ إليه مِن كلامِهِ(٣).

٢١٨ - حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني

= وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٩٢) بعد ذكره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: وكذا قال ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، وأهل العلم. اهـ

والصوت الذي تسمعه الملائكة ويصعقون منه هو صوت الله تعالى كما قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في «النقض» (٢٩): (ويحسُّ الملائكة بكلامه عند نزول وحيه حتى يصعقوا مِن شِدَّةِ صوته، كما قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم). اهـ

وهذا قول أئمة السُّنة قاطبة كما سيأتي التعليق عليه في «النقض»، ولم يخالف في ذلك إلَّا المُعطِّلة الذين لا يثبتون الصوت لله تعالى، أو مَن تأثَّر بهم.

(١) رواه المُصنف في «النقض» (٢٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٢٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٩)، ويشهد له ما قبله.

(٢) كلمة تختص بالنداء. «الصحاح» (٦/ ٢٥٣٧).

(٣) رواه عبد الله في «السنة» (٩٣)، وحرب في «السنة» (٥٤٥)، وهو صحيح عنه.

يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عُروة بن الزبير، وسعيد بن المُسيب، وعلقمة بن وقَّاص، وعبيد الله بن عبد الله، عن حديث عائشة رضي الله عنها حين قال لها أهلُ الإفكِ ما قالوا، فبرَّأها اللهُ منه، وبعض حديثهم يُصدِّق بعضًا، وإن كان بعضهم أوعىٰ من بعضٍ، زعموا أن عائشة رضي الله عنها قالت: لشأني كان أحقرَ في نفسي من أن يتكلَّمَ الله فيَّ بأمرٍ يُتلىٰ، ولكن كنتُ أرجو أن يَرىٰ رسول الله ﷺ رُؤيا يُبرِّئُني اللهُ بها(١).

٢١٩ - **حدثنا** نعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك، أنبأ يونس، عن الزهري، عن طارق بن مُخاشن، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ أُتِي بلديغٍ، فقال: **«لو قال: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ مِن شرِّ ما خلقَ لم تَضُرَّه»**(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٧١٢٠).

(٢) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٣٥٩)، وأبو داود (٣٨٩٩).

- وروىٰ مسلم (٢٧٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت مِن عقربٍ لدغتني البارحة، قال: «**أما لو قلتَ، حين أمسيتَ: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ مَن شرِّ ما خلقَ؛ لم تضرّك**».

والشاهد من هذا الحديث: أنه استعاذ بكلمات الله تعالىٰ، فدلَّ ذلك علىٰ أنها غير مخلوقة، إذ لا يجوز الاستعاذة بمخلوق.

- في «السنة» للخلال (٢/ ١٢٠) قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يجوز أن يقال: أعيذك بالنبيِّ، أو بالجبالِ، أو بالأنبياء، أو بالملائكة، أو بالعرش، أو بالأرض، أو بشيءٍ مما خلق الله، لا يتعوذُ إلَّا بالله، أو بكلماته. اهـ

- وقال الإمام البخاري رحمه الله في «خلق أفعال العباد» (٤٥٣): (باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره). وقال نُعيمٌ: لا يستعاذ بالمخلوق، ولا بكلامِ العباد، والجنِّ والإنسِ، والملائكة.

قال البخاري: وفي هذا دليلٌ أن كلام الله غير مخلوق، وأن سواه مخلوق.

⇐=

٢٢٠ - **حدثنا** الجُرجُسي يزيد بن عبد ربِّه، ثنا بقية، عن الزُّبيدي، عن الزهري، عن طارق بن مُخاشن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ بلديغٍ لدغتهُ عقربٌ، فقال: «**لو قال: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ، لم يُلدغ، أو لم تَضُرَّه**». [١٠٣/ب]

٢٢١ - **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، ثنا حماد، عن محمد بن إسحاق، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان يُعلِّمُهم مِن الفزعِ: «**أعوذُ بكلماتِ [اللهِ] التامَّةِ، مِن غَضَبِه، ومِن شَرِّ عبادِه، ومِن همزاتِ الشياطينِ، وأن يحضُرُون**»(١).

٢٢٢ - **حدثنا** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن محمد بن إسحاق، بإسناده، إلَّا أنه قال: «**مِن غضبِه، وعِقابِه، وشرِّ عبادِه**».

٢٢٣ - **حدثنا** عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن منصور بن المُعتمر، عن

=

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢١٧١): فتفهَّموا هذه الأحاديث، فهل يجوز أن يعوِّذ النبيُّ ﷺ بمخلوقٍ، ويتعوَّذ هو، ويأمر أُمَّته أن يتعوَّذوا بمخلوقٍ مثلهم؟ وهل يجوز أن يعوذ إنسان نفسه أو غيره بمخلوق مثله؟ فيقول: أعيذ نفسي بالسماء، أو بالجبال، أو بالأنبياء، أو بالعرش، أو بالكرسي، أو بالأرض؟ وإذا جاز أن يتعوَّذ بمخلوقٍ مثله، فليعوِّذ نفسه وغيره بنفسه، فيقول: (أُعيذُك بنفسي). اهـ

(١) رواه أحمد (٦٦٩٦)، وأبو داود (٣٨٩٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٣٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

ورویٰ أحمد (١٦٥٧٣ و٢٣٨٣٩) نحوه من حديث الوليد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المِنهال بن عَمرو، عن سعيد بن جُبير، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعوِّذُ حَسنًا وحُسينًا: «**أُعِيذُكما بكلماتِ الله التامَّةِ، مِن شرِّ كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ، ومِن كلِّ عينٍ لامَّةٍ**».

وكان يقول: «**كان أبُوكُما يعوِّذُ بها إسماعيلَ وإسحاقَ**»(١).

٢٢٤- حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، ثنا محمد بن شُعيب، عن عثمان ابن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أُبي أُمامة، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنهما، قال: قلتُ: أيُّ النبيِّين أولًا يا رسول الله؟

قال: «**آدمُ**».

قلتُ: أوَنبيًّا كان؟!

قال: «**نعم مُكلَّمًا، خلقَه اللهُ بيده، وكلَّمَه قُبلًا، فقال:** ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]»(٢).

٢٢٥ - حدثنا عَمرو بن عون، أنبأ [أبو] معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عَديِّ بن حاتم رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما منكم مِن أحدٍ إلَّا سُيكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينَه وبينَه تَرجُمانٌ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧١).

(٢) تقدم تخريجه (٢٠٥ و٢٠٦).

(٣) رواه المُصنِّف في «النقض» (١٢)، وما بين [ ] منه.

والحديث رواه أحمد (١٨٢٤٦ و١٩٣٧٣)، والبخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (٢٣١١).

- قال ابن القيم كما في «مختصر الصواعق» (١/ ١٤٢): فلما كان كلام الملوك قد ⇦=

٢٢٦ - حدثنا أبو عمر الحَوضي، ثنا شعبة، عن علي بن مُدرك، عن أبي زُرعة بن عَمرو بن جرير، عن خَرشة بن الحُرِّ، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: المُسبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنَفِّقُ سِلعتَه بالحلفِ الكاذِبِ، - أو الفاجِرِ -»[(١)].

٢٢٧ - حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامي، ثنا معن، ثنا عبد الله بن عبدالله أبو أويس، عن فَرثع الغَطفاني، عن عُقبة بن بشير بن المُغيرة بن بشير الأسدي، قال: سألتُ محمد بن علي بن الحُسين الهاشمي، قال: قلتُ: يا أبا جعفر، مَن أوَّل مَن تكلَّمَ بالعربيةِ؟

قال: إسماعيلُ بن إبراهيم النبيّ، وهو يومئذٍ ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةٍ.

قلت: فما كان كلامُ الناسِ قَبلَ ذلك؟ قال: العِبرانيةُ.

قلت: فمَا كان كلامُ اللهِ الذي أنزلَه علىٰ رسلِه وعبادِهِ ذلك الزَّمان؟

قال: العِبرانية[(٢)].

٢٢٨ - قرأتُ علىٰ أبي اليمان، قلتُ: أخبركم شعيبٌ، عن الزُّهري، قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أنه أخبره حَرْمُ[(٣)] بن

= يقع بواسطة الترجمان ومن وراء الحجاب أزال هذا الوهم من الأفهام.

(١) تقدم تخريجه برقم (٢١٢).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٥٠).

(٣) في «المنتخب من العلل» (١٧٢) قال الخلال: أخبرني أحمد بن أصرم، قال: سألت أبا عبدالله، عن حديث الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن حزين بن جابر، =

جابر الخَثعمي، أنه سَمِعَ كعبَ الأحبارِ، يقول: لمَّا كلَّمَ اللهُ موسىٰ بالألسنةِ كلِّها قبلَ لِسانِه، طَفِقَ موسىٰ يقول: أي ربِّ، ما أفقَهُ هذا، حتىٰ إذا كلَّمَه آخِرَ الألسِنةِ بلسانِه، بمثلِ صوتِه، - يعني: بمثل لسانِ موسىٰ، وبمثلِ صوتِ موسىٰ -(١).

= عن كعب، قال: لما كلَّم عَزَّوَجَلَّ الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فقلت: إن معمرًا يقول: حزين بن جابر، ويقول يونس: جزء بن جابر، وشعيب ابن أبي حمزة: حزن بن جابر، فأيها عندك أعرف؟ قال: قول معمر.

وقيل غير ذلك كما بينته في تعليقي علىٰ «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٥٢٥).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسير» (١/ ٢/ ٢٣٨)، وعبد الله في «السُّنة» (٥٢٥)، والطبري (٩/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١١٩)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٤٨٤ و٢٤٨٦).

- قال السِّجزيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إثبات الحرف والصوت» (١٦١) مُعلِّقًا علىٰ قول كعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا: وهذا محفوظ عن الزُّهري، رواه عنه ابن أبي عتيق، والزُّبيديّ، ومعمر، ويونس بن يزيد، وشُعيب بن أبي حمزة، وهؤلاء كلهم أئمة، ولم يُنكِره واحدٌ مِنهم.

وقوله: (بمثلِ صوته) معناه: أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حسبه مثل صوته في تمكُّنه من سماعه وثباته عنده، ويُوضِّح صحة هذا آخرُ الحديث، فإنه قال: (لو كلَّمتُك يا موسىٰ بكلامي لم تكُ شيئًا، ولم تستقم له). اهـ

قلت: هذا الأثر رواه أهل السُّنة في مُصنفاتهم واحتجُّوا به في رَدِّهم علىٰ الجهمية نفاة كلام الله تعالىٰ.

ومِن المُستنكر أن ينقل بعض مَن حقَّقَ هذا الكتاب طعن نفاة الحرف والصَّوت في كلام الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذا الأثر! فقد نقل تعليق البيهقي الأشعري علىٰ هذا الأثر: (بأنه يخالف أصول الدِّين !)، ولم يَتفطَّن هذا الناقل أن أصول الدِّين عند الأشاعرة تُخالف ما عليه أهل السُّنة والجماعة. فالله المُستعان.

٢٢٩ - حدثنا محمد بن عثمان التَّنُوخي أبو الجُمَاهر، ثنا سعيد بن بشير(١)، عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ بالقرآنِ، ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١﴾ [فصلت]، أعزَّه اللهُ لأنه كلامه، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [فصلت:٤٢]، وهو إبليس، [١٠٣/أ] لا يستطيعُ أن ينتقصَ منه حقًّا، أو يزيد فيه باطلًا(٢).

٢٣٠ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذه الأحاديثُ قد رُويت وأكثرُ منها ما يُشبِهُها، كلُّها موافقةٌ لكتابِ اللهِ في الإيمانِ بكلامِ اللهِ، ولولا ما اخترعَ هؤلاء الزائغةُ مِن هذه الأُغلوطاتِ والمعاني يَرُدُّون بها صفاتِ الله، ويُبدِّلون بها كلامَه، لكان ما ذَكرَ اللهُ مِن ذلك في كتابه كافيًا لجميع الأُمَّةِ، مع أنه كَمِلٍ شافي(٣) إلَّا لمُتأوِّلِ ضلالٍ، أو مُتَّبعِ ريبةٍ(٤).

---

(١) في الأصل: (بشر)، والصواب: ما أثبته كما في «تهذيب الكمال» (١٠/ ٣٤٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١١٤٩ و ٣٠٨٢١).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٣٢٣) بعد ذكره لبعض نصوص إثبات كلام الله تعالىٰ نحوًا ممَّا هاهنا: إلىٰ أضعاف أضعاف ذلك مِن نصوص الكتاب والسنة التي إن دُفعت دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازًا كان الوحي كله مجازًا، وإن كانت مِن المُتشابه كان الدينُ كله مِن المُتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها علىٰ خلافِ ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسُّنة علىٰ خلافِ ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب والسُّنة، وظهور معانيها، وتعدد ⇐

فحينَ رأينا ذلك أَلَّفنا هذه الآثارَ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِهِ، والتابعين مِن بعدِهم، ليَعلمَ مَن بقي مِن الناسِ أنَّ مَن مضىٰ مِن الأُمَّةِ لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعرفون له تأويلًا غيرَ ما يُتلىٰ مِن ظاهرِه أنه كلامُ الرحمن تبارك وتعالىٰ، حتىٰ نَبَغَ هؤلاءِ الذين اقتربوا لردِّ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وتَعطيلِ كلامِهِ وصفاتِه المُقدَّسَةِ بهذه الأُغلوطاتِ التي لو ظهرتْ علىٰ عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِهِ ما كان سَبيلُ مَن يُظهِرُها بينهم إلَّا

= أنواعها، واختلاف مراتبها أظهر مِن كل ظاهر، وأوضح من كلِّ واضحٍ، فكم جُهد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل علىٰ المجازِ.

هب أن ذلك يمكن في موضعٍ واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغُ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضعٍ كلها علىٰ المجاز وتأويل الجميع بما يُخالف الظاهر؟ ولا تستبعد قولنا أكثر مِن ثلاثة آلاف، فكلُّ آية، وكل حديثٍ إلهي، وكل حديثٍ فيه الإخبار عمَّا قال الله تعالىٰ أو يقول، وكل أثرٍ فيه ذلك إذا استقرئت زادت علىٰ هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة، وأحاديث الرُّؤية، وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله لموسىٰ، وأحاديث تكلّمه عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلّمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداءِ، وأحاديث تكليم كافَّة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاءِ يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلىٰ غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجازٌ لا حقيقة له، سبحانك هذا بُهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد حملة عرشك ملائكتك وجميع خلقك أنك أحقّ بهذه الصفة وأولىٰ من كلِّ أحدٍ، وأن البحر لو أَمَدَّه مِن بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار الأرض أقلامًا يُكتبُ بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام، ولم تنفد كلماتك، وأنك لك الخلق والأمر، فأنت الخالق حقيقة. اهـ

كسبيلِ أهلِ الرِّدَّةِ، أوَّلُها: هذه الكلمةُ الملعونةُ التي فَارَقوا بها جميعَ أهلِ الصلاةِ، فقالوا: كلامُ اللهُ مخلوقٌ(١).

---

(١) قوله: (فارقوا بها جميع أهل الصلاة)، يريد بهم: المسلمين الموحِّدين، ومن كان ليس من أهل الصلاة فليس له في الإسلام حظٌّ ولا نصيب، كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا حظَّ في الإسلامِ لمن تركَ الصلاة)، وعلىٰ هذا إجماعُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

ومنه قوله ﷺ: «**من صلىٰ صلاتنا، واستقبلَ قبلتنا، وأكلَ ذبيحتنا، فهو المسلمُ، له ما لنا، وعليه ما علينا**». أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالصلاة هي العلامة الفارقة بين أهل الإسلام وأهل الكفر، كما قال ﷺ: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

«**تنبيه**»: ويُفهم مِن كلام المُصنِّف هذا: أن القولَ بخلق القرآن كفرٌ أكبر يُخرجُ عن المِلَّة، وهذا عليه إجماع أئمة السُّنة، وليس هو كفرًا دون كفر كما يدَّعيه من لم يفهم.

- قال أبو حاتم وأبو زرعة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في «عقيدتهما» التي نقلا فيها إجماع من أدركا من أهل العلم: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حِجازًا، وعِراقًا، وشامًا، ويَمنًا، فكان من مذهبهم: .. مَن زعمَ أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كُفرًا يَنقلُ عن الملّة، ومَن شكَّ في كفرِهِ ممَّن يفهم فهو كافر.

اللالكائي (٢٩٣)، و«الجامع في العقائد» (ص٥٢٤).

- وفي «الحُجَّة علىٰ تارك المحجَّة» (فقرة/ ٥٦) قال جعفر الفقيه: سألت أبا القاسم الطبراني: ما قولك رحمك الله فيمن يقول: إن أهل التوحيد يخرجون من النار إلَّا من يقول: القرآن مخلوق. فكتب في جوابه: من قال: (القرآن مخلوق) فهو كافر بالله العظيم بلا اختلاف بين أهل العلم والسُّنة؛ لأنه زعم أن الله مخلوق؛ لأن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ تكلم به، وكلَّم به جبريل الروح الأمين .. من قال: (إنه =

والحُجَجُ عليهم مِن رَدِّ ما أتوا به ما ذكرنا مِن كتابِ اللهِ، ورَوينا مِن آثارِ رسولِ الله ﷺ، فمَن بَعدَه.

ثم عليهم حُجَجٌ كثيرةٌ مِن الكلامِ والنظرِ، لا نُحِبُّ ذكرَ كثيرٍ منها تخوُّفًا أن لا تحتمِلَها قلوبُ ضُعفاءِ الناسِ(١)، ولكن يكفي مَن نَظَرَ فيما ذكرنا مِن كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، وروينا مِن هذه الآثارِ أن يَعلمَ أنَّ مُخالفةَ هؤلاءِ للأُمَّةِ قديمًا وحديثًا، فيقولُ لهم:

وجدنا اللهَ تعالىٰ ورسولَه ﷺ والأمةَ بَعدَه سَمَّوه: (كلامَ اللهِ)، وزعمتُمُ

= مخلوق) فهو كافرٌ شَرٌّ من اليهود والنصارىٰ وعبدة الأوثان، وليس من أهل التوحيد المُخلصين الذين أدخلهم الله النار عقوبة منه لأعمال استوجبوا بها النار، فيخرجهم الله من النار برحمته وشفاعة نبيه محمد ﷺ وشفاعة الشافعين، ومن زعم أن ... من يقول: (إن القرآن) مخلوق يخرج من النار فهو كمن زعم أن اليهود والنصارىٰ يخرجون مِن النار. اهـ

وانظر فقرة (٢٣١) من كلام المُصنِّف في بيان سبب كفر من قال بخلق القرآن.

وانظر: «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة: (٦١/ باب اتضاح الحُجَّةِ في أن القرآن كلام الله غير مخلوق من قول التابعين، وفقهاءِ المسلمين والبُدلاءِ والصالحين، وتكفير من قال: إن القرآن مخلوق، وبيان رِدَّتِه وزندقته).

وقال: (٦٢/ باب بيان كفرهم وضلالهم وخروجهم عن الملَّة وإباحة قتلهم).

و«الإبانة الصُّغرىٰ» (فقرة/ ٢٥١)، و«الشريعة» للآجري (١٦/ باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالىٰ، وأن كلامه ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوقٌ فقد كفر).

(١) سيأتي برقم (٢٩١) إنكار الأئمة علىٰ من حكىٰ للناس قول الجهمية أخزاهم الله.

أنتُم: أنه (خَلْقُ الله)(١).

فكفىٰ بهذا مخالفةً للهِ، ولرسولِهِ، وللأُمَّةِ مِن بعدِه، أو آثارٍ توافيه بكتابٍ ناطقٍ(٢)، أو أثرٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو أحدٍ مِن أهلِ العلمِ أنه مخلوقٌ، ولن تأتوا به أبدًا.

وكيف تأثُرون الكُفرَ عن رسولِ الله ﷺ، وأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأهلِ الإسلامِ بعدَهم؟!

٢٣١ - فذهبَ بعضُهم يحتجُّ بتفاسيرَ مقلوبةٍ، وبمعانٍ لا أصلَ لها مِن كتابٍ ولا سُنةٍ، ولا إجماعٍ إلَّا الكُفرَ يقينًا(٣).

قلتُ لبعضِهم: دعُوا هذه الأُغلُوطاتِ التي نحنُ بها أعلمُ منكم، ولن يُنزِلَكم اللهُ مِن كتابِهِ بالمنزلةِ التي يُعتمدُ فيها علىٰ تفسيرِكم، أو يُقبلُ فيها شيءٌ مِن آرائكم، وقد أتيناكم به منصوصًا عن اللهِ، وعن رسولِهِ، وعن الأُمّةِ بأجمَعِها أنه كلامُ اللهِ حقًّا.

فهاتوا عن أحدٍ منهم منصوصًا أنه (خلقُ الله) كما ادَّعيتُم، وإلَّا فأنتُم

---

(١) قال علي بن عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل: أتدري ما يريدون بقولهم: القرآن مخلوق؟ يُريدون: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتكلم، وما الذين قالوا: إنَّ لله ولدًا بأكفر مِن الذين قالوا: إن الله لا يتكلم؛ لأن الذين قالوا: لله ولدٌ شبّهوه بالأحياء، والذين قالوا: لا يتكلم، شَبَّهوه بالجمادات. [«التسعينية» (٢/ ٦٨٦)].

(٢) كذا في الأصل، والسياق بما قبله فيه شيء!.

(٣) ذكر بعض هذه الشبه ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٤٧٠-٢٥٠٣) ورد عليها.

المُفارِقون لجماعةِ المسلمين قديمًا وحديثًا، المُلحِدون في آياتِ الله، المُفترون على اللهِ، وعلى كتابِهِ ورسولِهِ، ولن تأتوا عن أحدٍ منهم.

أرأيتُم قولَكم: (إنه مخلوقٌ)، فما بدءُ خلقِهِ؟ قال اللهُ له: (كُن)، فكان كلامًا قائمًا بنفسِهِ بلا مُتكلِّمٍ به؟

فقد عَلِمَ الناسُ إلَّا مَن شاءَ اللهُ منهم: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يخلُق كلامًا يُرى ويُسمعُ بلا مُتكلِّمٍ، فلا بُدَّ مِن أن تقولوا في دعواكم: اللهُ المُتكلِّمُ بالقرآنِ، فأضفتُمُوه [١٠٣/ ب] إلى اللهِ.

فهذا أجْوَرُ الجورِ، وأكذَبُ الكذبِ: أن تُضيفوا كلامَ المخلوقِ إلى الخالقِ، ولم يكُن كُفرًا(١)، كان مُكذِّبًا لا شَكَّ فيه، فكيف وهو كفرٌ لا شكَّ فيه؟

لا يحقُّ لمخلوقٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أن يَدَّعي الرُّبوبيةَ، ويدعو الخلقَ إلى عبادتِه، فيقول: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه:١٤].

و﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه:١٢]، ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ [طه:١٣].

﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ﴾ [طه]. ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ ﴾ [طه].

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات].

---

(١) كذا في الأصل، ولعل هنا سقطًا.

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس].

قد عَلِمَ الخلقُ إلَّا مَن أضلَّه اللهُ أنه لا حقَّ لأحدٍ أن يقولَ هذا وما أشبَهه غير الخالقِ، بل القائلُ به والدَّاعي إلىٰ عبادتِه غيرُ اللهِ كافِرٌ كفرعونَ الذي قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات].

والمُجيبُ له، والمؤمنُ بدعواه؛ أكفرُ وأكذَبُ(١).

---

(١) روي نحو هذا عن غير واحدٍ من السلف كما سيأتي برقم (٢٧٠).

- قال الإمام محمد بن أسلم الطوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: زعمتِ الجهميةُ أن القرآن مخلوق، وقد أشركوا في ذلك وهم لا يعلمون؛ لأنَّ الله تعالىٰ قد بيَّن أن له كلامًا، فقال: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقال في آيةٍ أُخرىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء]، فأخبر أن له كلامًا، وأنه كلَّم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال في تكليمه إيَّاه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه]، فمَن زعم أن قوله ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه] خلق وليس بكلامه فقد أشركَ بالله؛ لأنه زعمَ أن خلقًا قال لموسىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه:١٢]، فقد جعلَ هذا الزاعم ربًّا لموسىٰ دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وقول الله عَزَّوَجَلَّ أيضًا لموسىٰ في تكليمه: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه]، فقد جعل هذا الزاعم إلهًا لموسىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال في آيةٍ أُخرىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تكليمه إيَّاه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص]، فمَن لم يشهد أن هذا كلام الله قوله تكلَّمَ به، والله قاله، زعمَ أنه خلقٌ: فقد عَظُم شركه وافتراؤه علىٰ الله؛ لأنه زعم أن خلقًا قال ⇐

وإن قلتُم: (إنه تكلَّمَ به مخلوقٌ، فأضفناه إلىٰ اللهِ، لأنَّ الخلقَ كلَّهم بصفاتِهم وكلامِهم لله).

فهذا المُحالُ الذي ليس وراءَه مُحالٌ، فضلًا علىٰ أن يكونَ كُفرًا، لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم ينسِب شيئًا مِن الكلامِ كلِّه إلىٰ نفسِهِ أنه كلامُه غيرَ القرآنِ، وما أنزلَ علىٰ رُسُله.

فإن قد تمَّ كلامُكم ولزِمتُموه، لزِمَكم أن تُسَمُّوا شِعرًا، وجميعَ الغِناءِ، والنَّوحِ وكلام السِّباعِ، والطيرِ، والبهائمِ: كلامَ اللهِ.

فهذا ما لا يختَلِفُ المُصلُّون في بُطُولِه واستحالَتِه.

فما فضلُ القرآنِ إذًا عندَكم علىٰ الغِناءِ، والنَّوحِ، والشِّعرِ إذ كان كلُّه في دعواكم كلامَ الله؟

فكيف خُصَّ القرآنُ بأنه كلامُ اللهِ، ونُسِبَ كلُّ كلامٍ سِواه إلىٰ قائلِه؟

= لموسىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٠﴾، فقد جعل هذا الزاعم للعالمين ربًّا غير الله، فأيُّ شرك أعظم من هذا، فتبقىٰ الجهمية في هذه القِصَّة بين كفرين اثنين: إن زعموا أن الله لم يُكلم موسىٰ: فقد ردُّوا كتابَ اللهِ، وكفروا به.

وإن زعموا أن هذا الكلام: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٠﴾، خلقٌ فقد أشركوا بالله. ففي هؤلاء الآيات بيانٌ أن القرآن كلام الله تعالىٰ، وفيها بيانُ شِرك مَن زعم أن كلامَ الله خَلقٌ، وقول الله خَلقٌ، وما أوحىٰ الله إلىٰ أنبيائه خَلقٌ. [«الحلية» (٩/ ٢٤٤)].

وانظر: «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» (٣٥)، و«الإبانة الكبرىٰ» (٢٥٠١)، ففيهما كلام مُهمٌّ نحو هذا.

فكفَىٰ بقومٍ ضلالًا أن يَدَّعوا دعوىٰ لا يَشُكُّون المُوحِّدون في بطولِهِ واستِحالَتِهِ.

٢٣٢ - وممَّا يزيدُ دعواكم تكذيبًا واستِحالةً، ويزيدُ المؤمنينَ بكلامِ الله إيمانًا وتَصديقًا: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد ميَّزَ بين مَن كلَّمَ مِن رُسُلِه، وبينَ مَن لم يُكلِّم، ومَن يُكلِّمُ مِن خلقِهِ في الآخرةِ، ومَن لا يُكلِّم، فقال: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

فميَّزَ بين مَن اختصَّه بكلامِه، وبينَ مَن لم يُكلِّمه، ثم سمَّىٰ مِمَّن كلَّمَ: موسىٰ، فقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء].

فلو لم يُكلِّمه بنفسِهِ إلَّا علىٰ تأويلِ ما ادَّعيتُم: فما فضلُ ما ذكرَ اللهُ مِن تكليمِهِ إيَّاه علىٰ غيرِهِ ممَّن لم يُكلِّمه إذ كلُّ الرُّسُلِ مِن تكليمِ الله إيَّاهم مثل موسىٰ، وكلٌّ عِندكم لم يسمع كلامَ اللهِ؟ فهذا مُحالٌ مِن الحُججِ، فضلًا أن يكون ردًّا لكلامِ اللهِ، وتكذيبًا لكتابه، ولم يقُل: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٥٣] إلَّا وإن حالتيهما مُختلِفتانِ في تكليمِ الله إيَّاهم(١).

---

(١) قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (١/ ١٧٥) في تفسيره لهذه الآية: حُجَّة علىٰ من يقول بخلق القرآن، وينفي الكلام عن الله، وقد أخبر الله عن نفسه جلَّ وتعالىٰ بأن في الرسل من كلَّمه، وهذا هو الموضع الذي يحسن فيه حذف (هو) المفعول به، لا الموضع الذي يغلطون فيه فيدَّعون حذفها من قوله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ [العلق]. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٣/ ٩٧٠): والأحاديث متواترة عن

=⇦

فمِمَّا يزيدُ ذلك تحقيقًا، قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧٧]. يعني: يوم القيامة.

ففي هذا بيانٌ بيِّنٌ أنه لا يُعاقِبُ قومًا يوم القيامةِ بصرفِ كلامِه عنهم إلَّا وإنه مُثيبٌ بتكليمه قومًا آخرين(١).

٢٣٣- ثم قد ميَّزَ رسولُ اللهِ ﷺ مَن يُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، وبين مَن لا يُكلِّمُه، فمِن ذلك:

• ما رَوينا في هذا الباب عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما منكم مِن أحدٍ إلَّا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامة**»(٢).

= النبي ﷺ بتخصيصِ موسىٰ بتكليمِ الله إيَّاه دون إبراهيم وعيسىٰ ونحوهما، وعلىٰ قولكم [يعني: الأشاعرة] لا فرق، بل قد زعم مَن زَعَمَ مِن أئمتكم أن الواحد مِن غير الأنبياء يَسمعُ كلام الله كما سمعه موسىٰ بن عمران، فمن حصل له إلهامٌ في قلبه جعلتموه قد كلّمه الله كما كلم موسىٰ بن عمران، ومعلوم أن المعتزلة لم يَصلوا في الإلحادِ إلىٰ هذا الحدِّ. اهـ

(١) قال الكرجي القصَّاب رحمه الله في «نُكت القرآن» (١/ ٢٢٠) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧]، حُجَّة علىٰ الجهمية في الكلام والنظر؛ إذ لو كان الكلام علىٰ المجاز ما ضرّهم حَجبه عنهم، ولا كان للمسلمين فيه تمتع، ولا نشُكُّ أنه جعل حَجب كلامه عنهم عُقوبة، فإن جاز أن يكون ذلك علىٰ المجاز: جاز أن يكون ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ علىٰ المجازِ، وإن كان العذابُ حقيقةً، فالكلامُ والنظرُ مثلهما. اهـ

(٢) تقدم تخريجه برقم (٢٢٥).

• والحديث الآخر ما روينا عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [١٠٤/أ] قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ**»(١).

ففي هذين الحديثينِ أيضًا بيانٌ بيِّنٌ علىٰ نفسِ كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: أنه يُكلِّمُ أقوامًا، ولا يُكلِّمُ آخرين.

ولو كان كما ادَّعيتُم كان المُثابُ بكلامِ اللهِ والمُعاقبُ به المصروف عنه سواءً عندكم.

ألا ترىٰ أنَّ أبا ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سألَ رسول الله ﷺ عن آدمَ صلوات الله عليه: أنبيًّا كان؟ قال: «**نعم، مُكلَّمًا**»(٢).

فهذا يُنبِئُكَ أنه أرادَ نفسَ كلامِ اللهِ، لا كلامَ مَن سِواه، ولو كان مُكلَّمًا بكلامِ المخلوقين في دعواكم لم يكن فيه كبيرُ فضيلةٍ لآدمَ علىٰ غيرِه مِن الخلقِ، لأنَّ عامَّةَ الخلقِ يُكلِّمُ بعضُهم بعضًا، فهم مُكلَّمون، فما فضلُ آدمَ في هذا عندكم علىٰ مَن سِواه مِن ذُرِّيَّته؟!

وقد قال تبارك وتعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

(١) تقدم تخريجه برقم (٢٠٩).

(٢) تقدم تخريجه برقم (٢٠٥ و٢٠٦ و٢٢٤).

١٢- باب

الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق(١)

٢٣٤ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمِن ذلك: ما أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ عن زَعيمِ هؤلاء الأكبرِ، وإمامِهم الأكفرِ، الذي ادَّعىٰ أولًا أنه مخلوقٌ، وهو الوحيدُ، واسمُه: (الوليد بن المُغيرة)، فأخبرَ اللهُ عن الكافرِ دعواه فيه، ثم أنكرَ عليه دعواه، وردَّها عليه، ووعدَه النارَ أنِ ادَّعىٰ أنَّ قولَ اللهِ قولُ البشرِ، وقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر]، وقول هؤلاء الجهمية: (هو مخلوقٌ)، واحدٌ لا فرقَ بينهما، فبئسَ التابعُ، وبئسَ المتبوع(٢).

---

(١) في «الأسماء والصفات» (٥٤٦) قال عَمرو بن العباس: سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي، وقيل له: إن الجهميةَ يقولون: إنَّ القرآن مخلوق.

فقال: إن الجهمية لم يريدوا ذا، وإنما أرادوا أن:

أ- ينفوا أن يكون الرحمن علىٰ العرش استوىٰ.

ب- وأرادوا أن ينفوا أن يكونَ الله تعالىٰ كلَّمَ موسىٰ، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

ت- وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله تعالىٰ.

أرىٰ أن يستتابوا؛ فإن تابوا وإلّا ضُربت أعناقهم.

(٢) وكذلك قول الكُلَّابية والأشاعرة: (إن القرآنَ عِبارة وحِكاية عن كلام الله تعالىٰ)، وقولهم: (القرآن كلامُ الله علىٰ المجازِ لا علىٰ الحقيقة)، لا فرق بين قولهم وقول ⇐

=

الجهمية إن الكلام مخلوقٌ كما قال البيجوري الأشعري في «شرحه لجوهرة التوحيد»: ومذهبُ أهل السُّنة [يعني: الأشاعرة]: أن القرآن بمعنىٰ الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأمَّا القرآن بمعنىٰ اللفظ الذي نقرأه فهو مخلوقٌ، لكن يمتنع أن يُقال: (القرآن مخلوق) يُريد به اللفظ الذي نقرأه إلَّا في مقام التعليم؛ لأنه رُبَّما أوهم أن القرآنَ بمعنىٰ كلامه تعالىٰ مخلوقٌ، ولذلك امتنعت الأئمَّة مِن القول بخلق القرآن. اهـ

- قال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوتِ» (ص ٨٤) وهو يُبيِّن موافقة الأشاعرة للمعتزلة في مسألة خلق القرآن:

(وقالت المعتزلةُ: السورُ والآيُ مخلوقة، وهي قرآنٌ مُعجزٌ.

وقال الأشعري: القرآن كلام الله سبحانه، والسورُ والآي ليست بكلامِ الله سبحانه، وإنما هي (عِبارةٌ) عنه، وهي مخلوقة. فوافَقهم في القولِ بخلقها، وزاد عليهم بأنها ليست بقُرآنٍ، ولا كلام الله سبحانه.

فإن زعموا أنهم يُقرُّون بأنها قرآنٌ، قيل لهم: إنما يُقِرُّون بذلك علىٰ وجه (المجاز)؛ فإن من مذهبهم أن القرآنَ غيرُ مخلوق، وأنَّ الحروف كلها مخلوقة، والسور حروف بالاتِّفاقِ، مَن أنكر ذلك لم يُخاطب. وإذا كانت حروفًا مخلوقة لم يجز أن يكونَ قرآنًا غير مخلوق. اهـ

- وقال (ص٦٣): وقال أبو محمد بن كُلَّاب ومن وافقه، والأشعريُّ وغيرهم: القرآن غير مخلوق، ومَن قال بخلقه كافرٌ، إلَّا أنَّ الله لا يتكلم بالعربية، ولا بغيرها مِن اللُّغاتِ، ولا يدخل كلامَه النَّظْمُ والتأليفُ والتعاقُبُ، ولا يكون حرفًا ولا صوتًا.

فقد بان بما قالوه أنَّ القرآنَ الذي نفوا الخلقَ عنه ليس بعربيٍّ، وليس له أوّل ولا آخر. ومُنكِر القرآن العربي وأنه كلامُ الله كافِرٌ بإجماع الفقهاء، ومُثبِت قرآن لا أوّل له ولا آخر كافِرٌ بإجماعهم، ومُدَّعي قرآن لا لغة فيه جاهلٌ غبيٌّ عند العرب. اهـ

- وقال ابن قُدامة في «حكاية المُناظرة في القرآن» (ص١٧): موضع الخلاف: أننا نعتقد: أن القرآن كلامُ الله، وهو هذه المائة والأربع عشرة سورة ... وأنه سورٌ

=

=

وآياتٌ وحروفٌ وكلماتٌ، مَتلوٌّ مسموعٌ مكتوبٌ.

وعندهم [يعني: الأشاعرة]: أن هذه السورَ والآياتِ ليست بقرآنٍ، وإنما هي (عِبارةٌ) و(حِكايةٌ)، وأنها مخلوقة، وأن القرآنَ معنىً في نفسِ الباري، وهو شيءٌ واحِدٌ، لا يتجزَّأ، ولا يتبعَّض، ولا يتعدَّد، ولا هو شيء يُنزل، ولا يُتلىٰ، ولا يُسمع، ولا يُكتب، وأنه ليس في المصاحفِ إلَّا الورق والمِداد. اهـ

- وقال (ص٣٢): هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون، وكفَرَ به الكافرون، وزعمت المعتزلة أنه مخلوقٌ، وأقرَّ الأشعريُّ أنهم مُخطِئون، ثم عاد فقال: هو مخلوقٌ وليس بقرآن، فزاد عليهم.

ولا خِلاف بين المسلمين أجمعين: أن مَن جحدَ آيةً أو كلمةً مُتَّفقًا عليها، أو حرفًا مُتَّفقًا عليه أنه كافر ... والأشعري يجحدُه كُله، ويقول: ليس شَيءٌ منه قرآنًا، وإنما هو كلامُ جبريل ... ومَدارُ القوم علىٰ القول (بخلق القرآن) وَوِفاقِ المعتزلة؛ ولكن أحبوا أن لا يُعلمَ بهم فارتكبوا مُكابرة العيان، وجَحد الحقائق، ومُخالفة الإجماع، ونبذَ الكتابَ والسُّنةِ وراء ظُهورِهم، والقولَ بشيء لم يَقله قبلهم مُسلمٌ ولا كافر.. إلىٰ آخر ما قال، وستأتي تتمَّته تحت (فقرة / ٢٩٣).

- وقال (ص ٤٧): واتَّفق أهل السُّنة علىٰ أن القرآن كلامُ الله غير مخلوق، ولم يكن القرآن الذي دعوا إلىٰ القول بخلقه سوىٰ هذه السور التي سمَّاها الله قرآنًا عربيًّا، وأنزلها علىٰ رسوله ﷺ ولم يقع الخلاف في غيرها البتّة، وعند الأشعري أنها مخلوقة فقوله قول المُعتزلة لا محالة إلَّا أنه يريد التلبيس، فيقول في الظاهر قولًا يوافق أهل الحقّ، ثم يُفسِّره بقول المعتزلة ... إلخ.

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٤/ ١٣٨١) وهو يتكلم عن القرآن وأنه كلامُ الله تعالىٰ، ثم قارنَ بين قول الأشاعرة والمُعتزلة، وأن حقيقة قول الأشاعرة في القرآن الذي بين أيدينا أنه مخلوق، قال: (قالوا: المكتوب المحفوظ المتلو هو (الحِكاية) أو (العِبارة) المؤلّفة المنطوق بها التي خلقها الله في الهواء، أو في اللوح المحفوظ، أو في نفس المَلَك.

فيقال: هذه عندكم ليست كلام الله إلَّا علىٰ (المجاز)، وقد عُلِمَ بالاضطرار أن

=

هذا الكلام العربي هو القرآن، وهو كتابُ الله وكلامه ... وعندكم: أن القرآن يستحيلُ أن يُقرأ لأنه ليس بحروفٍ ولا أصواتٍ، وإنما هو واحدُ الذات ليس بسور ولا آيات .. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وعندهم: أن الذي يُسمعُ ليس كلام الله علىٰ الحقيقة، وإنما هو مخلوق، (حُكيَ به) كلامُ الله علىٰ أحد قوليهم، و(عبارةٌ عُبِّرَ بها) عن كلامه علىٰ القول الآخرِ، وهو مخلوقٌ علىٰ القولين، فالمقروءُ والمسموعُ والمكتوبُ والمحفوظُ ليس هو كلامَ الله، وإنما هو عِبارةٌ عُبِّر بها عنه كما يُعبَّرُ عن الذي لا يَنطقُ ولا يتكلَّمُ مِن أخرسٍ أو عاجزٍ ...

ويَعْجَبُ هذا القائل من نصبِ الخلاف بينهم وبين المُعتزلة، وقال: ما نُثبته نحن مِن المعنىٰ القائم بالنفسِ فهو مِن جنسِ العلمِ والإرادةِ، والمُعتزلة لا تُنازِعُنا في ذلك، وغاية ما في الباب أنا نحن نُسميه: (كلامًا)، وهم يُسمُّونه: (عِلمًا وإرادة)، وأمَّا هذا النظمُ العربيُّ الذي هو حروفٌ وكلماتٌ وسورٌ وآياتٌ، فنحن وهم مُتَّفِقون علىٰ أنه (مخلوق)، لكن هم يُسمُّونه: (قُرآنًا)، ونحن نقول: هو (عِبارةٌ) عن القرآنِ أو (حِكايةٌ) عنه.

فتأمَّل هذه الأُخوَّة التي بين هؤلاءِ وبين المُعتزلة الذين اتَّفقَ السلفُ علىٰ تكفيرهم، وأنهم زادوا علىٰ المُعتزلةِ في التعطيل). اهـ

- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومنهم مَن يقول: جبريل عَلَّم رسول الله ﷺ معانيه، وألقاها في رُوعه، ومحمد ﷺ أنشأ ألفاظها، وعبَّر بها من عنده دلالة علىٰ ذلك المعنىٰ الذي ألقاه إليه المَلَكُ. فالقرآنُ العربيُّ علىٰ قولهم: قولُ محمدٍ، أو قولُ جبريلَ، **وهذا قولُ مَن لا نُسمِّيهم لشُهرتِهم، وإن حرَّفوا له العِبارة، وزَيَّنوا له الألفاظ، فهو قولهم الذي يُناظِرون عليه، ويُكفِّرون مَن خالفهم فيه.** اهـ

قلت: قوله: (هذا قول مَن لا نُسمِّيهم لشُهرتِهم) يريدُ بذلك: الأشاعرة.

وقد أطال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «التسعينية» (٣/ ٩٦١) المُقارنة بين قول الأشاعرة في القرآن وقول المُعتزلة، وأنه لا فرق بينهما في الحقيقة.

• قال الله تعالىٰ: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ ﴾ [المدثر]، إلىٰ قوله: ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ ﴾ [المدثر]. يعني: أنه ليس بقولِ البشرِ كما ادَّعىٰ الوليد، ولكنَّه قولُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(١).

= - وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ١٧٦ - ١٧٧): اعلم أن أكثر أهل الأمصار اليوم أشعرية، ومذهبهم في صفاتِ الربِّ سبحانه وتعالىٰ موافقٌ لبعض ما عليه المُعتزلة الجهمية، فهم يُثبتون بعضَ الصِّفات دون بعض؛ فيثبتون: الحياةَ، والعلمَ، والقُدرةَ، والإرادةَ، والسَّمعَ، والبصرَ، والكلامَ، وينفون ما سوىٰ هذه الصفات بالتأويلِ الباطل، مع أنهم وإن أثبتوا صفةَ الكلامِ مُوافقةً لأهل السُّنةِ، فهم في الحقيقةِ نافون لها؛ لأنَّ الكلامَ عندهم هو المعنىٰ فقط.

ويقولون: حروفُ القرآنِ مخلوقة، لم يتكلّم الله بحرفٍ ولا صوتٍ.

فقالت لهم الجهمية: هذا هو نفس قولنا: إن كلام الله مخلوق؛ لأن المُرادَ الحروف لا المعنىٰ.

ومذهب السَّلف قاطبة: أن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تكلَّمَ بالقرآن حروفه ومعانيه، وأن اللهَ سبحانه وتعالىٰ يتكلمُ بصوتٍ يُسمِعه مَن يشاء. اهـ

وسيأتي في فقرة (٢٥٧) زيادة بيان في تكفيرِ مَن قال: بأن القرآنَ (عِبارةٌ) و(حِكاية).

(١) في «السُّنة» للخلال (٢٠٧٦) قال نُعيم بن حماد: أول مَن قال: (القرآن مخلوق)؛ الوليد بن المُغيرة.

- وقال الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (٤/ ٤٣٧) في تفسير هذه الآيات من سورة (المدثر): قد أزال كل لُبسة عن أن القرآن كلام الله غير مخلوق، واللفظ به غير مخلوق؛ لتواعده الوليد بن المغيرة فيما نسبه إلىٰ قولِ البشر، وإذا لم يكن قول =

٢٣٥ - فحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا ابن نُمير، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن المُهاجِر، قال: سمعتُ أبي يَذكرُ، عن مجاهد في قوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ [المدثر]، قال: ذلك الوليدُ بن المُغيرة المخزوميُّ، و(المالُ الممدود): ألفُ دينارٍ، و(البنينُ الشهود): عشرةُ بنين. قال: فلم يزلِ النُّقصانُ في مالِهِ وولدِهِ حين تكلَّمَ بما تكلَّمَ حتىٰ ماتَ(١).

* قال أبو سعيد:

ولذلك صارَ لأتباعِهِ(٢) الذين تَلقَّفوا منه هذه الكلمة خِزيٌ وتَبابٌ(٣) في

= البشر، فلا يكون إلَّا قول الخالق، وإن تلاه البشرُ أيضـًا فلا يكون قوله، بل يكون قول مَن بدأ به، وهو الله جلَّ جلاله.

فلم يصر بتلاوة جبريل علىٰ رسول الله ﷺ مخلوقًا، وجبريل مخلوق، ولا بتلاوة رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه مخلوقـًا، ورسول الله ﷺ مخلوق، ولا بتلاوة التالين إلىٰ يوم القيامة، وإن كان التالون له مخلوقين.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن أفواهكم طُرُقٌ للقرآنِ، فطَهِّروها بالسِّواك**»، والأفواه مخلوقةٌ، وهي تؤدِّيه، فلا يصير مخلوقًا.

وقد قال: «**طُرُقٌ للقرآنِ**» - كما ترىٰ - ولم يقل: لحكايةِ القرآن.

فالقرآن لا يكون لفظًا للعبادِ، ولا حكاية لهم عن غيرهم أبدًا؛ لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلَّمَ الله جلَّ جلاله، كيف احتمل، وكيف أُدِّيَ... إلخ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥٧١٥ و٣٥٧١٩) مُفرَّقًا.

(٢) في الأصل: (اتباعه).

(٣) أي: هلاك وخسران.

كلِّ شيءٍ مِن أمرِهم(١).

٢٣٦ - وممَّا يُحتجُّ به أيضًا عليهم مِن كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

• وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة]. تثبيتًا أنهم لا يفعلونه أبدًا.

• وقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود].

ففي هذا بيانٌ بيِّنٌ أن القرآنَ خرجَ مِن الخالقِ لا مِن المخلوقين، وأنه

---

(١) حتىٰ ولو علوا وارتفعوا في زمنٍ مِن الأزمانِ بقوةِ السيف والسلطان فإن مصيرهم إلىٰ السقوط والخسران في الدنيا قبل الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

ومن نظر في تراجم أئمة الجهمية الذي أسَّسوا هذا المذهب، وامتحنوا الناس به، كيف كانت خاتمتهم مِن السوء والقبح والخزي علم أن مصيرهم كما قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلىٰ الهلاكِ والخُسران.

وانظر: «الإبانة الكبرىٰ» (٦٤/ باب ما روي في جهم وشيعته الضُّلال، وما كانوا عليه من قبيح المقالِ).

كلامُ الخالقِ لا كلامُ المخلوقين، ولو كان كلامَ المخلوقين ومنهم لقَدَرَ المخلوقُ الآخَرُ أن يأتيَ بمثلِه، أو بأحسنَ منه؛ لأنه لم يتكلَّم مخلوقٌ بحقٍّ وباطلٍ مِن الشِّعرِ أو الخُطَبِ أو المَواعظِ [١٠٤/ب] أو مِن كلامِ الحِكمةِ أو غير ذلك إلَّا وقد أتىٰ بمثله أو بأحسنَ منه نُظراؤه ممَّن هم في عصرِه أو مِمَّن بعدَه.

فهذا قد ثبَّتَ اللهُ عليه الشَّهادةَ أنه لا يأتي بمثلِه جِنٌّ ولا إنسٌ؛ لأنه منه، وصَدَقَ اللهُ وبلَّغَ رسوله، لم يأتوا بمثلِه مُنذُ مائتي[1] وخمسين سنة، ولا يأتونَ بمثلِه إلىٰ خمسينَ ألفَ سنةٍ.

فكيفَ يفعلونه وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة:٢٤].

و﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

فلا يأتون بمثلِه ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا، ففي هذا بيانٌ بَيِّنٌ أنه كلامُ الخالقِ نفسِهِ، وأنه غيرُ مخلوقٍ[2].

---

(١) كذا في الأصل، والجادة: (مائتين).

(٢) وفي هذا ردٌّ علىٰ المعتزلة فيما ذهبوا إليه من القول بـ(الصَّرفة)، وأن الله تعالىٰ هو الذي صرَفَ كُفَّار قريش عن القدرةِ مِن أن يأتوا بمثل القرآن، ولو مكَّنهم من ذلك لقدروا علىٰ أن يأتوا بمثله؛ لأنه مخلوقٌ مجعولٌ عندهم، وليس هو كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف].

«تنبيه»: قال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ٧٠): واختلف قول الأشعري أيضـًا في الإعجاز، فقال في موضعٍ: الإعجازُ يتعلَّقُ بهذا النظم، وليس ذلك بكلام ⇐=

٢٣٧ - ومِمَّا يُحتجُّ به عليهم أنه غيرُ مخلوقٍ مِن قولِ رسول الله ﷺ؛ قوله: «**فَضْلُ القرآنِ علىٰ سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ علىٰ خلقِه**».

٢٣٨ - حدثنا به شهاب بن عبَّاد العبدي الكوفي، ثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عَمرو بن قيس، عن عطيَّة، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال:

= الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما هو عبارة عنه، وأمَّا صفة الله تعالىٰ فلا يجوز أن يقال: إنّ الخلق يعجزون عنها، كما لا يجوز أن يقال: يقدرون عليها.

فجعل المُعجِزَ غير القرآن، وإجماع الأُمَّة حاصلٌ علىٰ أنّ القرآن هو المُعجِز للكافَّةِ، فمَن زعم أنه ليس بمُعجِزٍ، والمُعجز غيره كان رادًّا لخبر الله سبحانه، وخارِقًا للإِجماع، وذلك كفر.

وقال في غير ذلك الموضع: (الإعجاز متعلِّق بكلامِ الله، وكلامُ الله شيءٌ واحدٌ لا سورة فيه، ولا آية، ولا حرف).

وفي هذا القول تكذيبٌ للنصِّ وإحالة: فأمَّا التكذيب؛ فإن الله سبحانه قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة]،

وقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

فبيّن أنّ التحدِّي واقعٌ إلىٰ مثل كلامه القرآن وإلىٰ سورة منه، فقول الأشعري: (إنّ المعجِزَ هو الكتابُ دون القرآن) تكذيبٌ للنصِّ وخبره.

وقوله: (إنّ المعجز هو الكلامُ وليس بسورةٍ) تكذيب للنصِّ أيضًا.

والإِحالة هي في أنّ التحدِّي واقعٌ إلىٰ الإتيانِ بمثل ما يُعلَم ويُعقل، ولو كان بخلافِ ذلك لما صحَّ جُملةً؛ لأن العقل لا يقتضي أن يُتحدَّىٰ واحدٌ إلىٰ الإتيان بمثل ما لا يدري ما هو، ولا يعقل معناه، ومثل ذلك إذا سِيم واحدٌ كان لِعبًا وهزوًا، والله سبحانه يتعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا. اهـ

قال رسول الله ﷺ: «**مَن شغلَه قراءةُ القرآنِ عن ذِكرِي ومَسألَتي، أعطيتُه أفضلَ ما أُعطِي السائلينَ، وفضلُ كلامِ اللهِ علىٰ سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ علىٰ خلقِه**»(١).

٢٣٩ - حدثنا عُقبة بن مُكْرَمٍ البصري، ثنا مُعلَّىٰ بن أسد، ثنا محمد بن سَواء، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن أشعث الحُدَّاني، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَضلُ القُرآنِ علىٰ سائرِ الكلامِ كفضلِ الرحمنِ علىٰ سائرِ خلقِهِ**»(٢).

٢٤٠ - وحدثني محمد بن حميد الرازي، حدثنا إسحاق بن سُليمان الرازي، ثنا الجرَّاح بن الضحاك الكندي، عن علقمة بن مَرثد، عن أبي عبد الرحمن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**».

قال أبو عبد الرحمن: فهذا الذي أجلسني هذا المَجلِسَ، وفضلُ القرآنِ علىٰ سائرِ الكلامِ كفضلِ الخالقِ علىٰ المخلوقِ، وذلك أنه منه(٣).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (١٩٣).

(٢) تقدم تخريجه برقم (١٩٤).

(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧)، ولفظه: «**خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه، حتىٰ كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.

وقول أبي عبد الرحمن السُّلمي الذي ذكره المُصنِّف: رواه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢١٦٢)، واللالكائي (٥٢٦).

٢٤١ - قال أبو سعيد:

ففي هذه الأحاديثِ بيانٌ: أن القرآنَ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنه ليس شيءٌ مِن المخلوقينَ مِن التفاوتِ في فضلِ ما بينهما كما بينَ اللهِ وبين خلقِه في الفضلِ؛ لأنَّ فضلَ ما بين المخلوقين يُستدرَكُ، ولا يُستدركُ فضلُ اللهِ علىٰ خلقِه، ولا يُحصيه أحدٌ، وكذلك فَضلُ كلامِهِ علىٰ كلامِ المخلوقين، ولو كان كلامًا مخلوقًا لم يكن فضلُ ما بينه وبين سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ علىٰ خلقِه، ولا كعُشرِ عُشرِ جُزءٍ مِن ألفِ ألفِ جُزءٍ ولا قريبًا، ولا قريبًا، فافهموه، فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فليس ككلامِه كلامٌ، ولن يُؤتىٰ بمثلِهِ أبدًا.

٢٤٢ - **حدثنا** سعيد بن أبي مريم المصري، ثنا ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ثابت بن عبد الله، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يَرجعَ القرآنُ مِن حيثُ نزلَ، له دويٌّ كدويِّ النحلِ، يقول: يا ربِّ، منك خرجتُ، وإليك أعودُ، أُتلىٰ ولا يُعملُ بي، أُتلىٰ ولا يُعملُ بي(١).

٢٤٣ - **سمعتُ** إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول: قال سفيانُ بن عُيينة [١٠٥/أ]: قال عَمرو بن دينار: أدركتُ أصحابَ النبيِّ ﷺ فمَن دونهم منذُ سبعين سَنَةً، يقولون: اللهُ الخالقُ، وما سِواه مَخلوقٌ، والقرآنُ كلامُ اللهِ، منه

---

(١) رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٢٩١)، والمروزي كما في «مختصر قيام الليل» (ص١٧٩).

خرجَ وإليه يَعودُ(١).

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٣٢)، وحرب الكرماني في «السنة» (٣٨٨)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٨٤)، واللالكائي (٣٥٨).

وزاد اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال محمد بن عمار: ومَن مشيختُه إلَّا أصحابُ رسولِ الله ﷺ؛ ابنُ عباسٍ، وجابرٌ رضي الله عنهم. وذَكَرَ جماعةً. اهـ

- وفي «الأسماء والصفات» (٥٣٨) قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعلِّقًا علىٰ هذا الأثر: وقد أدرك عَمرو بن دينار أجلّة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين، والمهاجرين، والأنصار؛ مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخُدري، وعبد الله بن عَمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وأجِلَّة التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وعلىٰ هذا مضىٰ صدر هذه الأُمة لم يختلفوا في ذلك. اهـ

- وقال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٤٧): وعن عَمرو بن دينار: أدركتُ تسعةً مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ يقولون: مَن قال: القرآنُ مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ.

قال: وقد لقِيَ عَمرو بن دينار: ابنَ عباس، وابنَ عمر، وابنَ الزُّبير، وجابر بن عبد الله، والمِسْورَ بن مَخْرَمة، وسعد بن عائذ القَرَظِ - مؤذِّن رسول الله ﷺ، والسائبَ بن يزيد الكِندي، وأبا الطُّفيل عامر بن واثلة، ورُوِيَ له عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فهؤلاء تِسعةٌ.

وروىٰ البخاري في «خلق أفعال العباد» (١)، واللالكائي (٣٦٩) عن ابن عُيينة نحوه، ولفظه: أدركتُ مشايخنا منذُ سبعينَ سنةً، منهم: عَمرو بن دينار، يقولون: القرآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ.

- قال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد لَقِيَ ابنُ عُيينة نحوًا مِن مائتي نفسٍ مِن التابعين مِن العلماءِ، وأكثرَ مِن ثلاثمائةٍ مِن أتباعِ التابعين مِن أهلِ الحَرمين، والكوفةِ، والبصرةِ، والشامِ، ومِصرَ، واليَمنِ. اهـ

- وفي «السُّنة» للخلال (١٨٤٨) قال عبد الله بن أحمد: ذكر أبو بكر الأعين، قال: سُئل أحمد عن تفسير قوله: (القرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود).

⇦=

٢٤٤ - حدثنا علي بن المديني، ثنا موسىٰ بن داود، ثنا مَعبد، قال: قال علي وهو ابن راشدٍ، عن معاوية بن عمَّار، قال: قيل لجعفر بن محمد: القرآنُ خالقٌ أو مخلوقٌ؟

قال: ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله(١).

= فقال أحمد: (منه خرج): هو المُتكلِّم به، وإليه يعود.

- وفي «الطبقات» (٢/ ٥١٧) قال أحمد: منه بدأ علمُه، وإليه يعود حُكمه.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَسَّرَ الإمام أحمد قوله: (منه بدأ): أي هو المُتكلّم به. وقال أيضًا: (أي هو المُتكلّم به؛ لا أنه خلقه في بعضِ الأجسام المخلوقة).

- وقال في بيان سبب قول السلف لهذه العبارة: ردًّا علىٰ الجهمية الذين يقولون: (بدأ من غيره)، وقولهم: (إليه يعود) أي: عِلمه، فلا يبقىٰ في المصاحِفِ منه حَرفٌ؛ ولا في الصُّدُورِ منه آية. اهـ

انظر: «درء التعارض» (٢/ ١١٣)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ١٦)، و«الفتاوىٰ» (١٢/ ٢٩٧ و٥٣٠)، و«الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم» (ص ٥٠).

قلت: كما ثبت عن النبي ﷺ قوله: «**يُسرىٰ علىٰ كِتابِ الله لَيلًا فيُصبح الناسُ ليس في الأرضِ ولا جوف مُسلمٍ منه آية**». رواه الضياء المقدسي في «اختصاص القرآن بعوده إلىٰ الرحيم الرحمن» (ص ٣٤).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (١١٣)، والخلال في «السُّنة» (٢١٩٠ و١٩٣١ و٢٠٣٠)، والآجري في «الشريعة» (١٩٢)، واللالكائي (٣٦٠ و٣٧٢).

- وفي «الأسماء والصفات» (٥٣٨) قال عثمان بن سعيد الدارمي: سمعتُ عليًّا - يعني: ابن المديني - يقول في حديث جعفر بن محمد: (ليس القرآن بخالقٍ ...) قال عليٌّ: لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمانٍ أقدم من هذا.

قال عليٌّ: هو كفر. =

٢٤٥ - حدثنا محمد بن منصور - الذي يقال له: الطوسي، مِن أهل بغداد، وكان ثقة -، قال: حدثني عليّ بن مَضَاءٍ مولىٰ خالد القسري، قال: سمعتُ ابنَ المبارك بالمِصِّيصة، وسألَه رجَالٌ[1] عن القرآنِ.

فقال: هو كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ[2].

٢٤٦ - وحدثنا محمد بن منصور، قال: حدثني علي بن المَضاء، قال: سمعتُ بقية بن الوليد، يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ[3].

٢٤٧ - وحدثنا محمد بن منصور، ثنا علي بن المَضاء، قال: سمعتُ

=

قال: أبو سعيد [الدارمي]: يعني: مَن قال: القرآن مخلوق فهو كافر. اهـ

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المنهاج» (٢/ ٢٥٠): وكان أول مَن ظهرَ عنه هذا [يعني: القرآن مخلوق] الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، ثم صار هذا في المعتزلة. ولما ظَهرَ هذا سألوا أئمة الإسلام مثل: جعفر الصادق وأمثاله، فقالوا لجعفر: القرآن خالق أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

ومعلوم أن قوله: (ليس بخالق ولا مخلوق) لم يرد به أنه ليس بكاذب ولا مكذوب، لكن أراد أنه ليس هو الخالق للمخلوقات، ولا هو من المخلوقات، ولكنه كلام الخالق.

وكذلك ما نقل عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قيل له: حكَّمت مخلوقًا؟! قال: لم أُحكِّم مخلوقًا، وإنما حكَّمت القرآن. اهـ

(١) في «الإبانة الكبرىٰ»: (وسأله رجل).

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٣٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٩٣)، والخلال في «السنة» (١٩٩٢).

(٣) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٩٣).

عيسىٰ بن يونس، يقول: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ(١).

٢٤٨ - حدثنا محمد بن منصور، ثنا عليٌّ، قال: سمعتُ القاسم الجَزرِي، يقول: القرآنُ كلامُ [اللهِ](٢) غيرُ مخلوق(٣).

٢٤٩ - حدثنا محمد بن منصور، ثنا علي بن المَضاء، ثنا هشام بن بَهْرام، قال: سمعت المُعافىٰ بن عمران، يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق(٤).

قال هشام: وأنا أقول كما قال المُعافىٰ.

قال عليٌّ: وأنا أقول كما قال هشام.

قال محمد بن منصور: وأنا أقول كما قالوا خمسين مَرَّة.

قال أبو سعيد: وأنا أقول كما قالوا سبعين مرَّة.

قال القرشي: وأنا أقول كما قالوا.

قال الأزدي: وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر مِن أوَّلِه إلىٰ آخرِه، وبه ألقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

قال أبو رَوح: وأنا أقول بعددِ مَن يُبصر، ومَن لا يُبصر.

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٣٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٩٣ و٢٢٩٧)، والخلال في «السنة» (١٩٩٢).

(٢) في الأصل: (القرآن كلام غير)، وكتب فوقها: (كذا).

(٣) رواه المُصنف في «النقض» (٢٣٥). وما بين [ ] منه.

(٤) رواه في «النقض» (٢٣٦)، وعبد الله في «السنة» (٤٩٧)، والخلال في «السنة» (١٩٦٩).

وقال شيخنا أبو عبد الله: وأنا أقولُ بعددِ جميع الخلائق.

٢٥٠ - سمعتُ محمد بن منصور: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنامِ حِدْثَانَ ما استخلفَ جعفرٌ(١)، فقلتُ له: إن ناسًا يقولون: القرآن مخلوق، فقال بوجهه هكذا، كأنه أعرضَ، فقلت: أليسَ كلامَ اللهِ غيرَ مخلوقٍ؟

قال: نعم. ثم قلتُ له مرَّةً أُخرىٰ، فقال: نعم(٢).

٢٥١ - حدثنا عبد الله بن صالح المصري، ثنا يحيىٰ بن أيوب، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن رجلٍ مِن شيوخِ أهلِ مصرَ أنه حدَّثه، عن عبد الله

---

(١) جعفر: هو ابن المُعتصم بن الرشيد العباسي، المعروف: بالمتوكِّل علىٰ الله، الذي رفع اللهُ به مِحنةَ القول بخلقِ القرآن، توفي سنة: (٢٤٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في «السنة» (٤٩٨): سمعتُ محمد بن منصور الطُّوسي يقول: رأيتُ في المنامِ كأني قاعدٌ فرفعت رَأسي، فإذا النبي ﷺ جالِسٌ فوق شيءٍ مُرتفع، فقلت له: إن هاهنا قومًا يقولون: القرآنُ مخلوقٌ. فقال بوجهِه؛ فأعرضَ عنِّي إعراضًا شديدًا، فقلت له: أليس هو كلامَ الله عَزَّوَجَلَّ غيرَ مخلوقٍ؟ قال: بلىٰ. ثم قامَ، فإذا علىٰ يسارِهِ ثلاثة أُناس، عرفتُ منهم واحِدًا بوجهه، فرددتُ عليه الكلامَ ثانيةً ليسمَعَ هؤلاء الثلاثة، فقلت له: أليسَ القرآنُ كلامَ الله عَزَّوَجَلَّ غيرَ مخلوقٍ؟

قال: بلىٰ. أشدّ ما أسمعني أولًا.

فقلتُ لهؤلاء: اسمعوا، واشهدوا كلُّكم كأنكم في اليقظةِ.

* «فائدة»: عقد اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» بابًا في ذكر بعض الرُّؤىٰ التي وقعت لِمَن قال بخلق القرآن، فقال: (١٨/ سياق ما رُئِي مِن الرؤيا السُّوء لمن قال بخلق القرآن في الدنيا، وما أعدَّ الله في الآخرةِ أكثر).

ابن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**للقرآنُ أحبُّ إلىٰ اللهِ مِن السمواتِ والأرضِ وما فيهنَّ**»(١).

٢٥٢ - قال أبو سعيد:

فهذا يُنبِّئك أنه نفسُ كلامِ اللهِ، وأنه غيرُ مخلوقٍ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلق كلامًا إلَّا علىٰ لسانِ مخلوقٍ، فلو كان القرآنُ مخلوقًا كما يزعمُ هؤلاءِ المُعطِّلون، كان إذًا مِن كلامِ المخلوقين.

وكلُّ هذه الرِّواياتِ والحِكاياتِ والشواهدِ والدلائلِ قد جاءت وأكثرُ منها في أنه غيرُ مخلوقٍ.

ثم إحاطةُ عِلمِ العُلماءِ وعقولِ العُقلاءِ بأن كلامَ الخالق لا يكونُ مخلوقًا أبدًا، إذا كان في دعواهم قبل أن يَخلُقَ الكلامَ منقوصًا مُضطرًّا إلىٰ الكلامِ حتىٰ خلقَه، وكمُلَت ربُوبيته، وتمَّت وحدانيته بمخلوقٍ في دعواهم. [١٠٥/ب]

---

(١) رواه الدارمي في «مُسنده» (٣٤٦١)، وإسناده ضعيف.

ورواه الفريابي في «فضائل القرآن» (٢٨) من طريق آخر.

١٣- باب

الاحتجاج على الواقفة(١)

---

(١) (الواقفة): هم الذين وقفوا في القرآن لا يقولون: مخلوق ولا غير مخلوق.

والذين وقفوا في القرآن علىٰ أقسامٍ، وقد تنوعت أحكام الأئمة عليهم بناءً علىٰ هذه الأقسام. ومِن تلك الأقسام:

١- مَن وقف خوفًا علىٰ نفسِه، مع اعتقاده أن القرآن مخلوق.

٢- مَن وقف شاكًّا لا يدري مخلوقٌ هو أو غير مخلوق؟

٣- مَن وقف فيه، وطعنَ علىٰ الذين صرَّحوا بأنه (غير مخلوق)، ورماهم بالبدعةِ. وهؤلاء ممن ردَّ عليهم المُصنِّف في هذا الباب.

٤- مَن وقف فيه تورُّعًا- زعموا - بأن من قبلهم لم يتكلَّموا فيه.

٥- مَن وقف فيه مِن العامَّة والجُهَّال الذين لا يُدركون هذه المسائل ولا يُحيطون بها.

والمُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ عقد هذا الباب للردِّ علىٰ الواقفة الذين وقفوا في القرآن من بابِ التمويه والتلبيسِ مع اعتقادهم أن القرآنَ مخلوقٌ مُحدثٌ.

وممَّن عُرف عنه هذا المذهب الخبيث من الجهمية: ابن الثلجي صاحب المريسي اللَّذي ردَّ عليهما المُصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «النقض».

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «التسعينية» (١/ ٣٤٤): كان إمام الواقفة في زمن أحمد: محمد بن شجاع الثلجي .. وهو تلميذ بشر المريسي، وكانوا يُسمُّونه: تُرس الجهمية. اهـ

وقد نقلَ الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ أخباره في كتاب «السنة»، ومِن ذلك: أنه أظهر التوبة من القول بخلقِ القرآن، فلم يقبل منه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال له المروذي: ⇐

=
اذهب حتىٰ تصحَّ توبتك وأظهرها، ثم ارجع، قال: فبلغنا أنه أظهرَ الوقف.

- وفي ذيل «السنة» للخلال (٢١٨٨) عن زياد بن أيوب، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، وعلماء الواقفة جهمية؟

قال: نعم، مثل: ابن الثلاج وأصحابه الذين يُجادلون.

- وفيه (١٧٧١) قال الحسن بن ثوّاب: قلتُ لأبي عبد الله: الواقفة؟

قال: صِنفٌ مِن الجهمية استتروا بالوقف.

- وفيه (١٧٩٧) قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: إن يعقوب بن شيبة، وزكريا الشركي بن عمار إنهما إنما أخذا عنك هذا الأمر الوقف.

فقال: كنا نأمرُ بالسُّكوت، ونترك الخوض في الكلام، وفي القرآن، فلما دُعينا إلىٰ أمرٍ ما كان بدٌّ لنا مِن أن ندفع ذلك، ونُبيِّن مِن أمره ما ينبغي.

قلت لأبي عبد الله: فمَن وقف، فقال: لا أقول: مخلوق، ولا غير مخلوق؟

فقال: كلام سُوء، هو ذا موضع السُّوء وقوفه، كيف لا يعلم؟ إمَّا حلال، وإمَّا حرام، إمَّا هكذا، وإمَّا هكذا، قد نزَّه الله عَزَّوَجَلَّ القرآن عن أن يكون مخلوقًا، وإنما يرجع هؤلاء إلىٰ أن يقولوا: إنه مخلوق، فاستحسنوا لأنفسهم فأظهروا الوقف، القرآن كلام الله غير مخلوق، بكل جهةٍ، وعلىٰ كل تصريف.

- وفيه أيضًا (٢١٩٦) أن أبا الحارث قال: سألت أبا عبد الله، قلت: إن بعض الناس، يقول: إن هؤلاءِ الواقفةَ هم شرٌّ من الجهمية.

قال: هم أشدُّ تربيثًا [يعني: تلبيسًا] علىٰ الناس من الجهمية، وهم يُشَكِّكون الناس، وذاك أن الجهميةَ قد بان أمرهم، وهؤلاء إذا قالوا: لا يتكلم، استمالوا العامة، إنما هذا يصير إلىٰ قول الجهمية.

* وقد عقد غير واحدٍ مِمَّن صنَّفَ في الاعتقاد أبوابًا خاصَّة في التحذير من الواقفة، وبيان ضلالهم، من ذلك:

١ - الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (١٧/ باب ذكر النهي عن مذاهب الواقفة).

٢ - ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ»: (٥٨/ باب الإيمان بأن القرآن =

٢٥٣ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم إن ناسًا ممَّن كتبوا العلمَ بِزعمِهم، وادَّعوا معرفتَه وقفوا في القرآنِ، فقالوا: (**لا نقولُ: مخلوقٌ هو، ولا غير مخلوقٍ**)، ومع وقوفِهم هذا لم يَرضوا حتىٰ ادَّعوا أنهم يَنسبون إلىٰ البدعةِ مَن خالفَهم، وقال بأحدِ هذين القولينِ.

فقلنا لهذه العِصابةِ: أمَّا قولكم: (**مُبتدِعٌ**)؛ فظُلمٌ وحَيفٌ في دعواكم حتىٰ تَفهموا الأمرَ وتعقِلوه، لأنكم جهلتُم أيُّ الفريقين أصابوا السُّنةَ والحقَّ، فيكون مَن خالفهم مُبتدعةً عندكم.

والبدعةُ أمرُها شديدٌ(١)، والمنسوبُ إليها سَيِّئُ الحال بين أظهُرِ المسلمين(٢)، فلا تعجلوا بالبدعةِ حتىٰ تستيقنوا وتعلموا أحقًّا قال أحدُ

=

كلام الله غير مخلوق، خلافًا علىٰ الطائفة الواقفة التي وقفت وشكّت، وقالت: لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق).

٣ - الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة»: (٨١/ الرد والإنكار علىٰ من وقف في القرآن).

٤ - اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اعتقاد أهل السنة»: (١٤/ سياق ما روي في تكفير من وقف في القرآن شاكًّا أنه غير مخلوق).

(١) كما في «السُّنة» للخلال (٤٩٩) عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في تبديع مَن خالف في مسألة من مسائل التفضيل بين الصحابة رضي الله عنهم: إخراجُ الناسِ مِن السُّنةِ شديدٌ.

(٢) هذا عند أئمة السُّنة المُتقدِّمين، أمَّا عند بعض المُتأخِّرين فقد يُخالف الرجلُ في أعظم مسائل الدِّينِ مِن مسائل التوحيد والعبادة، وإنكار العلوّ، والرُّؤية، والنزول وغيرها من الأصول العظيمة، ويتأوَّلها ويُحرِّفها، ويدعو إلىٰ ذلك في كتبه وشروحاته، ومع ذلك لا يَضرُّه شيءٌ مِن هذا الضلال، بل لا يزال إمامًا ولا يجوز =

التعرُّض له بالذمِّ والتحذير بحالٍ من الأحوال، وأمّا هذه الجهميات والضلالات التي بثها ونشرها في أمة محمد ﷺ ودعا إليها فهي مغمورة في بحرِ حسناته ما دام أنه مُفسِّر أو مُحدِّث أو حافظٌ أو مُصنِّف، ولسان حال أكثرهم يقول: (لا يَضرُّ مع العلمِ شِركٌ ولا بدعة).

وهذا مُخالفٌ لما كان عليه أئمة السنة والآثار في معاملتهم مع من خالفهم في أصولهم التي أجمعوا عليها.

- قال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص١٣٢): وكان في وقتهم علماء لهم تَقدُّم في علوم، وأتباعٌ علىٰ مذهبهم؛ لكنَّهم وقعوا في شيءٍ من البدع: إمَّا القدر، وإمَّا التشيُّع، أو الإرجاء، عُرِفوا بذلك؛ فانحطَّت منزلتُهم عند أهلِ الحقِّ. اهـ

- وقال المُصَنِّف عثمان الدّارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما خاضَ في هذا البابِ أحدٌ ممَّن كانوا يُذكرون إلَّا سقطَ؛ فذكر الكرابيسيّ، فسَقطَ حتىٰ لا يُذكر، وكان معنا رجُلٌ حافظٌ بصيرٌ، وكان سُليمان بن حربٍ والمشايخ بالبصرةِ يُكرمونَه، وكان صاحبي ورَفِيقي - يعني: فتكلَّم فيه - فسَقَطَ. اهـ [«ذم الكلام» (١٢١٥)].

- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما زالَ إسماعيل ابن عُليَّة وَضيعًا مِن الكلامِ الذي تكلَّمَ به إلىٰ أن ماتَ.

فقيل له: أليسَ قد رجعَ وتابَ علىٰ رُؤوس الناسِ؟

فقال: بلىٰ؛ ولكن ما زال مُبغضًا لأهلِ الحديث بعد كلامِه ذاك إلىٰ أن مات. انظر: «مسائل ابن هانئ» (١٨٩٢)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٢٦٤).

- وفي «السنة» للخلال (٢٠٦٨): قال أبو بكر المروذي: أتيتُ أبا عبد الله ليلةً في جوف الليل، فقال لي: يا أبا بكر، بلغني أن نُعيمًا كان يقول: (لفظي بالقرآن مخلوق)؛ فإن كان قاله فلا غفرَ الله له في قبره.

- قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن العلَمَ ليس بكثرةِ الرِّوايةِ والكُتبِ؛ ولكن العالم: مَن اتَّبع الكتابَ والسُّنة، وإن كان قليل العِلمِ والكُتبِ، ومَن خالفَ الكتابَ والسُّنة فهو صاحبُ بدعةٍ وإن كان كثيرَ الرِّوايةِ والكُتب.

«طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٠).

=

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٧٣٢): لا يخالف ذلك ولا ينكره ولا يشذُّ عن الإجماع مع الناس فيه: إلَّا رجلٌ خبيثٌ، زائغٌ، مُبتدعٌ، محقورٌ، مهجورٌ، مدحورٌ، يهجرُه العلماء، ويقطعه العقلاء، إن مرض لم يعودوه، وإن مات لم يشهدوه. اهـ

- وقال ابن البناء الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المختار» (٦٦) وهو يتكلّم عن اعتقادِ أهل السُّنة: لا يختلفون في شيءٍ مِن هذه الأصولِ، ومَن فارقهم في شيءٍ منها: نابَذُوه، وباغَضُوه، وبَدَّعوه، وهَجَروه. اهـ

- وقال الصَّابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدة أصحاب الحديث» (١٧٦): ولا يشتغلوا بهذه المُحدثات مِن البدعِ التي اشتَهرت فيما بين المسلمين وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدةٌ منها علىٰ لسانِ واحدٍ في عصرِ أولئك الأئمة لهجروه، وبَدَّعوه، ولكذَّبوه، وأصابوه بكلّ سوءٍ ومكروه. اهـ

- وقال أبو سعد الزنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه لمنظومته في السُّنة» (٩): فكلُّ ما أحدَثَه مُحدِثٌ لم يُسنِده إلىٰ نصِّ كتابٍ مُنزَّلٍ، أو أَمْرٍ بأوامرِ رسولٍ مُرسلٍ؛ فهو مَردودٌ علىٰ مُحدِثِه، وهو مَذمومٌ بإحداثِه ذلك، مُتَّهمٌ في دينِه، سَاقِطُ العدالةِ بفعلِه، مَمقوتٌ عند اللهِ، وعند صالحي خلقه. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (١/ ٦٣): مَن أظهر بدعته وجبَ الإنكار عليه، بخلافِ مَن أخفاها وكتمها، وإذا وجبَ الإنكار عليه كان مِن ذلك أن يُهجر حتىٰ ينتهي عن إظهارِ بدعتِه، ومِن هَجْرِهِ: أن لا يؤخذ عنه العِلمُ، ولا يستشهد. اهـ

وبَيّن في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٣٨٥) أن هذا هو مذهب الفُقهاء مِن أهل الحديث كأحمد ومالك في حكم الدَّاعية للبدعةِ، وأن أقلّ العقوبة له: (أن يُهجرَ فلا يكون له مَرتبة في الدِّينِ، لا يؤخذ عنه العِلمَ، ولا يُستقضىٰ، ولا تقبل شهادته، ونحو ذلك).

- وقال أيضًا (٣٥/ ٤١٤): والدَّاعي إلىٰ البدعةِ مُستحقّ العقوبة باتِّفاق المسلمين، وعُقوبته تكون تارةً بالقتلِ، وتارةً بما دونه؛ كما قتل السَّلف: جهم بن

=

الفريقين أم باطِلًا؟

وكيف تستعجلون أن تَنسِبوا إلىٰ البدعةِ أقوامًا في قولٍ قالوه، ولا تَدرونَ أنَّهم أصابوا الحقَّ في قولِهم ذلك أم أخطؤوه؟ ولا يُمكنُكم في مذهبكم أن تقولوا لواحدٍ مِن الفريقينِ: لم تُصِب الحقَّ بقولِك، وليس كما قلتَ.

فمَن أسفَه في مذهبِه وأجهلُ مِمَّن يَنسبُ إلىٰ البدعةِ أقوامًا نقول: لا ندري أهو كما قالوا، أم ليس كذلك؟

ولا يأمنُ في مذهبِه أن يكون أحدُ الفريقينِ أصابوا الحقَّ والسُّنةَ، فسمَّاهم: مُبتدعةً.

ولا يأمنُ في دعواه أن يكونَ الحقُّ باطلًا، والسُّنةُ بدعةً؟

هذا ضلالٌ بيِّنٌ، وجهلٌ غيرُ صغيرٍ (١).

= صفوان، والجعد بن درهم، وغيلان القدري وغيرهم، ولو قُدِّر أنه لا يستحقُّ العقوبة، أو لا يُمكن عُقوبته، فلا بُدَّ مِن بيان بدعته، والتحذير منها، فإن هذا مِن جُملةِ الأمر بالمعروف والنهيٰ عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله ﷺ. اهـ

- قال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ٨٠): وإن زمانًا يُقبل فيه قولُ مَن يَرُدُّ علىٰ الله سبحانه، وعلىٰ الرسول ﷺ، ويُخالف العقلَ، ويُعَدُّ مع ذلك إمامـًا، لزمانٌ صعبٌ، والله المُستعان. اهـ

وإن أردت الاستزادة من موقف أئمة السلف مِمَّن ابتدعَ وخالف السُّنة ولو في أصلٍ واحدٍ من أصولهم فانظر: تعليقي علىٰ «الشريعة» الفقرة رقم (١).

(١) هذا تأصيلٌ نَفيسٌ في خطورة الاستعجال في اتِّهام الأشخاص بالبدعة قبل التثبت والتبيُّنِ مِن حاله ومِن مقاله، وقد أمرَ الله عَزَّوَجَلَّ بذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن =

٢٥٤- وأمَّا قولكم: (**لا ندري مخلوقٌ هو أم غير مخلوق؟**)؛

فإن كان ذلك منكم قِلَّةَ علمٍ به وفَهمٍ، فإن بيننا وبينكم فيه النظرَ بما يدلُّ عليه الكتابُ والسُّنةُ وتحتملُ العقول.

وجدنا الأشياء كلها شيئين:

أ- الخالقَ بجميعِ صفاته.

بـ- والمخلوقينَ بجميعِ صفاتِهم.

فالخالقُ بجميعِ صفاتِه غيرُ مخلوقٍ، والمخلوقُ بجميعِ صفاته مخلوقٌ.

فانظروا في هذا القرآنِ، فإن كان عندكم صفةَ المخلوقين: فلا ينبغي أن

= جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات].

وقد توسَّع أُناسٌ مِن أهل عصرنا في رَمي مَن عُرِفَ بالسُّنة والاعتقاد الصحيح بالبدعةِ والهوىٰ بمُجرَّدِ عدم موافقتهم في حُبِّ بعض الأشخاص أو بُغضهم، وهم بذلك قد وقعوا في البدعةِ إذ إنهم نَصَّبوا أشخاصًا يُوالون فيهم ويُعادون.

- قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء التعارض» (١/ ٢٧٢): ثبت في الصحيح أن النبيَّ ﷺ كان يقول في خُطبته: «**إنَّ أصدقَ الكلامِ كلامُ الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتها، وكلّ بدعةٍ ضلالة**»، فدينُ المسلمين مبنيٌّ علىٰ اتِّباع كتاب الله وسُنة رسوله، وما اتفقت عليه الأُمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأُمة رَدّوه إلىٰ الله والرسول ﷺ، وليس لأحدٍ أن يَنصب للأُمَّة شَخصًا يدعو إلىٰ طريقته، ويوالي عليها ويُعادي غير النبي ﷺ، وما اجتمعت عليه الأُمَّة، بل هذا مِن فعل أهل البدع الذين يُنصّبون لهم شخصًا أو كلامًا يُفرِّقون به بين الأُمة، يوالون علىٰ ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون. اهـ

تشكُّوا في المخلوقينَ وفي كلامِهِم وصفاتِهِم أنها مخلوقةٌ كلها، لا شَكَّ فيها، فيَلزمُكم في دعواكم حينئذٍ أن تقولوا كما قالت الجهمية، فلتَستريحوا مِن القالِ والقيلِ فيه، وتُغيِّروا عن ضمائركم.

وإن كان عندكم هو صِفةَ الخالقِ وكلامَه حقًّا، ومنه خرجَ؛ فلا ينبغي لمُصلٍّ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يَشُكَّ في شيءٍ مِن صِفاتِ الله وكلامِه الذي خرجَ منه أنه غيرُ مخلوقٍ.

هذا واضحٌ لا لبسَ فيه إلَّا علىٰ مَن جَهِلَ العِلمَ أمثالكم.

وما فرقٌ بينكم وبين مَن قال: (هو مخلوقٌ) إلَّا يَسيرٌ.

يزعمُ أولئك: أنه كلامُ اللهِ، مُضافٌ إليه مخلوقٌ.

وزعمتُم أنتم: أنه كلامُ اللهِ، ولا تدرون مخلوقٌ هو أو غيرُ مخلوقٍ.

فإذا لم تَدروا لم تَأمنوا في مذهبِكم أن يكونَ أولئك الذين قالوا: (مخلوقٌ)، قد أصابوا مِن قولِكم، فكيف تَنسِبُونهم إلىٰ البِدعةِ، وأنتم في شكٍّ مِن أمرهم؟!

فلا يجوزُ لرجلٍ أن يَنسِبَ رجُلًا إلىٰ بدعةٍ بقولٍ أو فعلٍ حتىٰ يستيقنَ أن قولَه ذلك وفِعلَه باطِلٌ ليس كما يقول(١).

فلذلك قُلنا: إنَّ فَرقَ ما بينكم يَسيرٌ؛ لأن أولئك ادَّعوا أنه (مخلوقٌ)،

---

(١) هذه قاعدة مُهمَّة فتنبَّه لها، ولا تَتَعجَّلنَّ في رمي شخصٍ بالبدعةِ حتى تتيقَّن أن العمل الذي عَمِلَه، أو القولَ الذي قاله قد نصَّ علماء السُّنة والأثر علىٰ بدعيَّته وحُدوثه.

وزعمتم أنتم أنه (كلامُ الله)، ومَن [١٠٦/أ] زعمَ أنه (غير مخلوقٍ) فقد ابتدعَ وضلَّ في دعواكم، فإن كان الذي يزعمُ أنه (غيرُ مخلوقٍ) مُبتدعًا عندكم، لا تشكُّون فيه إنه لمخلوقٌ عندكم حقًّا لا شكَّ فيه، ولكن تَستتِرون مِن الافتضاحِ به مخافةَ التشنيعِ، وجعلتُم أنفُسَكم جُنَّةً ودِلسةً للجهميةِ عند الناسِ، تُصوِّبون آراءهم، وتُحسِّنون أمرَهم، وتنسِبُون إلىٰ البدعةِ مَن خالَفَهم.

٢٥٥ - والحُجَّةُ على هذه العِصابةِ أيضًا: جميعُ ما احتججنا به مِن كتابِ الله في تحقيقِ كلامِ الله، وما رَوينا فيه مِن آثارِ رسولِ الله ﷺ، فمَن بعده: أنَّ القرآنَ نفسُ كلامِ اللهِ، وأنه غيرُ مخلوقٍ.

فهي كلُّها داخلةٌ عليهم كما تَدخُلُ علىٰ الجهميةِ؛ لأنَّ كلَّ مَن آمنَ باللهِ، وصدقه في قوله: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

• وفي قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح:١٥].

فأيقن بأنه كلامُه حقًّا كما سمَّاه أصدقُ القائلين، لزِمَه الإيمانُ بأنه غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالىٰ لم يجعل كلامًا مخلوقًا لنفسِه صفةً وكلامًا.

ولم يُضِف إلىٰ نفسِه كلامَ غيرِه؛ لأنه أصدقُ القائلين.

ولا يُقاسُ (كلامُ اللهِ) بـ(بيتِ الله)، و(عبدِ الله)، و(خلقِ الله)، و(رُوحِ الله)؛ لأن الخلقَ ليس مِن اللهِ، ولا مِن صفاتِه، وكلامُه صفتُه، ومنه خرجَ، فلا يُضافُ إلىٰ اللهِ مِن الكلامِ إلَّا ما تكلَّمَ به.

ولو جازَ أن يُنسَبَ كلامُ مخلوقٍ إلىٰ اللهِ فيكونُ لله كلامًا وصفةً، كما يُضافُ إليه (بيتُ الله)، و(عبدُ الله)، لجازَ أن نقولَ: كلُّ ما يُتكلَّمُ به آناءَ الليلِ والنهارِ مِن حَقٍّ أو باطلٍ، أو شِعرٍ، أو غِناءٍ، أو نَوْحٍ: (كلامُ الله)، فما فَضلُ القرآن في هذا القياسِ علىٰ سائرِ كلامِ المخلوقين إن [كان] كله يُنسَبُ إلىٰ اللهِ، ويُقامُ لله صِفةً وكلامًا في دعواكم؟ فهذا ضلالٌ بَيِّنٌ(١).

---

(١) المُضافات إلىٰ الله تعالىٰ من المسائل المُهمة التي ينبغي ضبطها؛ لأنه كثيرًا ما يستدلُّ بها أهل التعطيل علىٰ نفي صفات الله تعالىٰ.

فالجهمية مثلًا جعلت جميع المُضافات إلىٰ الله إضافة خلقٍ ومُلكٍ؛ فجعلوا (سمع الله)، و(بصر الله)، و(كلام الله)، كإضافة (ناقة الله)، و(بيت الله).

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الدرء» (٤/ ٩): وفي هذا الباب ضلَّت طائفتان:

١- طائفة جعلت جميع المُضافات إلىٰ الله إضافة خلقٍ ومُلكٍ؛ كإضافة البيت والناقة إليه، وهذا قول نُفاة الصّفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، حتىٰ ابن عقيل، وابن الجوزي، وأمثالهما إذا مالوا إلىٰ قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك، وقالوا: (هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات)، كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المُسمَّىٰ بـ «نفي التشبيه وإثبات التنزيه»، وذكره أبو الفرج ابن الجوزي في «منهاج الوصول» وغيره، وهذا قول ابن حزم وأمثاله ممَّن وافقوا الجهمية على نفي الصِّفات.

٢- وطائفة بإزاء هؤلاءِ يجعلون جميع المُضافات إليه صفة، ويقولون: بقدمِ الرُّوح، فمنهم من يقول بقدم روح العبد، لقوله: ﴿سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، وهم مِن جنس النصارىٰ الذين يقولون: بأنَّ روح عيسىٰ من ذات الله تعالىٰ، ومن هؤلاء مَن ينتسب إلىٰ أهل السُّنة والحديث إلىٰ الإمام أحمد وغيره من أئمة السُّنة ... اهـ

قلت: فالإضافة إلىٰ الله تعالىٰ نوعان:

⇦=

=

النَّوع الأول: إضافة مُلكٍ وتشريف، وضابطها: أن كلَّ ما يُضاف إلىٰ الله تعالىٰ ويكون عينًا قائمة بنفسها، أو حالًّا في ذلك القائم بنفسِه، فهي إضافة مُلكٍ وتشريفٍ.

ومثال ما يُضاف ويكون عينًا قائمة بنفسها: قوله تعالىٰ: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ [الشمس]. ومثال ما يكون حالًّا في ذلك القائم بنفسه: قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر].

فهذا لا يكون صفة؛ لأن الصِّفة لا بُدّ أن تكون قائمة بالموصوف.

النوع الثاني: إضافة الصِّفة إلىٰ الله تعالىٰ، وضابطها ما قاله ابن تيمية في «رسالة العقل والرّوح»: ما كان صفةً قائمة بغيرها ليس لها محلٌّ تقوم به. اهـ

- وقال أيضًا في «الفتاوىٰ» (١٧/ ١٥١): الفارق بين المُضافين: أن المضاف إن كان شيئًا قائمًا بنفسِه، أو حالًّا في ذلك القائم بنفسِه، فهذا لا يكون صفة لله؛ لأن الصِّفة قائمة بالموصوف، فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، تمتنع أن تكون صفات لله، فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة ... وأمّا إن كان المُضاف إليه لا يقوم بنفسه، بل لا يكون إلّا صفةً: كالعلم، والقدرة، والكلام، والرّضا، والغضب، فهذا لا يكون إلّا إضافة صفة إليه، فتكون قائمة به سبحانه، فإذا قيل: «**أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك**»، فعلمُه صفة قائمة به...

وأمّا أثر ذلك وهو ما يحصل للعبدِ مِن النّعمة، واندفاع النّقمة، فذاك مخلوقٌ مُنفصلٌ عنه، ليس صفة له، وقد يُسمّىٰ هذا باسم ذاك، كما في الحديث الصّحيح: «**يقولُ اللهُ للجنَّةِ: أنتِ رَحمتِي أرحمُ بِكِ مَن أشاء مِن عبادي**»، فالرّحمةُ هنا عَينٌ قائمة بنفسِها، لا يمكن أن تكون صفة لغيرها، فهذا هو الفارق بين ما يُضاف (إضافة وصف)، و(إضافة مُلك)، وإذا قيل: (المسيحُ كلمة الله)، فمعناه: أنه مخلوق بالكلمةِ، إذ المسيح نفسه ليس كلامًا، وهذا بخلافِ القرآن فإنه نفسه كلامٌ، والكلام لا يقوم بنفسه إلّا بالمتكلّم، فإضافته إلىٰ المُتكلّمِ إضافة صِفة إلىٰ موصوفها، وإن كان يتكلّم بقدرته ومشيئته، وإن سُمِّيَ فعلًا بهذا الاعتبار فهو صفة باعتبارِ قيامه

=⇦

مع أنَّا قد كُفينا مؤنةَ النظرِ بما في كتابِ اللهِ مِن البيانِ، وفي الأثرِ مِن البُرهانِ، واللهُ يهدي من يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيم.

٢٥٦ – قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

احتججنا بهذه الحُجج وما أشبَهها علىٰ بعضِ هؤلاءِ الواقفةِ، وكان مِن أكبرِ احتجاجهم علينا في ذلك أن قالوا: إنَّ ناسًا مِن مشيخةِ رواةِ الحديثِ – الذين عرفناهم عن قِلَّةِ البصرِ بمذاهبِ الجهميةِ – سُئلوا عن القرآنِ، فقالوا: لا نقولُ فيه بأحدِ القولين، وأمسكوا عنه إذ لم يتوجَّهوا لمُرادِ القومِ؛ لأنها كانت أُغلوطةً وقعت في مسامِعِهم لم يَعرِفوا تأويلها، ولم يُبتلوا بها قبل ذلك، فكفُّوا عن الجوابِ فيه وأمسكوا.

فحين وقعت في مَسامعِ غيرهم مِن أهلِ البصرِ بهم، وبكلامِهم ومُرادِهم مِمَّن جالسوهم وناظرُوهم وسَمِعوا قُبحَ كلامِهم، مِثلُ مَن سمَّينا، مثل: جعفر ابن محمد بن علي بن الحُسين، وابن المُبارك، وعيسىٰ بن يونس، والقاسم الجزري، وبقيَّة بن الوليد، والمُعافىٰ بن عمران، ونُظرائهم مِن أهلِ البصرِ بكلامِ الجهميةِ، لم يشُكُّوا أنها كلمةُ كفرٍ، وأن القرآنَ نفسُ كلامِ الله كما قال اللهُ تبارك وتعالىٰ، وأنه غيرُ مخلوقٍ إذ ردَّ اللهُ علىٰ الوحيدِ قوله: إنه قولُ البشر، وأصلاه عليه سَقَرَ.

فصرَّحوا به علىٰ علمٍ ومعرفةٍ: أنه غيرُ مخلوقٍ، والحُجَّةُ بالعارِفِ

= بالمتكلّم. اهـ

وسيأتي زيادة بيان في «النقض» (٢٢١) عن الكلام في مسألة المُضافات.

بالشيءِ، لا [١٠٦/ب] بالغافلِ عنه القليلِ البَصَرِ به(١).

فتَعلَّقَ هؤلاء فيه بإمساكِ أهلِ البصرِ، ولم يلتفِتوا إلىٰ قولِ مَن استَنبطَه وعَرَفَ أصلَه.

فقُلنا لهم: إن يكُ جَبُنَ هؤلاءِ الذين احتججنا(٢) بهم مِن قِلَّةِ بَصَرٍ، فقد اجْتَرأَ هؤلاءِ، وصرَّحوا ببصرٍ، وكانوا مِن أعلامِ الناسِ، وأهلِ البصرِ بأُصولِ الدِّينِ وفُروعِه(٣)، حتىٰ أكْفَرُوا مَن قال: مَخلوقٌ، غيرَ شاكِّينَ في كُفرِهم ولا مُرتابين فيهم(٤).

---

(١) وهذه قاعدة مُهِمَّة: (الحُجَّةُ بالعارِفِ بالشيءِ، لا بالغافلِ عنه القليلِ البَصَرِ به).

(٢) كتب فوقها: كذا، وكتب في الهامش: ولعله: (احتججتم).

(٣) تقدم برقم (١٠٩) التنبيه إلىٰ أن تقسيم الدين إلىٰ أصولٍ وفروعٍ تقسيمٌ صحيحٌ.

(٤) سيأتي زيادة بيان مُهِمَّة في «النقض» (٢١٥) عن سبب توقُّف بعضهم في القرآن، وعن سبب تصريح أئمّة السنة أنه (غير مخلوق)، وإنكارهم علىٰ الواقفة.

- ففي «الشريعة» (٢٢٥) قال أبو داود السِّجستاني: سمعت أحمد يُسأَلُ: هل لهم رُخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؟

فقال: ولِمَ يسكتُ؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السُّكوت، ولكن حيث تكلَّموا فيما تكلَّموا، لأيِّ شيءٍ لا يتكلمون؟!

- قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ قول أحمد بن حنبل في هذا المعنىٰ يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالىٰ، فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: (القرآن مخلوق)، لم يسع العلماء إلَّا الردُّ عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شكٍّ ولا توقُّف فيه، فمَن لم يقل: (غير مخلوق)؛ سُمِّي: واقفيًّا شاكًّا في دينه. اهـ

- وفي «السنة» للخلال (١٧٨٧) قال أبو النضر: دعانا إبراهيم بن شكلة ⇦

= وأحضر المريسي، أراد ضرب عُنقه، فقال لنا: ما تقولون في القرآن؟

قال: فقلتُ: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فقال: لِمَ لَمْ تقُل: كلام الله وتسكت؟

قال: قلت: لأن هذا - العدوَّ لله - قال: مخلوق، فلم نجد بُدًّا من أن نقول: غير مخلوق.

- وفي «السُّنة» لحرب (٣٦٣) قال إبراهيم بن الحارث: سألت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل، قلت: يا أبا عبد الله، يكون مِن أهلِ السُّنةِ مَن قال: لا أقولُ: القرآن مخلوق، ولا أقول: ليس بمخلوق؟

قال: لا، ولا كرامة، لا يكون مِن أهلِ السُّنة، قد بلغني عن ذاك الخبيثِ ابن مُعذِّل أنه يقول بهذا القول، وقد فُتِنَ به قومٌ كثير مِن أهلِ البصرة.

- وعند الخلال (١٧٨٦) قال علي بن عيسىٰ: قلت لأبي عبد الله: إن يعقوب ابن شيبة وزكريا الشركي بن عمار أنهما إنما أخذا عنك هذا الأمر بالوقف.

فقال: كنا نأمرُ بالسكوت، ونترك الخوض في الكلام، وفي القرآن، فلمَّا دُعينا إلىٰ أمرٍ ما كان بُدٌّ لنا من أن ندفع ذاك ونُبيِّن من أمره ما ينبغي.

قلت لأبي عبد الله: فمَن وقف فقال: لا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق؟

فقال: كلام سُوءٍ، هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم؛ إمَّا حلالٌ، وإما حرامٌ، إمَّا هكذا، وإما هكذا؟ قد نزَّه الله عَزَّوَجَلَّ القرآن عن أن يكون مخلوقًا، وإنما يرجعون هؤلاء إلىٰ أن يقولوا: (إنه مخلوق)، فاستحسنوا لأنفسهم؛ فأظهروا الوقف، القرآن كلام الله غير مخلوق بكلِّ جهة، وعلىٰ كلِّ تصريفٍ.

١٤ - باب

الاحتجاج في إكفار الجهمية(١)

٢٥٧ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

ناظرني رجُلٌ ببغدادَ مُنافِحًا عن هؤلاءِ الجهميةِ، فقال لي: (**بأيَّةِ حُجَّةٍ تُكفِّرون هؤلاءِ الجهميةِ، وقد نُهِيَ عن إكفارِ أهلِ القبلةِ؟ بكتابٍ ناطقٍ تُكفِّرونَهم؟ أم بأثرٍ؟ أم بإجماعٍ؟**).

فقلتُ: ما الجهميةُ عندنا مِن أهلِ القِبلةِ، وما نُكفِّرهم إلَّا بكتابٍ مَسطورٍ، وأثرٍ مأثورٍ، وكُفرٍ مشهورٍ(٢).

---

(١) قال حرب الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السُّنة» (٩٦): (الجهمية): أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن الله لا يتكلَّم، ولا يُرىٰ، ولا يُعرفُ لله مكانٌ، وليس لله عرشٌ، ولا كرسيٌّ، وكلامٌ كثيرٌ أكرَه حكايتَه، وهم كُفَّارٌ زنادقةٌ، أعداءُ الله فاحذروهم. اهـ

(٢) سيأتي في «النقض» (٦) أن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ كان يُخرجُ الجهميةَ مِن عِدادِ المسلمين. وانظر التعليق عليه.

قلت: وإذا كان في عصر أئمة السنة وظهور التوحيد مَن يُنافح وينكر علىٰ من يكفر الجهمية، فما عسانا في هذه العصور المُتأخِّرة أن نقول؟!

فلم يكن الأمر الآن على ذلك بل زاد فأصبحنا نسمع من يقول باجتهاد الجهمية، وأن لهم أجرًا واحد علىٰ اجتهادهم في مسائل التعطيل وإنكار الصفات!!

فهذا جمال الدِّين القاسميّ في كتابِهِ «تاريخ الجهمية والمعتزلة» يُصرِّحُ بأنَّ إمام الجهمية: (الجهم بن صفوان) الذي أجمع السَّلف علىٰ كُفرِهِ، صَرَّح بأنه كان ⇦=

=

مُجتهدًا في مَسائل الصِّفات، فقال (ص١٧): (وجهمٌ كان دَاعية للكتاب والسُّنة، ناقمًا علىٰ مَن انحرَفَ عنهما، مُجتهدًا في أبوابِ مَسائلِ الصِّفات..).

وذَكَرَ القاسمي المسائل التي اجتهد فيها، فقال: (وخلاصة مذهبه: هو تأويل الصِّفات، والجنوح إلىٰ التنزيه البحث، وبه نفىٰ أن يكون لله تعالىٰ صفات غير ذاته، وأن يكون مرئيًا في الآخرة، وأن يتكلّم حقيقة، وأثبت أن القرآن مخلوق، هذا أشهر مسائل جهم التي يقال لها: مقالة الجهمية، وله من الآراء سوىٰ ذلك كالقول بنفي جهة العلو ..).

ولم يقتصر الأمر عنده علىٰ القولِ بأنَّ الجهم كان مُجتهدًا! بل تَعدّىٰ إلىٰ القول باجتهادِ الجهميّة والمعتزلة وجميع أهل البدعِ في مسائلِ الاعتقاد !

فقد عقدَ فَصلًا في كتابه «تاريخ الجهمية» فقال (ص٧٧): (بيان أن الجهميّة والمعتزلة لهم مَا للمُجتهدِين). قال: (كما أن اسم الاجتهاد يتناول في عُرفِهم فُروع الفقهِ، فكذلك مسائل الكلام..)، إلىٰ أن قال: (فكانوا لذلكَ مُجتهدِينَ، وفي اجتهادهم مَأجُورين، وإن كانوا في القُرب مِن الحقِّ مُتفاوتِين).

قلتُ: سُبحانك هذا بُهتان عظيم.

ولما رَأىٰ القاسميّ هذا القول لا يتوافق مع مَوقف السّلف الصّالح مِن أهل البدع، ووصفهم بالبدعةِ والضَّلالِ؛ ذهبَ إلىٰ إطلاقِ تسميةٍ جديدة لم يُسبق إليها علىٰ المبتدعةِ تَتوافق مع القولِ باجتهادِهم في مسائل الاعتقاد؛ فسمّاهم بـ (المبَدِّعينَ)، وعَلَّل ذلك بقوله كما في كتابه «الجرح والتعديل» (ص ٣): (لأني لا أرَىٰ أنهم تعمَّدوا البدعة؛ لأنهم مُجتهدون، يبحثون عَن الحقِّ، فلو أخطأه بعد بَذلِ الجهد كانوا مَأجورينَ غير مَلومين، فلا يليق تسميتهم: (مُبتدعة)، بل: (مُبدّعة). اهـ

نسأل الله السلامة، فهذا كله إبطال لمنهج الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة، ونقض لباب الولاء والبراء، وهجر المخالف والإنكار عليه.

وإن أردت زيادة بيان فانظر كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية لإثبات الصفات الإلهية»: (المبحث السابع: لا اجتهاد في مَسَائل الاعتقاد).

أمَّا الكتاب:

فما أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن مُشركي قريشٍ مِن تكذيبهم بالقرآنِ، فكان مِن أشدِّ ما أخبرَ عنهم مِن التكذيبِ: أنهم قالوا: (هو مخلوقٌ)، كما قالت الجهميَّةُ سواءً.

قال الوحيدُ، وهو الوليدُ بن المُغيرة المَخزومي: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر].

وهذا قولُ جهمٍ: إن هذا إلَّا مخلوق.

• وكذلك قول مَن يقول بقوله، وقول مَن قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [الفرقان:٤].

• و ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام].

• و﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [ص].

معناهم في جميعِ ذلك، ومعنىٰ جهمٍ في قوله يَرجِعانِ إلىٰ أنه مَخلوقٌ ليس بينهما فيه مِن البونِ كَغَرزِ إبرةٍ، ولا كقيسِ شَعرةٍ[١].

---

(١) تقدم برقم (٢٣٤) تقرير أن قول الكُلَّابية والأشاعرة في القرآن بأنه (عِبارة) و(حِكاية) هو عينُ قول الجهمية بأنه مخلوق، لكن هؤلاء صرَّحوا، وهؤلاء مَوَّهوا ولبَّسوا حتىٰ لا يفتضحوا، وقد نصَّ غير واحدٍ مِن أهل العلمِ علىٰ تكفير مَن قال: بأن القرآن (عِبارة وحكاية)، ومنهم:

- قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٢٢٨) عن بعض أصناف الجهمية الذين لبّسوا علىٰ العامة واحتالوا عليهم: (قالوا: إن القرآن الذي تكلَّمَ الله به وقاله =

فبهذا نُكفِّرُهم كما أكفرَ اللهُ به أئمَّتَهم مِن قريشٍ، وقال: ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ

=

فهو كلام الله غير مخلوق، وهذا الذي نتلوه ونقرؤه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا ليس هو القرآن الذي هو كلام الله، هذا (حِكايةٌ) لذلك، فما نقرؤُه نحن حكايةٌ لذلك القرآن بألفاظنا نحن، وألفاظنا به مخلوقةٌ. فدقَّقوا في كفرهم، واحتالوا لإدخال الكفر علىٰ العامَّة بأغمضِ مسلك .. إلخ.

– وقال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «اعتقاد أهل السُّنة» (١٥/ سياق ما دلَّ ... علىٰ أن القرآن تكلم الله به علىٰ الحقيقة ... ليس بحِكاية ولا عِبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق .. ومن قال غير هذا فهو: كافر، ضالٌّ، مُضلٌّ، مُبتدعٌ، مُخالفٌ لمذاهب السُّنة والجماعة. اهـ

– وقال أبو جعفر أحمد بن سنان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من زعم أن القرآن شيئان، أو أن القرآن حِكاية؛ فهو والله الذي لا إله إلَّا هو زنديقٌ كافرٌ بالله ...إلخ.

«اختصاص القرآن بعوده إلىٰ الرحيم الرحمن» (١٦).

– وقال ابن الحنبلي في «الرسالة الواضحة في الرد علىٰ الأشاعرة» (٢/ ٣٠٧):

(والجهمية – لعنهم الله – علىٰ أصناف مختلفة:

أ- فمنهم من يقول: القرآن ليس هو كلام الله، ولا هو مخلوق.

ب- ومنهم من يقول: القرآن كلام الله، ولا يقول: إنه مخلوق أم غير مخلوق.

ج- وطائفة منهم تقول: إنه حكاية عن ذلك القرآن ..

قال: فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية، وهم كفارٌ زنادقةٌ .. اهـ

– وقال المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص١٤٠): ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عَزَّوَجَلَّ، لا حِكاية، ولا عِبارة. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف] ... فمَن لم يقل: إن هذه الأحرف عين كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد مرق مِن الدين، وخرج عن جُملةِ المسلمين، ومن أنكر أن يكون حروفًا فقد كابر العيان، وأتىٰ بالبُهتان. اهـ

﴿٢٦﴾ [المدثر]، إذ قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر].

لأن كلَّ إفكٍ، وتقوُّلٍ، وسِحرٍ، واختِلاقٍ، وقولِ البشرِ، كلّه لا شكَّ في شيءٍ منه: أنه مخلوقٌ، فاتَّفقَ مِن الكفرِ بينَ الوليد بن المُغيرة، وجهمِ بن صفوان الكلمةُ، والمُراد في القرآنِ أنه مخلوقٌ، فهذا الكتابُ الناطقُ في إكفارِهم.

وأمَّا الأثر فيه فما:

٢٥٨ - **حدثنا** سُليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، وجرير بن حازم، عن أيوب، عن عكرمة: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أُتي بقومٍ مِن الزَّنادقةِ(١)، فحرَّقهم، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: أمَّا أنا فلو كنت لقتلتُهم، لقولِ رسول الله ﷺ: «**مَن بَدَّلَ دِينَه فاقتُلوه**»، ولَمَا حَرَّقتُهم لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تُعذِّبوا بعذابِ اللهِ**»(٢).

زادَ سُليمان في حديثِ جَريرٍ: فبلَغَ عليًّا رضي الله عنه ما قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما، فقال: ويحَ ابنِ أُمِّ الفضل، إنه لغوَّاصٌ علىٰ الهَنَات(٣).

---

(١) وهم قوم يقال لهم: (السبائية)، يعتقدون إلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أحرقهم عليٌّ بالنار في خلافته. «لسان الميزان» (٣/ ٣٨٩).

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٤٨)، والبخاري (٣٠١٧ و٦٩٢٢). وسيأتي (٢٨٣).

(٣) هذه الزيادة رواها الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٨١)، والبيهقي في «السنن» (١٦٩٤٣).

(والهَنَات): الشدائد والأمور العِظام. «تاج العروس» (٤٠/ ٣١٩).

٢٥٩ - قال أبو سعيد:

فرأينا هؤلاءِ الجهميةَ أفحشَ زندقةً، وأظهر كُفرًا وأقبحَ تأويلًا لكتابِ اللهِ، وردِّ صفاتِه، فيما بلغنا عن هؤلاءِ الزنادقةِ الذين قتلَهم عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحرَّقهم(١). [١٠٧/أ]

---

(١) في هذا ردٌّ صريح علىٰ ما ادّعاه الذهبي في «سيره» (١٠/ ٢٠٢) في ترجمته لبشر المريسي مِن أن كفر الكافر الأصلي ليس ككفرِ غيره ممَّن ارتكبَ ناقضًا من نواقضِ الإسلامِ، فقال: (ومن كفرَ ببدعةٍ - وإن جلَّت - ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليهودي، والمجوسي، أبىٰ الله أن يجعل مَن آمن بالله ورسوله، واليوم الآخر، وصام، وصلَّىٰ، وحجَّ، وزكَّىٰ - وإن ارتكب العظائم، وضلَّ، وابتدع - كمن عاند الرسول، وعبد الوثن، ونبذ الشرائع، وكفر، ولكن نبرأ إلىٰ الله من البدع وأهلها). اهـ

فهذا تهوينٌ مِن البدع الكفرية المُغلَّظة التي أجمع أهل السنة علىٰ أن قائلها خارجٌ عن المِلَّة، ولا ينفعه مع كفره كلامٌ ولا عملٌ.

وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ أن عقائد الجهمية وضلالهم وكُفرهم أشدّ مِن ضلال اليهود والنصارىٰ والمجوس، وأنه يدعو إلىٰ الزندقة.

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٣٤) في ذمِّ الجهمية: نظرتُ في كلام اليهود والنصارىٰ والمجوس فما رأيت قومًا أضلّ في كُفرِهم منهم، وإني لأستجهلُ مَن لا يُكفِّرهم إلَّا مَن لا يعرفُ كُفرهم.

- وقال أيضًا (٥١): ما أُبالي صليت خلف الجهميّ والرافضي، أم صليتُ خلف اليهود والنصارىٰ...

- وفيه (١٨) قال سعيد بن عامر: الجهمية شرٌّ قولًا مِن اليهود والنصارىٰ؛ قد اجتمعت اليهود والنصارىٰ وأهل الأديان: أن الله تبارك وتعالىٰ علىٰ العرش. وقالوا هم: ليس علىٰ العرش شيء.

⇦=

=

- وعند اللالكائي (٤١٧) عن أبي عُبيد القاسم بن سلَّام قال: مَن قال: (القرآنُ مخلوقٌ)، فهو شرٌّ مِمَّن قال: (إن الله ثالث ثلاثة)، جلَّ اللهُ وتعالىٰ؛ لأن أولئك يُثبِتونَ شيئًا، وهؤلاء لا يُثبتونَ المعنىٰ.

- وفي «السُّنة» لحرب (٣٧٥) عن يحيىٰ بن خلف قال: قال أبو بكر بن عياش: أيُشكُّ في اليهوديِّ والنَّصرانيِّ أنهما كافران؟! فمَن شكَّ في هؤلاء أنهم كفارٌ؛ فهو كافِرٌ، والذي يقولُ: القرآن مخلوقٌ مثلهما.

- وفي «السُّنة» للخلال (٢٣٣٠) عن عبد الله بن إدريس قال: اليهود والنصارىٰ والمجوس هم والله خيرٌ مِمَّن يقول: القرآن مخلوق.

من قال: (القرآن مخلوق)، فليس شيءٌ مِن الكفر إلَّا هو دونه، فقد قال هذا علىٰ الله ما لم تقله اليهود والنصارىٰ، وإنما مذهبهم التعطيل. اهـ

- وفي «الحُجة علىٰ تارك المُحجة» (فقرة/٥٦) قال أبو القاسم الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قال: (إنه مخلوق) فهو كافرٌ شَرٌّ من اليهود، والنصارىٰ، وعبدة الأوثان، وليس من أهل التوحيد المُخلصين الذين أدخلهم الله النار عقوبة منه لأعمال استوجبوا بها النار، فيخرجهم الله من النار برحمته وشفاعة نبيه محمد ﷺ وشفاعة الشافعين. اهـ

- وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٩٢): فأعلمنا ربنا جل وعلا أن من لا رِجلَ له، ولا يدَ، ولا عين، ولا سمع فهو كالأنعامِ بل هو أضلّ، فالمُعطِّلة الجهمية الذين هم شرٌّ مِن اليهود والنصارىٰ والمجوس: كالأنعام بل أضلّ؛ فالمُعطِّلة الجهمية عندهم كالأنعام بل هم أضلّ. اهـ

- وتقدم قول المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٣): إنَّ مِن كلامِهم في تَعطيلِ صِفاتِ الله تعالىٰ ما هو أوحشُ مِن كلام اليهودِ والنصارىٰ ... إلخ.

- وقوله (١١٠): (وصِرتُم في عبادةِ ما تعبُدون أسوأَ منزِلةً مِن عبادةِ الأوثانِ، وعبادةِ الشمسِ والقمرِ؛ لأنَّ كلَّ صِنفٍ منهم عبدَ شيئًا هو عند الخلقِ شيءٌ، وعبدتُم أنتم شيئًا هو عند الخلقِ لا شيءَ).

=

=

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (٢/ ٤٤١): ومما ينبغي أن يُعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر، قولها قول أهل الشرك والتعطيل، وليس هو قول أحد من أهل الكتب المُنزَّلة، ولكن لم يكن لهم بُدّ مِن موافقة أهل الكتب في الظاهر، وكانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم، كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل، وأقدموا علىٰ ذلك، وهؤلاء منافقون زنادقة. اهـ

وأما كونهم زنادقة فهذا أمر مُتَّفق عليه لا خلاف بين السلف فيه، كما سيأتي التعليق علىٰ ذلك تحت قول المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (فقرة/ ٢٨١): (فالجهميةُ عندنا زنادقةٌ مِن أخبثِ الزنادقةِ).

- وقال (٢٩٣): وما يُعرَفُ في الإسلامِ زنادقةٌ غير هؤلاءِ الجهمية، وأيُّ زندقةٍ بأظهرَ مِمَّن ينتحلُ الإسلامَ في الظاهرِ، وفي الباطنِ يُضاهي قولُه في القرآنِ قولَ مُشركي قريشٍ الذين رَدُّوا علىٰ الله ورسولِهِ، فقالوا: .. ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [المدثر]. كما قالت الجهمية سواءً: إن هذا إلَّا مخلوق. اهـ

«**تنبيه**»: مِن أعجب ما وقفتُ عليه مِن فتاوىٰ المُتأخِّرين في مسألةِ تكفيرِ مَن قال بخلق القرآن: فتوىٰ مقبل بن هادي الوادعي في إنكارِه علىٰ أئمة السنة تكفيرهم لمن قال بخلق القرآن! ومخالفته لإجماعهم.

وقد اعترض عليه السائل علىٰ هذه الفتوىٰ، فقال: قلتَ بعدم كفر القائل بخلق القرآن، ومِن المعلوم أن القرآن مِن صفاتِ الله، أوَليس الكلام في الصفات كالكلام في الذات؟

فأجاب: نحن لا نُكفِّرُ مُسلمًا إلَّا بدليلٍ مِن كتابِ الله، ومِن سنةِ رسول الله ﷺ، وقد قرأنا هذا في «السُّنة» لعبد الله بن أحمد: أن كثيرًا من السلف يقولون: مَن قال: (إن القرآن مخلوقٌ فهو كافر)، لكن أين الدليل علىٰ هذا؟!

فمسألة تكفير المسلمين لا بُدَّ فيها من الدليل، بل نقول: (إنه مبتدعٌ)، وقد ذكر هذا الشوكاني في كتابه «الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة». اهـ

قلت: فترك الإجماع الذي ذكره الإمام عبد الله بن أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في «السنة» عن =

فمضتِ السُّنة مِن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما في قتلِ الزنادقةِ، لأنها كُفرٌ عندهما، وأنهم عندهما مِمَّن بدَّلَ دينَ اللهِ، وتأولا في ذلك قولَ رسولِ الله ﷺ، ولا يَجِبُ علىٰ رجلٍ قتلٌ في قولٍ يقولُه حتىٰ يكون قولُه ذلك كفرًا، لا يَجبُ فيما دون الكفرِ قتلٌ إلَّا عقوبةً فقط.

فذاك الكتابُ في إكفارِهم، وهذا الأثرُ.

٢٦٠ - ونُكفِّرُهم أيضًا بكفرٍ مشهورٍ، وهو تكذيبُهم بنصِّ الكتابِ، أخبرَ اللهُ تبارك وتعالىٰ أن القرآنَ: (كلامُه)، وادَّعتِ الجهمية أنه: (خلقُه).

وأخبرَ اللهُ تبارك وتعالىٰ أنه كلَّمَ موسىٰ تكليمًا.

وقال هؤلاءِ: لم يُكلِّمه اللهُ بنفسِه، ولم يَسمع موسىٰ نفسَ كلامِ اللهِ، إنما سَمِعَ كلامًا خرجَ إليه مِن مخلوقٍ(١).

= الأئمة، وأخذ بقول الشوكاني الذي كان يرىٰ الوقف في القرآن كما قرَّر ذلك في تفسيره «فتح القدير»، وسيأتي نقل كلامه في «النقض» برقم (١٢٥).

وانظر ما سيقرره المُصنِّف فيما سيأتي من الأبواب التي ختم بها هذا الكتاب، ففيه الحُجة الواضحة في سبب تكفير أهل السنة لمن قال بخلق القرآن من الكتاب والسنة وإجماع العلماء مما لا يدع لشاكٍّ في هذه المسألة أي لبسٍ.

(١) وهذا بعينه هو قول الأشاعرة، فعندهم: أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يُكلِّم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حقيقة؛ لأن كلام الله تعالىٰ ليس بحرفٍ ولا صوت كما تقدم بيان ذلك برقم (٢٣٤).

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ٦٩): ويقولون في الظاهر للعوامِ: قد سمع موسىٰ كلامَ الله علىٰ الحقيقة، وكلامُه ليس بصوت. والعقلُ لا يقتضي أن يسمع بشرٌ مُبْقىٰ علىٰ بنيته وعادته ما ليس بصوت علىٰ الحقيقة. اهـ

=

=

- وقال (ص٧٢): قالوا في سماع موسىٰ كلام الله عَزَّوَجَلَّ: إنه لم يخصَّ الأُذُن.

وإذا لم يختصَّ - بزعمهم - الأُذُن لم يكن سماعًا؛ لأن هذه البِنْية مجبولةٌ علىٰ أنها لا تسمع إلَّا بالأُذن. اهـ

ومَن أقوالهم في ذلك من كتبهم:

- قال ابن عطية الأشعري في «المَحرر الوجيز» (٢/ ١٣٧): وكلام الله للنبيِّ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دون تكييفٍ، ولا تحديدٍ، ولا تجويز حدوث، ولا حروفٍ ولا أصواتٍ، والذي عليه الراسخون في العلم: أن الكلام هو المعنىٰ القائم في النفس، ويخلق الله لموسىٰ أو جبريل إدراكًا من جهة السمعِ يتحصَّل به الكلام. وقال: فقد سَمِعَ موسىٰ كلامَ الله عَزَّوَجَلَّ القديم، وهو ليس بحرفٍ ولا صوتٍ. اهـ

وقال الغزالي: وأن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمع كلام الله بغير صوتٍ ولا حرفٍ. اهـ

- وقال ابنُ فَوْرك الأشعري في «مُشكل الحديث» (ص ٣٥١): اعلم أن كلام الله تعالىٰ ليس بحرفٍ ولا صوتٍ عندنا، وإنما العبارات عنه تارة تكون بالصوت، والعبارات هي الدالة عليه، وأمارات له تظهر للخلق ويسمعون عنها كلام الله فيفهمون المُراد، فيكون ما سمع موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الأصوات ممَّا سمع يُسمَّىٰ كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون ذلك في نفسه غير الكلام. اهـ

- وقال ابن عاشور صاحب «التفسير» في «مقالاته» (١/ ٥٤): والتكليم حقيقتُه النطقُ بالألفاظ المفيدة معاني بحسب وضعٍ مصطلح عليه. وهذه الحقيقةُ مستحيلةٌ علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنها من أعراض الحوادث. فتعيَّن أن يكون إسنادُ التكليم إلىٰ الله مجازًا.

- وقال أيضًا: فيجوز أن الله خلق الكلامَ في الشجرة التي كان موسىٰ حذوَها، وذلك أولُ كلام كلمه اللهُ موسىٰ في أرض مَدينَ في جبل حوريب. ويجوز أن يخلق الله الكلام من خلال السحاب، وذلك الكلام الواقع في طور سينا وهو المراد هنا. اهـ

قلت: فهذا كله ضلالٌ مُخالفٌ لِمَا عليه إجماع أهل السُّنة.

- قال المَرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وقيل له: إن

=

=

عبد الوهاب الورَّاق قد تكلَّم، وقال: مَن زعم أن الله كلَّم موسىٰ بلا صوتٍ فهو جهمي، عدوُّ الله، وعدوُّ الإسلام.

فتبسَّم أبو عبد الله، وقال: ما أحسن ما قال، عافاه الله. [«الدرء» (٢/ ٣٩)]

- وقال محمد بن عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت عليًا - يعني ابن المديني - علىٰ المنبر يقول: ... ومَن زعَمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يُكلِّم موسىٰ علىٰ الحقيقة فهو كافر.

«سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني» (١١٣).

- وقال ابن القاسم صاحب مالك رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في رسالته في «السُّنة»: والإيمان بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كلَّمَ موسىٰ بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصوتٍ سَمِعَه موسىٰ مِن اللهِ تعالىٰ لا مِن غيره، فمَن قال غير هذا أو شكَّ فقد كفرَ. حكىٰ ذلك ابن شكر في «الرد علىٰ الجهمية» عنه. [«مختصر الصواعق» (٤/ ١٣٩٠)]

- وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السنة»: والإيمان بأن الله تبارك وتعالىٰ هو الذي كلم موسىٰ بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يوم الطور، وموسىٰ يسمع من الله الكلام بصوتٍ وقع في مسامعه منه لا مِن غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر. اهـ

- وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (٧٨٩): فإن قال منهم قائلٌ: إن الله تعالىٰ خلق كلامًا في الشجرة، فكلَّم به موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قيل له: هذا هو الكفر؛ لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك، ويزعم أن مخلوقًا يدعي الرُّبوبية، وهذا مِن أقبح القول وأسمجه.

وقيل له: يا مُلحد، هل يجوز لغيرِ الله أن يقول: (إني أنا الله)؟.

نعوذُ بالله أن يكون قائلُ هذا مُسلمًا، هذا كافرٌ يُستتاب، فإن تاب ورجع عن مذهبه السوءِ وإلَّا قتله الإمامُ، فإن لم يقتله الإمامُ، ولم يَستتبه، وعُلِمَ منه أن هذا مذهبه هُجِرَ، ولم يُكلَّم، ولم يُسلَّم عليه، ولم يُصلَّ خلفه، ولم تُقبل شهادته، ولم يزوِّجه المُسلمُ كريمته. اهـ

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٥٤٣): فمَن أنكر أن الله كلَّمَ موسىٰ كلامًا بصوتٍ تسمعه الأُذنان، وتعيه القلوب، لا واسطة بينهما، ولا

=

ففي دعواهم دعا مخلوقٌ موسىٰ إلىٰ رُبوبيته، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه:١٢].

فقال له موسىٰ في دعواهم: صدقتَ، ثم أتىٰ فرعون يَدعوه أن يُجيبَ إلىٰ رُبوبيةِ مخلوقٍ كما أجابَ موسىٰ في دعواهم.

فما فرقٌ بين موسىٰ وفرعون في مذهبِهم في الكُفرِ إذًا؟!

فأيُّ كفرٍ أوضح مِن هذا؟(١).

= تَرجمان، ولا رسول؛ فقد كفر بالله العظيم، وجحد بالقرآن؛ وعلىٰ إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن تاب ورجع عن مقالته، وإلَّا ضَرب عنقه ... إلخ

- وسُئِلَ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٥٠٢) عن رجلٍ قال: إن الله لم يُكلم موسىٰ تكليمًا، وإنما خلق الكلام والصوت في الشجرة وموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سَمِعَ مِن الشجرة لا مِن الله، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم جبريل بالقرآنِ، وإنما أخذه مِن اللوح المحفوظ. فهل هو علىٰ الصواب أم لا؟

فأجاب: الحمدُ لله، ليس هذا علىٰ الصواب؛ بل هذا ضالٌّ مُفتر كاذبٌ باتفاق سلفِ الأُمَّة وأئمتها؛ بل هو كافرٌ يجبُ أن يُستتابَ فإن تابَ وإلَّا قُتِلَ.

وإذا قال: لا أُكذِّبُ بلفظ القرآن، وهو قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، بل أقرّ بأن هذا اللفظ حقٌّ، لكن أنفي معناه وحقيقته؛ فإن هؤلاء هم الجهمية الذين اتَّفق السلف والأئمة علىٰ أنهم مِن شرِّ أهل الأهواء والبدع حتىٰ أخرجهم كثير مِن الأئمة عن الثنتين والسبعين فرقة. اهـ

* وانظر: «الإبانة الكبرىٰ» (٧٤ / باب التصديق بأن الله تبارك وتعالىٰ كلم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وبيان كفر من جحد ذلك وأنكره).

(١) تقدم برقم (٢٣٢) تقرير كفر من ادَّعىٰ ذلك.

٢٦١ - وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

وقال هؤلاءِ: ما قال لشيءٍ قطُّ قولًا وكلامًا: (كُنْ) فكان، ولا يقولُه أبدًا، ولم يخرج منه كلامٌ قطُّ، ولا يخرجُ، ولا هو يَقدِرُ علىٰ الكلامِ في دعواهم، فالصنَمُ في دعواهم والرحمنُ بمنزلةٍ واحِدةٍ في الكلامِ.

فأيُّ كُفرٍ أوضحُ مِن هذا؟

٢٦٢ - وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤](١).

• و ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

• و ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران].

• وقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠].

وقال هؤلاءِ: ليس للهِ يدٌ، وما خلقَ آدمَ بيديه، إنما يَداه: نِعْمتاهُ ورِزْقاه(٢).

---

(١) بسط المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام علىٰ صفة (اليدين) لله تعالىٰ وتأويل وتحريف الجهمية لها في كتابه «النقض» مِن فقرة (٥٥-٨٨).

(٢) وتابع الجهمية علىٰ هذا التحريف الكُلَّابية والأشاعرة وغيرهم مِن المُعطِّلة.

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته في الحرف والصوت» (ص ١١١): (الفصل السابع: في بيان فعلهم في إثبات الصفات في الظاهر، وعدولهم إلىٰ التأويل في الباطن): .. مِن ذلك: اعترافُهم بأنَّ الله سبحانه موصوفٌ بأن له يدًا، وأن هذه

=⇦

فادَّعوا في يدي اللهِ أوحشَ ممَّا ادَّعته اليهودُ، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة:٦٤].

وقالت الجهميةُ: (يدُ اللهِ مخلوقةٌ)، لأنَّ النِّعمَ والأرزاقَ مخلوقةٌ لا شكَّ فيها، وذاك مُحالٌ في كلامِ العربِ فضلًا أن يكون كفرًا؛ لأنه يَستحيلُ أن يُقالَ: خلقَ آدمَ بنعمتِه، ويَستحيلُ أن [يُقال]: في قولِ الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران:٢٦]: بنِعمتِكَ الخير؛ لأن الخيرَ نفسه هو النعمُ نفسُها.

ومُستحيلٌ أن يُقالَ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠]: نِعمةُ اللهِ فوقَ أيديهم.

وإنما ذكرنا هاهنا (اليد) مع ذِكرِ (الأيدي) في المُبايعةِ بالأيدي، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ

=

الصفة إنما عُرفت مِن جهةِ السمع، وأظهروا الردَّ علىٰ المعتزلةِ في ذلك.

وأهل السُّنةِ مُتَّفقون علىٰ أن لله سبحانه يَدين، بذلك وردَ النصُّ في الكتاب والأثر .. وعند الكُلَّابية أن له يدًا واحدةً، ومَن أثبت له يدي صفةٍ فقد ضلَّ. ثم فسَّروا اليد وعدلوا في التفسير عن الظاهر إلىٰ تأويلٍ مُخالف له، فعادوا إلىٰ المُعتزلة. والأشعري أثبت يدين، لكنه وافق ابن كُلَّابٍ في التأويل.

وكل حديث جاء في الصحيح مما يتعلَّق بالصفات عدلوا به إلىٰ معنىٰ غير الصفة. اهـ

وهذا التحريف هو الدارج في عقائدهم، وتفاسيرهم، وشروحاتهم كما نقلت بعضًا منها في التعليق علىٰ «النقض» (فقرة/ ٨٦).

نَفۡسِهِۦ﴾ [الفتح:١٠](١).

ويَستحيلُ أن يقال: ﴿يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]: نِعمتاه، فكأن ليس له إلَّا نِعمتانِ مبسوطتانِ، لا تُحصىٰ نِعمُه، ولا تُستدركُ، فلذلك قُلنا: إنَّ هذا التأويلَ مُحالٌ مِن الكلامِ فضلًا أن يكونَ كُفرًا(٢).

---

(١) قال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نُكت القرآن» (٤/ ١٥٨) في تفسيره ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح:١٠]: حُجَّة علىٰ الجهمية والمعتزلة في غير شيءٍ ... وليت شعري أي شيءٍ نفعهم حيث تأوّلوا في يد الله (القوَّة)، و(النِّعمة)، والقوَّة والنِّعمة يكونان للمخلوقين أيضًا، فهل يكون ذلك إلَّا أن قوَّةً ونعمةً لا يشبه ما للمخلوقين، وكذلك يكون له يدٌ لا تُشبه أيدي المخلوقين لو أنصفوا. اهـ

(٢) قال ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٢٥): قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، أراد عَزَّوَجَلَّ باليدين: اليدين، لا النعمتين كما ادعت الجهمية المُعطِّلة. اهـ

- وقال (١/ ١٨٧): وزعمت الجهمية المُعطِّلة أن معنىٰ قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، أي: نعمتاه، وهذا تبديل لا تأويل. اهـ

- وقال الكرجي القصَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نكت القرآن» (١/ ٣١٦): قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤]، مُبطل تأويل الجهمية في معنىٰ اليد وإعدادهم إياها مرَّة: (نعمة)، ومرَّة: (قوَّة)، ونحن لا نُنكر أن العرب قد تُخبر عن النعمة والقوَّة معًا باليد، غير أن هذا ليس موضعه، بل هو موضع اليدينِ المُسمَّاتين بهما دون القوَّة والنعمة، إذ اليد إذا كانت بمعنىٰ النعمة جُمعت علىٰ أيادٍ، وقد قال كما ترىٰ: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾، فجمعها علىٰ الأيدي التي لا تكون إلَّا جمع اليد لا جمع النعمة، وقد ثنَّىٰ يديه، فقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، فأبطل تأويل القوَّة؛ إذ كانت القوة لا =

٢٦٣ - ونُكفِّرهم أيضًا بالمشهورِ مِن كُفرِهم: أنهم لا يُثبتون للهِ تَبارك وتعالىٰ وجهًا، ولا سَمعًا، ولا بصرًا، ولا عِلمًا، ولا كَلامًا، ولا صِفَةً إلَّا بتأويلِ ضلالٍ(١).

= تُثَنَّىٰ، وكذا في سورة (ص)، قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] فثنَّاها، فالعجب لقومٍ لا يرضون للخالق بما رضيه لنفسه فيُنزِّهونه بجهلم عمَّا ليس بتنزيه، ويمدحونه بما هو ذمٌّ، بل داعٍ إلىٰ التعطيل وتكذيب القرآن، والله المُستعان. اهـ

(١) وكذلك الكُلَّابية والأشعرية يسلكون في أبواب الصفات مسلك أهل التحريف والتأويل والتعطيل، وإن ادَّعوا أنهم يُثبتون الصفات في الظاهر فإنما هو من باب المجاز لا الحقيقة، بل عندهم مَن أثبتها علىٰ حقيقتها فهو مُشبِّهٌ مُجسِّمٌ، والمُجسِّمُ عندهم كافرٌ كما هو مُقرَّرٌ في كُتبهم ودروسهم.

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ١١١): (الفصل السابع: في بيان فعلهم في إثبات الصفات في الظاهر، وعدولهم إلىٰ التأويل في الباطن): وينبغي أن يُتأمَّلَ قولُ الكُلَّابية والأشعرية في الصفات؛ ليُعلم أنهم غير مُثبتين لها في الحقيقةِ، وأنهم يتخيَّرون مِن النصوص ما أرادوه، ويتركون سائرها ويُخالفونه.

ثم ذَكَرَ مِثالًا علىٰ ذلك: صفة اليد لله تعالىٰ، وقد تقدم قريبًا نقل كلامه..

وقال: ولأبي بكر بن فُورك الأصبهاني كتابان في تفسير ما ورد في القرآن من الصفات، ومعنى ما جاء في الحديث الصحيح، منها ما يُخالِف في عظمِها أهل السُّنة، ومَن أتقن السنة ثم تأمَّل كتابَيه بانَ له خِلاف أبي بكر بن فُورك وأصحابه للحقِّ.

والمعتزلة مع سُوء مذهبهم أقلُّ ضررًا علىٰ عوامِّ أهل السنة من هؤلاء، لأن المعتزلةَ قد أظهرت مذهبَها، ولم تَستَقفِ، ولم تُمَوِّه ... فعرف أكثر المسلمين مذهبهم، وتجنَّبوهم، وعدُّوهم أعداء.

=

افتضحوا وتَبيَّنت عوراتُهم، يقولون: سمعُه، وبصرُه، وعلمُه، وكلامُه بمعنًى واحدٍ، وهو بنفسِه في كلِّ [١٠٧/ب] مكانٍ، وفي كلِّ بيتٍ مُغلقٍ،

= والكُلَّابية والأشعرية قد أظهروا الردَّ علىٰ المعتزلة، والذبَّ عن السُّنة وأهلها، وقالوا في القرآن وسائر الصفات ما ذكرنا بعضه.

وكذلك كثيرٌ مِن مذهبه، يقول في الظاهر بقول أهل السُّنة مُجملًا، ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلىٰ قول المعتزلة، فالجاهل يَقْبله بما يُظهِره، والعالم يجهره لِمَا منه يخبره، والضررُ بهم أكثر منه بالمعتزلة؛ لإظهار أولئك ومجانبتهم أهل السنة، وإخفاءِ هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق). اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «التسعينية» (١/ ٢٦٥): الجهمية علىٰ ثلاث درجات: فشرُّها الغالية: الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإن سَمَّوه بشيءٍ من أسمائه الحُسنىٰ، قالوا: هو مجازٌ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحيٍّ، ولا عالمٍ، ولا قادرٍ، ولا سميعٍ، ولا بصيرٍ، ولا تكلَّم، ولا يتكلَّمُ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم، كما ذكره الإمام أحمد فيما أخرجه في «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية»: قال: فعند ذلك تبيّن للناس أنهم لا يُثبتون شيئًا، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشُّنعة بما يُقرُّون في العلانية، فإذا قيل لهم: فمَن تعبدون؟

قالوا: نعبدُ مَن يُدبّر أمر هذا الخلق.

فقلنا: فهذا الذي يُدبّر أمر هذا الخلق، هو مجهولٌ لا يُعرف بصفةٍ؟

قالوا: نعم. قلنا: قد عرَفَ المسلمون أنكم لا تُثبتون شيئًا، إنما تدفعون عن أنفسكم الشُّنعة بما تُظهرون.

فقلنا لهم: هذا الذي يُدبر هو الذي كلَّم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قالوا: لم يَتكلَّم، ولا يَتكلَّم؛ لأن الكلام لا يكون إلّا بجارحةٍ، والجوارحُ عن الله مُنتفية. وإذا سَمِعَ الجاهلُ قولَهم يظنّ أنهم مِن أشدّ الناس تعظيمًا لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلىٰ ضلالةٍ وكفرٍ. اهـ

وصندوقٍ مُقفلٍ، قد أحاطت به في دعواهم حيطانُها وأغلاقُها وأقفالُها، فإلى اللهِ نَبرأُ مِن إلهٍ هذه صِفتُه.

وهذا أيضًا مذهبٌ واضحٌ في إكفارِهم.

٢٦٤ - ونُكفِّرهم أيضًا: أنهم لا يَدرون (أين الله؟)، ولا يَصِفونه بـ(أينَ الله؟)، واللهُ قد وصفَ نفسَه (بأين)، ووصفَه به الرسولُ ﷺ.

• فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

• ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

• و ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

• و ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

• ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦].

ونحو هذا، فهذا كلُّه وصفٌ (بأين)، ووصفَه رسول الله ﷺ بأين، فقال للأَمَةِ السوداءِ: «**أينَ الله؟**». قالت: في السماء.

قال: «**مَن أنا؟**». قالت: أنت رسول الله.

قال: «**أَعْتِقْهَا، فإنها مؤمنةٌ**»(١).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٣٩-٤٣).

والجهميةُ تَكفُرُ به، وهذا أيضًا مِن واضحِ كُفرِهم(١).

(١) وهو بعينه كلام الأشاعرة كما تقدم (برقم/ ٣٩ و٤٢) نقل أقوالهم في إبطال ما دلَّ عليه هذا الحديث، وتحريمهم السؤال بأين الله؟

والأشاعرة يُكفِّرون مَن أثبت العلو والصفات عمومًا، ويرمونهم بالتشبيه.

- قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته» (ص ٨٠): وقد ثبت الحديثُ الذي في «موطأ» مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفي غيره مِن كتبِ العلماء: أن النبيَّ ﷺ قال للجارية التي أراد عتقها مَن عليه عتق رقبة مؤمنة: «**أين الله؟**» .. الحديث.

وعند الأشعري أنَّ مَن اعتقد: أنَّ الله بذاتِه في السماء فهو كافر. اهـ

فهذا السنوسي الأشعري في «شرح الكُبرىٰ» يقول: أصول الكفرِ ستةٌ ... وذكر منها: التمسُّك في أصول العقائد بمُجرَّدِ ظواهر الكتاب والسُّنة من غير بصيرة في العقل: هو أصلّ ضلال الحَشْوية !! فقالوا بالتَّشبيه، والجهة.

وابن حجر العسقلاني في «شرح الصحيح» (١٣/ ٣٥٩) لم يقبل إسلام اليهودي الذي يعتقد عقيدة التجسيم فيؤمن بأن ربّه في السماء. فقال: (ولو قال مَن يُنسبُ إلىٰ التجسيم مِن اليهود: (لا إله إلَّا الذي في السماء)، لم يكن مؤمنًا كذلك! إلَّا إن كان عامّيًّا لا يفقه معنىٰ التجسيم، فيكتفىٰ منه بذلك، كما في قِصَّة الجارية التي سألها النبي ﷺ: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء. اهـ

- وقال القُرطبي الأشعري في «المُفهم» (٦/ ٦٧٠): قوله: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّاهم الله فاحذروهم**»، يعني: يتَّبعونه ويجمعونه طلبًا للتشكيك في القرآن، وإضلالًا للعوام، كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن.

أو طلبًا لاعتقاد ظواهر المُتشابه كما فعلته المُجسِّمة الذين جمعوا ما وقع في الكتاب والسُّنة ممَّا يوهم ظاهره الجسمية، حتىٰ اعتقدوا: أن الباري تعالىٰ جِسمٌ مُجسَّمٌ، وصورة مُصوَّرة ذاتُ وجهٍ، وعين، ويد، وجنب، ورجل، وإصبع، تعالىٰ ⇦=

والقرآن كلُّه يَنطِقُ بالردِّ عليهم، وهم يعلمون ذلك، أو بعضُهم، ولكن يُكابِرون ويُغالِطون الضُّعفاء، وقد عَلِموا أنه ليس مِن حُجَّةٍ أنقضَ لدعواهم مِن القرآنِ، غيرَ أنَّهم لا يَجدون إلىٰ رفعِ الأصلِ سبيلًا مخافةَ القتلِ والفضيحةِ، وهم عند أنفسِهم بما وصفَ اللهُ به فيه نفسه جاحِدون، قد ناظرنا بعضَ كُبرائِهم، وسَمِعنا ذلك منهم منصوصًا مُفسَّرًا(١).

= الله عن ذلك، فحذر النبيُّ ﷺ عن سلوك طريقهم.

فأمَّا الأول: فلا شكَّ في كفرهم، وأن حُكم الله فيهم القتل من غير استتابة.

وأما القسم الثاني: فالصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عُبَّاد الأصنام والصور، ويستتابون، فإن تابوا وإلَّا قتلوا، كما يفعل بمن ارتد. اهـ

- قال أبو بكر ابن خُزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن لم يقرّ بأن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشِهِ قد استوى فوق سبع سمواته؛ فهو كافر بربِّه، حلال الدَّمِ، يُستتاب فإن تاب وإلَّا ضُربت عُنقه، وأُلقي علىٰ بعض المزابل حتىٰ لا يتأذَّىٰ به المسلمون ولا المعاهدون بنتنِ رائحة جيفته، وكان ماله فيئًا لا يرثه أحدٌ من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ: «**لا يرثُ المسلمُ الكَافرَ، ولا الكَافرُ المسلمَ**».

[«عقيدة أصحاب الحديث» (٢٩)، وصحَّحه ابن تيمية في «الحموية»].

(١) هذا إذا كانت الغلبة والقوة لأهل السُّنة عليهم، أمَّا إذا تمكَّنوا في البلاد، وأصبحت الغلبة لهم فإنهم يَتجرَّؤون حتى على القرآن بالتحريفِ والتبديل والتغيير والكتمان، وعلىٰ أهل السُّنة بالتكفير والسجن والتعذيب، ومن ذلك:

- ما في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٨٦) قال حنبل بن إسحاق: حججتُ في سنةِ إحدىٰ وعشرين، فرأيتُ في المسجدِ الحرامِ كسوةَ البيتِ مِن الدِّيباج، وهي تُخاط في صَحنِ المسجد، وقد كتب في الدَّارَات: (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير)، فلما قدمت سألني أبو عبد الله عن بعض الأخبار، فأخبرتُه بذلك. فقال أبو =

=

عبدالله: قاتله الله الخبيث، عَمدَ إلىٰ كتابِ الله فغيَّره. يعني: ابن أبي دؤادٍ. فقد أزال: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وكتب بدلها: (وهو اللطيف الخبير).

- وفي «كتاب المِحنة» (٨٠) قال صالح بن أحمد: قال أبي: لمَّا أُدخِلنا علىٰ إسحاق بن إبراهيم للمِحنة، فقُرِئ عليه كتابُ الذي كان صار إلىٰ طرسوسَ، فكان فيما قُرِئ علينا: (ليس كمثله شيء وهو خالقُ كلِّ شيءٍ).

فقال أبي: فقلتُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فقال بعض مَن حضر: سَله ما أرادَ بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؟

فقال أبي: فقلتُ: هو كما قال تبارك وتعالىٰ.

- وفي «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٧٥) قال أبو نُعيم البلخي شُجاع بن أبي نصرٍ: سمعت رجلًا مِن أصحاب جهمٍ كان يقول بقوله، وكان خاصًّا به، ثم تركه، وجعل يَهتفُ بكُفرِهِ، قال: رأيت جهمًا يومًا افتتحَ سورة ﴿طه﴾، فلمَّا أتىٰ علىٰ هذه الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قال: لو وجدتُ السَّبيل إلىٰ حكِّها لحككتُها.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (٤/ ٥٣٧): فإنهم يعتقدون رأيًا هو خطأ وبدعة، ويقاتلون الناس عليه، بل يكفِّرون مَن خالفهم، فيصيرون مُخطئين في رأيهم، وفي قتال من خالفهم أو تكفيرهم ولعنهم.

وهذه حال عامة أهل الأهواء، كالجهمية الذين يدعون الناس إلىٰ إنكار حقيقة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، ويقولون: إنه ليس له كلام إلَّا ما خلقه في غيره، وإنه لا يُرىٰ، ونحو ذلك. وامتحنوا الناس لما مال إليهم بعض ولاة الأمور، فصاروا يعاقبون من خالفهم في رأيهم: إمَّا بالقتلِ، وإمَّا بالحبسِ، وإمَّا بالعزلِ ومنع الرِّزقِ. وكذلك قد فعلت الجهمية ذلك غيرَ مرَّة، والله ينصرُ عباده المؤمنين عليهم. اهـ

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» (٤/ ١٤٤٠): وكثير من هؤلاء الأشباه يُحرِّفون كلام الله ويكتمونه، لئلا يحتجَّ به عليهم في خلاف أهوائهم،

=

=

فتارة يغل كتب الآثار التي فيها كلام رسول الله ﷺ وكلام أصحابه، والتابعين، وأئمة السنة، ويمنع مِن إظهارها، ورُبَّما أعدمها، ورُبَّما عاقب من كتبها أو وجدها عنده كما شاهدناه منهم عيانًا، وكثير مِن هؤلاء يمنع مِن تبليغ الأحاديث النبوية، وتفسير القرآن بالآثار والأخبار، حتىٰ إذا جاءت تفاسير الجهمية والمعتزلة ونحوهم بالغ في مدحها، وقال: إن التحقيق فيها، وما لم يمكنهم منعه مِن الكتاب والسُّنة وكتمانه سطوا عليه بالتحريفِ، وتأوَّلوه علىٰ غير تأويله، ثم يعتمدون علىٰ آثار موضوعة مكذوبة علىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه موافقة لأهوائهم وبدعهم، فيقولون: هذا مِن عند الله، ويحتجُّون به ويضعون قواعد ابتدعوها، وآراء اخترعوها، ويُسمَّونها: أصل الدين، وهي أضرُّ شيءٍ علىٰ الدين. اهـ

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٥١٥) في مُناظرة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقضاة الجهمية في أيام المعتصم، قال عبيد بن محمد: وسمعت مَن حضر مجلس أبي إسحاق يوم ضُرب أحمد بن حنبل، قال: التفت إليه المُعتصم، فقال: تعرف هذا؟

قال: لا. قال تعرف هذا؟ قال: لا.

فالتفت أحمد فوقعت عينه علىٰ ابن أبي دؤاد فحوَّل وجهه، كأنما وقعت عينه علىٰ قردٍ، قال: تعرف هذا - يعني: عبد الرحمن -؟.

قال: نعم. قال: قل: الله ربّ القرآن. قال: القرآن كلام الله.

قال: فشَهِدَ ابن سماعة [القاضي] وفتيته، فقالوا: قد كفرَ، اقتله ودمه في أعناقنا.

- وفي كتاب «شرح حديث النزول» (ص ١٨٦): قال أبو إسماعيل الترمذي: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: اجتمعت الجهمية إلىٰ عبد الله بن طاهر يومًا، فقالوا له: أيها الأمير، إنك تُقدِّم إسحاق، وتُكرمه وتُعظِّمه، وهو كافر يزعم أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة ويخلو منه العرش.

قال: فغضب عبد الله، وبعث إليَّ، فدخلت عليه، وسَلَّمتُ؛ فلم يَرُدَّ عليَّ السلام غضبًا، ولم يستجلسني، ثم رفع رأسه، وقال لي: ويلك يا إسحاق ! ما يقول هؤلاء؟

قال: قلت: لا أدري.

=

= ☜

قال: تزعم أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا في كلِّ ليلة ويخلو منه العرش؟ فقلت: أيها الأمير، لست أنا قلته، قاله النبي عَزَّوَجَلَّ ثم أسند حديث أبي هريرة رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ، ثم قال: ولكن مرهم يناظروني. قال: فلما ذكرت له النبي ﷺ سكن غضبه، وقال لي: اجلس، فجلست.

فقلت: مُرهم أيها الأمير يُناظِروني. قال: ناظروه ... إلىٰ آخره.

قلت: والفتن التي حصلت لأئمة السنة من هؤلاء الجهمية والأشاعرة لا يمكن حصرها هاهنا، ومِن ذلك: ما ذكره ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ في «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٣٣) في ترجمة عبد الغني المقدسي رَحِمَهُٱللَّهُ، صاحب العقيدة المشهورة، قال: قد ذكر بعض المخالفين هذه القضية علىٰ غير هذا الوجه، فقال: اجتمع الشَّافِعِية والحنفية والمالكية عندَ المُعظّم عيسىٰ، والصارم بُرْغُش والي القلعة، وكانا يجلسان بدار العدلِ للنظر في المظالم، قال: وكانَ مَا اشتُهِر من إحضار اعتقاد الحنابلة، وموافقةِ أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلي الجماعة، وإصرار الفقيه عبد الغني المقدسي علىٰ لزوم ما ظهر به من اعتقاده، وهو (الجهة، والاستواءُ، والحرفُ)، وأجمع الفُقَهَاء علىٰ الفتوىٰ بكُفره، وأنه مُبتدعٌ، لا يَجوز أن يُترَكَ بين المسلمين، ولا يَحِل لوليِّ الأمر أَن يُمكِّنَه من المقام معهم، وسأل أن يُمْهَل ثلاثة أَيَّام لينفصل عن البلد، فأُجيب.

وذكر غيره: أنهم أخذوا عليه مواضع، منها قوله: (ولا أُنزِّهه تنزيهًا ينفي حقيقةَ النُّزول). ومنها قوله: (كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم علىٰ ما كان). ومنها: (مسألةُ الحرف والصوت)، فقالوا له: إذ لم يكن علىٰ مَا قد كان، فقد أثبت له المكان، وإذا لم تُنزِّهه تنزيهًا تنفي حقيقة النزول، فقد أجزت عليه الانتقال. وأمَّا الحرف والصوت، فإنه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء، وإنما المنقول عنه: أنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ غَيرُ مخلوق. وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين: كل هؤلاءِ علىٰ ضلالٍ، وأنت علىٰ الحقِّ؟ قال: نعم.

ثم ذكر منعهم له من الصلاة بالجامع. قال: خرج عبد الغني إلىٰ بعلبك، ثُمَّ سافر

⇦=

٢٦٥ - ويَقصِدون أيضًا بعبادتِهم إلىٰ إلهٍ تحت الأرض السُّفلىٰ، وعلىٰ ظهر الأرض العُليا، ودون السماءِ السابعة العُليا(١).

وإلهُ المُصلِّين مِن المؤمنين الذين يَقصِدون إليه بعبادتِهم: الرحمن الذي فوقَ السماءِ السابعةِ العُليا، وعلىٰ عرشِه العظيم استوىٰ، وله الأسماءُ الحُسنىٰ، تبارَكَ اسمُه وتعالىٰ.

فأيُّ كفرٍ أوضحُ ممَّا حكيناه عنهم مِن سُوء مذاهبِهم، ما زاد «ماني» و«شَمعلَةُ» الزنديقان(٢).

=

إلىٰ مصر، فنزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، فأفتىٰ فُقهاء مصر بإباحة دَمِه، وكتبَ أهلُ مصر إلىٰ الصّفي بْن شُكْر وزير العادل: إنه قَد أفسدَ عقائد الناس، ويذكرُ التجسيم علىٰ رؤوس الأشهادِ، فكتبَ إلىٰ والي مِصرَ ينفيه إلىٰ المغرب، فمات قبل وصول الكتاب.

قال الذهبي: أمَّا قول: (أجمعوا) فما أجمعوا، بل أفتىٰ بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممَّن كفَّروه، وكفَّرهم هو، ولم يَبدُ من الرجلِ أكثر مما يقوله خلقٌ من العلماء الحنابلة والمحدثين... إلخ

(١) تقدم (٣٨) أن المريسي لعنه الله كان يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل.

- وفي «التمهيد» (٧/ ١٤٣) قال محمد بن عَمرو الكلابي: سمعت وكيعًا يقول: كفر بشر المريسي في صفته هذه، قال: هو في كلِّ شيء.

قيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال نعم.

قيل له: وفي حمارك؟ قال: نعم.

(٢) أمَّا «ماني بن فاتك» فقد ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز ابن سابور، وذلك بعد عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية.

=

٢٦٦- قال أبو سعيدٍ:

فقال لي المُناظرُ الذي ناظرني: (**أردتُ إرادةً منصوصةً في إكفارِ الجهميةِ باسمِهم، وهذا الذي رَويتَ عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الزنادقة**).

فقلت: الزنادقةُ والجهميةُ أمرهما واحِدٌ، ويَرجعانِ إلىٰ معنًى واحدٍ، ومُرادٍ واحدٍ، وليس قومٌ أشبَه بقومٍ منهم بعضُهم ببعضٍ، وإنما يُشبَّه كلُّ صِنفٍ وجنسٍ بجنسِهم وصنفِهم، فقد كان يَنزِلُ بعضُ القرآن خاصًّا في شيءٍ،

= ويقال لأتباعه: (المانوية)، ويقال لهم: (الثنوية)؛ لأنهم يُثبتون إلهين.

- قال الملطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التنبيه والرد» (ص١٠٦): (المانوية): يزعمون أن إلهين وخالقين؛ خالق للخير والنور والضياء، وخالق للشَّرِّ والظُّلمة والبلاء .. وإنما سُموا (مانية)؛ لأن رجلًا كان يقال له: (ماني) زعموا أنه نبيهم، وكان في زمن الأكاسرة فقتله بعضهم. اهـ

- وفي «خلق أفعال العباد» (٥٠) قال يزيد بن هارون: المريسي أضرّ مِن ماني.

* وأمَّا «شمعلة» فلم أقف علىٰ ترجمته، ولكن الذي تَبيَّن أنه زنديقٌ مِن الزنادقة كما قال المُصنِّف، بل رأسٌ مِن رؤوسهم كما يدلُّ علىٰ ذلك:

- ما رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٧٠)، قال: حدثني أبو جعفر، قال: سمعت الحسن بن موسىٰ الأشيب - وذكر الجهمية فنال منهم -، ثم قال: أُدخِلَ رأسٌ مِن رُؤساء الزَّنادقة يقال له: (شَمعلة) علىٰ المهدي، فقال: دُلَّنِي علىٰ أصحابك. فقال: أصحابي أكثر مِن ذلك.

فقال: دُلَّنِي عليهم. فقال: صِنفان مِمَّن ينتحل القبلة: الجهمية، والقدرية؛

الجهميُّ إذا غلا قال: ليس ثَمَّ شيءٌ، وأشارَ الأشيبُ إلىٰ السَّماءِ.

والقدريُّ إذا غلا قال: هما اثنان: خالقُ خيرٍ، وخالقُ شرٍّ. فضربَ عُنقه وصلبه.

فيكون عامًّا في مثلِه، وما أشبهَه[١].

فلم يظهر «جَهمٌ» وأصحابُ جهمٍ في زمنِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وكبارِ التابعين، فيُروىٰ عنهم فيها أثرٌ منصوصٌ مُسمًّىٰ، ولو كانوا بَينَ أظهرِهم مُظهرين آراءهم لقُتِلوا، كما قَتلَ عليٌّ رضي الله عنه الزنادقةَ التي ظهرت في عصرِهِ، ولقُتِلوا كما قُتِلَ أهلُ الرِّدَّة.

ألا ترىٰ أن «الجعدَ بن درهمٍ» أظهرَ بعضَ رأيه في زمنِ خالد القسري، فزعمَ أن اللهَ تبارك وتعالىٰ لم يَتخذ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، فذبَحَه خالدٌ «بواسطٍ» يومَ الأضحىٰ علىٰ رءوس مَن حضرَه مِن المسلمين، لم يَعِبه به عائبٌ، ولم يَطعن عليه طاعِنٌ، بل استحسنوا ذلك مِن فعلِه وصوَّبوه[٢].

وكذلك لو ظهرَ هؤلاءِ في زمنِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وكبارِ التابعين ما كان سبيلُهم عند القومِ إلَّا القتلَ، كسبيلِ أهلِ الزندقةِ[٣]، وكما قتلَ عليٌّ رضي الله عنه مَن ظهرَ منهم في عصرِه وأحرقَه.

وظهرَ بعضُهم بالمدينةِ في عهد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[٤]، فأشاروا علىٰ والي المدينةِ يومئذٍ بقتلِه.

---

(١) تقدم تحت (فقرة/ ٢٩٥) بيان أن الجهمية: زنادقه، وأن كفرهم أشدّ مِن كفر اليهود والنصارىٰ.

(٢) تقدمت هذا القصَّة والتعليق عليها برقم (٦و٧).

(٣) كذا في الأصل، وفي «الدرء» (٥/ ٣٠٤): (الردة).

(٤) في «السير» (٥/ ٤١٨): الإمام، الحُجة، الفقيه، قاضي المدينة، أبو إسحاق ⇐

ويكفي العاقِلَ مِن الحُجَج في إكفارهم: ما تأوَّلنا فيه من كتابِ الله، ورَوينا فيه عن عليٍّ، وابن عباس رضي الله عنهم، وما فَسَّرنا مِن واضِحِ كُفرِهم، وفُحشِ مذاهبِهم شيئًا شيئًا.

فأمَّا إذ أبيتُم أن تقبلوا إلَّا المنصوصَ فيهم، المقصودَ بها إليهم بحُلاهم وأسمائهم، فسنَروي ذلك عن بعضِ مَن ظهرَ ذلك بين أظهرهم مِن العلماءِ.

٢٦٧ - حدثني محمد بن المُعتمر السجستاني أبو سهل - وكان مِن أوثق أهل سجستان وأصدقهم -، عن زُهير بن نُعيم البابي، أنه سَمِعَ سلَّام بن أبي مُطيع يقول: الجهميةُ كُفَّارٌ(١).

٢٦٨ - وسمعتُ محمد بن المُعْتَمِر، يقول: سمعتُ زُهير بن نُعيم، يقول: سُئِلَ حماد بن زيد - وأنا معه -، في سوقِ البصرةِ عن بشرٍ المريسي، فقال: ذاك كافرٌ(٢).

=
- ويقال: أبو إبراهيم - القرشي، الزهري، المدني ... كان من كبار العلماء، يذكر مع الزهري، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري. قال أحمد بن حنبل: كان ثقة، فاضلًا، ولي قضاء المدينة. توفي سنة: (٢١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٤٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٧ و١١٩٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٠٣).

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٤٣).

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٠٨) قال أبو داود: ثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثني الثقة، قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: بشر المريسي، وأبو بكر الأصم: كافران حلالا الدم.

=

٢٦٩ - قال أبو سعيد:

وبلغني عن يزيد بن هارون، أنه قال: الجهميةُ كفَّارٌ(١).

وقال: حرَّضتُ غير مرَّةٍ أهلَ بغدادَ علىٰ قتلِ المَريسيِّ(٢).

٢٧٠ - حدثنا يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا الحسن بن الربيع، قال: سمعتُ ابنَ

=

قال أبو داود: وسمعت قُتيبة بن سعيد يقول: بشرٌ المريسي كافر.

وانظر: «السُّنة» للخلال (٧٧/ ذكر بشر المريسي).

ومما روي عن حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب مما يدل علىٰ أنه كان يراه كفرًا أكبر: ما رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٢) قال فِطرٌ: سألت حماد بن زيدٍ، فقلت: يا أبا إسماعيل، لنا إمامٌ يقول: القرآن مخلوقٌ؛ أُصلِّي خلفَه؟

قال: صلِّ خلفَ مسلمٍ أحبُّ إليَّ.

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٠٤).

(٢) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٤)، وحرب في «السنة» (٤١٩).

وزاد البخاري في روايته عنه، قوله: ولقد أُخبرت من كلامه بشيء مرَّة وجدتُ وجعه في صُلبي بعد ثلاث.

- وفي «السُّنة» للخلال (١٧١١) عن أحمد بن أبي الحارث، قال: سألت يزيد ابن هارون، فقلت: إن عندنا ببغداد رجلًا يقال له: المريسي، يقول: القرآن مخلوق. فقال: أمَا في فتيانكم أحدٌ يفتك به؟!

- وعند اللالكائي (٤٦٩) قال يحيىٰ بن السرَّاج: كنَّا عند ابن عيينة، فتَشَوَّشَ الناسُ، فقال ابن عُيينة: ما هذا؟! قالوا: قَدِمَ بشرٌ المَريسي.

قال: ما يقول؟ قالوا: يقولُ: القرآنُ مخلوقٌ.

قال: جِيئُوني بشاهِدين حتىٰ آمُرَ الوالي حتىٰ يَضربَ عُنقَه.

المُبارَكِ، يقولُ: مَن زعمَ أن قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤] مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ(١).

٢٧١ - سمعتُ محبوب بن موسىٰ الأنطاكي، يذكرُ أنه سَمِعَ وكيعًا يُكفِّرُ الجَهميَّةَ(٢).

٢٧٢ - قال أبو سعيد:

وحُدِّثتُ عن سفيان الثوري، عن حماد بن أبي سُليمان، أنه كفَّرَ من زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ (٣).

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢١٦)، واللالكائي (٣٩٥).

- وفي «السُّنة» لعبد الله (١٩) قال محمد بن أعين: سمعت النَّضر بن محمد يقول: مَن قال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه:١٤]، مخلوق؛ فهو كافِرٌ.

قال: فأتيتُ ابن المُبارك، فقلت له: ألا تعجب مِن أبي محمد! قال: كذا وكذا.

قال: وهل الأمرُ إلَّا ذاك؟! وهل يجدُ بُدًّا مِن أن يقول هذا؟!

- وفيه (١٢) عن عبد الله بن المبارك قال: سمعت سُفيان الثوري يقول: مَن زعمَ أن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل] مخلوقٌ؛ فهو كافِرٌ، زنديقٌ، حلالُ الدَّم.

وقد تقدم (برقم / ٢٣١) زيادة بيان حول معنىٰ هذه الآثار.

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤١)، والخلال في «السُّنة» (١٧٠٠).

(٣) انظر تكفير حماد بن أبي سُليمان لمن قال بخلق القرآن في «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢٢٥)، و «السُّنة» لحرب (٤٢٤)، واللالكائي (٣٦٦).

٢٧٣ - وسمعت يحيىٰ بن يحيىٰ، يقول: القرآنُ كلام الله، مَن شكَّ فيه، أو زَعَمَ أنه مخلوقٌ فهو كافِرٌ(١).

٢٧٤ - وسمعت الربيعَ بن نافع أبا توبة يُكفِّرُ الجهميَّة(٢).

٢٧٥ - قال أبو سعيد:

فهؤلاءِ الذين أكفروهم في آخرِ الزمانِ، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما في أولِ الزمانِ، وأنزلاهم منزلةَ: مَن بدَّلَ دينه، فاستحقُّوا القتلَ بتبديلِهِ.

٢٧٦ - حدثنا الحِمَّاني، ثنا إبراهيم بن منصور العلَّاف - وأثنىٰ عليه هو ومن حضر المجلس خيرًا - قال: لمَّا كان أيام المِحنةِ، فأُخرجَ النفرُ إلىٰ المَأمونِ، فامتُحِنوا ورُدُّوا، لقيتُ أعرابيًّا، فقال لي: ألا أُحدِّثُك عَجبًا؟

قلتُ: ما ذاك؟!

قال: رأيتُ في المنامِ كأنَّ نفرًا ثلاثينَ أو أكثرَ جيء بهم مِن قِبلِ المشرقِ أو المغربِ، فنظرتُ إليهم فإذا بطونُهم مُشقَّقةٌ، ليس في أجوافهم شيءٌ، فقيل: هؤلاء الذين كفَروا بالقرآن.

---

(١) رواه في «النقض» (٢٤٧)، والخلال في «السُّنة» (٢٠٥٠)، واللالكائي (٤١٣).
- وفي «الأسماء والصفات» (٥٥٩) قال يحيىٰ بن يحيىٰ: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وعصىٰ ربه، وبانت منه امرأته.

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٧).
وروىٰ عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٦١) تكفيره لمن قال بخلق القرآن.
وسيأتي برقم (٢٨٩) مُناظرته للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في قتل الجهمية.

والأعرابيُّ لا يدري ما المِحنةُ، وما سَببُهم. [١٠٨/ ب]

٢٧٧ - وحدثنا الزهراني أبو الربيع، قال: كان مِن هؤلاء الجهمية رجلٌ، وكان الذي يظهرُ مِن رأيه الترفُّض(١)، وانتِحالُ حُبِّ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال رجلٌ مِمَّن يُخالِطُه ويَعرِفُ مذهبَه: قد علمتُ أنكم لا تَرجعون إلىٰ دينِ الإسلامِ، ولا تعتقدونه، فما الذي سَنَتَكُم(٢) علىٰ التَّرفُّضِ وانتحال حُبِّ عليٍّ؟

قال: إذًا أصدقَك أنا، إن أظهرنا رأينا الذي نَعتقِدُه رُمِينا بالكفرِ والزندقةِ، وقد وجدنا أقوامًا ينتحلون حُبَّ عليٍّ ويُظهرونه، ثم يقعون بمن شاءوا، ويعتقدون ما شاءوا، ويقولون ما شاءوا، فنُسِبوا بذلك إلىٰ الترفُّضِ والتشيُّعِ، فلم نرَ لمذهبنا أمرًا ألطفَ مِن انتحالِ حُبِّ هذا الرجلِ، ثم نقولُ ما شِئنا، ونعتقِدُ ما شِئنا، ونقعُ بمَن شِئنا، فلأن يُقالَ لنا: رَافضةٌ أو شِيعةٌ، أحبُّ إلينا مِن أن يُقالَ: زنادقةٌ كفَّارٌ، وما عليٌّ عندنا أحسن حالًا مِن غيرِه مِمَّن نقعُ بهم(٣).

---

(١) قال حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته» (٩٩): و(الرافضة): وهم الذين يتبرَّؤون مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، ويسبُّونَهم، ويَنتقصونهم، ويُكفِّرون الأمَّةَ إلَّا نفرًا يسيرًا، وليستِ الرَّافِضةُ مِن الإسلامِ في شيءٍ. اهـ

(٢) كذا في الأصل، وضبب فوقها (ضـ). وهي صحيحة، ومعناها: قوَّاكم، وشَهَّاكم. «تاج العروس» (٣٥/ ٢٤١)، نقلًا من حاشية الشوامي علىٰ هذا الكتاب.

(٣) في «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٠٤) قال أبو داود السجستاني: لما جاء الرشيد بشاكر رأس الزنادقة ليضرب عنقه، قال: أخبرني، لم تُعلِّمون المُتعلِّم منكم أول ما تعلمونه ⇦=

٢٧٨ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وصَدَقَ هذا الرجلُ فيما عبَّرَ عن نفسِه ولم يُراوغ، وقد استبانَ ذلك مِن بعضِ كُبرائهم وبُصرائهم أنهم يَستترون بالتشيُّعِ، يجعلونه تشبيثًا لكلامِهم وخُطبِهم، وسُلَّمًا وذريعة لاصطيادِ الضُّعفاءِ وأهلِ الغفلةِ، ثم يَبذُرُون بين ظهراني خُطبِهم بذرَ كُفرِهم وزندقَتِهم، ليكون أنجعَ في قلوبِ الجُهَّال وأبلغَ فيهم.

= الرفض والقدر؟

قال: أما قولنا بالرفض: فإنا نريد الطعن علىٰ الناقِلة، فإذا بطلت الناقِلة أوشك أن يَبطُلَ المنقول. وأما قولنا بالقدر: فإنا نريد أن نجوز إخراج بعض أفعال العباد لإثبات قدر الله، فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٥١٢): لما نبغت القرامطة الباطنية وهم يتظاهرون بالتَّجهُّمِ والرفض جميعًا، وهم في الباطن من أعظم بني آدم كفرًا وإلحادًا... وكان من وصيتهم لدعاتهم: أن المسلمين إذا أتيتهم فلا تأت هؤلاء الذين يقولون: الكتاب والسُّنة؛ فإنهم صِعاب عليك، لا يستجيبون لك؛ ولكن ائتهم من جهة التشيع، فأظهر الموالاة لآل محمد، والتعظيم لهم، والانتصار لهم، والمعاداة لمن ظلمهم، واذكر من ظلم الأولين لهم ما أمكن، فإن ذلك يوجب أن يستجيب لك خلق عظيم، وبذلك يمكنك القدح في دينهم أخيرًا. اهـ

- وقال أيضًا في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٨٣): قد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان مِن الزنديق: عبد الله بن سبأ؛ فإنه أظهر الإسلام، وأبطن اليهودية، وطلب أن يُفسِد الإسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديًّا في إفساد دين النصارىٰ. وأيضًا فغالب أئمتهم زنادقة؛ إنما يُظهِرون الرفض؛ لأنه طريق إلىٰ هدم الإسلام ... إلخ

ولئن كان أهلُ الجهلِ في شكٍّ مِن أمرِهم، إنَّ أهلَ العلمِ منهم لعلىٰ يقينٍ، ولا حول ولا قوة إلَّا باللهِ(١).

(١) كما قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «خلق أفعال العباد» (٣٤): نظرتُ في كلام اليهود والنصارىٰ والمجوس فما رأيت قومًا أضلّ في كُفرهم منهم، وإني لأستجهلُ من لا يُكفِّرهم إلَّا مَن لا يعرف كُفرهم.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التسعينية» (١/ ٢٥٩): ... لما كان أصل قول جهم هو قول المُبدِّلين مِن الصابئية، وهؤلاء شرٌّ من اليهودِ والنصارىٰ، وإن كانوا خيرًا من المشركين، كالذين ناظرهم جهمٌ ونحوهم ممَّن يُعطّل وجود الصانع، أو يوجب عبادة إلهٍ معه، فإن هؤلاء الصابئية ليسوا كذلك، لكنهم وإن لم يوجبوا الشرك فقد لا يُحرِّمونه، بل يسوغون التوحيد والإشراك جميعًا، ولا يُنكرون هذا ولا هذا، كما هو موجود في كلامهم ومُصنَّفاتهم، لكن ليس الناس في التجهُّم علىٰ مرتبة واحدةٍ، بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع، فإن التجهم والرفض هما أعظم البدع، أو مِن أعظم البدع التي أُحدثت في الإسلام، ولهذا كان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم، إنما يتسترون بهذينِ: بالتَّجهُّمِ، والتشيُّع.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري في «خلق الأفعال»: عن أبي عُبيد قال: ما أُبالي أصليت خلف الجهمي أو الرافضي، أو صليت خلف اليهودي والنصراني ..

قال: وقال عبد الرحمن بن مهدي: هما ملتان: الجهمية والرافضة.

١٥- باب

قتل الزنادقة والجهمية، واستتابتهم من كفرهم

٢٧٩ - حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحِمَّاني، أن أبا بكر بن عياش، حدَّثهم عن أبي حَصين، عن سُويد بن غَفَلَةَ: أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَ زَنادقةً، ثم أحرقَهم، ثم قال: صَدَقَ اللهُ ورَسُولُه(١).

٢٨٠ - حدثنا سُليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، وجرير بن حازم، عن أيوب، عن عِكرمةَ: أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتي بقومٍ مِن الزنادقةِ فحرَّقَهم، فبلغَ ذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: أمَّا أنا فلو كنتُ لقتلتُهم، لقولِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمَا حرَّقتُهم، لنهي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن بدَّلَ دينَه فاقتلوه**»، وقال: «**لا تُعذِّبوا بعذابِ الله**».

وزاد سليمان في حديث جرير: قال: فبلغ عليًّا ما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٣٦)، والبزار في «مسنده» (٥٧٠)، ولفظه: عن سويد ابن غَفَلة، قال: أُتي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بزنادقة، فخرج إلىٰ السوق، فحفرَ حُفرةً، فأحرقهم بالنار، ورفع رأسه إلىٰ السماء، وقال: (صدق الله ورسوله)، ثم انطلق حتىٰ دخل الرحبة، فتبعته، فلما أراد أن يدخل البيت. قال: ما لك يا سويد؟

قلت: يا أمير المؤمنين، كلمة سمعتها حين حرقت هؤلاء الزنادقة، تقول: (صدق الله ورسوله)، قال: يا سويد، إذا سمعتني أقول: (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فاعلم أني لأن أخرَّ من السماء أحبَّ إليَّ من أن أقول ما لم أسمع منه، وإذا رأيتني أتكلم بأشباه هذا، فإنما هو شيء أَغِيظُهم، أو كلمة نحوها.

فقال: ويحَ ابنِ أُمِّ الفضلِ، إنه لغوَّاصٌ علىٰ الهَنَات(١).

٢٨١- قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالجهميةُ عندنا زنادقةٌ مِن أخبثِ الزنادقةِ(٢)، نرىٰ أن يُستتابوا مِن

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٢٦١).

(٢) اجتمعت كلمة أئمة السنة ومن بعدهم علىٰ وصف الجهمية بأنهم زنادقة.

وقد تقدم معنىٰ الزنديق تحت رقم (١٢).

وأقوالهم في ذلك لا يمكن حصرها هاهنا، ومن ذلك:

- ما في «السُّنة» لحرب (٤١٧) قال عبد الرحمن بن محمد بن سلَّام: سمعتُ رجلًا سأل يزيد بن هارون، فقال: يا أبا خالد، ما تقول في الجهمية؟

قال يزيد: زنادقة، زنادقة، زنادقة. ومَدَّ بها صَوته في الثالثة.

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٢٩) قال يحيىٰ بن يوسف الزِّمِّي: حضرتُ عبد الله بن إدريس، فقال له رجلٌ: يا أبا محمد، إن قِبَلنا ناسًا يقولون: إن القرآن مخلوقٌ. فقال: مِن اليهود؟ قال: لا.

قال: فمِن النَّصارىٰ؟ قال: لا.

قال: فمِن المجوس؟ قال: لا.

قال: فمِمَّن؟ قال: مِن الموحِّدِين.

قال: كذبوا، ليس هؤلاء بمُوحِّدِين، هؤلاء زنادقة، مَن زعمَ أن القرآن مخلوقٌ فقد زعم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقٌ، ومَن زعمَ أن الله تعالىٰ مخلوقٌ؛ فقد كفرَ، هؤلاء زنادقةٌ، هؤلاء زنادقةٌ.

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٣٢٨) عن أحمد بن غسان، قال: قلت لحمدويه: بأيِّ شيءٍ تعرف الزنادقة؟ قال: الزنادقةُ ضروب؛ ولكن من رأيته يقول: إن الله لا يُرىٰ، وإن القرآن مخلوق؛ فهو زنديق.

- وفي «خلق أفعال العباد» (٢٢) قال عليّ بن عاصم: احذر من المريسي =

=

وأصحابه فإن كلامهم يستجلب الزندقة، وأنا كلَّمتُ أستاذهم جهمًا فلم يثبت لي أن في السماء إلهًا.

- قال أبو عبد الله محمَّد بن سلَّام البيكندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شيخ البخاري في كتابه «السنة والجماعة» وهو يتكلم عن الجهمية وتكفيرهم: .. وكلامهم يدعو إلىٰ الزندقة، وكلامهم وصفناه لغير واحدٍ مِن أهل الفقه والبصر، فمالوا آخر أمرهم إلىٰ الزندقة، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة، واتَّبع الشهوات. اهـ [«التسعينية» (١/ ٢٤٠)]

- وفي «الرد علىٰ الجهمية» لابن أبي حاتم كما عند اللالكائي (٤٤٤) قال أحمد ابن عمرو بن عيسىٰ: ما رأيت مجلسًا يجتمع فيه من المشايخ أنبل من مشايخ اجتمعوا في مسجد جامع الكوفة في وقت الامتحان، فقُرئ عليهم الكتاب الذي فيه المِحنة، فقال أبو نُعيم [الفضل بن دُكين]: أدركت ثمانمائة شيخ ونيفًا وسبعين شيخًا؛ منهم: الأعمش فمن دونه، فما رأيت خلقًا يقول بهذه المقالة - يعني: بخلق القرآن -، ولا تكلَّمَ أحدٌ بهذه المقالة إلَّا رُمي بالزندقة.

- وفي «السُّنة» للخلال (١٧٦٣) قال: أخبرني عبد الملك: أنه ذاكر أحمد بن حنبل أمر الجهمية، وما يتكلمون به. فقال في كلامهم: كلام الزندقة، يدورون علىٰ التعطيل، ليس يثبتون شيئًا، وهكذا الزنادقة.

- وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٩٨): فتفكَّروا - رحمكم الله - فيما اعتقدته الجهمية وقالته، وجادلت فيه، ودعت الناس إليه؛ فإن مَن رزقه الله فهمًا وعقلًا، ووهب له بصرًا نافذًا، وذهنًا ثاقبًا، عَلِمَ بحُسنِ قريحته، ودقّة فطْنته أن الجهمية تريد: إبطال الرُّبوبية، ودفع الإلهية. واستغنىٰ بما يدلّه عليه عقله، وتنبِّهه عليه فطنته من تقليد الأئمة القدماء والعلماءِ والعقلاءِ الذين قالوا: (إن الجهمية زنادقة، وإنهم يدورون علىٰ أن ليس في السماء شيء)، فإن القائِلين لذلك بحمد الله أهل صدق وأمانة، وورع وديانة. اهـ

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٣٥٢): ولهذا كان الإمام

=

كُفرِهم، فإن أظهروا التوبةَ تُرِكوا، وإن لم يُظهروها(١) تُركوا، وإن شَهِدت عليهم بذلك شُهودٌ فأنكروا ولم يتوبوا قُتِلوا، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سَنَّ في الزنادقة.

٢٨٢ - حدثناه يحيىٰ بن يحيىٰ، أنبأ هُشيم، عن إسماعيل بن سالم، عن أبي إدريس، [١٠٩/أ] قال: أُتيَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقومٍ من الزنادقةِ، فأنكروا، فقامت عليهم البيِّنة فقتلهم، [وقال](٢): هذا قد استَتَبتُه، فاعترفَ بذنبِه فخلَّيتُ سبيله(٣).

= أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم وأن غرضهم التعطيل، وأنهم زنادقة، و(الزنديق): المنافق، ولهذا تجد مُصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة، كما صنَّف الإمام أحمد: «الرَّد علىٰ الزنادقة والجهمية»، وكما ترجم البخاري آخر كتاب «الصَّحيح» بـ(كتاب التوحيد، والرَّد على الزَّنادقة والجهمية)، وكان عبد الله بن المبارك يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنَّصارىٰ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. اهـ

(١) في الأصل: (يُظهروننا).

(٢) في الأصل بياض مقدار ثلاث كلمات.

(٣) رواه الخلال في «أحكام أهل الملل والردة» من «الجامع» (١٣٤٥): أخبرنا عبدالله ابن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا إسماعيل بن سالم، عن أبي إدريس، - وقال مرَّة: الأزدي -، قال: أُتي عليّ بأناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام، فسألهم فجحدوا، وقامت عليهم البينة العدول، قال: فقتلهم، ولم يستتبهم. قال: وأُتي برجلٍ كان نصرانيًّا فأسلم، ثم رجع عن الإسلام، قال: فسأله، فأقرَّ بما كان منه فاستتابه فتركه. فقيل له: كيف يستتيب هذا، ولم يستتب أولئك؟ قال: إن هذا أقرَّ بما كان منه، وإن أولئك لم يُقروا، وجحدوا حتىٰ قامت عليهم البينة؛ فلذلك لم يستتبهم. اهـ

٢٨٣ - **وحدثنا** القاسم بن محمد البغدادي، ثنا عبد الرحمن بن محمد ابن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جدِّه حبيب بن أبي حبيب، قال: خطبنا خالدُ بن عبد الله القسري بواسطٍ يوم أضحىٰ، فقال: أيُّها الناسُ، ارجعوا فضحُّوا، تقبَّلَ اللهُ منا ومنكم، فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم؛ إنه زعمَ أنَّ الله تبارك وتعالىٰ لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا، سبحانه وتعالىٰ عمَّا يقولُ الجعدُ بن درهم علوًّا كبيرًا، ثم نزل فذبَحَه(١).

٢٨٤ - **حدثنا** هشام بن منصور البغدادي المكوف(٢)، [ثنا] أحمد بن سُليمان الباهلي، ثنا خلف بن خليفة الأشجعي، قال: أُتيَ خالد بن عبد الله القسري برجلٍ قد عارضَ القرآن، فقال: قال الله في كتابه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر]، وقلتُ أنا ما هو أحسن منه: (إنَّا أعطيناك الجماهِر، فصلِّ لربِّك وجاهِر، ولا تُطِع كلَّ سافهٍ وكافرٍ).

فضربَ خالدٌ عنُقَه، وصلَبَه، فمرَّ به خلفُ بن خليفة وهو مَصلوبٌ، فضربَ بيده علىٰ خشبتِه، فقال: إنا أعطيناكَ العمود، فصلِّ لربِّك علىٰ عودٍ، فأنا ضامِنٌ لك أن لا تعُود(٣).

٢٨٥ - **حدثنا** موسىٰ بن إسماعيل، قال: قلتُ لإبراهيم بن سعدٍ: ما تقولُ

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٧).

(٢) كتب فوقها: (كذا).

(٣) رواها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ١٤٣) من طريق عمر بن شبَّة.
وذكرها ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٠) عن المدائني.

في الزنادقةِ، ترىٰ أن نَستَتيبهم؟

قال: لا.

قلتُ: فبمَ تقول ذلك؟

قال: كان علينا والٍ بالمدينةِ، فقتلَ منهم رجُلًا ولم يَستتِبه، فسُقِطَ في يده، فبعثَ إلىٰ أبي، فقال له أبي: لا يَهِيدَنَّكَ[1]؛ فإنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر:٨٤]، قال: السيف، ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ﴾ [غافر]. قال: السيف، فقال: سُنَّتُه القتلُ[2].

٢٨٦ - وسمعتُ الربيع بن نافع أبا[3] توبة الحلبي، يقول: ناظرتُ أحمدَ ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قتلِ هؤلاء الجهمية، فقال: يُستتابون.

فقلت له: أمَّا خُطباؤهم فلا يُستتابون، وتُضربُ أعناقُهم[4].

---

(١) ومنه الخبر: «**كلوا واشربوا، ولا يهيدنكم الساطع المصعد**»، قال أبو عُبيد الهروي في «الغريبين» (٦/ ١٩٥٥): في الحديث: (الهيد): الحركة، يقال: هاد الشيء إذا حركته وأقلقته، يقول: لا تكترث للفجر المستطيل فإنه الصبح الكذاب، ولا تمتنعوا به عن الأكل والشرب.

وفي حديث الحسن: (فإن كانت الأولىٰ منهما لله تعالىٰ: فلا تهيدنه الآخرة)، يقول: لا يكترثن لها. يقال: ما يهيد في كلامه، أي: ما اكترث له. اهـ

(٢) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٣٩).

(٣) في الأصل: (أبو)، وما أثبته من «النقض».

(٤) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٣٩). وسيأتي برقم (٢٩٣) تعليق المُصنِّف عليه.

=⇦

٢٨٧ - حدثنا يحيىٰ بن بُكير المصري، ثنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم: أن النبي ﷺ قال: «**من غيَّرَ دِينَه فاضرِبُوا عُنُقَه**»(١).

قال مالك: معنىٰ حديث النبيِّ ﷺ فيما نرىٰ - والله أعلم -: أنه مَن خرجَ مِن الإسلامِ إلىٰ غيره، مثل: الزنادقةِ وأشباهِهِا، فإن أولئك يُقتلون ولا

=

- وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ٤١٨) عن الربيع بن نافع أبي توبة قال: قلتُ لأحمد بن حنبل: إنا قد لقينا من ضعف أهل العراق في السُّنة، فأيش تقول فيمن زعم أن القرآن مخلوق؟ فقال: أقول: إنَّه كافر.

قال: قلت: فما تقول في دمه؟

قال: حلالٌ بعد أن يُستتابَ.

فقلتُ: أديتها عِراقية.

قال أبو توبة: لا يُستتاب؛ ولكنَّه يُقتل.

(١) رواه مالك في «الموطأ» في (باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام)، وهو مرسل.

- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٠٤): هكذا رواه جماعة رواة «الموطأ» مرسلًا، ولا يصح فيه عن مالك غير هذا الحديث المرسل عن زيد بن أسلم.

وقد روي فيه عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**من بدَّلَ دينه فاقتلوه**»، وهو منكر عندي، والله أعلم.

والحديث معروف ثابت مسندٌ صحيحٌ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .. وذكره.

وفقه هذا الحديث: أن من ارتدَّ عن دينه حلَّ دمه، وضُربت عنقه، والأُمة مجتمعةٌ علىٰ ذلك، وإنما اختلفوا في استتابته، فطائفة منهم قالت: لا يُستتاب علىٰ ظاهر هذا الحديث ويُقتل. وطائفة منهم قالت: يستتاب بساعة واحدة، ومرَّة واحدة، ووقتًا واحدًا. وقال آخرون: يستتاب شهرًا. وقال آخرون: يُستتاب ثلاثًا علىٰ ما رُويَ عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود رضي الله عنهم .. إلخ.

يُستتابون، لأنه لا تُعرفُ تُوبتهم، وأنهم قد كانوا يُسِرُّون الكفرَ ويُعلِنون بالإسلامِ، فلا أرىٰ أن يُستتابَ هؤلاء، ولا يُقبلَ قولُهم.

وأمَّا مَن خرَجَ مِن الإسلامِ إلىٰ غيرِهِ وأظهرَ ذلك فإنه [١٠٩/ ب] يُستتابُ، فإن تابَ وإلَّا قُتِلَ.

وذلك أنه لو كان قومٌ كانوا علىٰ ذلك، رأيتُ أن يُدعوا إلىٰ الإسلامِ ويُستتابوا، فإن تابوا قُبل ذلك منهم، وإن لم يتوبوا قُتِلوا.

قال مالكٌ: ولم يَعنِ بهذا الحديث: مَن خرجَ من اليهوديةِ إلىٰ النصرانيةِ، ولا مِن النصرانيةِ إلىٰ اليهوديةِ، إنما عَنَىٰ بذلك: مَن خرجَ من الإسلام إلىٰ غيرِه فيما نرىٰ، والله أعلم(١).

٢٨٨ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأيُّ كفرٍ أعظمُ مِن كفرِ قومٍ رأىٰ فقهاءُ المدينة، مثل: سعد بن إبراهيم، ومالك بن أنس أنهم يُقتَلون، ولا يُستتابون؛ إعظامًا لكفرِهم، والمُرتدُّ عندهم يُستتابُ ويُقبلُ رجوعُه، فكانت الزندقةُ أكبرَ في أنفُسِهم مِن الارتدادِ، ومِن كُفرِ اليهودِ والنصارىٰ.

ولذلك قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أحكيَ كلامَ اليهودِ والنصارىٰ أحبُّ إليَّ مِن أن أحكي كلامَ الجهميةِ.

٢٨٩ - **حدثناه** الحسن بن الصباح البغدادي، عن علي بن شقيق، عن ابن

---

(١) نحوه في «الموطأ» في (باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام).

المُبارك(١).

٢٩٠ - قال أبو سعيد:

وصدَقَ ابن المبارك، إنَّ مِن كلامهم ما هو أوحش مِن كلامِ اليهودِ والنصارىٰ، فلذلك رأىٰ أهل المدينة أن يُقتلوا ولا يُستتابوا(٢).

ولذلك قال أبو توبة لأحمد بن حنبل رضي الله عنهما: (أمَّا خُطباؤهم فلا يُستتابون، وتُضرب أعناقُهم)(٣)؛ لأن الخُطباءَ اعتقدوه دينًا في أنفسِهم علىٰ بصرٍ منهم بسُوءِ مذاهبِهم، وأظهروا الإسلامَ تَعوُّذًا وجُنَّةً مِن القتلِ، ولا تكادُ ترىٰ البصيرَ منهم بمذهبِه يَرجعُ عن رأيه(٤).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (١٦).

(٢) تقدم كذلك برقم (٢٣) تعليق المُصنِّف علىٰ قول ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا برقم (٢٨٦).

(٤) قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (١٥٨): وكذلك قال الأوزاعي لبعض أهل البدعِ إذا انتقلوا مِن رأيٍ إلىٰ رأيٍ: إنكم لا ترجعون عن بدعةٍ إلَّا تعلقتم بأُخرىٰ هي أضرّ عليكم منها.

- وفي «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٩٥٣) قال سَلَّام بنُ أبي مُطيع: قال سعيدٌ لأيوب: يا أبا بكر، إن عَمرو بن عُبيد قد رجع عن قوله.

قال سَلَّام: وكان الناسُ قد قالوا ذلك تلك الأيام: إنه قد رجع.

فقال أيوب: إنه لم يرجع. قال له: بلىٰ إنه قد رجع.

قال: إنه لم يرجع، قالها غير مَرَّةٍ، ثم قال أيوب: أما سمعتَ إلىٰ قوله ﷺ يعني في الحديث: «**يَمرقُون مِن الدِّين كما يَمرُقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّة، ثم لا يعودون فيهِ، حتىٰ يَعودَ السَّهمُ علىٰ فُوقِهِ**»، وإنه لا يَرجعُ أبدًا.

⇦=

٢٩١ - قال أبو سعيد:

وذهبتُ يومًا أحكي ليحيىٰ بن يحيىٰ كلام الجهمية لأستخرجَ منه نقضًا عليهم، وفي مجلسِه يومئذٍ الحُسين بن عيسىٰ البسطامي، وأحمد بن حريش(١) القاضي، ومحمد بن رافع، وأبو قُدامة السرخسي - فيما أحسب -، وغيرهم مِن المشايخ، فزَبرني بغضبٍ، وقال: اسكت، وأنكر عليَّ المشايخ الذين في مجلسِه استعظامًا أن أحكي كلامَ الجهمية، وتشنيعًا عليهم، فكيف بمَن يَحكي عنهم دِيانةً؟! ثم قال لي يحيىٰ: القرآنُ كلامُ الله، مَن شَكَّ فيه، أو زعمَ أنه مخلوقٌ فهو كافرٌ(٢).

=

- ولفظه في «البدع والنهي عنها» (١٥٤): قال: انظروا إلىٰ ما يتحوَّل، إن آخر الحديثِ أشدُّ عليهم من أوَّله: «**يَمرقون مِن الإسلامِ ثُمَّ لا يَعودون فيه**».

- وفي «الإبانة الكبرىٰ» (٢٤٥٠) قال الفضل بن زياد: قلت لأبي عبد الله [أحمد بن حنبل]: إن الشَّرَّاك بلغني عنه أنه قد تاب ورجع.

قال: كذب، لا يتوب هؤلاء، كما قال أيوب: إذا مرق أحدهم لم يعُد فيه.

(١) في الأصل: (يونس)، وما أثبته من «الدرء» (٥/ ٣٠٩)، و«صون المنطق» (ص ١٠٣). وهو كذلك في ترجمته في «الثقات» لابن حبان (٧/ ٢٧).

(٢) وقد ذكر المُصنِّف السبب في ترك التحديث بِشُبه هؤلاء المُعطِّلة، فقال فيما تقدم (فقرة/ ٢٣): (ولكنَّا نتخوَّفُ من هذه الأحاديثِ، ونخافُ أن لا تَحتَمِلُه قلوبُ ضُعفاءِ الناسِ، فنوقِعُ فيها بعضَ الشكِّ والرِّيبةِ).

- قال حرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السُّنة» (٤٣٠): ذكرتُ عند عليٍّ [ابن المديني] بعض كلامهم؛ قلت: قومٌ يقولون: كذا ثم كذا، أترىٰ هؤلاء مسلمين؟

فقال: لو ذكر هذا رجلٌ عند حماد وغيره مِن المشايخ لطردوه، وما حدَّثوه =

٢٩٢ - حدثنا يوسف بن يحيىٰ البويطي، عن محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الزنديق.

= بشيءٍ، يُكره أن يُحكىٰ كلامهم أشدَّ الكراهية.

قلت لعليٍّ: ويُكره أن يذكُرَ رجلٌ كلام أهل البدعِ؟

قال: نعم؛ لأني أخاف أن يذكرَهُ عند رجل ضعيف القلب فيقع في قلبه.

- وفي «رياض النفوس» (١/ ٢٠٤) قال بعض أصحاب البهلول بن راشد: كنت يومًا جالسًا عنده ومعه رجلٌ عليه لباس حسن وهيئة، فقال له البهلول: أُحِبُّ أن تذكر لي ما تحتجّ به القدرية، فسكت الرَّجلُ حتىٰ تفرَّقَ الناس، ثم قال له: يا أبا عَمرو، إنك سألتني عمَّا تحتج به القدرية، وهو كلامٌ تصحبه الشَّياطين؛ لأنه سلاح من سلاحهم، فتُزيّنه في قلوب العامَّة، وفي مجلسك من لا يفهم ما أتكلّم به من ذلك، فلا آمن أن يَحلو بقلبه منه شيء، فيقول: سمعت هذا الكلام في مجلس البهلول.

فقال له: والله لأُقبِّلنَّ رأسك، أحييتني أحياك الله.

- وفي «السُّنة» لحرب (٤١٨) عن يزيد بن هارون، قال: لقد أُخبرتُ مِن كلام المريسي بشيءٍ وجدّتُ وجعه في صُلبي بعد ثلاث.

- وفي «الإبانة الكُبرىٰ» (٤٧٧) قال محمد بن السائب الكلبي: قوموا بنا إلىٰ المرجئة نسمع كلامهم، قال: فما رجع حتىٰ علقه.

- وفي «رسالة الحرف والصوت» (ص ١٤٤) قال بعض السلف: سمعتُ من مبتدعٍ في الصِّبا قولًا أجتهدُ في إخراجِه من قلبي وسمعي ولا يَتِمُّ لي ذلك.

وفي الباب آثار في النهي عن سماع كلام أهل البدع ذكرتها في كتاب: «الاحتجاج بالآثار السلفية»: (باب كراهة أهل السُّنة لسماع كلام أهل البدع).

وقد اضطر المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النقض» (فقرة/ ١) إلىٰ ذكر بعض كلامهم وضلالاتهم وشُبههم وما فيها مِن التحريف والزندقة، وبيَّن سبب ذلك، فانظره.

قال: يُقبلُ قوله إذا رجع، ولا يُقتلُ(١).

واحتجَّ فيهم بـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون:١] الآية.

فأمرَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يَدعَ قتلَهم لِمَا يُظهِرون مِن الإسلامِ، وكذلك الزنديقُ إذا أظهرَ الإسلامَ كان في هذا الوقتِ مُسلمًا، والمسلمُ غير مُبدِّلٍ، قال رسول الله ﷺ: [١١٠/أ] «ألا شققتَ عن قلبِه؟»(٢).

٢٩٣ - قال أبو سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأنا أقول كما قال الشافعي: أن تُقبلَ علانيتُهم إذا اتَّخذُوها جُنَّةً لهم مِن القتلِ، أسرُّوا في أنفسهم ما أسرُّوا، فلا يُقتلوا، كما أن المنافقين ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون:٢]، فلم يُؤمر بقتلِهم.

والزنديقُ عندنا شرٌّ مِن المُنافقِ، فلرُبَّما كان المُنافِقُ جاحِدًا بالرَّسولِ والإسلامِ، مُقرًّا باللهِ عَزَّوَجَلَّ، مُثبتًا لرُبوبيَّته في نفسِه، والزِّنديقُ مُعطِّلٌ لله، جاحِدٌ بالرُّسُلِ، والكُتُبِ.

وما يُعرَفُ في الإسلامِ زنادقةٌ غير هؤلاءِ الجهمية، وأيُّ زندقةٍ بأظهرَ مِمَّن ينتحلُ الإسلامَ في الظاهرِ، وفي الباطنِ يُضاهي قولُه في القرآنِ قولَ مُشركي قريشٍ الذين رَدُّوا على الله ورسولِه، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص]، و ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [الأنعام]، و ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾

---

(١) رواه المُصنِّف في «النقض» (٢٤١).

(٢) رواه مسلم (٩٦) من حديث أُسامة بن زيد رضي الله عنهما، ولفظه: «أفلا شَققتَ عن قلبِهِ».

[المدثر]، كما قالت الجهمية سواءً: إن هذا إلَّا مخلوق(١).

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٥٠٩): إن الجهمية أوَّل ما ظهروا في الإسلام في أوائل المائة الثانية، وكان حقيقة قولهم في الباطن تعطيل هذه الصفات كلها كما ذكر ذلك الأئمة، لا يصفونه إلَّا بالسلوبِ المحضة التي لا تنطبق إلَّا علىٰ المعدوم، وقد ذكر هذا المؤسِّس [الرازي]: أن جهمًا ينفي الأسماء كلها أن تكون معانيها ثابتة لله تعالىٰ، وكانوا في الباطن يُنكرون أن يُرىٰ، أو أن يتكلم بالقرآن أو غيره، أو يكون فوق العرش، أو أن يكون موصوفًا بالصفاتِ التي جاءت بها الكُتُب، وعُلمت بدليلِ من الدلائل العقلية وغيرها، لكن ما كانوا يُظهرون من قولهم للناسِ إلَّا ما هو أبعد عن أن يكون معروفًا مُستيقنًا مِن الدين عند العامَّةِ والخاصَّةِ، وأقرب إلىٰ أن يكون فيه شُبهة، ولهم فيه حُجَّة، ويكونون فيه أقلّ مُخالفة لما يعلمه الناس من الحُجَجِ الفطرية والشرعية والقياسية وغير ذلك.

فهذا شأن كلّ مَن أراد أن يُظهر خلافَ ما عليه أُمَّة مِن الأُممِ مِن الحقِّ إنما يأتيهم بالأسهلِ الأقرب إلىٰ موافقتهم؛ فإن شياطين الإنس والجنِّ لا يأتون ابتداء ينقضون الأصول العظيمة الظاهرة، فإنهم لا يَتمكَّنون.

وإذا كان كذلك فالجهمية الذين كان باطن أمرهم السلب والتعطيل لما نبغوا لم يكونوا يُظهرون للناسِ إلَّا ما هو أقل إنكارًا عليهم؛ فأظهروا القولَ بأن القرآن مخلوق، وأظهروا القولَ بأن الله لا يُرىٰ، وكانت (مسألة القرآن) عندهم أقوىٰ، ولهذا أفسدوا مَن أفسدوه مِن ولاة الأمور في إمارةِ أبي العباس، المُلقَّبِ بالمأمون، وأخيه أبي إسحاق المُعتصم، والواثق، جعلوا هذه المسألة يَمتحنون بها الناس، وأظهروا أن مقصودهم إنما هو توحيد الله تعالىٰ وحده؛ لأنه هو الخالق وكلّ ما سواه مخلوق، وأن مَن جعل شيئًا ليس هو الله تعالىٰ، وقال: إنه غير مخلوق فقد أشرك، وقال بقول النصارىٰ ونحو ذلك، فصارَ كثيرٌ ممَّن لم يعرف حقيقة أمرهم يظنُّ أن هذا مِن الدينِ، ومن تمامِ التوحيد، فضلّوا وأضلوا، وكانوا يتظاهرون بأنَّ الله لا يُرىٰ، لكن لم يجعلوا هذه المسألة المِحنة؛ لأنه لا يظهر فيها مِن شبهة ⇐

=

التوحيد العامَّة بما يظهر في أن كلّ ما سوىٰ الله مخلوق.

وكان أهل العلم والإيمان قد عرفوا باطن زندقتهم ونفاقهم، وأن المقصود بقولهم: (إن القرآن مخلوق) أنَّ الله لا يُكلِّم، ولا يتكلَّم، ولا قال ولا يقول، وبهذا تتعطل سائر الصفات مِن: العلم، والسمع، والبصر، وسائر ما جاءت به الكتب الإلهية، وفيه أيضًا قدح في نفس الرسالة، فإن الرُّسل إنما جاءت بتبليغ كلامِ الله، فإذا قدح في أن اللهَ يتكلم كان ذلك قدحًا في رسالةِ المرسلين، فعلموا أن في باطن ما جاؤوا به قدحًا عظيمًا في كثير من أصلي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله؛ لكن كثيرًا من الناس لا يعلمون ذلك، كما أن كثيرًا مِن الناس لا يعلمون باطن حال القرامطة؛ لأنهم إنما يظهرون موالاة آل محمد ﷺ ...

إذا عُرِفَ ذلك فالجهمية أظهروا (مسألة القرآن وأنه مخلوق)، وأظهروا أن الله لا يُرىٰ في الآخرة، ولم يكونوا يُظهرون لعامَّة المؤمنين وعُلمائهم إنكار أن الله فوق العرش، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وإنما كان العلماء يعلمون هذا منهم بالاستدلالِ والتوسُّم، كما يُعلم المنافقون في لحنِ القول ...

وهذا كما قال حماد بن زيد الإمام الذي هو مِن أعظم أئمة الدينِ: القرآن كلام الله نزل به جبريل، ما يُحاولون إلَّا أن ليس في السماء إله. اهـ

- وقال ابن قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حكاية المناظرة في القرآن» (ص٣٢) وهو يتكلم عن الأشاعرة الذين أدركهم: ومِن العجائبِ أنهم لا يتجاسرون علىٰ إظهار قولهم، ولا التصريح به إلَّا في الخلواتِ، ولو أنهم وُلاةُ الأمرِ، وأرباب الدولة، وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي يعتقدونها كَرِهوا ذلك وأنكروه، وكابروا عليه، ولا يتظاهرون إلَّا بتعظيم القرآن، وتبجيل المصاحف، والقيام لها عند رؤيتها، وفي الخلوات يقولون: ما فيها إلَّا الورق والمداد، وأيُّ شيء فيها؟ وهذا فعل الزنادقة.

ولقد حكيتُ عن الذي جرت المُناظرة بيني وبينه ما قاله، فنُقل إليه ذلك فغَضِبَ، وشقَّ عليه، وهو مِن أكبرِ وُلاةِ البلد، وما أفصح لي بمقالته حتىٰ خلوتُ معه، وقال: أُريدُ أن أقولَ لك أقصىٰ ما في نفسي، وتقول لي أقصىٰ ما في نفسك، وصرَّح لي

=

=

بمقالتهم علىٰ ما حكيناه عنهم، ولمَّا ألزمته ببعض الآياتِ الدالة علىٰ أن القرآن هو هذه السور، قال: أنا أقول: إنَّ هذا القرآن؛ ولكن ليس هو القرآن القديم. قلت: ولنا قرآنان؟ قال: نعم، وأي شيء يكون إذا كان لنا قرآنان؟

ثم غَضِبَ لما حكيتُ عنه هذا القول .. ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مقالتهم، ولا يَتجاسرون علىٰ إظهارها إلَّا الزنادقة والأشعرية ..

فقوله قول المعتزلة لا محالة؛ إلَّا أنه يريد التلبيس، فيقول في الظاهر قولًا يوافق أهل الحقِّ، ثم يُفسِّره بقول المعتزلة.

فمِن ذلك أنه يقول: القرآن مقروءٌ، متلوٌّ، محفوظٌ، مكتوبٌ، مسموعٌ.

ثم يقول: القرآنُ في نفس الباري قائمٌ به، ليس هو سورًا ولا آياتٍ، ولا حروفًا، ولا كلمات. فكيف يُتصوَّر إذًا قراءته وسماعه وكتابته؟

ويقولون: إن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع كلام الله مِن الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يقولون: ليس بصوت .. ثم كيف يحلُّ أن يوهموا العامة ما يقوىٰ به اعتقادهم الذي يزعمون أنه بدعة من تعظيمهم للمصاحف في الظاهر، واحترامها عند الناس .. وهذا هو النفاق في عهد رسول الله ﷺ، وهو الزندقة اليوم، وهو: إظهار موافقة المسلمين في اعتقادهم، ويُضْمر خلاف ذلك، وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة، فهم زنادقة بغيرِ شَكٍّ، فإنه لا شكَّ في أنهم يُظهرون تعظيم المصاحف إيهامًا أن فيها القرآن، ويعتقدون في الباطنِ أنه ليس فيها إلَّا الورق والمِداد، ويُظهرون تعظيم القرآن ... ويعتقدون أنه مِن تأليف جبريل وعبارته، ويُظهرون أن موسىٰ سمع كلام الله مِن الله، ثم يقولون: ليس بصوتٍ، ويقولون في أذانهم وصلواتهم: أشهد أن محمدًا رسول الله، ويعتقدون أنه انقطعت رسالته ونبوَّته بموتِه، وأنه لم يبقَ رسول الله، وإنما كان رسول الله في حياته. وحقيقة مذهبهم: أنه ليس في السماءِ إلهٌ، ولا في الأرضِ قرآنٌ، ولا أن محمدًا رسول الله. وليس في أهل البدع كلهم مَن يتظاهر بخلاف ما يعتقدونه غيرهم، وغير مَن أشبههم من الزنادقة. اهـ

وقد تقدم برقم (٢٣٤) أن حقيقة قولهم في القرآن هو بعينه قول الجهمية ولكنهم يظهرون ما لا يُبطنون.

ولهم في ذلك أيضًا أئمةُ سُوءٍ أقدمُ مِن مُشركي قريشٍ، وهم: عادٌ قومُ هود، الذين قالوا لنبيهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾ [الشعراء].

فأيُّ فرقٍ بين الجهمية وبينهم حتىٰ نجبُنَ عن قتلهم وإكفارهم؟

٢٩٤ - ولو لم يكن عندنا حُجَّةٌ في قتلِهم وإكفارِهم إلَّا قول حمادِ بن زيدٍ، وسلَّامِ بن أبي مُطيعٍ، وابنِ المُبارك، ووكيعٍ، ويزيدَ بن هارون، وأبي تَوبة، ويحيىٰ بن يحيىٰ، وأحمدَ بن حنبل، ونُظرائهم رحمة الله عليهم أجمعين، لجَبُنَّا عن قتلهم وإكفارهم بقولِ هؤلاءِ، حتىٰ نَستبرئ ذلك عمن هو أعلمُ منهم وأقدمُ، ولكنَّا نُكفِّرُهم بما تأوَّلنا فيهم مِن كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ورَوينا فيهم مِن السُّنةِ، وبما حكينا عنهم مِن الكفرِ الواضحِ المشهورِ الذي يعقله أكثر العوام، وبما ضاهوا مُشركي الأُمم قبلهم بقولهم في القرآنِ، فضلًا علىٰ ما ردُّوا علىٰ اللهِ ورسولِه من تعطيلِ صفاتِه، وإنكارِ وحدانيتِه، ومعرفةِ مكانِه، واستوائِه علىٰ عرشِهِ بتأويلِ ضلالٍ(١)، به هتكَ الله سترهم، وأبدىٰ(٢) سوءتَهم، وعبَّر عن ضمائرهم، كلَّمَا أرادوا به احتجاجًا ازدادت مذاهبهم اعوِجاجًا، وازداد أهل السُّنة بمخالفتِهم ابتهاجًا، ولِمَا يخفون مِن خفايا زندقتهم استِخراجًا.

---

(١) سيأتي في كتاب «النقض» (فقرة/ ٤٨) التنبيه علىٰ أن من مذاهب الجهمية: تأويل نصوص الصفات وتحريفها، والتنبيه كذلك علىٰ خطأ من ينكر ذلك ويزعم أن التأويل خاص بالكُلابية والأشاعرة، وأن الجهمية ليس لهم إلَّا إنكار الصفات.

(٢) في الأصل: (وأبد).

والله الموفِّق،

ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم.

والحمد لله ربّ العالمين،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

آخر كتاب «الردِّ على الجهمية»،

فرغ من نسخه في شهر رجب الفرد، سنة خمس وثلاثين وسبع مائة، بمدرسة الحافظ ضياء الدين رحمه الله تعالى، بسفح قاسيون ظاهر دمشق.

اللهم أحينا علىٰ السُّنة وتوفَّنا عليها.

فهارس الكتاب

١ - فهرس الآيات

الآية.. رقم الفقرة

[البقرة]

[آل عمران]

[يونس]

[هود]

الرعد

إبراهيم

[النحل]

[الإسراء]

الكهف

مريم

[طه]

[الأنبياء]

[الحج]

المؤمنون

[النور]

[الفرقان]

[الشعراء]

[القصص]

[لقمان]

السجدة

الأحزاب

سبأ

فاطر

يس

الصافات

الزمر

ص

غافر

غافر

فصلت

الشورى

الزخرف

الدخان

الجاثية

الفتح

التحريم

الملك

الحاقة

المعارج

الجن

المزمل

المدثر

القيامة

النازعات

المطففين

الفجر

العلق

القدر

الليل

الكوثر

الإخلاص

٢- فهرس الأحاديث

٣- فهارس الفوائد العقدية

الفائدة.. رقم الفقرة

الأنبياء

البدعة ومعاملة المبتدع

الجنة والنار

السلطان

الصحابة رضي الله عنهم

القدر

الملائكة

يوم القيامة

٤ - فهراس الأبواب الفقهية والآداب

الأصول

الصلاة

الصوم

الحج

القرآن

الجامع

العلم والعلماء

البلدان

٥ - فهرس الفرق

الأشاعرة

الجهمية

الرافضة

الزنادقة

المعتزلة

المفوضة

المَنَانيَّة

٦- فهرس أبواب الكتاب